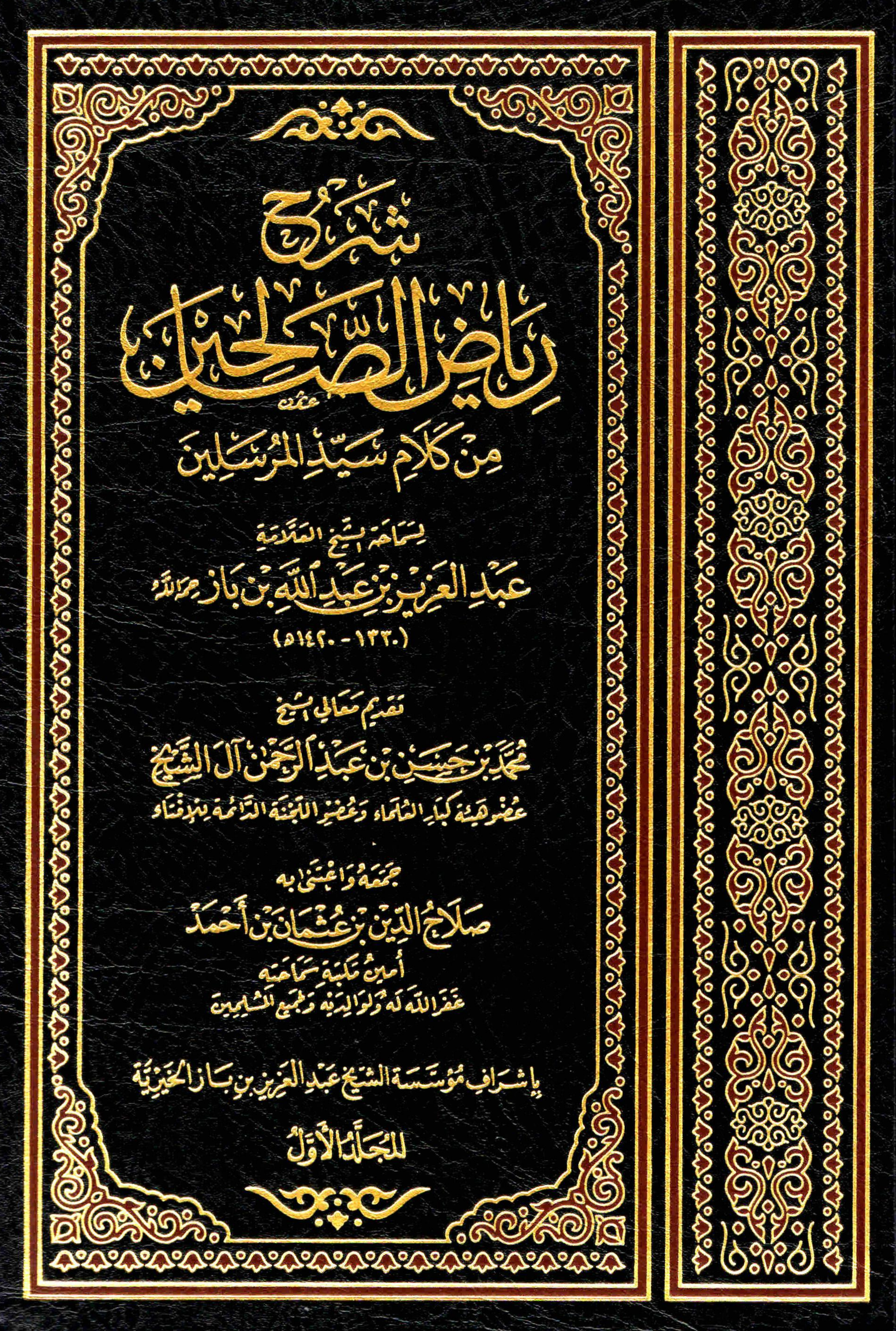
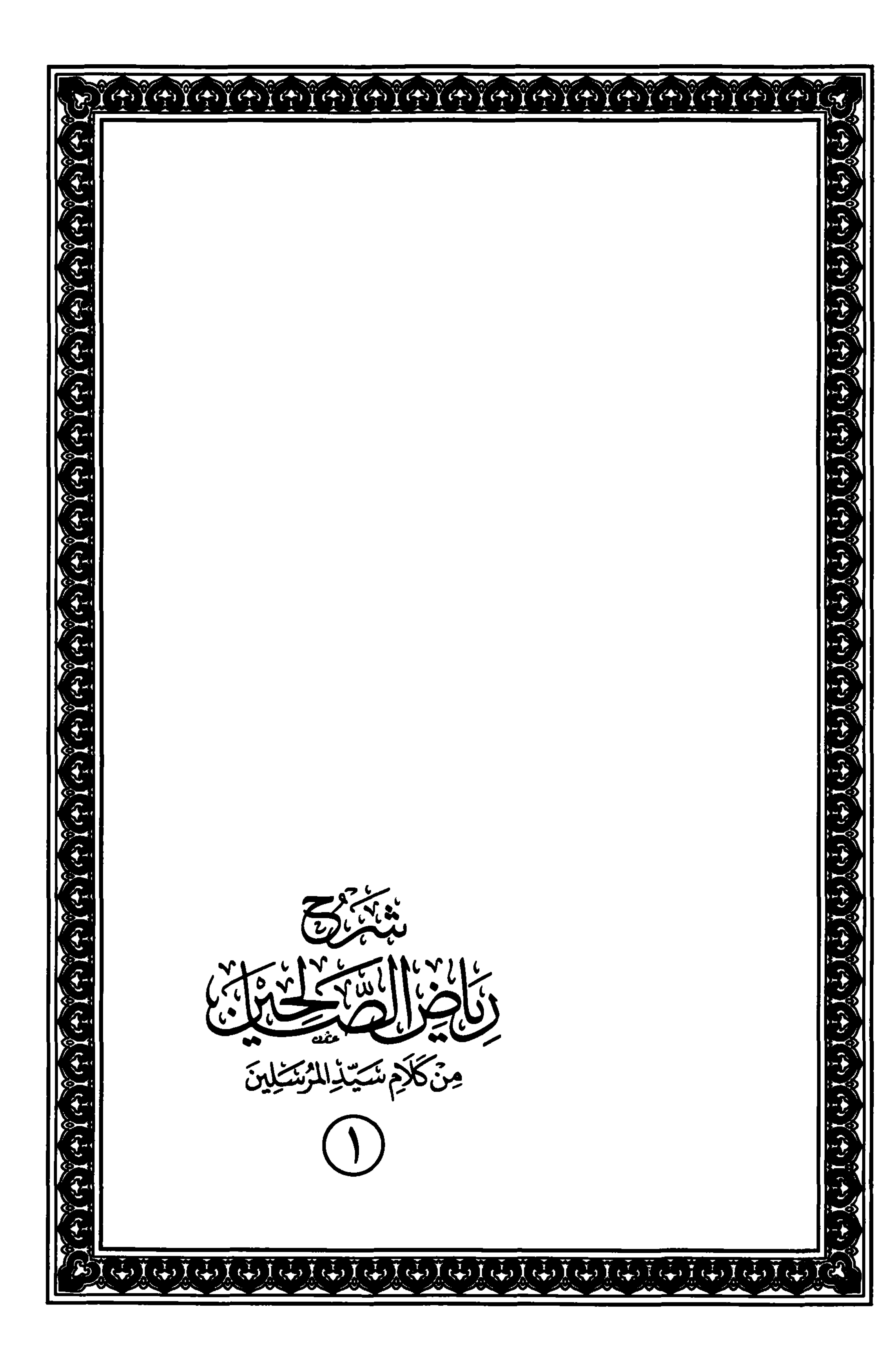
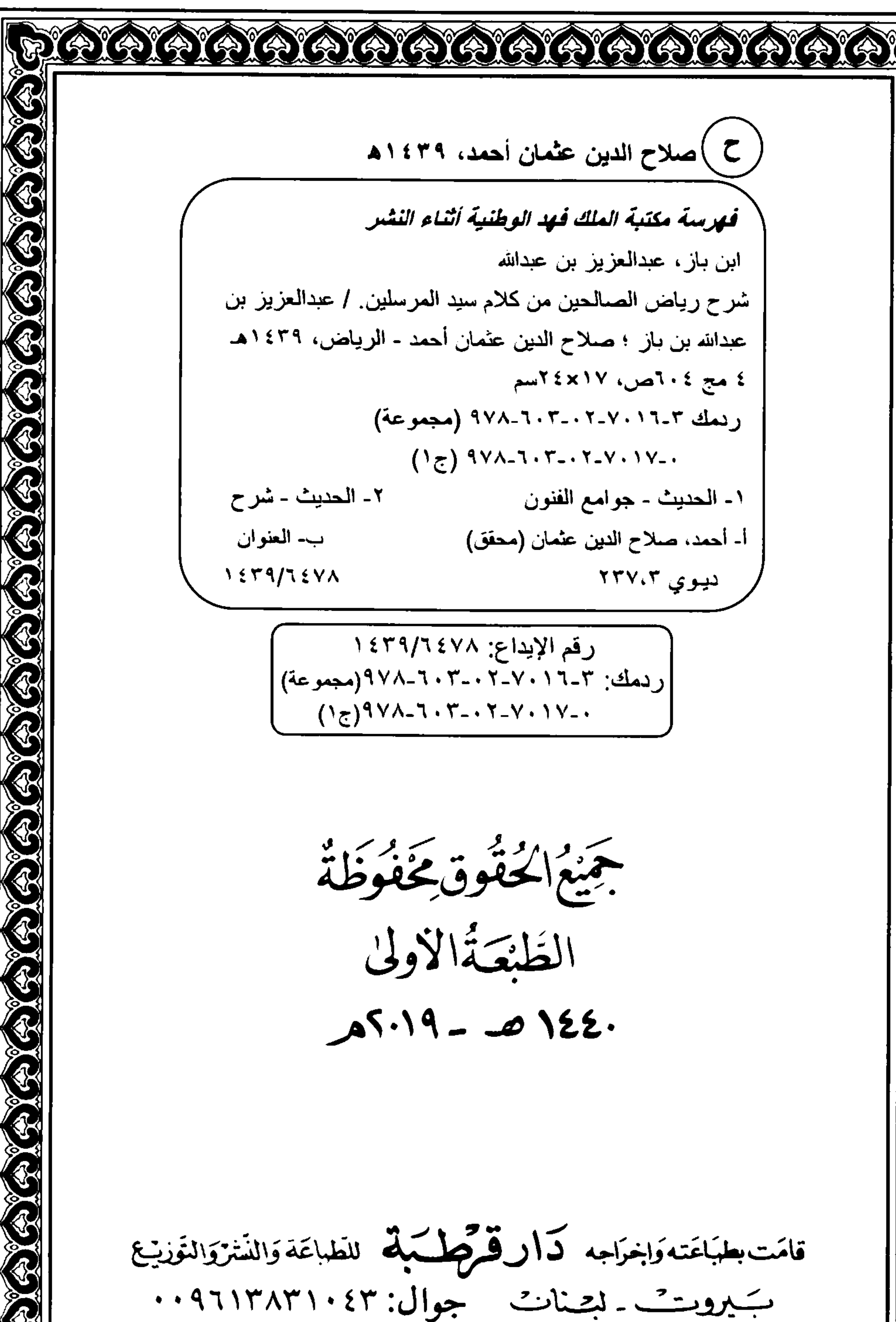


شرح
رياض الصالحين
من كلام سيد المرسلين
لسماحة الشيخ العلامة
عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله
(١٣٣٠ - ١٤٢٠هـ)
تقديم معالي الشيخ
محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء
جمعه واعتنى به
صلاح الدين بن عثمان بن أحمد
أمين مكتبة سماحته
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين
بإشراف مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية
المجلد الأول


شرح
رياض الصالحين
من كلام سيد المرسلين
١



ح صلاح الدين عثمان أحمد، ١٤٣٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن باز، عبدالعزيز بن عبدالله

شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين. / عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ؛ صلاح الدين عثمان أحمد - الرياض، ١٤٣٩هـ

٤ مج ٦٠٤ص، ١٧×٢٤سم

ردمك ٣-١٦-٧٠٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٠-١٧-٧٠٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح

أ- أحمد، صلاح الدين عثمان (محقق) ب- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٩/٦٤٧٨

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٦٤٧٨

ردمك: ٣-١٦-٧٠٠٢-٦٠٣-٩٧٨(مجموعة)

٠-١٧-٧٠٠٢-٦٠٣-٩٧٨(ج١)

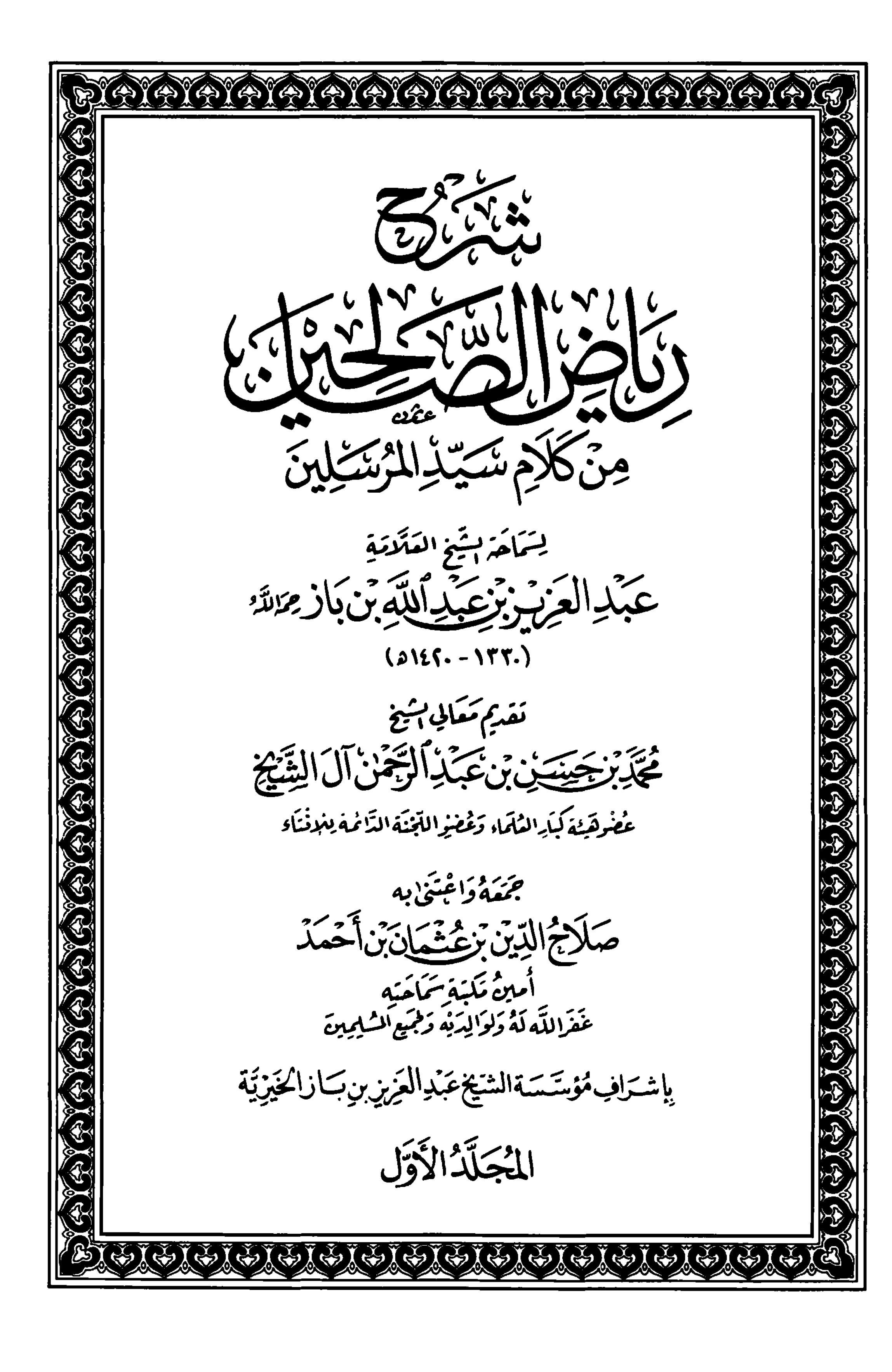
الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

قامت بطباعته وإخراجه دار قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان جوال: ٠٠٩٦١٣٨٣١٠٤٣

dar_kortoba@hotmail.com



شرح رياض الصالحين

من كلام سيد المرسلين

لسماحة الشيخ العلامة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله

(١٣٣٠ - ١٤٢٠هـ)

تقديم معالي الشيخ

محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ

عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

جمعه واعتنى به

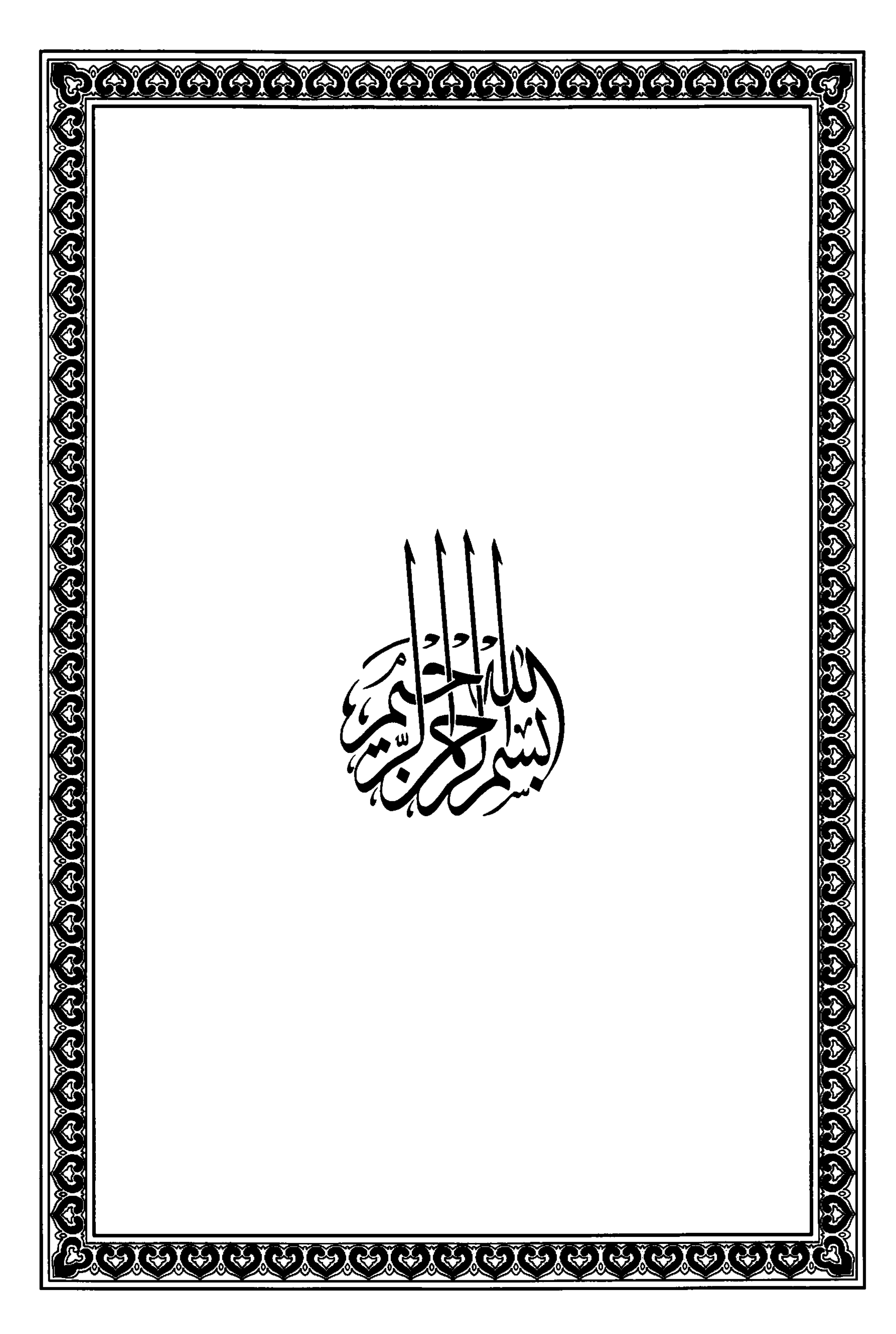
صلاح الدين بن عثمان بن أحمد

أمين مكتبة سماحته

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

بإشراف مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

المجلد الأول


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فيطيب «لمؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية» أن تضع بين يدي القارئ الكريم هذا الشرح النافع لسماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله لكتاب «**رياض الصالحين**» للإمام النووي رحمه الله، ضمن مشروعها لنشر شروحات وتعليقات سماحة الشيخ على كتب أهل العلم.

وقد اعتنى بهذا الشرح تفريغاً وتخريجاً الأخ الشيخ صلاح الدين عثمان أحمد «أمين مكتبة سماحته في بيته»، وتولى مراجعة المادة وتحكيمها ثلّة من أهل العلم من طلاب سماحة الشيخ رحمه الله وغيرهم من المتخصصين، أبرزهم: فضيلة الشيخ أ. د. سعد بن عبد الله الحميد، وفضيلة الشيخ د. عبد العزيز بن عبد الله المبدل، وفضيلة الشيخ د. محمد بن عبد العزيز الشايع، وفضيلة الشيخ د. خالد بن عبد العزيز النمر.

وكتاب «**رياض الصالحين**» للإمام النووي رحمه الله من الكتب المباركة التي تلقتها الأمة بالقبول، وكتب الله لها الانتشار، وانتفع بها خلق كثير؛ لما هيأ الله تعالى لمؤلفه من جودة وحسن التأليف وصدق النية ـ ولا نزكيه على الله ـ، حيث أجاد في التبويب والتقريظ بآيات من كتاب الله يتبعها ببعض ما صح من أحاديث المصطفى ﷺ في الباب، وقد اعتنى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله بهذا الكتاب أسوة بأهل العلم، وشرحه شرحاً ميّسراً نافعاً ماتعاً في دروسه في مدينة الرياض ومكة والطائف، ويسّر الله لأخينا الشيخ صلاح الدين عثمان أحمد تسجيل هذا الشرح وحفظه وتفريغه، وها هو بين يدي القارئ الكريم بحلته القشيبة.

نسأل الله تعالى أن يجزي المؤلف والشارح والمعدّ لهذه المادة وكل من سعى في جودة إخراجها خير الجزاء، ويجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ونافعاً لعباده المؤمنين، كما نسأله سبحانه أن ينفع به قارئه وكل من ساهم في نشره، وأن يجعله من العلم النافع الذي يجري أجره على سماحة والدنا وشيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في قبره، وأن يجمعنا به والقارئ الكريم في دار كرامته مع الأحبة محمد ﷺ وصحبه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...

مُؤسَسَة الشيخ عَبْدِ العَزيز بن بَاز الخَيْرِيَّة

المملكة العربية السعودية
مؤسسة عبدالعزيز بن باز الخيرية
Ibn Baz Charitable Foundation
مسجلة بوزارة العمل والتنمية الاجتماعية برقم (١٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة عبدالعزيز بن باز الخيرية

الرقم : .... التاريخ : .... الموضوع : .... المرفقات : ....

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد:

فيطيب ((لمؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية)) أن تضع بين يدي القارئ الكريم هذا الشرح النافع لسماحة الشيخ العلامة عبدالعزيز بن باز "رحمه الله" لكتاب ((رياض الصالحين)) للإمام النووي "رحمه الله"، ضمن مشروعها لنشر شروحات وتعليقات سماحة الشيخ على كتب أهل العلم .

وقد اعتنى بهذا الشرح تفريغاً وتخريجاً الأخ الشيخ / صلاح الدين عثمان احمد " أمين مكتبة سماحته في بيته"، وتولى مراجعة المادة وتحكيمها ثلة من أهل العلم من طلاب سماحة الشيخ "رحمه الله" وغيرهم من المتخصصين، أبرزهم : فضيلة الشيخ / أ. د. سعد بن عبدالله الحميد، وفضيلة الشيخ / د. عبدالعزيز بن عبدالله المبدل، وفضيلة الشيخ / د. محمد بن عبدالعزيز الشايع ، وفضيلة الشيخ / د. خالد بن عبدالعزيز النمر .

وكتاب ((رياض الصالحين)) للإمام النووي "رحمه الله" من الكتب المباركة التي تلقتها الأمة بالقبول، وكتب الله لها الانتشار، وانتفع بها خلق كثير؛ لما هيأ الله تعالى لمؤلفه من جودة وحسن التأليف وصدق النية - ولانزكيه على الله -، حيث أجاد في التبويب والتقريظ بآيات من كتاب الله يتبعها ببعض ما صح من أحاديث المصطفى ﷺ في الباب، وقد اعتنى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز "رحمه الله" بهذا الكتاب أسوة بأهل العلم، وشرحه شرحاً ميّسراً نافعاً ماتعاً في دروسه في مدينة الرياض ومكة والطائف، ويسّر الله لأخينا الشيخ / صلاح الدين عثمان أحمد تسجيل هذا الشرح وحفظه وتفريغه، وهاهو بين يدي القارئ الكريم بحلته القشيبة .

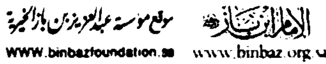
نسأل الله تعالى أن يجزي المؤلف والشارح والمعدّ لهذه المادة وكل من سعى في جودة إخراجها خير الجزاء، ويجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ونافعاً لعباده المؤمنين، كما نسأله سبحانه أن ينفع به قارئه وكل من ساهم في نشره، وأن يجعله من العلم النافع الذي يجري أجره على سماحة والدنا وشيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز "رحمه الله" في قبره، وأن يجمعنا به والقارئ الكريم في دار كرامته مع الأحبة محمد ﷺ وصحبه .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...



المملكة العربية السعودية - ص.ب ٢٤١٩١٩ - الرياض ١١٣٢٢
هاتف ٩٢٠٠٠٠٩٠٢ ٩٦٦+ فاكس ٤٣٥٨٩٨٠ ١١ ٩٦٦+









بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلّى الله وسلّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن كتاب «رياض الصالحين» من أنفع الكتب وأنفسها، جمع فيه النووي رحمه الله تعالى ما صَحَّ عنده من حديث رسول الله ﷺ مما يحتاج إليه المسلم في عبادته، وقد أحسن حيث صدّر أبوابه بآيات من القرآن الكريم، فجمع فيه بين الكتاب والسُّنَّة.

ولما كان هذا الكتاب بهذه الأهمية، اعتنى به سماحة الشيخ العلَّامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله تعالى، فقام بشرحه شرحاً مختصراً سلك فيه أسلوباً سهلاً ينتفع به عموم الناس وطلاب العلم.

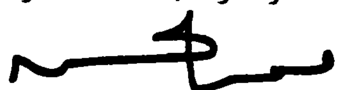
وقد سخَّر الله تعالى لإخراج هذا الشرح المبارك الشيخ صلاح الدين عثمان أحمد، أمين مكتبة سماحة الشيخ، فقام بتسجيل هذا الشرح في أماكن متعددة، ثم فرّغه، واعتنى بضبط الأحاديث وتخريجها، وتوثيق النقول، وغير ذلك، فجزاه الله خيراً على ما بذل فيه من جهد لإخراج هذا الكتاب، لينتفع به المسلمين.

هذا وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة العامة للفتوى



بسم الله الرحمن الرحيم

محمد بن حسن بن عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ



الرقم: ٣٠٩/خ/٣٩
التاريخ: ١/٩/١٤٣٩هـ
المشفوعات: ....

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن كتاب رياض الصالحين من أنفع الكتب وأنفسها، جمع فيه النووي رحمه الله تعالى ما صَحَّ عنده من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يحتاج إليه المسلم في عبادته، وقد أحسن حيث صدّر أبوابه بآيات من القرآن الكريم، فجمع فيه بين الكتاب والسنة.

ولما كان هذا الكتاب بهذه الأهمية اعتنى به سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله تعالى فقام بشرحه شرحا مختصرا سلك فيه أسلوبا سهلا ينتفع به عموم الناس وطلاب العلم.

وقد سخّر الله تعالى لإخراج هذا الشرح المبارك الشيخ صلاح الدين عثمان أحمد أمين مكتبة سماحة الشيخ، فقام بتسجيل هذا الشرح في أماكن متعددة، ثم فرّغه، واعتنى بضبط الأحاديث وتخريجها، وتوثيق النقول، وغير ذلك، فجزاه الله خيرا على ما بذل فيه من جهد لإخراج هذا الكتاب، لينتفع به المسلمين.

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه
محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للفتوى



المُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فَإن من رحمة الله تعالى بهذه الأمة ما مَنَّ به عليها من العلماء الرَّبانيين الذين هم ورثة الأنبياء، يحملون العلم في صدورهم، ويَعملون به، ويُعلمون الناس، قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلَا دِرْهَماً، إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»[١].

والعُلماء هم أخشى الناس لله، وهم أعبد الناس لله تعالى، كما قال تعالى مادحاً إياهم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] وهم الأعلام على طريق الهدى، والنجوم التي يهتدي بهم الناس في معرفة أحكام دين الله وشرعه؛ ولذا لهم فضل ومزية على سائر الخلق حتى على العُبَّاد، كما قال ﷺ في فضلهم: «**فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ**»[٢].

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم برقم (٣٦٤١)، والترمذي في العلم، باب في فضل الفقه على العِبادة برقم (٣٦٨٢)، وابن ماجه في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم برقم (٢٢٣).

(٢) هو جزء من الحديث السابق.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: «مَثَلَ العُلَمَاءِ في النَّاس كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، يُهْتَدَى بها»[١].

وإن من العلماء الرَّبانيين في هذا الزمان: الإمام الفقيه المحدث الورع الداعية بقية السلف، العلامة الأثري سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله رحمة واسعة، أشهر علماء وفقهاء عصره الذي تلقى الناس علمه وفتاواه ورسائله بالقبول، وتتلمذ على يديه المئات من الطلاب، فقد كرَّس حياته للعلم، ونفع الله بعلمه الناس في مشارق الأرض ومغاربها.

ولقد مَنَّ الله عليَّ بالعمل في منزله أميناً لمكتبته ومرافقاً له في سفره وإقامته، وذلك من تاريخ [١ ـ ٣ ـ ١٤٠٦هـ] إلى وفاته رحمه الله في [٢٧ ـ ١ ـ ١٤٢٠هـ] وفي خلال هذه الفترة قمت بتسجيل بعض دروسه، وبرنامجه المشهور «**نور على الدرب**» وكذلك درسه المعتاد في شرح كتاب «رياض الصالحين» الذي كان يلقيه بعد صلاة العصر في الجامع الكبير في الرياض بقراءة فضيلة الدكتور عمر بن سعود العيد، ومسجد اليحيى بالرياض بقراءة فضيلة الشيخ محمد إلياس، وفي مسجده في الطائف بقراءة فضيلة الشيخ إحسان الحلواني، وفي مسجد التوعية بمكة المكرمة بقراءة إمام المسجد فضيلة الشيخ يحيى، وأخيراً بمسجده في مكة المكرمة بجوار منزله بقراءة فضيلة الدكتور ناصر الزهراني وفضيلة الشيخ جمعان الزهراني.

وقد تميزت هذه الدروس بما عُرف من طريقة الشيخ رحمه الله في التدريس من إيصال المعلومة بأسلوب سهل، وعبارات دقيقة موجزة.

ولأهمية هذا الكتاب وتداوله بين الخاصة والعامة، وما لهذا الشرح من فوائد عظيمة لتقريب معاني الكتاب للناس، ولحاجة عامة المسلمين وطلبة العلم خاصة لهذا الشرح النفيس، فقد قمت بتحويل

(١) أخرجه الآجري في أخلاق العلماء (١٧).

مسموعها من الأشرطة التي قمت بتسجيلها إلى مكتوب، وقد أدرجت في الكتاب الأحاديث التي لم يتيسر لي الحصول على شرحها، وذلك لإخراج أجزاء الكتاب مكتملة بالمتن والشرح، واعتنيت بالأحاديث ضبطاً وتخريجاً متناً وشرحاً، وخرجت الأحاديث من المصادر التي عزا إليها النووي وذلك بذكر الكتاب والباب والرقم، وكذلك الأحاديث التي ذكرها سماحة الشيخ في ثنايا الشرح، كذلك قمت بتوثيق بعض نقولات سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ، وعزوتها لمصادرها استكمالاً للفائدة.

ومما ينبغي التنبيه عليه، أن هذا الشرح لم يشتمل على الأسئلة والأجوبة عقب بعض الدروس، وسيتم إلحاقها في طبعة قادمة إن شاء الله.

ولعلّي بهذا العمل أكون قد وضعت بين يدي طلاب العلم قدراً يسيراً من علم شيخنا رَحِمَهُ اللهُ؛ ليستفيدوا من منهجه وطريقته، وينهلوا من علمه، ويتعلموا من مدرسته في التدريس والتعليم والتربية.

ومهما يبذل الإنسان من جهد لإخراج أي عمل على الوجه المطلوب إلا أن الخطأ يكون وارداً، وقد بذلتُ وُسعي وقدر جهدي، وأملي أن أصل فيه إلى ما رجوت لخدمة عالم جليل له فضل علينا جميعاً، فإنْ أصبت فمن الله وبتوفيقه، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان وأستغفر الله من ذلك وأتوب إليه.

وأرجو من القُراء الأكارم عند وجود أي ملحوظة، أو خطأ مطبعي، أو توجيه، أو مقترح، أو نصيحة: ألا يبخلوا عليَّ بها، ولا يتردَّدوا في مراسلتي على بريدي الشبكي، أو عن طريق المراسلة على صندوق البريد، وسأتقبَّل ذلك بصدر رحب، وأُذنٍ صاغية، وأكون شاكراً لهم ومثنياً عليهم سلفاً.

وفي ختام هذا التقديم: أسال الله أن يجعل هذا العمل مباركاً وخالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يجعل هذا

العمل في ميزان حسنات شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ، وفي ميزان حسنات من ساهم فيه وأخرجه ونشره آمين.

ويطيب لي هنا أن أتقدم بالشكر الجزيل، والعرفان الجميل لسماحة الوالد الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، مفتي عام المملكة ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء؛ لإشرافه المباشر على إخراج علم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، كما أشكر معالي مستشار سماحته صاحب الفضيلة الدكتور: محمد بن سعد الشويعر، رئيس مجلة البحوث الإسلامية وإدارته؛ لمراجعتهم المادة ومطابقتها على أصولها الصوتية.

والشكر موصول لمعالي الشيخ محمد بن حسن آل الشيخ والذي تفضل بكتابة تقريظ لهذا الكتاب. كما أتقدم بالشكر الجزيل لمؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية، ممثلة في أمينها ومديرها على إتاحتهم لي الفرصة لإخراج هذا الكتاب النفيس، وكافة العاملين بالمؤسسة، وأخص بالشكر إدارة الإنتاج العلمي لإرشاداتهم وتوجيهاتهم المفيدة، وخاصة الباحث: «أبو محمود عبده محمود آل زايد» لمطابقته الكتاب بالصوت ومراجعته المراجعة النهائية.

كما أخص ببالغ الشكر والتقدير فضيلة الشيخ الدكتور عبد السلام السليمان على ما تفضل به من تزويدي بالجزء المفقود من هذا السفر الجليل: فكان تكملة مهمة متوجة لهذا العمل فله مني خالص الشكر والامتنان ومن الله حسن المثوبة والجزاء.

وفي البدء والختام الشكر كله لله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

صلاح الدين بن عثمان بن أحمد
ص، ب ٣٨٠٢٤٥ الرياض ١١٣٤٥
salah50511@gmail.com
٠٥٠٥٢٢٦٧٠٧

نبذة عن حياة سماحة الشيخ(١)

تفضَّل الشيخ بالتعريف بنفسه قائلاً:

أنا عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الله آل باز.

ولدتُ بمدينة الرياض في ذي الحجة سنة (١٣٣٠هـ). وكنت بصيراً في أول الدراسة، ثم أصابني المرض في عيني عام (١٣٤٦هـ). فضعف بصري بسبب ذلك، ثم ذهب بالكلية في مستهل محرم من عام (١٣٥٠هـ) والحمد لله على ذلك، وأسأل الله جل وعلا أن يعوضني عنه بالبصيرة في الدنيا والجزاء الحسن في الآخرة، كما وعد بذلك سبحانه على لسان نبيِّه محمد ﷺ، كما أسأله سبحانه أن يجعل العاقبة حميدة في الدنيا والآخرة.

وقد بدأتُ الدراسة منذ الصغر وحفظت القرآن الكريم قبل البلوغ، ثم بدأتُ في تلقي العلوم الشرعية والعربية على أيدي كثير من علماء الرياض من أعلامهم:

١ ـ الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله.

٢ ـ الشيخ صالح بن عبد العزيز بن عبد الرحمٰن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب (قاضي الرياض) رحمهم الله.

٣ ـ الشيخ سعد بن حمد بن عتيق (قاضي الرياض) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٤ ـ الشيخ حمد بن فارس (وكيل بيت المال بالرياض) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) تفضل سماحة الشيخ بإملاء نبذة عن حياته وقُرئت عليه بعد كتابتها فأقرها. انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، جمع وإعداد: فضيلة معالي الدكتور محمد بن سعد الشويعر حفظه الله (١/ ٩ ـ ١٢).

٥ ـ الشيخ سعد وقاص البخاري (من علماء مكة المكرمة) رَحِمَهُ اللهُ، أخذت عنه علم التجويد في عام (١٣٥٥هـ) في مكة المكرمة.

٦ ـ سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ. وقد لازمت حلقاته نحواً من عشر سنوات وتلقيت عنه جميع العلوم الشرعية ابتداء من سنة (١٣٤٧هـ) إلى سنة (١٣٥٧هـ) حيث رشحت للقضاء من قبل سماحته.

جزى الله الجميع أفضل الجزاء وأحسنه، وتغمدهم جميعاً برحمته ورضوانه.

وقد توليت عدة أعمال هي:

١ ـ القضاء في منطقة الخرج مدة طويلة استمرت أربعة عشر عاماً وأشهراً، وامتدت بين سنتي (١٣٥٧هـ) إلى عام (١٣٧١هـ). وقد كان التعيين في جمادى الآخرة من عام (١٣٥٧هـ)، وبقيت إلى نهاية عام (١٣٧١هـ).

٢ ـ التدريس في المعهد العلمي بالرياض سنة (١٣٧٢هـ)، وكلية الشريعة بالرياض بعد إنشائها سنة (١٣٧٣هـ) في علوم الفقه والتوحيد والحديث واستمر عملي على ذلك تسع سنوات انتهت في عام (١٣٨٠هـ).

٣ ـ عُينت في عام (١٣٨١هـ) نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وبقيت في هذا المنصب إلى عام (١٣٩٠هـ).

٤ ـ توليت رئاسة الجامعة الإسلامية في سنة (١٣٩٠هـ) بعد وفاة رئيسها شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في رمضان عام (١٣٨٩هـ)، وبقيتُ في هذا المنصب إلى سنة (١٣٩٥هـ).

٥ ـ وفي ١٤/ ١٠/ ١٣٩٥هـ صدر الأمر الملكي بتعييني في منصب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وبقيتُ في هذا المنصب إلى سنة (١٤١٤هـ).

٦ ـ وفي ٢٠/ ١/ ١٤١٤هـ صدر الأمر الملكي بتعييني في منصب المفتي العام للمملكة ورئيس هيئة كبار العلماء ورئيس إدارة البحوث العلمية والإفتاء،

ولا أزال إلى هذا الوقت في العمل أسأل الله العون والتوفيق والسداد.

ولي إلى جانب هذا العمل في الوقت الحاضر عضوية في كثير من المجالس العلمية والإسلامية من ذلك:

١ - رئاسة هيئة كبار العلماء بالمملكة.

٢ - رئاسة اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في الهيئة المذكورة.

٣ - عضوية ورئاسة المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.

٤ - رئاسة المجلس الأعلى العالمي للمساجد.

٥ - رئاسة المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة التابع لرابطة العالم الإسلامي.

٦ - عضوية المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

٧ - عضوية الهيئة العليا للدعوة الإسلامية في المملكة.

أما مؤلفاتي؛ فمنها:

١ - الفوائد الجلية في المباحث الفرضية.

٢ - التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة «توضيح المناسك».

٣ - التحذير من البدع، ويشتمل على أربع مقالات مفيدة «حكم الاحتفال بالمولد النبوي، وليلة الإسراء والمعراج، وليلة النصف من شعبان، وتكذيب الرؤيا المزعومة من خادم الحجرة النبوية المسمى الشيخ أحمد».

٤ - رسالتان موجزتان في الزكاة والصيام.

٥ - العقيدة الصحيحة وما يضادها.

٦ - وجوب العمل بسُنَّة الرسول ﷺ وكُفر من أنكرها.

٧ - الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة.

٨ - وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه.

٩ - حكم السفور والحجاب ونكاح الشغار.

١٠ - نقد القومية العربية.

١١ - الجواب المفيد في حكم التصوير.
١٢ - الشيخ محمد بن عبد الوهاب «دعوته وسيرته».
١٣ - ثلاث رسائل في الصلاة:
١ - كيفية صلاة النبي ﷺ.
٢ - وجوب أداء الصلاة في جماعة.
٣ - أين يضع المصلي يديه حين الرفع من الركوع؟.
١٤ - حكم الإسلام فيمن طعن في القرآن أو في رسول الله ﷺ.
١٥ - حاشية مفيدة على فتح الباري، وصلت فيها إلى كتاب الحج.
١٦ - رسالة الأدلة النقلية والحسية على جريان الشمس وسكون الأرض وإمكان الصعود إلى الكواكب.
١٧ - إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرَّافين.
١٨ - الجهاد في سبيل الله.
١٩ - الدروس المهمة لعامة الأمة.
٢٠ - فتاوى تتعلق بأحكام الحج والعمرة والزيارة.
٢١ - وجوب لزوم السُّنَّة والحذر من البدعة.

هذه مؤلفاته التي ذكرها بنفسه وله مؤلفات أخرى.

وكان لسماحته العديد من المخطوطات حقق منها:

١ - التحفة الكريمة في بيان كثير من الأحاديث الموضوعة والسقيمة.
٢ - تحفة أهل العلم والإيمان في الأحاديث الصحاح والحسان.
٣ - تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان.
٤ - الفوائد المتنوعة في العقائد والتفسير والحديث والتاريخ وغير ذلك، قام بتحقيقها صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم القاسم.
٥ - النكت على «تقريب التهذيب» بتحقيق الدكتور عبد الله بن فوزان الفوزان.
٦ - تعليقات سماحته على مجموعة من الكتب في فنون مختلفة اعتنى بها فضيلة الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم في ثلاث مجلدات طبعة

دار الدرر ١٤٣٥هـ، صدرت له بعد هذه الترجمة أحصى منها (٢٧) كتاباً فضيلة الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم القاسم في مقدمة تحقيقه لكتاب التحفة الكريمة، كما أصدرت المؤسسة بعض التعليقات وشروحات سماحته كـ «العقيدة الواسطية والحموية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وثلاثة الأصول، وكشف الشبهات، والقواعد الأربع، وفضل الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرها من المؤلفات.

كما صدر عن المؤسسة موخراً:

١ ـ شرح كتاب التوحيد وهو شرح امتاز عن سابقه أنه مستوفي لشرح سماحة الشيخ على جميع أبواب الكتاب، وأنها النسخة الشرعية الصادرة عن المؤسسة، واشتملت على تعريف سماحة الشيخ برواة الأحاديث والآثار ومخرجيها من المحدثين والحكم على الأحاديث صحةً وضعفاً.

٢ ـ شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري.

٣ ـ شرح منتقى الأخبار كتاب الطهارة والصلاة. «شرح الإذاعة».

٤ ـ شرح كتاب الجامع من البلوغ والثلاثة الأخيرة من جمع واعتناء الأخ الفاضل محمد أبكر عبد الرحيم القرعاني.

❧ أوصافه الخَلْقية:

إن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يمتاز باعتدال في بنيته، وهو ليس بالطويل البائن، ولا القصير جداً، بل هو عوان بين ذلك، مستدير الوجه، حنطي اللون، وفم متوسط الحجم، ولحية قليلة على العارضين، كثة تحت الذقن، كانت سوداء يغلبها بعض البياض، فلما كَثُر بياضها صبغها بالحناء، وهو ذو بسمة رائعة تراها على أسارير وجهه إن ابتسم؛ وهو عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ويمتاز بالتوسط في جسمه فهو ليس بضخم الكفين ولا القدمين؛ وأوصافه فيها شبه من أوصاف العلماء السابقين رحمهم الله.

صفاته الخُلُقية:

إنه لمن المعلوم المتواتر عند جميع الناس أن سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ ممَّن تميز بالخلال الحميدة والخصال الرشيدة وجميل الأخلاق وطيب الفعال، وعظيم التواضع، وهو ممن يُقتدى به في الأدب والعلم والأخلاق، بل هو أسوة حسنة في تصرفاته وسمته وهديه المبني على كتاب الله العظيم، وسُنَّة رسوله الكريم ﷺ، وخاصة في زهده وعبادته وأمانته وصدقه، وكثرة التجائه وتضرعه إلى الله، وعظيم خشيته لله، وذكاء فؤاده وسخاء يده، وطيب معشره، مع اتباع للسُّنَّة الغراء، وكثرة عبادة ـ زاده الله رحمةً وغفراناً ـ.

وقصارى القول أن للشيخ رَحِمَهُ اللهُ صفات حسنة. وخصالاً جميلة، وشيماً كريمة، ومناقب فذّة عظيمة، جدير بمن تتلمذ على يده أو جالسه وعاشره أن يحذو حذوه.

زوجات سماحة الشيخ:

تزوج سماحة الشيخ أربع زوجات:

قال سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: «**أول زوجة** كانت في حياة الوالدة رحمها الله، وقد اخترتُها بواسطتها والعارفين بها، وذلك في عام (١٣٥٤هـ) وكان عمري (٢٤) سنة، وهي ابنة عبد الله بن سليمان بن سحمان رَحِمَهُ اللهُ، وبقيت حتى عام (١٣٥٧هـ) بعد وفاة الوالدة بسنة طلقتها» ولم تلد له.

ثم تزوج هيا بنت عبد الرحمٰن بن عبد الله بن عتيق ـ من آل عتيق ـ؛ من أهل الدِّلَم وكان قد خطبها قبل قدومه الدلم سنة (١٣٥٧هـ)، ودخل بها هناك، وولدت منه: عبد الله، وعبد الرحمٰن، وسارة، والجوهرة، ومضاوي، وتوفيت أم عبد الله في الثاني من رمضان سنة (١٤٢٥هـ) رحمها الله تعالى.

ثم تزوج ابنة عمه طرفة بنت محمد بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن باز ـ المشهور بالصويتي ـ ومكثت عنده ستة أشهر، ثم طلقها ولم تلد له.

ثم تزوج منيرة بنت عبد الرحمٰن بن حمد الخضير، وولدت منه:

أحمد، وخالد، وهيا، وهند، ونوف، وكان الزواج في بريدة أوائل سنة (١٣٨٦هـ) لما كان سماحته نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية في المدينة، ولا تزال على قيد الحياة حتى الآن، حفظها الله تعالى[١].

عقبه:

للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أربعة أبناء من الذكور وستة من الإناث، مجموعهم عشرة، أسبغ الله عليهم النعم، ومنعهم من شرور النقم، **وأكبرهم** عبد الله وبه كان يكنى سماحته **ثم يليه في الترتيب:** عبد الرحمٰن، **وثالثهم:** أحمد وهو من طلبة العلم وقد تخرج من كلية الشريعة من جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية وعمل معيداً ونال درجة الماجستير في الفقه من الجامعة وكان مرافقاً لوالده رَحِمَهُ اللَّهُ في السفر والحضر، وكان يقرأ عليه في الجامع الكبير كتاب «عمدة الأحكام» بعد العصر، وكتاب «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» للشيخ العلامة عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ وكان هذا في فجر الخميس، وانتهى من الجزء الأول وشرع في الثاني ولم يكمل، **ورابعهم:** خالد وهو أصغرهم تخرج من جامعة الملك سعود، حفظهم الله ووفقهم للبر بوالدهم.

وفاته:

وكانت وفاة سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ قبيل صلاة فجر يوم الخميس السابع والعشرين من محرم عام عشرين وأربع مئة وألف من الهجرة في منزله بمدينة الطائف، **ثم نقل** جثمانه إلي مستشفى الملك فيصل بالطائف، **ومنه نقل** إلى ثلاجة المستشفى العسكري بالهدا بأمر من صاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة رَحِمَهُ اللَّهُ.

وفي صباح يوم الجمعة **تم نقل** جثمانه إلى منزله في مكة المكرمة لتغسيله وتجهيزه والصلاة عليه في المسجد الحرام، وبعد تجهيزه تقدم

---

(١) ترجمة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن قاسم حفظه الله.

سماحة المفتي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ أمد الله في عمره، وصلى بأفراد أسرة الشيخ قبل نقله للمسجد الحرام.

وتقدم المصلين خادم الحرمين الشريفين **الملك فهد بن عبد العزيز**، طيّب الله ثراه ورحمه الله رحمة واسعة، وخادم الحرمين الشريفين **الملك عبد الله بن عبد العزيز** رحمه الله وجعل الجنة مثواه، وأصحاب السمو الأمراء والمعالي الوزراء وجموع المسلمين الذين توافدوا إلى مكة من جميع أنحاء المملكة بل ومن خارجها.

وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ختم حياته وعمله بالتسبيح والذكر وقيام الليل، والنوم على طهارة، وصلة الرحم، والوصية بالكتاب والسُّنَّة وتقوى الله، وفتيا الناس، وحل مشاكل المسلمين، وبناء المساجد، والصدقة، والاستبشار بالخير، فسبحان من جمع له كل ذلك في الساعات الأخيرة من عمره، كما أنه حديث عهد بعُمرة، ثم كان ما كان من جنازته العظيمة.

مشاهد نادرة من جنازة الشيخ:

تولّى تغسيله وتجهيزه صاحب الفضيلة الشيخ عبد الله بن حمود أمد الله في عمره على طاعته، وصاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمٰن الغيث رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وصاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز الوهيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقام فضيلة الشيخ الوهيبي بربط جثة الشيخ بالنعش حتى لا تسقط عند حملها مع تدافع الناس.

وتولى تجهيز القبر الأخ المكرم الشيخ محمد صادق السيلاني.

وتولّى دفن الشيخ وإنزاله في قبره فضيلة الشيخ خالد الشريمي والشيخ عبد العزيز الشعلان وشخص آخر لا أعرفه، وذكر لي صاحب الفضيلة الشيخ خالد الشريمي أنه عند فك الأربطة من النعش، وإذا بصاحب السمو الملكي **الأمير متعب بن عبد العزيز**، حفظه الله وأمد في عمره على طاعته يأخذ برأس سماحة الشيخ ويقبله وهو يبكي مع العلم بأن سموه كان آخر من زار سماحة الشيخ بالمستشفى العسكري بالطائف.

وقد صلي عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة في المسجد الحرام ودفن بمقبرة العدل بمكة المكرمة.

ترجمة مختصرة للإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ(١)

التعريف بالإمام النَّوَوِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

اسمه ونسبه:

هو يحيى بن شرف بن مُرِّيِّ بن حسن بن حسين بن محمد جمعة بن حِزام.

نسبته:

(النَّوَوِيُّ) إلى نَوَى، وهي قاعِدة الجولان من أرض حُوران من أعمال دمشق، فهو الدمشقي أيضاً، خصوصاً وقد أقام الشيخ بدمشق نحواً من ثمانٍ وعشرين سنة، فهو النَّوَوِيُّ مولداً، والدمشقيُّ إقامةً، والشافعي مذهباً، والحزامي قبيلة، والسُّنِّي مُعتَقَداً.

لقبه:

لُقِّب بمحيي الدين مع كراهته له؛ لأنَّ تلك الألقاب كانت مُتداوَلة في عصره، ومع ذلك كان يَكرَه ذلك اللقب.

كنيته:

أبو زكريَّا، مع أنَّه لم يتزوج؛ وإنما كُنِّي به لأنَّ ذلك من السُّنَّة، وهو أن يكنى المسلم ولو لم يتزوَّج، أو لم يولد له، أو حتى لو كان صغيراً، وقد قالت السيدة عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا للنبيِّ ﷺ: يا رسول الله، كلُّ نسائك لها كنية غيري، فقال لها رسول الله ﷺ: «**اكتَنِي أنت أم**

(١) انظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٧/ ٦١٨، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٤/ ١٤٧٠.

عبد الله»(١) فكان يُقال لها: أم عبد الله، حتى ماتت ولم تلد قطُّ؛ يعني: ابن الزبير ابن أختها أسماء رضي الله عنهما؛ أخرَجَه الإمام أحمد في «مسنده».

وفي «صحيحي البخاري ومسلم» عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس خُلقاً، وكان لي أخٌ يُقال له: أبو عمير ـ قال: أحسبه فطيماً ـ وكان إذا جاء قال: «**يا أبا عُمَير، ما فعل النُّغَير؟**»(٢)، نغْرٌ كان يلعب به؛ يُداعِبه ﷺ لمَّا مات الطائر الذي كان يلعب به.

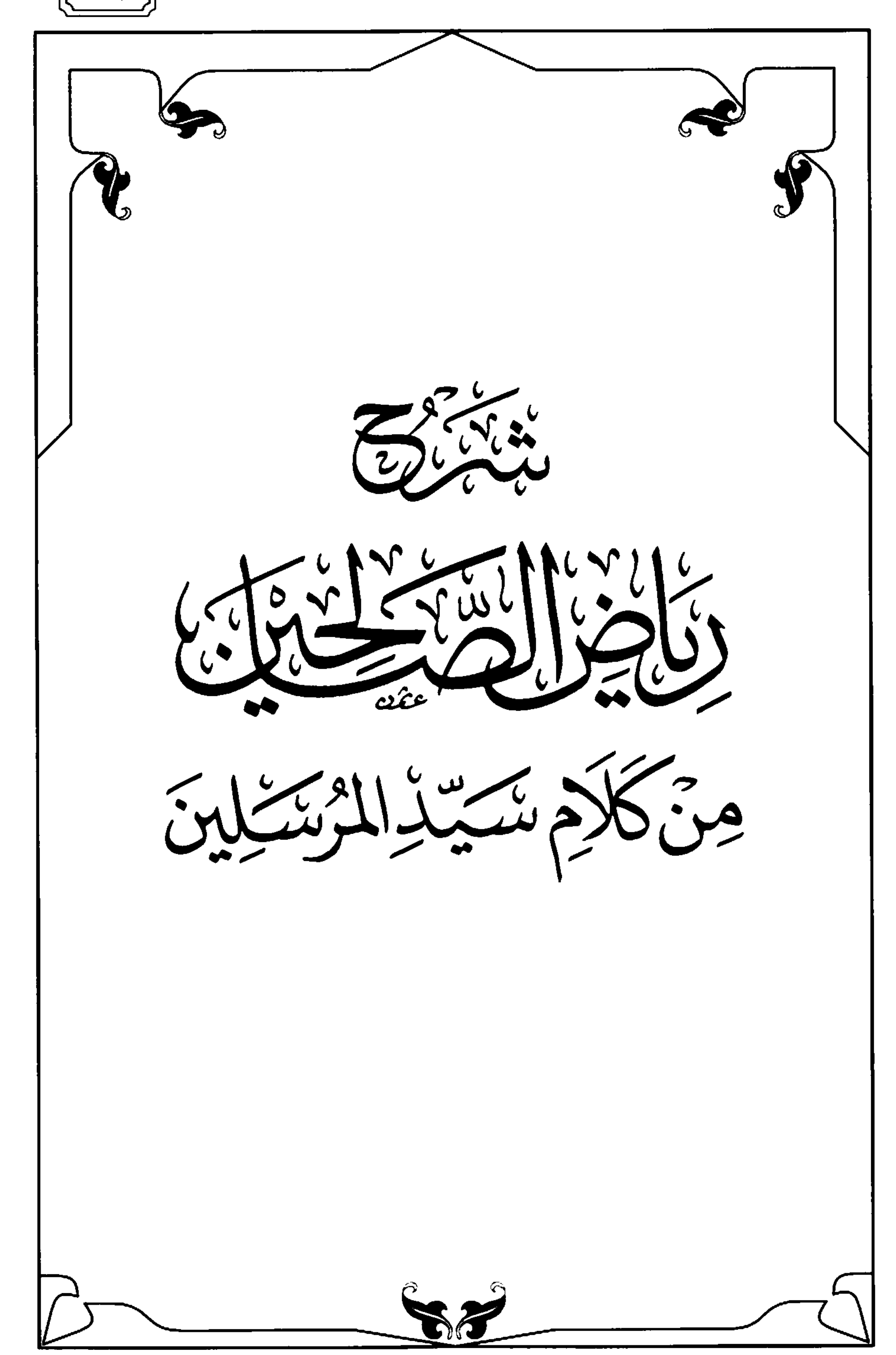
وفاته:

توفي الإمام النَّوَوِيُّ سنة ست وسبعين وسِتِّمائة من الهجرة عن خمس وأربعين سنة رحمه الله تعالى.



(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها ٦/ ١٥١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، برقم (٦١٢٩)، ومسلم في كتاب الأدب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته...، برقم (٢١٥٠).



شرح

رياض الصالحين

من كلام سيد المرسلين

مقدمة الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمْدُ للهِ الواحدِ القَهَّارِ، العَزيزِ الغَفَّارِ، مُكَوِّرِ اللَّيْلِ على النَّهَارِ، تَذْكِرَةً لأُولي القُلُوبِ والأبصَارِ، وتَبْصرَةً لِذَوي الألبَابِ والاعتِبَارِ، الَّذي أيقَظَ مِنْ خَلْقهِ مَنِ اصطَفاهُ فَزَهَّدَهُمْ في هذهِ الدَّارِ، وشَغَلهُمْ بمُراقبَتِهِ وَإِدَامَةِ الأفكارِ، ومُلازَمَةِ الاتِّعَاظِ والادِّكَارِ، ووَفَّقَهُمْ للدَّأْبِ في طاعَتِهِ، والتَّأهُّبِ لِدَارِ القَرارِ، والحَذَرِ مِمَّا يُسْخِطُهُ ويُوجِبُ دَارَ البَوَارِ، والمُحافَظَةِ على ذلِكَ مَعَ تَغَايُرِ الأحْوَالِ والأطْوَارِ، أَحْمَدُهُ أبلَغَ حمْدٍ وأزكَاهُ، وَأَشمَلَهُ وأَنْمَاهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ البَرُّ الكَرِيمُ، الرؤُوفُ الرَّحِيمُ، وأشهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحمّداً عَبدُهُ ورَسُولُهُ، وحبِيبُهُ وخلِيلُهُ، الهَادِي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقيمٍ، والدَّاعِي إِلَى دِينٍ قَوِيمٍ، صَلَوَاتُ اللهِ وسَلامُهُ عَليهِ، وَعَلَى سَائِرِ النَّبيِّينَ، وَآلِ كُلٍّ، وسَائِرِ الصَّالِحينَ.

أما بعد: فقد قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧] وَهَذا تَصْريحٌ بِأَنَّهُمْ خُلِقوا لِلعِبادَةِ، فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الاعْتِنَاءُ بِمَا خُلِقُوا لَهُ وَالإعْرَاضُ عَنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا بالزَّهَادَةِ، فَإِنَّهَا دَارُ نَفَادٍ لَا مَحَلُّ إِخْلَادٍ، وَمَرْكَبُ عُبُورٍ لَا مَنْزِلُ حُبُورٍ، ومَشْرَعُ انْفصَامٍ لَا مَوْطِنُ دَوَامٍ؛ فلِهذا كَانَ الأَيْقَاظُ مِنْ أَهْلِهَا هُمُ العُبَّاد، وَأَعْقَلُ النَّاسِ فيهَا هُمُ الزُّهَّاد. قالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ

إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]، والآيات في هذا المعنى كثيرةٌ.

ولقد أحسن القائل:

إنّ للَّه عباداً فطنا طلّقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلمّا علموا أنّها ليست لحيٍّ وطنا
جعلوها لجّةً واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

فإذا كَانَ حالُها ما وصَفْتُهُ، وحالُنَا وَمَا خُلِقْنَا لَهُ مَا قَدَّمْتُهُ؛ فَحَقٌّ عَلَى المُكلَّفِ أَنْ يَذْهَبَ بنفسِهِ مَذْهَبَ الأَخْيارِ، وَيَسلُكَ مَسْلَكَ أُولي النُّهَى وَالأَبْصَارِ، وَيَتَأَهَّبَ لِمَا أشَرْتُ إليهِ، وَيَهْتَمَّ لِمَا نَبَّهتُ عليهِ. وأَصْوَبُ طريقٍ لهُ في ذَلِكَ، وَأَرشَدُ مَا يَسْلُكُهُ مِنَ المسَالِكِ، التَّأَدُّبُ بمَا صَحَّ عَنْ نَبِيِّنَا سَيِّدِ الأَوَّلينَ والآخرينَ، وَأَكْرَمِ السَّابقينَ واللَّاحِقينَ، صَلَواتُ اللهِ وسَلامُهُ عَلَيهِ، وَعَلى سَائِرِ النَّبيِّينَ.

وقدْ قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: ٢] وقد صَحَّ عَنْ رسولِ الله ﷺ؛ أَنَّهُ قالَ: **«واللهُ في عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخيهِ»**[(١)]، وَأَنَّهُ قالَ: **«مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»**[(٢)]، وأَنَّهُ قالَ: **«مَنْ دَعَا إلى هُدىً كَانَ لَهُ مِنَ الأَجرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيئاً»**[(٣)]، وأَنَّهُ قالَ لِعَليٍّ رضي الله عنه: **«فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً**

---

(١) جزء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر برقم (٢٦٩٩).

(٢) جزء من حديث أبي مسعود الأنصاري. أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير برقم (١٨٩٣).

(٣) جزء من حديث أبي هريرة. أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة برقم (٢٦٧٤).

وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»[١].

فَرَأَيتُ أَنْ أَجْمَعَ مُخْتَصَراً مِنَ الأحاديثِ الصَّحيحَةِ، مشْتَمِلاً عَلَى مَا يكُونُ طَرِيقاً لِصَاحبِهِ إلى الآخِرَةِ، ومُحَصِّلاً لآدَابِهِ البَاطِنَةِ وَالظَاهِرَةِ. جَامِعاً للترغيب والترهيب، وسائر أنواع آداب السالكين: من أحاديث الزهد ورياضات النُّفُوسِ، وتَهْذِيبِ الأَخْلاقِ، وطَهَارَاتِ القُلوبِ وَعِلاجِهَا، وصِيانَةِ الجَوَارحِ وَإِزَالَةِ اعْوجَاجِهَا، وغَيرِ ذلِكَ مِنْ مَقَاصِدِ العارفِينَ.

وَأَلتَزِمُ فيهِ أَنْ لا أَذْكُرَ إلا حَدِيثاً صَحِيحاً مِنَ الوَاضِحَاتِ، مُضَافاً إلى الكُتُبِ الصَّحِيحَةِ المَشْهُوراتِ. وأُصَدِّر الأَبْوَابَ مِنَ القُرْآنِ العَزِيزِ بِآياتٍ كَريماتٍ، وَأُوشِّحَ مَا يَحْتَاجُ إلى ضَبْطٍ أَوْ شَرْحِ مَعْنىً خَفِيٍّ بِنَفَائِسَ مِنَ التَّنْبِيهاتِ. وإذا قُلْتُ في آخِرِ حَدِيث: مُتَّفَقٌ عَلَيهِ، فمعناه: رواه البخاريُّ ومسلمٌ.

وَأَرجُو إنْ تَمَّ هذَا الكِتَابُ أنْ يَكُونَ سَائِقاً للمُعْتَنِي بِهِ إلى الخَيْرَاتِ حَاجزاً لَهُ عَنْ أنْواعِ القَبَائِحِ والمُهْلِكَاتِ. وأَنَا سَائِلٌ أخاً انْتَفعَ بِشيءٍ مِنْهُ أنْ يَدْعُوَ لِي، وَلِوَالِدَيَّ، وَمَشَايخي، وَسَائِرِ أَحْبَابِنَا، وَالمُسْلِمِينَ أجْمَعِينَ. وعَلَى اللهِ الكَريمِ اعْتِمادي، وَإِلَيْهِ تَفْويضي وَاسْتِنَادي، وَحَسبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ.



(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام، والنبوة، برقم (٢٩٤٢)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، برقم (٢٤٠٦).

تعريف الشارح بالمؤلف والكتاب مع شرح مقدمته

الحمد لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهداه؛ **أمّا بعد:**

فقد بدأ المؤلف وهو أبو زكريا يحيى النووي رَحِمَهُ اللهُ، كتابه «**رياض الصالحين**» بهذه المقدمة الحسنة ولقد أجاد في هذا الكتاب وأحسن رَحِمَهُ اللهُ، وقد كتب الله لكتابه هذا النجاح والرواج بين المسلمين وانتفع به المسلمون في كل مكان، وهو كتاب مختصر جيِّد جامع من الأحاديث الصحيحة والحسنة وقلَّ فيه الضعيف في أبواب كثيرة من أبواب العبادات، وأبواب المعاملات، فأحسن في هذا جزاه الله خيراً، وقد بيَّن في هذه الخُطبة ما ينبغي بيانه؛ لأن هذه الدار دار عمل ليست دار إقامة وليست دار خُلد؛ ولكنها دار عبور، دار مسيرة للآخرة، ودار استعداد للآخرة فالواجب على أهلها أن يعدوا العُدة للآخرة ـ بامتثال أوامر الله وعبادته ـ لأنهم خُلقوا ليعبدوا الله قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، فأنزل الكتب جلَّ وعلا لهذا وأرسل الرسل لهذا كما قال تَعَالَىٰ:

﴿الٓر كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود: ١، ٢]، وقال تعالى: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال سبحانه: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

ويقول سبحانه: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢] هذا القرآن بلاغ للناس والسُّنَّة كذلك بلاغ، كما قال ﷺ: «**إني أُوتيت القرآن ومثله معه**»[1]، وقال: «**بلِّغوا عني ولو آية**»[2].

فالواجب على أهل العلم أن يبلغوا عن الله، وعن رسوله، ما جاء في الكتاب والسُّنَّة.

والكتاب هو القرآن، وهو أصل كل خير، وهو أشرف كتاب وأعظم كتاب وأصدق كتاب، فيه الهدى والنور ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ثم سُنَّة الرسول ﷺ وأحاديثه الصحيحة فيها أيضاً البيان والإيضاح والشرح والتفسير لما في كتاب الله ﷻ، وفي كلام أهل العلم أيضاً توضيح ما قد يشكل، فالعلماء يبيِّنون ويرشدون ويوضحون ما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة وهم خلفاء الرسل في بيان الحقِّ والدَّلالة عليه.

وأنت يا عبد الله مخلوق لعبادته: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] الواجب عليك أن تتعلم، وأن تتفقه في الدين، وأن تعرف هذه العبادة، ما هي العبادة التي أنت مخلوق لها؟ وهي توحيد الله والإخلاص له، وطاعة أوامره، وترك نواهيه، هذه هي العبادة التي أنت مخلوق لها، ومأمور بها والرسل بُعثوا بها.

فالواجب الاستعداد للآخرة والتأهب، وأخذ الحذر، وأن تكون في هذه الدار مشمراً بطاعة الله عاملاً بما يرضي الله مستعداً للقاء الله، حذراً من معاصي الله؛ لأنك في هذه الدار لست بمخلد، فأنت ظاعن منها،

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث المقدام بن معديكرب ﷺ (٤/ ١٣٠ و١٣١)، وأبو داود في كتاب السُّنَّة، باب في لزوم السُّنَّة برقم (٤٦٠٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل برقم (٣٤٦١).

ولا تدري متى تظعن؛ هل بقي من عمرك قليل أو كثير، فالواجب الحزم والحذر، فقد أخفى الله على الناس آجالهم ليستعدوا للآخرة دائماً وليحذروا التمادي في أسباب الهلاك، وربك هو الحكيم العليم، قال جلَّ وعلا: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]، وقال سبحانه: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]، وقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

هذه الحياة الدنيا روضة خضراء، ثم إذا جاءتها العواصف يبست وانتهت، هكذا الدنيا، بينما الإنسان في سرور ونعمة جاءه الأجل وانتقل إلى الدار الأخرى ليس له إلا عمله؛ ولهذا قال بعده سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ بعد - أن ذكر - زهرة الدنيا، وأنها دار الفناء والزوال قال بعدها: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ وهي الجنة دار السلام ما فيها ظعن ولا موت ولا أمراض ولا جوع، ولا عطش، دار السلام، دار سلام من كل ما يضره، ومن كل ما يسوؤه: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥].

فالواجب على المكلف أن يهتم، وأن يحرص على الاستعداد لدار السلام، هذه الدار ليست دار السلام، بل دار الفتن والامتحان دار الابتلاء والاختلاف، الواجب الحذر من الركون إليها وإيثارها على الآخرة وأن تعد العُدة للقاء ربك؛ لأنك في هذه الدار مرتحل كعارية مسافر، فإذا كنت تعلم أنك كالمسافر فأعد العُدة؛ ولهذا قال النبي ﷺ لابن عمر: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**». وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ

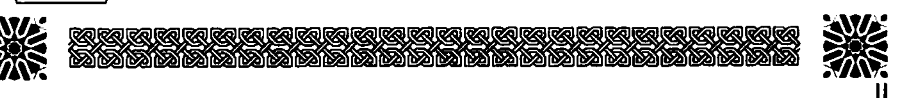
يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»[١]..

فالعبد في هذه الدار ظاعن كالمسافر لا يدري متى يهجم عليه الأجل والواجب إعداد العدة في هذا السفر الذي لا تدري متى ينتهي متى تحل بك المنية، فالحازم هو الذي يعد العدة ويحذر الغفلة حتى إذا هجمت المنية، فإذا هو على حالة يرضاها المولى ﷻ.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.



(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: **«كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»** برقم (٦٤١٦)، والترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في قصر الأمل برقم (٢٣٣٣) بهذه الزيادة: **«وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَهْلِ الْقُبُورِ»**.



١ ـ بَابُ الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة والخفية

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ﴾ [الحج: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ﴾ [آل عمران: ٢٩].

١ ـ **وعن** أمير المؤمنين أبي حَفْصٍ عمرَ بن الخطابِ بن نُفَيْلِ بنِ عبدِ العُزّى بن رياحِ بن عبدِ اللهِ بن قُرْطِ بن رَزاحِ بن عدِي بن كعب بن لُؤَيِّ بن غالبٍ القُرشِيِّ العَدويِّ ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» متفقٌ على صحته[1]. رواه إماما المحدثين: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي البخاري، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة.

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ برقم (١)، وبرقم ٥٤ و٢٥٢٩ و٣٨٩٨ و٥٠٧٠ و٦٦٨٩ و٦٩٥٣، ومسلم في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية» وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال برقم (١٩٠٧)، وأبو داود في كتاب الطلاق، باب فيما عُني به الطلاق والنيات برقم (٢٢٠١)، والترمذي في كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء فيمن يقاتل رياءً وللدنيا برقم (١٦٤٧)، والنسائي ١/٥٩ و٦٠.

الشرح(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه؛ **أما بعد:**

فقد جمع الحافظ الإمام أبو زكريا يحيى النووي رحمه الله، هذا الكتاب الجليل والسفر المفيد، وهو كتاب «رياض الصالحين»، هو كتاب عظيم مفيد، قد نفع الله به الأمة، واجتهد الناس في دراسته، والإفادة منه، في سائر أقطار الدنيا، فهو كتاب جليل، جمع جملة من الأحاديث الصحيحة في الترغيب والترهيب، والدعوة إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، والحث على أداءِ ما فرض الله، وترك ما حرَّم الله والوقوف عند حدود الله، هو كتاب جيد نفيس مفيد، قد أجاب الله دعوة مؤلفه فيما ذكر، فنسأل الله أن يغفر لنا وله ولوالديه ولجميع المسلمين.

يقول الله جلَّ وعلا في كتابه العظيم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] بدأ المؤلف كتابه بهذه الآية ليُبين للناس أنهم خُلقوا ليعبدوا الله، لم يُخلقوا عبثاً ولا سُدى، قال الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]؛ يعني: مهملاً لا، ما تُرك سُدى بل خُلق ليعبد الله، وبعث الله الرسل يأمرونه وينهونه، وأنزل الكتب التي أشرفها القرآن فيها الأوامر والنواهي، قال جلَّ وعلا: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ [ص: ٢٧]؛ بل خُلقوا لحكمة عظيمة ليعلم الناس أنه ربهم، وأنه إلٰههم الحق، وأنه معبودهم الحق، وقال جلَّ وعلا: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]؛ يعني: أن المعنى هذا حسبان باطل؛ بل خُلقوا ليعبدوا الله، ويعظموه، ويتبعوا

(١) شرح سماحة الشيخ لكتاب رياض الصالحين في مسجده بالطائف بقراءة فضيلة الشيخ إحسان الحلواني من المقدمة إلى الحديث رقم (٨).

رسله، وينقادوا لأمره، وينتهوا عن نهيه، خُلقوا لهذا؛ وتكفل الله بأرزاقهم وهيأ لهم أسبابها.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨]، قال سبحانه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦]، قال جلَّ وعلا: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

فالواجب على جميع المكلَّفين من الرجال والنساء من الجن والإنس، من العرب والعجم، يجب على الجميع أن يعبدوا الله، وهذه العبادة هي الإسلام، وهي الإيمان، وهي الهدى، وهي التقوى، وهي توحيد الله وطاعته، هذه هي العبادة، هي الإسلام ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] هي الإيمان، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦] قال ﷺ: **«الإيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»**(١).

فالإيمان هو الدين كله وهو الإسلام، وهو التقوى، وهو العبادة التي خُلقنا لها، وأساسه، ورأسه، وأصله، شهادة أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله، هذا هو أصل الدين وأصل العبادة، وهو أوجبها وأعظمها أن تشهد بقلبك، ولسانك، وجوارحك؛ أنه لا إلـٰه إلا الله، والمعنى: لا معبود حق إلا الله، كما قال تعالى:

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء، وكونه من الإيمان برقم (٥٨)، وأبو داود في كتاب السُّنَّة، باب في رد الإرجاء برقم (٤٦٧٦)، والترمذي في كتاب الإيمان. باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه برقم (٢٦١٤)، والنسائي في كتاب الإيمان وشرائعه، باب ذكر شعب الإيمان برقم (٥٠٠٥)، الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٤١٤ و٤٤٥.

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]. قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]. قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨]، وقال جلَّ وعلا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

فالرسل بُعثوا ليعلموا الناس توحيد الله وعبادته، وليأمروهم بعبادة الله التي خُلقوا لها، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

فنحن خُلقنا لنعبد الله، مأمورون بذلك، والرسل بُعثوا لهذا الأمر، وعلى رأسهم خاتمهم، وأفضلهم، وإمامهم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، هو أفضل الرسل، وهو خاتم الأنبياء كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ﴾ الأحزاب: ٤٠]. وقال ﷺ: **«أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»**(١).

فالواجب عبادة الله وحده، بالإخلاص له في قولك وعملك، ألا تعبد إلا الله، تصلي لله، تصوم لله، تصدق لله، تخاف الله، ترجوه، تذبح له، تنذر له، كل شيء لله وحده، العبادة حق الله، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، وأصل هذه العبادة توحيد الله بأن تشهد أنه لا إلـٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله، فلا معبود حق إلا الله والمتبع هو الرسول ﷺ فعليك أن توحد الله وتعبده وحده، باتباع الرسول ﷺ وطاعة

(١) أخرجه أبو داود من حديث ثوبان في كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها برقم (٤٢٥٢)، والترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون برقم (٢٢١٩)، والإمام أحمد ٥/٢٧٨.

ما جاء به، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]. قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]. قال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤]، وقال جلَّ وعلا: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾؛ يعني: عن أمر النبي ﷺ ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقال ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**» فأصل الدين توحيد الله وطاعته، وأن تُؤدى بالنية، يقول: لا إلـٰه إلا الله بنية صادقة أنه لا معبود حق إلا الله بهذه النية، بهذا الإخلاص، يصلي بالنية لله، يصوم لله، يتصدق لله، يحج لله، بقلبه، أنه فعل هذا يبتغي وجه الله، يبتغي الأجر عنده، هكذا يتصدق، هكذا يذبح الضحية، أو الهدي، يرجو وجه الله، لا لغيره، وهكذا يجاهد، يرجو وجه الله، هكذا يأمر بالمعروف، ينهى عن المنكر، يدعو إلى الله، يريد وجه الله، لا رياءً ولا سمعة.

قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [فصلت: ٣٣]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨].

قال النبي ﷺ: «**مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**»(١)، وقال عليه الصلاة والسلام: «**الدِّينَ النَّصِيحَةُ الدِّينَ النَّصِيحَةُ الدِّينَ النَّصِيحَةُ**». قيل: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**لِلَّهِ ولِكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ المسلمين وَعَامَّتِهِمْ**»(٢).

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٢).

(٢) أخرجه مسلم من حديث تميم الداري في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة برقم (٥٥).

وقال جلَّ وعلا: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢]. قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

وقال النبي ﷺ: «**وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»[١]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**»، وقال ﷺ: «**مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْه عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى**»[٢].

هذه حال المؤمنين، هذه صفة عباد الله الصادقين، يتعاونون على البر والتقوى يتناصحون، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، يعبدون الله وحده، يواسون ضعيفهم وفقيرهم، ينصحون لإمامهم ولعامتهم. قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

فالواجب على كل مسلم وعلى كل مسلمة أن يتقي الله، وأن يعبد الله وحده بفعل الأوامر وترك النواهي عن إخلاص لله، ومحبة وتعظيم، وعن متابعة للرسول ﷺ؛ لا عن البدعة لا عن هواه، يعبد الله بما شرعه الله، وبما جاء به رسوله في القرآن والسُّنَّة؛ لا بهواه وبدعة، يُعبد الله بما شرع، وبما جاء به نبيه ﷺ، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] فمن أحب الله وصدق فليتبع الرسول ﷺ فيما جاء به، وذم الذين يبتدعون في الدين فقال: ﴿أَمْ لَهُمْ

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر برقم (٢٦٩٩).
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم برقم (٦٠١١)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم برقم (٢٥٨٦).

شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]. قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا﴾ [الجاثية: ١٨].

الواجب اتباع الشريعة التي شرعها الله، وأما ما أحدثه الناس لا؛ ولهذا يقول ﷺ: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»**(١)؛ يعني: فهو مردود، وقال عليه الصلاة والسلام: **«مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ»** فما أحدثه الناس من البدع هذا يرد عليهم غير مقبول؛ لا يعبد الله إلا بما شرع بما جاء به نبيه عليه الصلاة والسلام، من صلاة، وصوم، واعتكاف، وجهاد، وصدقات، وغير ذلك، بما شرعه الله، فليس لأحد أن يبتدع في الدين ما لم يأذن به الله.

وقد أحدث الناس بدعاً مثل بدعة المولد، هذا ما لها أصل. الرسول ما عبد الله بمولد، ما احتفل بمولد، مولده ﷺ ولا الصحابة ما احتفلوا بالمولد، ولا مولد الصديق، ولا مولد عمر، ولا عثمان، ولا علي، ولا غيرهم، أو الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج، أو بالهجرة، هذه بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، ليس لأحد أن يبتدع في الدين ما لم يأذن به الله، ذمهم الله وعابهم فقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وقال عليه الصلاة والسلام في خطبته في الجمعة: **«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَخَيْرَ الهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ»**؛ يعني: عن سيرته **«وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»**(٢) بيَّن كل بدعة ضلالة، البدعة

---

(١) أخرجه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود برقم (٢٦٩٧).
(٢) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة برقم (٨٦٧).

ما أحدثه الناس الشيء الذي لا أصل له في الدين لا في القرآن ولا في السُّنَّة يقال له: بدعة إذا تعبد به الناس؛ يعني: أن يتعبدوا به لله، أما أمور الدنيا في تجاراتهم، في مبانيهم، هذه أمرها إليهم، في غرس أشجارهم، في بساتينهم هذه إليهم، أمور الدنيا إليهم، يغرس من الشجر ما شاء يبني طابقاً أو طابقين أو ثلاثة، يبيع يشتري فيما أباح الله، يعمل يجتهد في طلب الرزق، هذه أباح الله له أن يعمل ويطلب الرزق، أو أن يعمل لدنياه ما في مصلحته، من الشيء الذي لا يخالف الشرع؛ لكن ليس له أن يبتدع في الدين عبادة، يوجب عبادة يفعلونها؛ يعني: مشروعة، هذا لا يجوز، لو قال إنسان: نجعل عبادة صلاة سادسة، هذه خمس صلوات نجعل سادسة، نجعلها الضحى أو نجعلها في وسط الليل، منكر ما يطاع، أو نجعل عيداً ثالثاً عيد الأضحى وعيد الفطر، نجعل عيداً ثالثاً في ربيع، أو في جمادى زود خير، بدعة ما نطيع، أو نقول: نحج حجاً ثانياً، الحج الشرعي مرة في السنة في يوم عرفة، ونجعل حجاً جديداً في رجب ما يطاع، بدعة باطل، أو قال: نصوم شهراً آخر غير رمضان نلزم الناس شهراً آخر غير رمضان، لا، بدعة، ما لك تحدث شيئاً إلا الذي شرعه الله فقط، لا تزيد.

المقصود مثل ما قال ﷺ: **«كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»**؛ يعني: كل شيء عبادة يحدثها الناس جديدة يتعبدون بها يطلبون الثواب بدعة، أما أمور دنياهم إليهم، كونه يجعل حجرة في بيته، حجرتين، ثلاثاً، يجعل له دكاناً دكانين، يغرس نخلاً، يغرس عنباً، هذا إليهم أمور الدنيا.

وفَّق الله الجميع وثبتنا وإياكم على دينه ورزقنا وإياكم الاستقامة.

❋ ❋ ❋

٢ - **وعن** أمِّ المؤمنين أمِّ عبدِ اللهِ عائشةَ ﵂، قالت: قال رسول الله ﷺ: «يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنْ الأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ» متفقٌ عليه[1]. هذا لفظ البخاري.

٣ - **وعن** عَائِشَةَ ﵂ قالت: قالَ النبي ﷺ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا» متفقٌ عليه[2].

□ ومعناه: لا هجرة من مكة؛ لأنها صارت دار إسلام.

٤ - **وعن** أبي عبدِ اللهِ جابر بن عبدِ اللهِ الأنصاريِّ ﵄، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ فِي غَزَاةٍ فَقَالَ: «إِنَّ بِالمَدِينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيراً وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِياً إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ حَبَسَهُمْ المَرَضُ»، وفي رواية: «إِلَّا شَرِكُوكُمْ فِي الأَجْرِ». رواه مسلمٌ[3].

ورواه البخاري عن أنس ﵁ قال: رجعنا من غزوة تبوك مع النبي ﷺ فقال: «إِنَّ أَقْوَاماً بِالمَدِينَةِ خَلْفَنَا مَا سَلَكْنَا شِعْباً وَلَا وَادِياً إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ حَبَسَهُمْ العُذْرُ»[4].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق برقم (٢١١٨)، ومسلم في كتاب الفتن، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت برقم (٢٢٨٤).

(٢) موقوفاً عنها في كتاب الجهاد والسير، باب لا هجرة بعد الفتح برقم (٣٠٨٠)، وقوله: «فإذا استنفرتم فانفروا»، رواه البخاري أيضاً من حديث ابن عباس ﵄ في كتاب الجهاد والسير، باب لا هجرة بعد الفتح برقم (٣٠٧٧)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير وبيان معنى لا هجرة بعد الفتح برقم (١٨٦٤).

(٣) أخرجه في كتاب الإمارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر برقم (١٩١١).

(٤) أخرجه في كتاب الجهاد، باب من حبسه العُذر عن الغزو برقم (٢٨٣٩).

﴿ الشَّرح ﴾

هذه الأحاديث الثلاثة كلها تتعلق ببيان عظم النية وأن مدار الأعمال عليها، كما تقدم في قوله ﷺ: **«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»**.

فمدار الأعمال الصالحة على هذه النية، فالإنسان يخرج من بيته إلى المسجد للصلاة، فيؤجر، والآخر يخرج من بيته للفساد فيأثم على حسب النية، وهذا يصلي يرائي فيأثم، وهذا يصلي لله فيؤجر، هذا يقرأ يرائي فيأثم، وهذا يقرأ يرجو ثواب الله فيثاب، هذا يعظ الناس للرياء فيأثم، وهذا يعظ الناس لقصد وجه الله فيؤجر، وهكذا.

في هذا الحديث، حديث عائشة رضي الله عنها يقول النبي ﷺ: **«يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ»**؛ يعني: في آخر الزمان، في آخر الزمان **«يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ»** لهدمها ضد الإسلام، **«فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنْ الأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ»**؛ يعني: خسف الله بهم الأرض عقوبة عاجلة.

قالت عائشة: يا رسول الله! كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؛ يعني: الجيوش في الطرقات يأتي لها الناس الذين يبيعون ويشترون يبحثون الرزق، هم ليسوا منهم ما دروا عن نيتهم ولا يعرفون حالهم كيف يخسف بهم جميعاً؟ يعني: وهؤلاء ما عندهم نية ما هؤلاء جاؤوا للبيع والشراء ما يعرفون حالهم، قَالَ النبي ﷺ: **«يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ»** الذين أرادوا الشر يبعثون على نيتهم، والذين جاءوا للبيع والشراء ما عرفوا عن الموضوع ولا شاركوا فيه على نياتهم، وهكذا عند ظهور المعاصي وانتشار المعاصي،

قد تعُم العقوبات فيبعثون على نياتهم وأحوالهم، أهل المعاصي على نياتهم، وأهل الخير على نياتهم، كما في الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ**»[١]. في الحديث الآخر: «**إن المعصية إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها، وإذا ظهرت فلم تنكر، ضرت العامة**».

فالإنسان في محل مجلس المعاصي قرية المعاصي الظاهرة، قد تعمه العقوبة الظاهرة، ثم يبعث على نيته إذا كان معذوراً، إذا كان معذوراً يبعث على نيته وعلى عمله، وفي هذا التحذير من صحبة أهل الشر، في هذا الحديث التحذير من صحبة أهل الشر والجلوس معهم، وأنهم خطر، يقول جلَّ وعلا: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]، ويقول ﷺ: «**مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً**»؛ يعني: يعطيك «**وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ**» تشتري منه «**وَمَثَلُ الجَلِيسِ السَّوْءِ كَنَافِخِ الكِيرِ**» مثل نافخ الكير. «**إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحاً خَبِيثَةً**»[٢] ففي هذا الحث على صحبة الأخيار، والبعد عن صحبة الأشرار.

ويقول ﷺ: «**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا**» لما فتح الله مكة صارت بلد إسلام، كان المسلمون يهاجرون

---

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي بكر ﷺ في كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برقم (٤٠٠٥)، والإمام أحمد ١/ ٢ و٥ و٩.

(٢) متفق عليه من حديث أبي موسى. أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك برقم (٢١٠١)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء برقم (٢٦٢٨).

منها إلى المدينة وإلى غيرها، بسبب الكفر في مكة؛ ولهذا خرج النبي منها عليه الصلاة والسلام إلى المدينة مهاجراً، فلما فتح الله عليه عام ثمانية من الهجرة صارت بلد إسلام قال فيها ﷺ: **«لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ»** بقي الجهاد والنية الصالحة، باقية، الجهاد في سبيل الله والنية، كل على نيته، **«الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»** في أي مكان **«وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا»**؛ يعني: **«إِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ»** في الجهاد الذي قال فيه ولي الأمر **«انْفِرُوا»** اخرجوا في جهاد كذا، جهاد كذا، وجب النفير حسب الطاقة، النية الصالحة باقية في أي مكان، في البر، أو في البحر، أو في قرية، أو في مدينة، النية مع صاحبها طيبة أو خبيثة، هذا شأنها.

وفي **الحديث الثالث**: يقول ﷺ يوم تبوك، لما غزا تبوك الغزوة العظيمة في الشدة كان قصد جهاد الروم في الشام وغزا معه جم غفير نحواً من ثلاثين ألفاً في سنة تسع من الهجرة يقول ﷺ: **«إِنَّ بِالمَدِينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيراً وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِياً إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ حَبَسَهُمُ المَرَضُ»**؛ يعني: نيتهم الصالحة ودهم يذهبون للغزو؛ لكن حبسهم المرض.

في اللفظ الآخر: **«إِلَّا شَرِكُوكُمْ فِي الأَجْرِ»** تأخروا في المدينة؛ لكن تأخروا من غير اختيارهم بسبب المرض، والله نيتهم طيبة ودهم أنهم مع إخوانهم، هذا يدل على أن الإنسان إذا تخلف عن العمل بسبب العجز، ونيته العمل الطيب، يكون له أجره فالذي مثلاً يصوم الاثنين والخميس ثم يمرض يكون له أجر الصوم ولو ما صام، وهكذا الذي يصوم يوماً ويفطر يوماً، أو ثلاثة أيام من كل شهر، إذا حبسه المرض يكون له أجرها، وإن لم يصم يكون له؛ يعني: حبسه العذر.

ويقول النبي ﷺ: **«إِذَا مَرِضَ العَبْدُ أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ**

يَعْمَلُ مُقِيماً صَحِيحاً»[١]؛ يعني: عادته في الحضر يصوم يوم الخميس وسافر ما صام، له أجر ذلك، عادته يصوم ثلاثة من كل شهر، سافر ترك، أو أصابه مرض منعه من ذلك، له أجر ذلك، له أعمال أُخرى من أمر بالمعروف، ونهي عن منكر، والدعوة إلى الله وغير ذلك، فمنعه مرض له أجر ذلك وهذا من رحمة الله ومن فضله جلَّ وعلا وإحسانه، أن الأعمال بالنيات إذا منع المانع، إذا منع المؤمن مانع من العمل الطيب وهو يُريده ويحبه يعمل به لولا المانع لولا المرض، أو الحبس، أو نحوه، يكون له أجره فضلاً من الله جلَّ وعلا.

وفق الله الجميع.

***

٥ ـ وعن أبي يَزيدَ مَعْنِ بن يَزيدَ بن الأخنسِ ﷺ، وهو وأبوه وجده صحابيون، قال: وَكَانَ أَبِي يَزِيدُ أَخْرَجَ دَنَانِيرَ يَتَصَدَّقُ بِهَا فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَجُلٍ فِي المَسْجِدِ فَجِئْتُ فَأَخَذْتُهَا فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ: وَاللهِ مَا إِيَّاكَ أَرَدْتُ فَخَاصَمْتُهُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: «لَكَ مَا نَوَيْتَ يَا يَزِيدُ وَلَكَ مَا أَخَذْتَ يَا مَعْنُ». رواه البخاري[٢].

٦ ـ وعن أبي إسحاقَ سَعدِ بن أبي وَقَّاصٍ مالِكِ بن أُهَيْب بن عبدِ منافِ بنِ زُهرَةَ بنِ كلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كعبِ بنِ لُؤَيٍّ القُرشِيِّ الزُّهريِّ، أَحَدِ العَشَرَةِ المشهودِ لهم بالجنةِ ﷺ، قال: «عَادَنِي النَّبِيُّ ﷺ عَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ مِنْ مَرَضٍ أَشْفَيْتُ مِنْهُ عَلَى المَوْتِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بَلَغَ بِي مِن الوَجَعِ مَا تَرَى وَأَنَا ذُو مَالٍ وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ لِي وَاحِدَةٌ أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي موسى في كتاب الجهاد، باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة برقم (٢٩٩٦).

(٢) أخرجه في كتاب الزكاة، باب إذا تصدق على ابنه وهو لا يشعر برقم (١٤٢٢).

مَالِي؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: فَأَتَصَدَّقُ بِشَطْرِهِ؟ قَالَ: «الثُّلُثُ يَا سَعْدُ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ أو كبير، إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ» قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أُخَلَّفُ بَعْدَ أَصْحَابِي؟ قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ فَتَعْمَلَ عَمَلاً تَبْتَغِي به وَجْهَ اللهِ إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً وَلَعَلَّكَ تُخَلَّفُ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ، اللَّهُمَّ أَمْضِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ وَلَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ، لَكِنِ الْبَائِسُ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ يَرْثِي لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ تُوُفِّيَ بِمَكَّةَ» متفقٌ عليه[(١)].

٧ ـ **وعن** أبي هريرةَ عبدِ الرحمٰنِ بنِ صخرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ» رواه مسلم[(٢)].

٨ ـ **وعن** أبي موسى عبدِ اللهِ بن قيسٍ الأشعريِّ رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً وَيُقَاتِلُ رِيَاءً؛ أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ» متفقٌ عليه[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المرضى، ما رخص للمريض أن يقول: إني وجع برقم (٥٦٦٨)، ومسلم في كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث برقم (١٦٢٨).

(٢) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله برقم (٢٥٦٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من سأل وهو قائم عالماً جالساً برقم (١٢٣)، وفي كتاب الجهاد، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا برقم (٢٨١٠)، وفي كتاب فرض الخُمُس، باب من قاتل للمغنم هل ينقص من أجره برقم (٣١٢٦)، وفي كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٧١] برقم (٧٤٥٨)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العُليا فهو في سبيل الله برقم (١٩٠٤).

الشَّرح

هذه الأحاديث كلها تتعلق أيضاً بعظم النية وأن المدار عليها وأن الأعمال تابعة، فالأساس النية، والأعمال والأقوال تدور عليها صلاحاً وفساداً، وقبولاً ورداً كما تقدم في قوله ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**».

في هذا أن يَزِيدَ بنَ الأخنسِ تصدق بصدقة جعلها عند بعض أهل المسجد للفقراء، فجاء ابنه معن فأخذها، جاء للوكيل وقال: إني فقير وأخذها وأخبر أباه بذلك، فَقَالَ: «وَاللهِ مَا إِيَّاكَ أَرَدْتُ» ما نويتك أنت، نويتُ غيرك من الفقراء، فترافعا إلى النبي ﷺ، فَقَالَ النبي ﷺ: «**لَكَ مَا نَوَيْتَ يَا يَزِيدُ وَلَكَ مَا أَخَذْتَ يَا مَعْنُ**»؛ لأن معناً أهل لها مستحق لها؛ فلهذا قال له: «**مَا أَخَذْتَ، ولَكَ مَا نَوَيْتَ**» وإن كنت ما نويت معناً: أنت ناوي المستحق وهو مستحق، فيكون لك الأجر، وفي هذا دلالة على أن نفقة الإنسان في أولاده وفي أقاربه يؤجر عليها، ويثاب عليها، صدقة، هكذا نفقته على زوجته يحتسبها نفقة صدقة، يؤجر عليها لأدائه الواجب، الإنفاق على من تحت يده واجب، فإذا احتسب ذلك عند الله صار أجره عظيماً من زوجة، وأولاد، وأب عاجز، وأُم عاجزة، ونحو ذلك.

ولهذا قال النبي لسعد: «**إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ**».

«**حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ**»؛ يعني: حتى النفقة في زوجتك تؤجر عليها مع النية الصالحة لأداء الواجب وكف حاجة المرأة، والقريب مأجور عليه كما يتصدق به على أقاربه وأرحامه، وينفق على والديه،

وعلى زوجته، يحتسب ذلك، كله يؤجر عليه، هذا من فضل الله ورحمته ﷺ، فقال سعد: يا رسول الله، وكان مريضاً في حجة الوداع، فدخل عليه النبي ﷺ فقال: يا رسول الله قد أصابني ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة واحدة، ذاك الوقت ما له إلا ابنة واحدة، ثم ولد له أولاد، عاش وولد له أولاد جماعة، إبراهيم، ومحمد وعمر، وعامر وغيرهم؛ لكنه في حجة الوداع ما له إلا ابنة، ثم ولد له بعد النبي ﷺ أولاد، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي قَالَ: «**لَا**» فَقُلْتُ بِالشَّطْرِ فَقَالَ: «**لَا**» النصف؟ ثُمَّ قَالَ: «**الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَبِيرٌ - أَوْ كَثِيرٌ**» هذا يدل على أن ليس للإنسان أن يوصي بأكثر من الثلث، ثم بيَّن له النبي ﷺ: «**إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ**»؛ يعني: كون الإنسان يترك ورثة المال يغنيهم الله عن الناس وعن الحاجة للناس مأجور على ذلك، فليس له أن يتصدق وأن يوصي إلا بالثلث فأقل، قد أوصى الصديق بالخمس قد رضيت ما رضي الله به.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (لَوْ غَضَّ النَّاسُ إِلَى الرُّبْعِ؛ لأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ أَوْ كَبِير**») فإذا أوصى بالثلث، أو بالربع، أو بالخمس، فلا بأس في وجوه البر، وأعمال الخير، تعمير المساجد، الصدقة على الفقراء، على المحتاج من الذرية، لا بأس، الثلث فأقل.

قال ﷺ: «**إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ فَتَعْمَلَ عَمَلاً تَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً، وَلَعَلَّكَ تُخَلَّفُ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ**» خُلف عافاه الله، وتأمر على جيش فارس في العراق أمره عمر، ونفع الله به نفعاً عظيماً، وجرى على يده فتوحات، منها يوم القادسية، نصر الله به الإسلام، وأذل به الكفر، وعاش إلى عام ست وخمسين من الهجرة، عُمر بعد النبي ﷺ ستاً وأربعين سنة، ففي هذا دلالة على أن النية لها

شأن عظيم، وأن العبد له في نفقاته أجرٌ عظيم إذا نوى بها الخير على أقاربه، أو على غيرهم، أو على زوجته، أو على غيرها.

ثم قال ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَمْضِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ وَلَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ لَكِنْ البَائِسُ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ يَرْثِي لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ تُوُفِّيَ بِمَكَّةَ**»؛ لأن المهاجر ينبغي له أن لا يبقى في محل هجرته، محل التي هاجر منها؛ ولهذا منع المهاجرون أن يرجعوا إلى مكة، بلد تركها لله لا يرجع إليها.

وفي حديث أبي هريرة يقول ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ**» محل النظر القلب والعمل، أما مال الإنسان وجسمه، كونه قوياً أو جميلاً أمره سهل، ليس محل النظر إلى جسمه ولا ماله إنما محل النظر والاعتبار، قلبه وعمله، إذا صلح قلبه وصلح عمله هذه هي الفائدة العظيمة، أما كونه كثير المال أو قليل المال، عظيم الجسم، أو جميلاً، ما له قيمة في درجاته عند الآخرة في ثوابه، إنما الدرجات والأعمال الصالحات، والحسنات، تتعلق بقلبك وعملك، قلبك الذي يحب الله ورسوله، ويخلص له العمل ويخافه ويرجوه، وفي عملك تصدق، تصلي، تصوم، تجاهد، هذا الذي ينفعك، هذا المال إذا تصدقت به، وجاهدت به، وواسيت به الفقراء نفعك، فالمقصود محل الاعتبار، ومحل النظر من الله جلَّ وعلا هو قلبك وعملك، فاحرص على أن يكون قلبك معموراً بحب الله، والإخلاص لله، خوف الله ورجائه، والشوق إليه، واحرص على أن يكون عملك لله، خالصاً لله، صدقاتك، صلاتك، صومك، جهادك، غير ذلك يكون لله، لا رياءً ولا سمعة، تصلي لله، تصوم لله، تصدق لله، تجاهد لله، تنصح لله، تأمر بالمعروف، تنهى عن المنكر، تدعو إلى الله، كله لله، لم ترد رياء الناس ولا حمد الناس، تعمل تبتغي وجه الله كما قال جلَّ وعلا:

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ويقول ﷻ: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢ ـ ٣].

فالواجب على المكلفين من الرجال والنساء من الجن والإنس، العناية بالإخلاص لله في العمل والصدق في العمل، وتحري أسباب القبول من الخوف، والرجاء، والمحبة والكسب الطيب، والحذر من المعاصي، كل هذه أسباب للقبول والمغفرة.

والوصية وغير الوصية يلزم فيها شرع الله، الإنسان يتصرف حسب الشرع، في وصيته، في بيعه، في شرائه، في كل شيء، يتحرى ما جاء بالشرع ولا يخالف الشرع.

وفي حديث أبي موسى يقول ﷺ لما: سُئل عَنْ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً وَيُقَاتِلُ رِيَاءً أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**» هذا من جوامع الكلم، من قاتل؛ يعني: من جاهد في سبيل الله، نيته نصر الدين وأن تكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وله الجنة، أما من قاتل رِيَاءً ليري الناس شجاعته أو حمية لقومه، أو لقصد آخر من الدنيا، فهو على نيته، ليس بمجاهد، إنما المجاهد من جاهد في سبيل الله يريد إعلاء كلمة الله، يريد نصر دين الله، يريد إظهار الحق وكبت الباطل، هذا هو المجاهد.

وهكذا من دعا الناس إلى الله وأمرهم بالمعروف أو نهاهم عن المنكر إن أراد رِيَاءً أو سمعة صار شركاً، وإن أراد وجه الله والدار الآخرة صار في جهاد عظيم، وهكذا الصدقة يخرجها إن أخرجها لله له أجره العظيم، وإن أخرجها رِيَاءً فعليه وزر ذلك، وهكذا قراءة القرآن، تعلم

العلم إن أراد به الرياء والسمعة والدنيا فليس له إلا ما نوى، وإن أراد وجه الله والدار الآخرة فهو على طريق الجنة، كما قال ﷺ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ**» وقال ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**» هذا يبين لنا عظم شأن النية وأن شأنها عظيم.

وفّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

٩ ـ وعن أبي بَكرَةَ نُفيع بن الحارثِ الثقفيِّ ﷺ؛ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا التقَى المُسلِمَان بسَيْفَيهِمَا فالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ في النّارِ» قُلتُ: يا رَسُولَ اللهِ، هذا القَاتِلُ فَمَا بَالُ المقْتُولِ؟ قَالَ: «إنَّهُ كَانَ حَريصاً عَلَى قتلِ صَاحِبِهِ» متفقٌ عليه[1].

١٠ ـ وعن أبي هريرةَ ﷺ، قَالَ: قالَ رَسُول الله ﷺ: «صَلاةُ الرَّجلِ في جمَاعَةٍ تَزيدُ عَلَى صَلاتهِ في سُوقِهِ وبيتهِ بضْعاً وعِشرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ أَنَّ أَحدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضوءَ، ثُمَّ أَتَى المَسْجِدَ لا يُرِيدُ إلَّا الصَّلاةَ، لَا يَنْهَزُهُ إلَّا الصلاةُ: لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إلَّا رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بها خَطِيئَةٌ حَتَّى يَدْخُلَ المَسْجِدَ، فإذا دَخَلَ المَسْجِدَ كَانَ في الصَّلاةِ مَا كَانَتِ الصَّلاةُ هِيَ تَحْبِسُهُ، وَالمَلائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ في مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيهِ، مَا لَم يُؤْذِ فيه، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ» مُتَّفَقٌ عليه، وهذا لفظ مسلم[2].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ [المائدة: ٣٢] برقم (٦٨٧٥)، ومسلم في كتاب الفتن، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما برقم (٢٨٨٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب الصلاة في مسجد السوق برقم (٤٧٧)، ومسلم في كتاب المساجد، باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة برقم (٦٤٩).

□ وقوله ﷺ: (يَنْهَزُهُ): هُوَ بِفَتْحِ اليَاءِ والهَاءِ وبالزَّايِ؛ أَيْ: يُخْرِجُهُ ويُنْهِضُهُ.

١١ ـ وعن أبي العبَّاسِ عبدِ اللهِ بن عباسٍ بن عبد المطلب رضي الله عنهما، عن رَسُول الله ﷺ، فيما يروي عن ربهِ، تباركَ وتعالى، قَالَ: «إنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ والسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذلِك، فَمَنْ هَمَّ بحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبها اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالى عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، وَإنْ هَمَّ بهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عَشْرَ حَسَناتٍ إلى سَبْعمئةِ ضِعْفٍ إلى أَضعَافٍ كَثيرةٍ، وإنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ تَعَالَى عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلةً، وَإنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً» مُتَّفَقٌ عليهِ[١].

الشَّرْح[٢]

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها من الأحاديث في بيان عظم شأن النية وأن شأنها عظيم وأنها تغير الأعمال، هذا عمل بالنية الصالحة يكون عملاً صالحاً، وهذا بالنية السيئة يكون عملاً سيئاً، فينبغي للمؤمن بل يجب عليه أن يعنى بنيته وأن يجتهد دائماً بأن تكون نية صالحة طيبة ترضي الله وتقرب لديه ومن ذلك:

الحديث الأول: حديث أبي بكرة الثقفي رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنّه قال: «**إذَا التَقَى المُسلِمَان بسَيْفَيهِمَا فالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ في النّارِ**»، قُلتُ: يا رَسُولَ اللهِ، هذا القَاتِلُ فَمَا بَالُ المقْتُولِ؟

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من همَّ بحسنة أو بسيئة برقم (٦٤٩١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب برقم (١٣١).

(٢) من دروس سماحة الشيخ رحمه الله للكتاب في جامع الإمام تركي بن عبد الله رحمه الله بقراءة فضيلة الشيخ الدكتور عمر العيد من الحديث رقم (٩ إلى رقم ٢١).

قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصاً عَلَى قتلِ صَاحِبِهِ» نيته قتل صاحبه جعلته مثل القاتل، كل منهما حريص على قتل الآخر، فدل ذلك على أن النية لها شأن عظيم.

والمعنى: أن المسلم إذا قتل أخاه بغير حق، فكل منهما متوعد بالنار إذا كان كل واحد حريصاً على قتل الآخر، فإن كان المقتول ليس له نية في قتل أخيه، فالإثم على القاتل فقط، وهذا في القتال الذي ليس له شبهة وليس له تأويل، أما القتال الذي له تأويل كقتال المسلمين بالتأويل، كالذي جرى بين الصحابة في العهد الأول وبين غيرهم، بتأويل القرآن فهذا ليس داخلاً في الحديث، القتال الذي يقع بين الناس، بين المسلمين بالتأويل وقصد الخير، فيخطئ هذا ويصيب هذا، فالمخطئ في اجتهاده له أجر واحد والمصيب له أجران، وإنما هذا في القتل الذي ليس بحق وليس بشبهة معتبرة، فالقاتل والمقتول في النار، نعوذ بالله من ذلك، وهذا أيضاً يوجب الحذر من سفك الدماء، وأن صاحبها على خطر عظيم.

فالواجب الحذر وألا يُسفك الدم إلا بحق حتى يبرأ من عهدة القتل، ولا شك أن القتل من أعظم الجرائم ومن أعظم الكبائر، فوجب على المؤمن أن يحذر ذلك وأن يبتعد عن أسباب القتل بغير حق وعن سفك الدماء بغير حق لعله ينجو، لعله يسلم من تبعة ذلك، وبذلك يعلم المؤمن أيضاً أنّه جدير بأن يعنى بنيته في جميع أفعاله وأقواله حتى يكون مأجوراً أو سالماً، ويحذر أن ينوي السوء في أي قول، أو في أي عمل.

ومن ذلك **الحديث الثاني**: خروجه إلى الصلاة فإذا خرج إلى الصلاة «لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلاةُ» صارت خطاه يكتب له بها حسنات ويُرفع له بها درجات وتحطّ عنه خطيئات بهذه النية الطيبة، لكن لو خرج لظلم

الناس أو للزنى أو لشرب المسكرات صار بالعكس، هكذا المؤمن يحاسب نفسه في خطواته وخروجه من بيته إلى غير ذلك، فمن خرج من بيته للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله، أو لصلة الرحم أو عيادة مريض أو أداء للصلاة في جماعة فهو على خير عظيم، وهذه الخطوات لها شأن عظيم في رفع الدرجات وحط الخطايا، فعليك يا عبد الله أن تحاسب نفسك في كل شيء لعلك تنجو، لعلك تسلم.

وهكذا **الحديث الثالث**: يقول ﷺ: «**إنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ والسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذلِكَ**»، كل شيء مكتوب عنده جلَّ وعلا حسنات العباد وسيئاتهم، حسناتك يا عبد الله مكتوبة وسيئاتك كذلك، فإن هَمَّ العبد بالحسنة ولم يفعلها بأن غفل أو عرض عارض كتبها الله له حسنة، فإن هَمَّ بها وفعلها كتبها الله له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، فأنت إذا هَمَمْتَ أن تذكر الله هَمَمْتَ أن تتصدق، هَمَمْتَ أن تعود مريضاً ثم شغلت، كتب الله لك حسنة بهذا الهم بهذه النية، وإن شغلت عن ذلك هَمَمْتَ أنك تأمر بالمعروف وتنهى عن منكر، هَمَمْتَ أنك تعين إنساناً في خير ثم شُغلت عن ذلك، فالله يكتب لك بهذا الهم حسنة تكتب في ميزان حسناتك، فإن فعلت ذلك الشيء كتب الله لك عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعافٍ كثيرة على حسب إخلاصك وصدقك وعملك الطيب، كما قال ﷻ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

قال الله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] قد تكون أضعافاً إلى أُلوف كلَما قوي الإيمان وعظم الإخلاص في العمل والاجتهاد فيه صار الأجر أكثر والحسنة أكثر والعكس في السيئة، كذلك من هَمَّ بالسيئة فلم يعملها لم تُكتب عليه فضلاً من الله ﷻ، فإن تركها من أجل الله كتبها الله له بها حسنة إذا هَمَّ ثم ترك من أجل الله كتبها الله له حسنة، فإن هَمَّ بها وفعلها كتبها الله له سيئة واحدة لا تضاعف، سيئة واحدة رحمة من الله وفضلاً

من الله ﷻ لكنها تختلف، السيئة تختلف، هذه سيئة عظيمة وهذه أعظم منها وهذه أعظم منها وهكذا.

ثم الهم بالسيئة في الحرمين أشد وأشد، وفي مكة أشد وأشد، قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، وفي رمضان كذلك أشد، وفي تسع ذي الحجة أشد.

ثم السيئات متنوعة، الهم بالقتل غير الهم بالضرب، والهم بالزنى غير الهم باللمس، وهكذا تختلف السيئات، فينبغي للمؤمن، أن يكون دائماً يحاسب نفسه ويحذر شر جوارحه، وشرَّ قلبه حتى لا ينوي إلا خيراً وحتى لا يعمل إلا خيراً وحتى يبتعد عن أسباب الشر أينما كان لعله ينجو.

ومن أسباب النجاة البعد عن مواضع الخطر، والبعد عن صحبة الأشرار، عن مواضع الخطر الأسواق التي فيها الشر يبتعد عنها، المجالس التي فيها الشر يبتعد عنها، الأشرار يبتعد عن صحبتهم، كل هذه من أسباب النجاة.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

***

١٢ ـ وعن أبي عبد الرحمٰن عبدِ الله بن عمرَ بن الخطابِ ﵄، قَالَ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: «انطَلَقَ ثَلاثَةُ نَفرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آوَاهُمُ المَبيتُ إلى غَارٍ فَدَخلُوهُ، فانْحَدرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ، فَقالُوا: إنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هذهِ الصَّخْرَةِ إلَّا أنْ تَدْعُوا اللهَ بصَالِحِ أعْمَالِكُمْ.

قَالَ رجلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أبَوانِ شَيْخَانِ كبيرانِ، وكُنْتُ لا أغْبِقُ

قَبْلَهُمَا أَهْلاً ولَا مالاً، فَنَأَى بِي طَلَب الشَّجَرِ يَوْماً فلم أَرِحْ عَلَيْهِما حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُما نَائِمَينِ، فَكَرِهْتُ أنْ أُوقِظَهُمَا وَأَنْ أغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أو مالاً، فَلَبِثْتُ ـ والقَدَحُ عَلَى يَدِي ـ أَنتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُما حَتَّى بَرِقَ الفَجْرُ والصِّبْيَةُ يَتَضاغَوْنَ عِنْدَ قَدَميَّ، فاسْتَيْقَظَا فَشَرِبا غَبُوقَهُما. اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلِكَ ابتِغَاء وَجْهِك فَفَرِّجْ عَنّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ، فانْفَرَجَتْ شَيْئاً لا يَسْتَطيعُونَ الخُروجَ مِنْهُ.

قَالَ الآخر: اللَّهُمَّ إنَّهُ كانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمّ، كَانَتْ أَحَبَّ النّاسِ إليَّ ـ وفي رواية: كُنْتُ أُحِبُّها كأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النساءَ ـ فأَرَدْتُهَا عَلَى نَفْسِهَا فامْتَنَعَتْ منِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بها سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ فَجَاءتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمئَةَ دينَارٍ عَلَى أنْ تُخَلِّيَ بَيْني وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفعَلَتْ، حَتَّى إذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا ـ وفي رواية: فَلَمَّا قَعَدْتُ بَينَ رِجْلَيْهَا، قالتْ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفُضَّ الخَاتَمَ إلّا بِحَقِّهِ، فَانصَرَفْتُ عَنْهَا وَهيَ أَحَبُّ النَّاسِ إليَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أعْطَيتُها. اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلِكَ ابْتِغاءَ وَجْهِك فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فيهِ، فانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْهَا.

وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ وأَعْطَيْتُهُمْ أجْرَهُمْ غيرَ رَجُلٍ واحدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهبَ، فَثمَّرْتُ أجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنهُ الأمْوَالُ، فَجَاءنِي بَعدَ حِينٍ، فَقالَ: يَا عبدَ اللهِ، أَدِّ إِلَيَّ أجْرِي، فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أجْرِكَ: مِنَ الإبلِ وَالبَقَرِ والغَنَم والرَّقيقِ، فقالَ: يَا عبدَ اللهِ، لَا تَسْتَهْزِئْ بي! فَقُلْتُ: لَا أَسْتَهزِئ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فاسْتَاقَهُ فَلَمْ يتْرُكْ مِنهُ شَيئاً. اللَّهُمَّ إنْ كُنتُ فَعَلْتُ ذلِكَ ابتِغاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحنُ فِيهِ، فانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ» مُتَّفَقٌ عليهِ[1].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب إذا اشترى شيئاً لغيره بغير إذنه فرضي برقم =

﴿ الشَّرْح ﴾

هذه واقعة غريبة لمن قبلنا ذكرها النبي عليه الصلاة والسلام للأمة لما فيها من العظة والذكرى والفائدة العظيمة، والنبي ﷺ يقص على الأمة بعض أخبار من مضى لما فيها من العبر؛ لأن في الماضين عبراً فلهذا يقص علينا عليه الصلاة والسلام مِمّا أوحى الله إليه شيئاً من قصص الماضين وأخبارهم التي فيها العظة والذكرى والدعوة إلى الخير والتحذير من الشر.

ومن ذلك هذه القصة التي حكاها النبي ﷺ عمن مضى قبلنا قبل هذه الأمة المحمدية، وهي أن ثلاثة ممن قبلنا ابتلاهم الله بشدة عظيمة وحادثة كبيرة، ولأنهم آواهم الليل والمطر إلى غار فدخلوه حتى يستظلوا فيه من المطر، ويبيتوا فيه فانحدرت صخرة عليهم من رأس الجبل فسدَّت عليهم الغار ابتلاءً وامتحاناً، صخرة عظيمة لم يستطيعوا دفعها وهم ثلاثة، فقالوا فيما بينهم: إنه لن يخلصكم من هذه المصيبة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، أن تسألوا الله وتتوسلوا إليه بصالح أعمالكم التي فعلتموها لوجهه ﷻ فاتفقوا على هذا.

فقال أحدهم: (**اللَّهُمَّ إنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً**). والغبوق عند العرب اللبن الذي يشرب بعد العشاء في أول الليل، فكان يأتي بالحليب من إبله يسقي والديه قبل أولاده وقبل أهله، فنأى به طلب الشجر ذات ليلة وأبعد فلم يأت إلا متأخراً وقد ناما، فأخذ القدح على يده ينتظر استيقاظهما ولم يستحسن

= (٢٢١٥). انظر: (٢٢٧٢، ٢٣٣٣، ٣٤٦٥، ٥٩٧٤)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال برقم (٢٧٤٣).

إيقاظهما والتكدير عليهما في نومهما، ولم يسق الصبية وهم يتضاغون عند قدميه، ولكن من شدة برِّه بوالديه ومن شدة حرصه على أن يبدأ بهما على عادته، صبر ينتظر لعلهما يستيقظان، فلم يزل على هذه الحال حتى فلق الفجر واستيقظا فسقاهما غبوقهما، ثم قال عند ذلك بعد ما ذكر هذا قال: «**اللَّهُمَّ إن كنت تعلم أني فعلت هذا ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه**»؛ يعني: ما فعلت هذا العمل إلا طلباً لرضا الرب ﷻ ببره بوالديه، فانفرجت الصخرة بعض الشيء حتى رأوا السماء ولكنهم «**لا يستطيعون الخروج**» حتى يتم ما أراده الله ﷻ من العبرة والعظة.

ثم قام الثاني فدعا، وقال: «**اللَّهُمَّ إنه كانت لي ابنة عمٍّ**» من أحب الناس إليّ، في اللفظ الثاني: «**كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء، فأردتها على نفسها**»، أرادها للفاحشة فأبت، ثم إنها «**ألمت بها سَنَةٌ من السنين**» حاجة شديدة فجاءت إليه تطلبه العون فقال: لا حتى تمكنيني من نفسك فاتفقا على مئة وعشرين ديناراً، مائة وعشرون جنيه ذهب فسلمها لها فلما جلس بين رجليها قالت له: «**اتق الله ولا تَفُضَّ الخَاتَمَ إلا بِحَقِّه**»؛ يعني: لا تفعل إلا بنكاح شرعي، فارتاع من هذا وخاف وقام عنها بعد القدرة عليها وترك لها الذهب، ترك الفاحشة وترك الذهب لها ابتغاء وجه الله ﷻ وخوفاً من الله ﷻ، قال: «**اللَّهُمَّ إن كنت تعلم أني فعلت هذا**»؛ يعني: ترك الفاحشة وترك الذهب لبنت عمي المحتاجة، اللَّهُمَّ إن كنت تعلم أني فعلت هذا «**ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة** بعض الشيء زيادة، لكن **لا يستطيعون الخروج**» حتى يتم أمر الله.

ثم قام الثالث فقال: «**اللَّهُمَّ إني استأجرت أُجَرَاءَ**» فأعطيتهم حقوقهم إلا واحداً ذهب ولم يأخذ حقه، فنميته له وثمرته له؛ يعني: جعل يتسبب فيه، يبيع ويشتري حتى حصل من ذلك إبل وبقر وغنم ورقيق، وقد كان شيئاً قليلاً في بعض الروايات أنه كمية من أرُز أو من ذرة، لكنه نَمَّى ذلك وسعى فيه حتى اشترى منه إبلاً وبقراً وغنماً ورقيقاً،

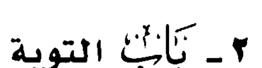
ثم جاءه صاحبه بعد مُدة يقول: أعطني أجري، فقال له: **«كل ما ترى من أجرك»**، كل هذه الأشياء لك، فقال: **«لا تَسْتَهْزِئْ بِي»**، فقال له: إني لا أَسَتَهْزِئُ بِكَ، إنّه مالك خذه، فأخذه كله واستاقه كله من إبلٍ وبقرٍ وغنم ورقيق، **«اللَّهُمَّ إن كنت تعلم أني فعلت هذا ابتغاء وجهك فافرج عنّا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة وخرجوا»**.

هذه من آيات الله امتحنهم حتى دعوا بهذه الدعوات حتى بينوا هذه الأعمال، والنبي ﷺ قصها علينا للفائدة ليعلم الناس عظم شأن بِرِّ الوالدين، وعظم شأن ترك الفواحش والعفة عنها، وعظم شأن أداء الأمانة وبرّ الوالدين من أعظم الواجبات ومن أعظم القربات والأعمال الصالحات، وهكذا العفة عما حرم الله والصلة للرحم والخوف من الله عند القدرة على المعصية إذا خاف الله عند القدرة وآثر خوف الله مع القدرة كان لها أثر عظيم في مرضاة الله عليه وعظيم أجره، وهكذا أداء الأمانة مع القدرة على الخيانة، هو قادر أن يترك المال ولا يُنميه ولكنه من شدة حرصه على الخير نماه وتعب فيه ولو تركه على حاله ولم يفعل شيئاً لا حرج عليه، حفظه له، لكنه من شدة حرصه على الخير ورغبته في الإحسان نماه لصاحبه وأدى الأمانة وزاد على ذلك بالتنمية والإحسان والتصرف الصالح حتى صارت الأمانة شيئاً كبيراً.

فهذا جزاء هؤلاء عند الشدة فرَّج الله كربهم، عندما أصابتهم الشدة العظيمة، لو مكثوا تحت هذه الصخرة زماناً طويلاً لهلكوا لكن الله ابتلاهم، ثم فرَّج لهم بأسباب ضراعتهم إليه وسؤالهم إيّاه وتوسلهم إليه بهذه الأعمال الصالحات، فدل ذلك على أنه يشرع التوسل بالأعمال الصالحات، فيشرع التوسل بأسماء الله وصفاته هكذا بالإيمان به وطاعته، والأعمال الصالحة كلها وسائل شرعية من أسباب الإجابة.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.





٢ـ بَابُ التوبة

قَالَ العلماءُ: التَّوْبَةُ وَاجبَةٌ مِنْ كُلِّ ذَنْب، فإنْ كَانتِ المَعْصِيَةُ بَيْنَ العَبْدِ وبَيْنَ اللهِ تَعَالَى لَا تَتعلَّقُ بحقِّ آدَمِيٍّ، فَلَهَا ثَلاثَةُ شُرُوط:

أحَدُها: أنْ يُقلِعَ عَنِ المَعصِيَةِ.

والثَّانِي: أَنْ يَنْدَمَ عَلَى فِعْلِهَا.

والثَّالثُ: أنْ يَعْزِمَ أَنْ لا يعُودَ إِلَيْهَا أَبداً.

فَإنْ فُقِدَ أَحَدُ الثَّلاثَةِ لَمْ تَصِحَّ تَوبَتُهُ.

وإنْ كَانَتِ المَعْصِيةُ تَتَعَلقُ بآدَمِيٍّ فَشُرُوطُهَا أَرْبَعَةٌ: هذِهِ الثَّلاثَةُ، وأنْ يَبْرَأ مِنْ حَقّ صَاحِبِها، فَإنْ كَانَتْ مالاً أَوْ نَحْوَهُ رَدَّهُ إِلَيْه، وإنْ كَانَت حَدَّ قَذْفٍ ونَحْوَهُ مَكَّنَهُ مِنْهُ أَوْ طَلَبَ عفْوَهُ، وإنْ كَانْت غِيبَةً استَحَلَّهُ مِنْهَا.

ويجِبُ أنْ يَتُوبَ مِنْ جميعِ الذُّنُوبِ، فَإنْ تَابَ مِنْ بَعْضِها صَحَّتْ تَوْبَتُهُ عِنْدَ أهْلِ الحَقِّ مِنْ ذلِكَ الذَّنْبِ وبَقِيَ عَلَيهِ البَاقي.

وَقَدْ تَظَاهَرَتْ دَلائِلُ الكتَابِ والسُّنَّةِ، وإجْمَاعِ الأُمَّةِ عَلَى وُجوبِ التَّوبةِ.

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

١٣ ـ **وعن** أبي هريرةَ ﵁، قَالَ: سمعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول:

«والله إنِّي لأَسْتَغْفِرُ الله وأَتُوبُ إِلَيْه في اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً» رواه البخاري[(١)].

١٤ ـ **وعن** الأَغَرِّ بن يسار المزنيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلى اللهِ واسْتَغْفِرُوهُ، فإنِّي أَتُوبُ في اليَومِ مئةَ مَرَّةٍ» رواه مسلم[(٢)].

١٥ ـ **وعن** أبي حمزةَ أنسِ بنَ مالِكٍ الأنصاريِّ خادِمِ رسولِ الله ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَلَّهُ أفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ وقد أضلَّهُ في أرضٍ فَلاةٍ» متفقٌ عليه[(٣)].

📖 وفي رواية لمُسْلم: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتوبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يتوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بأرضٍ فَلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابهُ فأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتى شَجَرَةً فاضطَجَعَ في ظِلِّهَا وقد أَيِسَ مِنْ رَاحلَتِهِ، فَبينَما هُوَ كَذلِكَ إِذْ هُوَ بِها قائِمَةً عِندَهُ، فَأَخَذَ بِخِطامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبدِي وأنا رَبُّكَ! أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ».

الشَّرح

هذه الآيات الكريمات والأحاديث الصحيحة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، تدل على وجوب التوبة والعناية بها، وأن العبد في أشد

---

(١) أخرجه في كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة برقم (٦٣٠٨).

(٢) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه برقم (٢٧٠٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب التوبة برقم (٦٣٠٩)، ومسلم في كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها برقم (٢٧٤٧).

الحاجة إلى التوبة؛ لأن كل إنسان خطَّاء كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»[١] فالإنسان محل الذنوب محل التقصير ليلاً ونهاراً فهو في أشد الحاجة بل الضرورة إلى التوبة في أيامه ولياليه من جميع تقصيره وذنوبه وسيئاته، ولهذا شرع الله لعباده التوبة وأمرهم بها حتى يتخلصوا من شر ذنوبهم، وحتى يلقوا ربهم سالمين بالفوز والنجاة والسعادة، وهذا من رحمة الله لهم وإحسانه إليهم أن شرع لهم التوبة وأمرهم بها ورغبهم فيها وجعلها ماحية للذنوب، هذا من رحمة الله، ولو أن الذنوب لا تمحى ولا تقبل التوبة منها لكانت المصيبة عظيمة، ولكن من رحمة الله أنها تمحى بالتوبة، وأن الله جلَّ وعلا يغفر لأهلها إذا تابوا إليه توبة صادقة، ولهذا يقول سبحانه:

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] فالفلاح بالتوبة، والفلاح هو الظفر والفوز والسعادة، قال ﷻ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣]، من تولى عن التوبة والاستغفار فهو على خطر من عذاب الله العظيم الكبير، ويقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

والتوبة لها شأن عظيم فهي من أهم الفرائض ومن أهم الواجبات، وهي عمل العمر كله فعلى العبد أن يكون تائباً دائماً حتى يلقى ربه، حتى يموت وهو يلازم التوبة ويحرص عليها ويجددها كلما زلَّت قدمه وشرائطها ثلاثة؛ يعني: إنما تصلح بأمور ثلاثة:

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب برقم (٢٤٩٩)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة برقم (٤٢٥١).

الأمر الأول: الإقلاع من الذنب وتركه خوفاً من الله وتعظيماً لله؛ كالزنى وكشرب الخمر والعقوق وقطيعة الرحم، يتركه ويبتعد عنه تعظيماً لله ﷻ وحذراً من عقابه.

الأمر الثاني: الندم على الماضي منه من السيئات.

الأمر الثالث: العزم الصّادق أن لا يعود في هذا الذنب.

وبهذا يتوب الله عليه من هذه الذنوب التي اقترفها بينه وبين ربه متى استكمل هذه الشروط بالندم على الماضي، والإقلاع من الذنب وتركه، والعزم أن لا يعود فيه، فمتى استكمل هذه الأمور الثلاثة تمت التوبة ومحا الله عنه الخطيئة فضلاً منه وإحساناً جل وعلا.

فإذا كانت المعصية سرقة أو خيانة أو قتلاً بغير حق، فلا بد أن يؤدي الحق لأهله إن كانت قتلاً يمكِّن من نفسه حتى يقتصوا منه أو بالدّية، وإن كانت قذفاً يمكِّن من نفسه حتى يقام عليه حد القذف، كأن يقول له: يا زاني يا فاجر يا كذا، فلا بد أن يمكن من نفسه حتى يقام عليه الحد أو يسمح صاحبه، وإن كانت أموالاً أداها إلى أهلها، وإن كان عرضاً كذلك يستحله إذا اغتابه في عرضه، كأن يقول: يا بخيل يتكلم في عرضه، بخيل لئيم، أشياء من الكلمات الخبيثة التي يغتاب بها أخاه، لا بد أن يتحلله من ذلك، فإن لم يتيسر ذلك وخاف من الفتنة دعا له واستغفر له بظهر الغيب، وذكره بالأعمال الطيبة التي يعرفها عنه والأخلاق الطيبة التي يعرفها عنه في الأماكن التي اغتابه فيها، حتى تكون هذه بهذه، لا يكذب لكن يذكر أعماله التي يعلمها عنه الطيبة كما ذكر السيئة سابقاً واغتابه، يذكر ضدها، يذكر أعماله الطيبة وأخلاقه الطيبة حتى تكون كفارة لذنوبه في السابق مع الدعاء له والاستغفار.

وعند التوبة يُقبل العبد الى ربه ﷻ ويقول النبي ﷺ: «**والله إنِّي لأَسْتَغْفِرُ الله وأَتُوبُ إِلَيْه في اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**» هو رسول الله عليه الصلاة والسلام مغفور له، ومع هذا يتوب إلى الله تعبداً وضراعة إليه

وانكساراً بين يديه في اليوم «**أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**» يتوب ويستغفر.

وفي حديث الأغر بن يسار المزني يقول عليه الصلاة والسلام: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلى اللهِ واسْتَغْفِرُوهُ، فإِنِّي أَتُوبُ في اليَومِ مئة مَرَّةٍ**» يتوب مئة مرة قد جاء ما هو أعظم من هذا كما يأتي إن شاء الله، وروى ابن عمر رضي الله عنهما قال: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي المَجْلِسِ الوَاحِدِ مِئَةَ مَرَّةٍ «**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**».

في المجلس الواحد مئة مرة «**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**». وهذا يدل على عظيم عنايته ﷺ بالتوبة إلى ربه والاستغفار والانكسار بين يديه، فأنت يا عبد الله في أشد الحاجة إلى هذا دائماً، دائماً حاسب نفسك وتستغفر ذنبك وتتوب إلى الله من ذلك وتُكثر من الاستغفار والتوبة دائماً، لعلك تنجو، لعلك تسلم، لعله يتاب عليك مع الندم على الماضي ومع الإقلاع من الذنب ومع العزم أن لا تعود، تسأل ربك القبول والتوبة.

في الحديث الثالث: يقول ﷺ: «**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يتوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بأرضٍ فَلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتى شَجَرَةً فاضطَجَعَ في ظِلِّهَا وقد أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَينَما هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هُوَ بِها قائِمَةً عِندَهُ، فأَخَذَ بِخِطامِهَا، ثم قَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبدِي وأَنا رَبُّكَ! أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ**». فلم يؤخذ بذلك؛ لأنه لم يتعمده، هذا يدل على أنه سبحانه يحب من عباده أن يتوبوا إليه مع أنه هو الموفق لذلك وهو الهادي لذلك، هو الذي يوفق للتوبة ويعين عليها والمانُّ بها والهادي إليها، ومع هذا يحبها من عباده ويفرح بها منهم سبحانه وتعالى فجدير بك يا أيها المؤمن

أن تسارع إليها وأن تجتهد في تحقيقها ولزومها أبداً حتى تلقى ربك.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❊❊❊

١٦ ـ **وعن** أبي موسَى عبدِ اللهِ بن قَيسٍ الأشْعريِّ ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «إنَّ الله تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بالليلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، ويَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها» رواه مسلم[1].

١٧ ـ **وعن** أبي هُريرةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها تَابَ اللهُ عَلَيهِ» رواه مسلم[2].

١٨ ـ **وعن** أبي عبد الرحمٰن عبد الله بنِ عمَرَ بنِ الخطابِ ﷺ، عن النَّبي ﷺ، قَالَ: «إنَّ الله ﷻ يَقْبَلُ تَوبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ[3].

ﷺ الشَّرح ﷺ

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها فيما يتعلق بالتوبة، وسبق أن التوبة فرض لازم على جميع المسلمين بل على جميع المكلفين، يجب على جميع المكلفين التوبة إلى الله من سيِّئ أعمالهم، والكافر عليه أن

(١) أخرجه في كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة برقم (٢٧٥٩).

(٢) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه برقم (٢٧٠٣).

(٣) أخرجه في كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده برقم (٣٥٣٧)، وأحمد (٦١٦٠)، و(٦٤٠٠)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة برقم (٤٢٥٣).

يتوب بالدخول في الإسلام والالتزام به، والمسلم عليه أن يتوب من سائر معاصيه وما قصر فيه إلى ربه ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨] فإذا وجبت على المؤمنين فعلى الكافرين أوجب وأعظم؛ لأنهم على ما هم أعظم الذنوب وهو الكفر بالله ﷻ فوجب على جميع المكلفين التوبة إلى الله، وذلك بالالتزام بدينه والمتابعة لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام والاستقامة على ذلك وترك ما يخالف ذلك.

وفي هذه الأحاديث يقول ﷺ: «**إنَّ الله تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بالليلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهارِ، ويَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها**»، ويقول ﷺ: «**مَنْ تَابَ قَبْلَ أنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها تَابَ اللهُ عَلَيهِ**» هذا يدل على وجوب التوبة ليلاً ونهاراً؛ لأن الله سبحانه يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل.

وهذا بسط يليق بجلاله لا يعلم كيفيته إلا هو ﷻ، ففيه إثبات اليد لله، أنه سبحانه موصوف بأن له يداً، وسمعاً وبصراً وكلاماً وقدماً وغير ذلك من صفات الكمال، يجب أن تثبت له سبحانه على الوجه اللائق بجلاله جلَّ وعلا مع تنزيهه وتقديسه عن مشابهة خلقه في شيء من صفاته ﷻ، كما قال ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤]، قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، قال سبحانه: ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]، قال ﷻ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

فهو سبحانه لا سمي له ولا كفوء له ولا ند له ولا مثل له ﷻ، بل هو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله لا شبيه له من خلقه جلَّ وعلا، له الكمال المطلق في كل شيء، ومن رحمته أنه يقبل التوبة من عباده إذا تابوا إليه، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥] ﷻ هذا من رحمته وكرمه أن جعل باب التوبة مفتوحاً فمن تاب تاب عليه ﷻ، من رجع إليه وأناب قَبِلَ توبته ﷻ من الشرك وما دونه.

وفي **الحديث الثالث**: «**إِنَّ الله ﷻ يَقْبَلُ تَوبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**»؛ يعني: ما لم تبلغ روحه حلقومه عند الخروج؛ لأنه في تلك الساعة ما يبقى عنده عقل للأشياء بل مشغول بالموت، فمن تاب قبل الغرغرة بالروح وقبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه ﷻ.

والتوبة لها شروط تقدم بيانها من الندم على الماضي من الذنوب ندماً صادقاً والإقلاع منها وتركها خوفاً من الله وتعظيماً له، وشرط ثالث: وهو العزم الصادق ألا ترجع في الذنوب، هكذا التوبة، ندم على الماضي من الذنوب، وإقلاع منها وترك لها، وحذر منها وعزم صادق ألا تعود فيها، وهناك شرط رابع إذا كانت المعصية تتعلق بالآدمي: فلا بد من أدائه حقه أو تحلله من ذلك، إذا كان عندك لآدمي دين أو دم أو عرض فلا بد من تحلله، إما أن يسمح عنك وإما أن تعطيه حقه إن كان قصاص تعطيه القصاص من نفسك، دية تعطيه حقه، دين توفي حقه سرقة تعطي حقه، غصب تعطي حقه فلا تجوز التوبة في حق المخلوق إلا بأدائه حقه أو استحلاله، كما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَحَدٍ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ، قَبْلَ أَلَّا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ**، (يعني قبل يوم القيامة) **إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ**

عَلَيْهِ»[١].

هكذا تكون المجازاة يوم القيامة، ليست بالدراهم ولا بالدنانير ولا بالأمتعة ولكنها بالحسنات والسيئات، فإما أن يعطى المظلوم حسناتك، وإما أن تُؤخذ حسناتك له إن كان عندك حسنات أُخذ من حسناتك للمظلوم حتى يوفى حقه، فإن لم يكن لك حسنات أو نفدت أُخذ من سيئات المظلوم فحمل عليك، وهذا خطر عظيم يجب الحذر منه قبل الموت.

وتصح التوبة من بعض الذنوب دون البعض، فلو كان والعياذ بالله يشرب المسكر وعاق لوالديه، وتاب من شرب المسكر أو تاب من عقوق الوالدين ولم يتب من الآخر توبة صادقة قبلت توبته فيما تاب منه، إن تاب من شرب الخمر توبة صادقة قبل الله منه وبقي عليه إثم العقوق، وإن تاب من العقوق ولم يتب من شرب المسكر برئ من إثم العقوق وبقي عليه إثم المسكر.

والواجب أن يتوب منهما جميعاً، والواجب أن يتوب من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها، لكن لو أنه تاب من بعضها ولم يتب من بعض صحت توبته فيما تاب منه إذا استوفت شروطها وبقي عليه تبعةُ بعضها فالحزم ثم الحزم، الواجب، الفرض على العبد أن يتوب من جميع الذنوب دائماً وأن يحاسب نفسه حتى إذا هجم عليه الأجل فإنه سليم قد تاب إلى الله من كل ذنب.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه في كتاب المظالم، باب من كانت له مظلمة عند الرجل برقم (٢٤٤٩).

١٩ ـ **وعن** زِرِّ بن حُبَيْشٍ، قَالَ: أَتَيتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ ﷺ أسْألُهُ عَن المَسْحِ عَلَى الخُفَّيْنِ، فَقالَ: ما جاءَ بكَ يَا زِرُّ؟ فقُلْتُ: ابتِغَاء العِلْم، فقالَ: إنَّ المَلائكَةَ تَضعُ أجْنِحَتَهَا لطَالبِ العِلْمِ رِضىً بِمَا يطْلُبُ. فقلتُ: إنَّهُ قَدْ حَكَّ في صَدْري المَسْحُ عَلَى الخُفَّينِ بَعْدَ الغَائِطِ والبَولِ، وكُنْتَ امْرَءاً مِنْ أَصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ فَجئتُ أَسْأَلُك هَلْ سَمِعْتَهُ يَذكُرُ في ذلِكَ شَيئاً؟ قَالَ: نَعَمْ، كَانَ يَأْمُرُنا إِذَا كُنَّا سَفراً ـ أَوْ مُسَافِرينَ ـ أنْ لا نَنْزِعَ خِفَافَنَا ثَلاثَةَ أَيَّام وَلَيالِيهنَّ إلَّا مِنْ جَنَابَةٍ، لكنْ مِنْ غَائطٍ وَبَولٍ ونَوْم. فقُلْتُ: هَلْ سَمِعْتَهُ يَذْكرُ في الهَوَى شَيْئاً؟ قَالَ: نَعَمْ، كُنّا مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ في سَفَرٍ، فبَيْنَا نَحْنُ عِندَهُ إِذْ نَادَاه أَعرابيٌّ بصَوْتٍ لَهُ جَهْوَرِيٍّ: يَا مُحَمَّدُ، فأجابهُ رسولُ الله ﷺ نَحْواً مِنْ صَوْتِه: «هَاؤُمْ» فقُلْتُ لَهُ: وَيْحَكَ! اغْضُضْ مِنْ صَوتِكَ فَإنَّكَ عِنْدَ النَّبي ﷺ، وَقَدْ نُهِيتَ عَنْ هذَا! فقالَ: والله لَا أَغْضُضُ. قَالَ الأعرَابيُّ: المَرْءُ يُحبُّ القَوْمَ وَلَمَّا يلْحَقْ بِهِمْ؟ قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يومَ القِيَامَةِ». فَمَا زَالَ يُحَدِّثُنا حَتَّى ذَكَرَ بَاباً مِنَ المَغْرِبِ مَسيرَةُ عَرْضِهِ أَوْ يَسِيرُ الرَّاكِبُ في عَرْضِهِ أَرْبَعينَ أَوْ سَبعينَ عاماً قَالَ سُفْيانُ أَحدُ الرُّواةِ: «قِبَلَ الشَّام خَلَقَهُ الله تَعَالَى يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاواتِ والأَرْضَ مَفْتوحاً للتَّوْبَةِ لا يُغْلَقُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ» رواه الترمذي[1]. وغيره وقال: حديث حسن صحيح.

٢٠ ـ **وعن** أبي سَعيد سَعْدِ بن مالِك بن سِنَانٍ الخدريِّ ﷺ: أنَّ نَبِيَّ الله ﷺ، قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكمْ رَجُلٌ قَتَل تِسْعَةً وتِسْعينَ نَفْساً، فَسَأَلَ عَنْ أعْلَم أَهْلِ الأرضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ. فقال: إنَّهُ قَتَل تِسعَةً وتِسْعِينَ نَفْساً فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوبَةٍ؟ فقالَ: لا، فَقَتَلهُ فَكَمَّلَ بهِ مئَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار، وما ذُكر من رحمة الله لعباده برقم (٣٥٣٥)، وأحمد ٤/ ٢٣٩.

أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ. فقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فقالَ: نَعَمْ، ومَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلى أرضِ كَذَا وكَذَا فإِنَّ بِهَا أُناساً يَعْبُدُونَ الله تَعَالَى فاعْبُدِ الله مَعَهُمْ، ولَا تَرْجِعْ إِلى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أرضُ سُوءٍ، فانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ المَوْتُ، فاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ ومَلائِكَةُ العَذَابِ. فَقَالتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِباً، مُقْبِلاً بِقَلبِهِ إِلى اللهِ تَعَالَى، وقالتْ مَلائِكَةُ العَذَابِ: إِنَّهُ لمْ يَعْمَلْ خَيراً قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ في صورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ؛ أيْ: حَكَماً فقالَ: قِيسُوا ما بينَ الأرضَينِ فَإِلَى أيّتهما كَانَ أدنَى فَهُوَ لَهُ. فَقَاسُوا فَوَجَدُوهُ أدْنى إِلى الأَرْضِ التي أَرادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحمةِ» متفقٌ عليه[1].

📖 وفي رواية في الصحيح: «فَكَانَ إِلى القَريَةِ الصَّالِحَةِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَجُعِلَ مِنْ أهلِهَا».

📖 وفي رواية في الصحيح: «فَأَوحَى الله تَعالَى إِلى هذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وإِلَى هذِهِ أَنْ تَقرَّبِي، وقَالَ: قِيسُوا مَا بيْنَهما، فَوَجَدُوهُ إِلى هذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَغُفِرَ لَهُ». وفي رواية: «فَنَأى بصَدْرِهِ نَحْوَهَا».

الشَّرْح

هذان الحديثان الصحيحان عن رسول الله عليه الصلاة والسلام فيهما فوائد للمؤمن.

الأول: حديث صفوان بن عسال المُرادي رضي الله عنه؛ أنه سأله زر بن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب منه برقم (٣٤٧٠)، ومسلم في كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثُرَ قتله برقم (٢٧٦٦).

حبيش عن مسائل فقال له صفوان: ما الذي جاء بك؟ قال: طلب العلم، قال: إني سمعت النبي ﷺ يقول: «**إنَّ المَلائكَةَ تَضَعُ أجْنِحَتَهَا لطَالبِ العِلْمِ رِضىً بِمَا يطْلُبُ**»، وهذا يدل على فضل طلب العلم وأن الملائكة تُسرُ بذلك وتضع أجنحتها رضاً بعمله وتقديراً لعمله، وفي اللفظ الآخر يقول ﷺ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ**»[(١)].

هذا يدل على فضل العلم وأن سلوك الطريق إلى طلب العلم من أسباب دخول الجنة؛ يعني: العلم الشرعي، قال الله قال رسوله. من العلم الذي بعث الله به رسوله من الهدى عليه الصلاة والسلام، فإذا جاء إلى طلب العلم من مكان بعيد أو قريب فقد سار في طريق الجنة وفي سبيل الجنة ولو ارتحل مسافات طويلة، فكان من مضى من السلف الصالح يرتحلون من بلدان بعيدة إلى بلدان بعيدة وربما سافر أحدهم على قدميه ليس عنده راحلة، من المسافات الطويلة من المغرب إلى المشرق ومن المغرب للحجاز يطلبون العلم، فلهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لَهُ به طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ**»، وهكذا كتب العلم ودراسته والمذاكرة فيه من طرق التحصيل ومن طرق الجنة أيضاً ويقول ﷺ في الحديث الصحيح: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[(٢)].

ومن علامات الخير أن يفقه العبد في دين الله وإذا جاء الإنسان من بيته لسماع هذا العلم مثلاً في هذا المسجد، أو لسماعه في مسجد آخر،

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب العلم، باب فضل طلب العلم برقم (٢٦٤٦)، وقال: هذا حديث حسن.

(٢) يأتي تخريجه برقم (١٣٧٦) ج٤.

أو لندوة علمية، أو محاضرة علمية في أي مسجد، أو في أي مكان فهو على هذا الخير العظيم، فقد سلك طريقاً من طرق العلم راكباً أو ماشياً.

ثم قال زر لصفوان: إنه قد حك في صدري شيء من جهة المسح على الخفين إذا كنت قد أتيت الغائط والبول؛ يعني: هل يجوز أو ما يجوز؟ فقال له صفوان: نعم قد كنا مع الرسول عليه الصلاة والسلام في سفر فأمرنا أن نمسح على خفافنا إذا كان الحدث من غائط أو بول أو نوم وأن لا ننزعها إلا من الجنابة، بيَّن ﷺ أن الخفين يمسح عليهما ولو كان الحدث غائطاً أو بولاً؛ كالنوم والريح ونحو ذلك فيتمضمض ويستنشق إذا كان ريحاً، ويستنجي إن كان غائطاً وبولاً، يستنجي ثم يكمل الوضوء ويمسح على الخفين، كما مسح النبي عليه الصلاة والسلام ثلاثة أيام للمسافر ويوم وليلة للمقيم، وهذا للرجال والنساء، للجميع.

ثم قال زر: يا صفوان أنت صاحب رسول الله عليه الصلاة والسلام هل سمعته يذكر في الهوى شيئاً؟ الهوى؛ يعني: الحب. في الحب في الله والبغض في الله، قال صفوان: نعم سمعته عليه الصلاة والسلام يقول لما سأله أعرابي فقال: يا رسول الله المرء يحب القوم ولما يلحق بهم؟ قال: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»: قال له رجل: يا فلان اغضض من صوتك فقال الأعرابي: لا. وكأن مراده من ذلك أن يسمعه الناس؛ أي: يسمعوا سؤاله، وإلا فالناس مأمورون بغض الصوت عند رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات ٣].

الإنسان يرفع صوته لكن دون صوت النبي ﷺ فيتحرى الرقة في صوته وغضه بقدر ما يسمع الرسول عليه الصلاة والسلام، ومن طبيعة

الأعراب الجهر بالكلام ولو كانوا عند الكبار العظماء، من طبيعتهم رفع الصوت ولهذا قال الرجل: لا أغضض من صوتي، وذلك والله أعلم؛ لأن هذا عادتهم في الغالب أو لأنه أراد أن يسمع الناس سؤاله (المرء يحب القوم ولما يلحق بهم)؛ يعني: ما عَمِلَ أعمالهم فقال النبي ﷺ: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»؛ يعني: المرء يوم القيامة يحشر مع أحبابه، فمن أحب الرسل وأتباعهم حشر معهم يوم القيامة، ومن أحب الكفر وأصحاب النفاق حشر معهم يوم القيامة، ومن أحب العُصاة حُشر معهم يوم القيامة، «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**» مع المتقين أو مع الكافرين.

ثم ذكر النبي ﷺ باباً من جهة المغرب في السماء فتحه الله للتوبة ولا يغلق إلا في آخر الزمان، مسافته أربعون عاماً أو قال: سبعون عاماً، باب عظيم من جهة المغرب تطلع منه الشمس في آخر الزمان تطلع من مغربها فإذا طلعت من مغربها لم تقبل التوبة بعد ذلك، كما قال جلَّ وعــلا: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

والمراد ببعض آيات ربك: طلوع الشمس من مغربها في آخر الزمان ينتظر الناس طلوعها من المشرق فتطلع من المغرب وحينئذ يختم على الأعمال. فلا يقبل من كافر إسلام ولا من عاصٍ توبة، انتهى الأمر، قد يكون على عمل وهذا الشاهد يدل على أن التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها فينبغي للمؤمن أن يبادر بالتوبة وأن يسارع إليها ما دام في استطاعته ذلك.

وفي **الحديث الثاني**: قصة رجل فيمَن قبلنا قتل تسعة وتسعين نفساً بغير حق ظلماً، فجاء يسأل هل له من توبة؟ فسأل إنساناً ليس بعالم من الرهبان، من العباد، فاستعظم الأمر وقال له: ما لك توبة فقتله وكمل به المئة، ثم ذهب يسأل عن العلماء فوجد عالماً فسأله: هل لي من توبة فقد قتلت مئة نفس؟ فقال له: من يحول بينك وبين التوبة فتاب إلى الله،

وقال له الرجل العالم: اذهب إلى قرية كذا فإن فيها رجالاً صالحين تعبد الله معهم ولا ترجع إلى قريتك فإنها قرية سوء، فأرشده إلى أن يهاجر إلى قرية صالحة، بلد صالحة حتى يتعبد فيها بعد هذا العمل السيئ، بعد هذا الظلم فلما صار في نصف الطريق نزل به الأجل ونزل به الموت وهو ذاهب إلى القرية تائباً نادماً على ما فعل، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، ملائكة الرحمة تقول: إنه جاء تائباً فنحن أولى به، وملائكة العذاب تقول: إنه فعل وفعل فنحن أولى به، فأرسل الله إليهم ملكاً حكماً في صورة إنسان فحكَّموه بينهم، فقال: قيسوا ما بين البلدين فإلى أيهما كان أقرب فهو من أهلها، فقاسوا ما بينهما فصار إلى القرية الصالحة أقرب فقبضته ملائكة الرحمة فقبل الله توبته وغفر له.

وفي لفظ آخر: أنها ما كانت بينه وبين القرية الأخرى إلا قدر شبر، وفي اللفظ الآخر فنأى بصدره إلى جهة القرية الصالحة عند الموت لحرصه على التقرب منها، وفي اللفظ الآخر أن الله أوحى إلى هذه أن تباعدي وإلى هذه أن تقربي، فالمقصود أن التوبة لها شأن عظيم حتى من القتل فمن تاب توبة صادقة نادماً مقلعاً حزيناً على ما فعل عازماً ألا يعود تاب الله عليه من جميع ذنوبه وأرضى عنه خصومه.

والخصوم سوف يرضيهم عنه ﷻ على أن يؤدي الحقوق التي عليه حسب طاقته وإذا عجز وتاب توبة صادقة فالله ﷻ يؤدي عنه، هذا الرجل تاب توبة صادقة نادماً فقبضته ملائكة الرحمة وهكذا غيره، والرسول ﷺ قصَّ هذه القصة لنفهمها ونعقلها لنعلم عظم شأن التوبة وأن الواجب على كل إنسان أن يتوب إلى الله ولو من القتل، لكن إذا كان صاحب القتل موجوداً لا بد من أن يعطيه حقه، يقدم للورثة أن يقتصوا منه أو يرضوا بالدية، فهذا الرجل لم يكشف لنا حال ورثة المقتولين ولكن بيَّن النبي ﷺ أنه تاب توبة صادقة، فالتوبة الصادقة

يقبلها الله من العبد والخصوم يرضيهم الله جلَّ وعلا - الورثة والقتلى - ويتكفل بهم سبحانه ويرضيهم عنه إذا كان صادق التوبة قد أدى ما عليه وبذل وسعه في أداء الحقوق.

وفي هذا الحذر من الفتوى بغير علم وأن الفتوى بغير علم عاقبتها وخيمة، هذا الذي أفتى بغير علم كانت فتواه بغير علم سبباً في قتله فإنه قتله وكمل به المائة لما استعظم واستنكر فتواه بأنه لا توبة له وهو غلط منه؛ لأن كل الذنوب لها توبة.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❊ ❊ ❊

٢١ - **وعن** عبدِ الله بن كعبِ بنَ مالِكٍ، وكان قائِدَ كعبٍ ﷺ مِنْ بَنِيهِ حِينَ عمِيَ، قَالَ: سَمِعتُ كَعْبَ بنَ مالِكٍ ﷺ يُحَدِّثُ بحَدِيثِهِ حينَ تَخلَّفَ عن رسولِ اللهِ ﷺ في غَزْوَةِ تَبُوكَ. قَالَ كعبٌ: لَمْ أتَخلَّفْ عَنْ رسولِ الله ﷺ في غَزْوَةٍ غزاها قط إلا في غزوة تَبُوكَ، غَيْرَ أنّي قَدْ تَخَلَّفْتُ في غَزْوَةِ بَدْرٍ، ولَمْ يُعَاتَبْ أحَدٌ تَخَلَّفَ عَنْهُ؛ إنَّمَا خَرَجَ رسولُ الله ﷺ والمُسْلِمُونَ يُريدُونَ عِيرَ قُرَيْشٍ حَتَّى جَمَعَ الله تَعَالَى بَيْنَهُمْ وبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْر ميعادٍ. ولَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رسولِ الله ﷺ لَيلَةَ العَقَبَةِ حينَ تَوَاثَقْنا عَلَى الإسْلامِ، وما أُحِبُّ أنَّ لي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وإنْ كَانَتْ بدرٌ أذْكَرَ في النَّاسِ مِنْهَا.

وكانَ مِنْ خَبَري حينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ في غَزْوَةِ تَبُوكَ أنّي لم أكُنْ قَطُّ أقْوى ولا أيْسرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عنهُ في تِلكَ الغَزْوَةِ، وَالله ما جَمَعْتُ قَبْلَهَا رَاحِلَتَيْنِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا في تِلْكَ الغَزْوَةِ وَلَمْ يَكُنْ رسولُ الله ﷺ يُريدُ غَزْوَةً إلَّا وَرَّى بِغَيرِها حَتَّى كَانَتْ تلْكَ الغَزْوَةُ، فَغَزَاها

رسولُ الله ﷺ في حَرٍّ شَديدٍ، واسْتَقْبَلَ سَفَراً بَعِيداً وَمَفازاً، وَاستَقْبَلَ عَدَداً كَثِيراً، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمينَ أَمْرَهُمْ ليتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ فأَخْبرَهُمْ بوَجْهِهِمُ الَّذِي يُريدُ، والمُسلِمونَ مَعَ رسولِ الله كثيرٌ وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ ـ يُريدُ بذلِك الدّيوَانَ ـ.

قَالَ كَعْبٌ: فَقَلَّ رَجُلٌ يُريدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنَّ ذلِك سيخْفَى بِهِ ما لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيٌ مِنَ الله، وَغَزا رَسُول الله ﷺ تِلْكَ الغَزوَةَ حِينَ طَابَت الثِّمَارُ وَالظِّلالُ، فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعَرُ، فَتَجَهَّزَ رسولُ الله ﷺ وَالمُسْلِمُونَ مَعَهُ وطَفِقْتُ أَغْدُو لكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُ، فأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئاً، وأَقُولُ في نفسي: أَنَا قَادرٌ عَلَى ذلِكَ إِذَا أَرَدْتُ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمادى بي حَتَّى اسْتَمَرَّ بالنَّاسِ الجِدُّ، فأَصْبَحَ رسولُ الله ﷺ غَادياً والمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جِهَازِي شَيْئاً، ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيئاً، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بي حَتَّى أَسْرَعُوا وتَفَارَطَ الغَزْوُ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، فَيَا لَيْتَني فَعَلْتُ، ثُمَّ لم يُقَدَّرْ ذلِكَ لي.

فَطَفِقْتُ إِذَا خَرَجْتُ في النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَحْزُنُني أَنِّي لا أَرَى لي أُسْوَةً، إِلّا رَجُلاً مَغْمُوصاً عَلَيْهِ في النِّفَاقِ، أَوْ رَجُلاً مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ تَعَالَى مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ في القَوْمِ بِتَبُوكَ: ما فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يا رَسُولَ اللهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ والنَّظَرُ في عِطْفَيْهِ. فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه: بِئْسَ مَا قُلْتَ! واللهِ يا رَسُولَ اللهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْراً، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

فَبَيْنَا هُوَ عَلى ذَلِكَ رَأى رَجُلاً مُبْيِضاً يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ»، فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الأَنْصَارِيُّ وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِيْنَ لَمَزَهُ المُنَافِقُونَ.

قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلاً مِنْ تَبُوكَ حَضَرَنِي بَثِّي، فَطَفِقْتُ أتَذَكَّرُ الكَذِبَ وأقُولُ: بِمَ أخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غداً؟ وأسْتَعِينُ على ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رأْيٍ مِنْ أهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ: إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أظَلَّ قَادِماً، زَاحَ عَنِّي البَاطِلُ حَتَّى عَرَفْتُ أنِّي لَنْ أنْجُوَ مِنْهُ بِشَيءٍ أبَداً، فَأجْمَعْتُ صِدْقَهُ وأصْبَحَ رَسُولُ الله ﷺ قَادِماً، وَكَانَ إذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذلِكَ جَاءَهُ المُخَلَّفُونَ يَعْتَذِرونَ إلَيْه ويَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعاً وَثَمانينَ رَجُلاً، فَقَبِلَ مِنْهُمْ عَلانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ واسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إلى الله تَعَالَى.

حَتَّى جِئْتُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المُغْضَبِ. ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَ»، فَجِئْتُ أمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فقالَ لي: «مَا خَلَّفَكَ؟ ألَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله، إنِّي والله لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أهْلِ الدُّنْيَا لَرَأيتُ أنِّي سَأخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ؛ لقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلاً، ولَكِنِّي والله لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ اليوم حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى به عنِّي لَيُوشِكَنَّ الله أن يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وإنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إنِّي لأرْجُو فِيهِ عُقْبَى الله ﷻ، والله ما كَانَ لي مِنْ عُذْرٍ، واللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أقْوَى وَلَا أيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ. قَالَ: فقالَ رسولُ الله ﷺ: «أمَّا هَذَا فقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فيكَ».

وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فاتَّبَعُوني فَقالُوا لِي: واللهِ مَا عَلِمْنَاكَ أذْنَبْتَ ذَنْباً قَبْلَ هذا، لَقَدْ عَجَزْتَ في أنْ لا تَكونَ اعتَذَرْتَ إلَى رَسُول الله ﷺ بما اعْتَذَرَ به المُخَلَّفُونَ، فَقَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُول الله ﷺ لَكَ. قَالَ: فَوالله ما زَالُوا يُؤَنِّبُونَنِي حَتَّى أرَدْتُ أنْ أرْجِعَ إلَى رسولِ الله ﷺ فأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هذا مَعِيَ مِنْ أحَدٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ، لَقِيَهُ مَعَكَ رَجُلانِ، قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ، وَقيلَ لَهُمَا مِثْلَ مَا قيلَ لَكَ، قَالَ:

قُلْتُ: مَنْ هُما؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبيع العَمْرِيُّ، وهِلَالُ بنُ أُمَيَّةَ الوَاقِفِيُّ قَالَ: فَذَكَرُوا لِي رَجُلَينِ صَالِحَينِ قَدْ شَهِدَا بَدْراً فيهِما أُسْوَةٌ، قَالَ: فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُما لِي.

ونَهَى رَسُول الله ﷺ عَنْ كَلامِنا أيُّهَا الثَّلاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فاجْتَنَبَنَا النَّاسُ أوْ قَالَ: تَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ لي في نَفْسي الأَرْض، فَمَا هِيَ بالأرْضِ الَّتي أعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً. فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانا وقَعَدَا في بُيُوتِهِمَا يَبْكيَان. وأَمَّا أنَا فَكُنْتُ أشَبَّ القَوم وأجْلَدَهُمْ فَكُنْتُ أخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ المُسْلِمِينَ، وأطُوفُ في الأَسْوَاقِ وَلا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رسولَ الله ﷺ فأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ في مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاةِ، أَقُولُ في نَفسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْه برَدِّ السَّلام أَمْ لا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيباً مِنْهُ وَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإذَا أقْبَلْتُ عَلَى صَلاتِي نَظَرَ إلَيَّ وَإِذَا التَفَتُّ نَحْوَهُ أعْرَضَ عَنِّي.

حَتَّى إذَا طَال ذلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ المُسْلِمينَ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدارَ حائِط أبي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وأَحَبُّ النَّاس إلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيهِ فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَليَّ السَّلامَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أنْشُدُكَ بالله هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ ﷺ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ، فَقَالَ: اللهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ.

فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الجِدَارَ، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي في سُوقِ المَدِينة إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ نَبطِ أَهْلِ الشَّام مِمَّنْ قَدِمَ بالطَّعَامِ يَبيعُهُ بِالمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إلَيَّ حَتَّى جَاءنِي فَدَفَعَ إلَيَّ كِتَاباً مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، وَكُنْتُ كَاتباً. فَقَرَأْتُهُ فإذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فإنَّهُ قَدْ بَلَغَنا أنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بدَارِ هَوانٍ وَلا

مَضْيَعَةٍ، فَالحَقْ بنَا نُوَاسِكَ، فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتُهَا: وَهَذِهِ أَيضاً مِنَ البَلاءِ، فَتَيَمَّمْتُ بهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهَا.

حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الخَمْسِينَ وَاسْتَلْبَثَ الوَحْيُ إِذَا رسولُ رسولِ الله ﷺ يَأْتِيني، فَقالَ: إنَّ رسولَ الله ﷺ يَأمُرُكَ أنْ تَعْتَزِلَ امْرَأتَكَ، فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا أمْ مَاذَا أفْعَلُ؟ فَقالَ: لَا، بَلِ اعْتَزِلْهَا فَلَا تَقْرَبَنَّهَا، وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ بِمِثْلِ ذلِكَ. فَقُلْتُ لامْرَأتِي: الحَقِي بِأهْلِكِ فَكُوني عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ في هَذَا الأَمْرِ. فَجَاءتِ امْرَأةُ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رسولَ الله ﷺ فَقَالَتْ لَهُ: يَا رَسُولَ الله، إنَّ هِلَالَ بْنَ أمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أنْ أخْدُمَهُ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ لَا يَقْرَبَنَّكِ» فَقَالَتْ: إنَّهُ واللهِ ما بِهِ مِنْ حَرَكَةٍ إِلَى شَيْءٍ، وَوَالله مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَومِهِ هَذَا. فَقَالَ لي بَعْضُ أهْلِي: لَو اسْتَأْذَنْتَ رسولَ الله ﷺ في امْرَأَتِكَ فَقَدْ أَذِن لِامْرَأةِ هلَال بْنِ أمَيَّةَ أنْ تَخْدُمَهُ؟ فَقُلْتُ: لَا أسْتَأذِنُ فيها رسولَ الله ﷺ، وَمَا يُدْرِيني مَاذَا يقُول رسولُ الله ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌ!

فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ، فَكَمُلَ لَنا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نُهِيَ عَنْ كَلَامِنا، ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الحالِ الَّتي ذَكَرَ الله تَعالَى مِنَّا، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أوفَى عَلَى سَلْعٍ يَقُولُ بِأعْلَى صَوتِهِ: يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ، فَخَرَرْتُ سَاجِداً، وَعَرَفْتُ أنَّهُ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ. فآذَنَ رسولُ الله ﷺ النَّاسَ بِتَوْبَةِ الله ﷻ عَلَيْنا حِينَ صَلَّى صَلاةَ الفَجْر فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، فَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرونَ وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَساً وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ قِبَلِي، وَأَوْفَى عَلَى

الجَبَلِ، فَكانَ الصَّوْتُ أسْرَعَ مِنَ الفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءني الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُني نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبشارته، وَاللهِ مَا أمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهما، وَانْطَلَقْتُ أتَأمَّمُ رسولَ الله ﷺ يَتَلَقَّاني النَّاسُ فَوْجاً فَوْجاً يُهَنِّئونَني بالتَّوْبَةِ وَيَقُولُونَ لِي: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ الله عَلَيْكَ.

حَتَّى دَخَلْتُ المَسْجِدَ فَإِذَا رسولُ الله ﷺ جَالِسٌ حَوْلَه النَّاسُ، فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ رضي الله عنه يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَني وَهَنَّأَنِي، والله مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرينَ غَيرُهُ فَكَانَ كَعْبٌ لَا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ.

قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ قَالَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُور: «أبْشِرْ بِخَيْرِ يوم مَرَّ عَلَيْكَ مُذْ وَلَدَتْك أُمُّك» فَقُلْتُ: أمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُول الله أَمْ مِنْ عِنْدِ الله؟ قَالَ: «لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ الله عز وجل»، وَكَانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ وَكُنَّا نَعْرِفُ ذلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رسولَ الله، إنَّ مِنْ تَوْبَتِي أنْ أنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ. فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «أمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». فقلتُ: إِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيبَر. وَقُلْتُ: يَا رسولَ الله، إنَّ الله تَعَالَى إِنَّمَا أنْجَانِي بالصِّدْقِ، وإنَّ مِنْ تَوْبَتِي أنْ لا أُحَدِّثَ إلَّا صِدْقاً مَا بَقِيتُ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ أَحَداً مِنَ المُسْلِمينَ أبْلاهُ الله تَعَالَى في صِدْقِ الحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذلِكَ لِرسولِ الله ﷺ أحْسَنَ مِمَّا أبْلانِي الله تَعَالَى، واللهِ مَا تَعَمَّدْتُ كِذْبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذلِكَ لِرسولِ الله ﷺ إِلَى يَومِيَ هَذَا، وإنِّي لأرْجُو أنْ يَحْفَظَنِي الله تَعَالَى فيما بَقِيَ.

قَالَ: فأنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ

إذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٧ ـ ١١٩].

قَالَ كَعْبٌ: واللهِ ما أَنْعَمَ الله عَليَّ مِنْ نعمةٍ قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدَاني اللهُ لِلإسْلامِ أَعْظَمَ في نَفْسِي مِنْ صِدقِي رسولَ الله ﷺ أنْ لا أكونَ كَذَبْتُهُ، فَأَهْلِك كما هَلَكَ الَّذينَ كَذَبُوا؛ إنَّ الله تَعَالَى قَالَ للَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لأَحَدٍ، فقال الله تَعَالَى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥ ـ ٩٦].

قَالَ كَعْبٌ: كُنّا خُلِّفْنَا أَيُّهَا الثَّلاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولئك الذينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رسولُ الله ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وأرجأَ رسولُ الله ﷺ أمْرَنَا حَتَّى قَضَى الله تَعَالَى فِيهِ بذلِكَ. قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ مِمَّا خُلِّفْنَا تَخلُّفُنَا عن الغَزْو، وإنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إيّانا وإرْجَاؤُهُ أمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ واعْتَذَرَ إِلَيْهِ فقبِلَ مِنْهُ. متفقٌ عليه[١].

📖 وفي رواية: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ خَرَجَ في غَزْوَةِ تَبُوكَ يَومَ الخَميسِ وكانَ يُحِبُّ أنْ يخْرُجَ يومَ الخمِيس.

📖 وفي رواية: وكانَ لَا يقْدمُ مِنْ سَفَرٍ إلَّا نَهاراً في الضُّحَى، فإذَا قَدِمَ بَدَأَ بالمَسْجِدِ فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ فِيهِ.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك برقم (٤٤١٨)، ومسلم في كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه برقم (٢٧٦٩).

ﷺ الشَّرْح ﷺ

هذه القصة ـ قصة كعب بن مالك وصاحبيه من الأنصار ﷺ ـ قصة عظيمة فيها عظة وذكرى والمقصود منها هنا بيان التوبة وشأن التوبة وأن شأنها عظيم، وكانت قصة الثلاثة أنهم تخلفوا عن رسول الله عليه الصلاة والسلام في غزوة تبوك، وكانت غزوة عظيمة ندب إليها النبي عليه الصلاة والسلام المسلمين وشجعهم على الخروج لقتال الروم في الشام، قتال النصارى فتجهز معه المسلمون وقدم إلى المدينة بشر كثير وتجهزوا معه عليه الصلاة والسلام للجهاد وكان هذا في سنة تسع من الهجرة في الصيف، عندما طابت الثمار وطاب الظلال فخرج الناس معه عليه الصلاة والسلام، وكان إذا أراد غزوة ورَّى بغيرها.

هذه عادته حتى لا ينتبه العدو، وحتى لا يبلغ العدو ذلك، إلا تبوك، فإنه وضح أمرها للناس؛ لأنها غزوة عظيمة وفي جهة بعيدة جهة الشام، وبين الشام وبين المدينة فيافي وقفار ورمال وطريق طويلة، فلهذا بيَّنها للناس عليه الصلاة والسلام للناس وجلَّاها لهم؛ ليستعدوا ويأخذوا أُهبتهم للغزو، فتوجه عليه الصلاة والسلام من المدينة وقت الصيف والحر عندما طابت الثمار واشتد الحر، وكانوا في نحو ثلاثين ألف مقاتل، فوصل عليه الصلاة والسلام إلى تبوك وأقام بها أياماً ينتظر أمر الله في توجهه للشام لقتال الروم أو انتظاره إياه حتى يتوجهوا إليه أو إذن الله له بالقفول والعودة.

وكان كعب يريد أن يسافر مع النبي ﷺ ولكنه تباطأ به الأمر، كل ساعة يقول: سوف أخرج سوف أخرج وأنا قادر، عنده راحلته ولكن لم يزل به التسويف حتى توارى الجيش وتقدم الجيش وبَعُدَ أمر الجيش، وتخلف معه اثنان أيضاً من الأنصار هلال بن أُمية الواقفي ومُرَارَةُ بن

الربيع العمْرِيُّ، تأخروا عن النبي عليه الصلاة والسلام وأصابهما مثل ما أصاب كعباً فلم يقدَّر لهما السفر.

وكان الرسول أمر الناس أن ينفروا فنفر الناس؛ لأنها غزوة عظيمة والعدو كثير والواجب على من استنفر أن ينفر؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا**»(١)، والله سبحانه يقول: ﴿**إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾ [التوبة: ٣٩]. فالملك وأمير المؤمنين إذا استنفر الجيش لعدو وجب النفير ولم يجز التخلف، فقدر الله أن كعباً وصاحبيه تخلفوا من دون عذر، ولم يذكر النبي ﷺ إلا في تبوك بين أصحابه وقال: «**ما فعل كعب بن مالك؟**» فقال بعض الناس: حبسه بُرْدَاهُ والنَّظَرُ في عِطْفَيْهِ، فأتى بغيبة فأنكر معاذ ذلك وقال: بئس ما قلت! والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت النبي ﷺ وفي هذا أن من قال كلمة لا تناسب لأخيه، ينبغي الرد عليه لمن علم بطلانها وعدم صحتها؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(٢).

فسكت النبي ﷺ، ثم أذن الله له بالقفول بعد أن مكث هناك عشرين يوماً، فرجع ولم يقدر بينه وبين العدو قتال، فلما سمع كعب بقفوله عليه الصلاة والسلام اشتد به الأمر، وماذا يخرج من سخط رسول الله عليه الصلاة والسلام وماذا يقول؟ ثم إن الله جلَّ وعلا وفقه

---

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب جزاء الصيد، باب لا يحل القتال بمكة، برقم (١٨٣٤)، ومسلم في كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولُقَطتها على الدوام، برقم (١٣٥٣).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه في كتاب الأشربة، باب ما جاء في الذب عن عرض المسلم، برقم (١٩٣١)، وأحمد ٦/ ٤٤٩.

حتى أجمع الصدق وعزم على الصدق وأن يخبره بالحقيقة، وكان إذا قدم من سفر أو من غزاة بدأ بالمسجد عليه الصلاة والسلام فصلى فيه ركعتين ثم جلس للناس يسلمون عليه، عليه الصلاة والسلام فلما قدم عليه الصلاة والسلام وجاءه الناس جاء كعب مع الناس وصاحباه كذلك فانصرف لما سلم عليه تبسم تَبَسُّمَ المغضب وكان ﷺ قد نهى عن كلامه وأمر بهجرهم مدة غيبته بعد ما قدم من تبوك عليه الصلاة والسلام، أمر بهجرهم حتى لا يكلمهم أحد فسلم عليه ﷺ ورد عليه وتبسم تَبَسُّمَ المغضب وسأله عما حبسه، فأخبره أنه ليس له عذر وأنه يستطيع أن يكذب لو كان عند غيره عليه الصلاة والسلام، يستطيع أن يعتذر بعذر يخلصه ولكنه أجمع صدقه وأخبره بالصدق رضي الله عنه وأرضاه.

فقال النبي ﷺ: «**أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ**»، وهكذا صاحباه قال عليه الصلاة والسلام لهما مثل ذلك، وأمر بهجر الثلاثة وألا يكلموا حتى يقضي الله ﷻ في شأنهم، فدل ذلك على أن من تخلَّف عن الغزو بغير عذر يستحق أن يهجر حتى لا يقع من الناس مثل ذلك، وحتى يتأدب الناس في مثل هذه الأمور.

قال العلماء: وهكذا من أظهر المعاصي وجهر بها يستحق أن يهجر حتى يتأدب الناس وحتى يرتدعوا عن المعاصي وإظهارها، فمكث هؤلاءِ الثلاثة أربعين ليلة مهجورين، أما بقية الناس الذين تخلفوا وجاؤوا واعتذروا بأعذار أظهروها صدَّقهم فيها ووكل سرائرهم إلى الله ﷻ، وكانوا يتهمون بالنفاق، أما هؤلاء الثلاثة فأخبروا بالحقيقة وأنه لا عذر لهم؛ فلهذا هجروا أربعين ليلة ثم أُمروا بعد الأربعين باعتزال نسائهم، كل واحد لا يجامع امرأته، تبقى عنده؛ لكن لا يجامعها حتى كمل لهم خمسون ليلة.

فلما تمت الخمسون ليلة أنزل الله جلَّ وعلا توبته عليهم وأنزل في

حقهم قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٨ ـ ١١٩]، فأنزل الله توبته عليهم لصدقهم وإخلاصهم وإيمانهم، وأما أُولئك المنافقون الذين اعتذروا بغير حق فأنزل فيهم قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْۖ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦].

المقصود: أن الله جلَّ وعلا تاب على هؤلاء الثلاثة وعفا عنهم ﷺ وأذن للنبي ﷺ في كلامهم، فدل ذلك على أن التوبة واجبة من كل ذنب، وأن الصدق عاقبته حميدة، ولو جرى منه وبسببه ما جرى مما يشق على النفوس، لكن عاقبة الصدق حميدة وعاقبة الصدق النجاة: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [المائدة: ١١٩]، والصدق عاقبة أهله حميدة، عاقبتهم النجاة والعافية، أما الكذب والنفاق فعاقبتهما النار، نسأل الله العافية، وفي هذا دلالة على أنه ينبغي للمؤمن الصبر إذا ابتُلي، عليه أن يصبر ويحتسب حتى يجعل الله فرجاً ومخرجاً سواء كانت البلية مرضاً أو هجراً أو غير ذلك حتى يزيل الله ذلك فيما يشاء ﷻ، فإن كانت المصيبة هجراً فالواجب التوبة والبدار بها والإصلاح والاستقامة، وإذا تاب وأصلح سامحه المسلمون وتركوا هجره كما فعل النبي ﷺ بأمر الله ﷻ في حق الثلاثة.

وفي هذا من الفوائد أن الواجب على المؤمن أينما كان أن يبتعد عن المعاصي وإظهارها، وأن يتقي الله أينما كان، وأن يعبد الله بالصدق والاستقامة أينما كان، فإن هذا واجب المؤمنين: تقوى الله والاستقامة على طاعته والحذر من معصيته، سواءٌ شهد الناس ذلك أو لم يشهدوا ذلك، فإن الواجب عليه أن يتقي الله أينما كان في السر والعلن وأن يدع معصيته وأن يحافظ على ما أوجب وإن لم يره الناس، فحق الله ﷻ أكبر وأعظم.

والواجب على ولاة الأمور أن يؤدبوا من يستحق التأديب بالهجر أو بغيره فهذه القصة فيها تأديبهم بالهجر، هجرهم النبي والمسلمون حتى تاب الله عليهم، ولا مانع أن يعاقب العاصي بغير الهجر من ضرب أو سجن أو غير ذلك، إذا كانت المعصية ليس فيها حد محدود شرعاً؛ كالزنى والقذف والسرقة، هذه فيها حدود، أما المعاصي التي ليست فيها حدود وهي معصية محرمة في شرع الله فلولي الأمر أن يعاقب فيها بالهجر، كما جرى للثلاثة أو يعاقب فيها بغير ذلك بسجن أو ضرب أو غيره؛ لأن الواجب على ولاة الأمور أن يردعوا الناس عن المعاصي، وأن يستعملوا ما يجعل المسلم يلتزم بأمر الله ويستقيم على طاعة الله ويقف عند حدود الله.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❊ ❊ ❊

٢٢ ـ وعَنْ أبي نُجَيد ـ بضَمِّ النُّونِ وفتحِ الجيم ـ عِمْرَانَ بنَ الحُصَيْنِ الخُزَاعِيِّ ﷺ؛ أنَّ امْرَأةً مِنْ جُهَيْنَةَ أتَتْ رسولَ الله ﷺ وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزِّنَى، فقالتْ: يَا رسولَ الله، أصَبْتُ حَدّاً فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَدَعَا نَبيُّ الله ﷺ وَليَّها، فقالَ: «أَحْسِنْ إِلَيْهَا، فإذا وَضَعَتْ فَأْتِني» فَفَعَلَ فَأَمَرَ بها نبيُّ الله ﷺ، فَشُدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُجِمَتْ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا. فقالَ لَهُ عُمَرُ: تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا رَسُول الله وَقَدْ زَنَتْ؟ قَالَ: «لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أهْلِ المَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدتَ تَوْبَةً أفضَلَ مِنْ أنْ جَادَتْ بنفْسِها لله تعالى؟!» رواه مسلم[1].

---

(١) أخرجه في كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى برقم (١٦٩٦).

٢٣ ـ **وعن** ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «لَوْ أَنَّ لابنِ آدَمَ وَادِياً مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يكُونَ لَهُ وَادِيانِ، وَلَنْ يَمْلأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ» متفقٌ عليه(١).

٢٤ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه؛ أَنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: «يَضْحَكُ اللهُ تعالى إِلَى رَجُلَيْنِ يقْتلُ أَحَدهُمَا الآخَرَ يَدْخُلانِ الجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هَذَا في سَبيلِ اللهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يتُوبُ اللهُ عَلَى القَاتلِ فَيُسْلِم فَيُسْتَشْهَدُ» متفقٌ عليه(٢).

الشَّرح(٣)

هذه الأحاديث الثلاثة تدل على عظم شأن التوبة، وأن الله جلَّ وعلا يمحو بها السيئات، كبيرها وصغيرها حتى الشرك الذي هو أعظم الذنوب، من تاب منه تاب الله عليه، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠] هذا فضله جلَّ وعلا أن من تاب صادقاً تاب الله عليه، وإذا أتبع توبته بالعمل الصالح بدل الله سيئاته حسنات.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] برقم (٦٤٣٦ و٦٤٣٧)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فَيُسَدِّدُ بعد ويقتل برقم (٢٨٢٦)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة برقم (١٨٩٠).

(٣) شرح سماحة الشيخ لكتاب رياض الصالحين في مسجده بالطائف بقراءة فضيلة الشيخ إحسان الحلواني من حديث رقم (٢٢ إلى ٣٩).

في هذا حديث عمران بن حصين في قصة المرأة التي زنت وجاءت واعترفت للنبي ﷺ وأنها زنت، وأنها حبلى، فلما وضعت حملها أمر النبي ﷺ بأن تُشد عليها ثيابها لئلا تنكشف عورتها، ثم ترجم، في الرواية الأخرى أنه قال لها: «**أرضعيه**» فلما أرضعته وفطمته أمر برجمها فرجمها، فقال عمر رضي الله عنه لما رأى النبي صلَّى عليها: (**تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا رَسُول الله وَقَدْ زَنَتْ؟ فقال النبي ﷺ: «وَهَلْ وَجَدْتَ توبة أَفضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بنفْسِها لله تعالى لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ**»)؛ يعني: توبة عظيمة، جادت بنفسها جاءت تعترف لتُقتل، مثل قصة ماعز لما تاب جاء معترفاً نادماً حتى أمر برجمه، ثم صلَّى عليه.

فهذه الأحاديث وما أشبهها كلها تدل على أن التوبة يمحو الله بها الذنوب، وإن عظمت حتى الشرك، لمن صدق في توبته، فلا بد من التوبة في كل شيء، ومن هذا قوله ﷺ: «**لَوْ أَنَّ لابنِ آدَمَ وَادِياً مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يكُونَ لَهُ وَادِيانِ، وَلَنْ يَمْلأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتْوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ**» من طبيعة بني آدم محبة المال والحرص عليه، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠] من تاب تاب الله عليه، من تاب من طمعه والحرص على الدنيا تاب الله عليه، كما أن من تاب من جميع المعاصي حتى الشرك تاب الله عليه.

فالواجب على المؤمن أن يحرص على - إن نوى التوبة، أولاً - الحذر من السيئة. يجب الحذر من السيئات، والبعد عنها وعن أسبابها، ثم متى وقعت وجب البدار بالتوبة والندم، والإقلاع والعمل الصالح، والله ﷻ يتوب على التائب سبحانه وتعالى.

كذلك حديث الرجلين: «**يَضْحَكُ اللهُ ﷻ إِلَى رَجُلَيْنِ يقْتلُ أَحَدهُمَا**

الآخَرَ يَدْخُلانِ الجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هَذَا في سَبيلِ اللهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يتُوبُ اللهُ عَلَى القَاتِلِ فَيُسْلِم فَيُسْتَشْهَدُ» هذا أيضاً مما يدل على سعة فضله وجوده، هذا يقاتل في سبيل الله فيقتل شهيداً فيدخل الجنة، ثم يُسلِمُ القاتل فيموت على الإسلام أو يقتل شهيداً فيدخل الجنة، هذا قتل هذا، وكلاهما دخل الجنة، هذا قُتل شهيداً في سبيل الله فدخل الجنة، ثم أسلم القاتل وهداه الله فمات على الإسلام أو قتل شهيداً فيدخل الجنة، هذا يدل على أن الله يمحو بالتوبة جميع الذنوب من الشرك وما دونه.

فالواجب على كل مؤمن، وعلى كل مسلم، بل على كل مكلف أن يبادر بالتوبة، إن كان كافراً فليبادر بالإسلام، والتوبة من كفره، وإن كان عاصياً فليبادر بالتوبة من معصيته، قبل أن يحل به الأجل.

نسأل الله أن يوفق الجميع لما يرضيه، ونسال الله التوفيق والهداية.





٣ ـ بَابُ الصبر

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [محمد: ٣١] والآيات في الأمر بالصبر وبيان فضله كثيرةٌ معروفةٌ.

٢٥ ـ **وعن** أبي مالِك الحارث بن عاصم الأشعريِّ ﷺ، قالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمان، والحَمدُ لله تَمْلأُ الميزَانَ، وَسُبْحَانَ الله والحَمدُ لله تَملآن أَوْ تَمْلأُ مَا بَينَ السَّماوات وَالأَرْضِ، والصَّلاةُ نُورٌ، والصَّدقةُ بُرهَانٌ، والصَّبْرُ ضِياءٌ، والقُرْآنُ حُجةٌ لَك أَوْ عَلَيْكَ. كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائعٌ نَفسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُها» رواه مسلم[١].

٢٦ ـ **وعن** أبي سَعيد سعدِ بن مالِك بن سنانٍ الخدري ﷺ، أَنَّ نَاساً مِنَ الأَنْصَارِ سَألوا رسولَ الله ﷺ فَأعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَألوهُ فَأعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِندَهُ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ أَنْفَقَ كُلَّ شَيءٍ بِيَدِهِ: «مَا يَكُنْ عِنْدي مِنْ خَير فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ،

(١) أخرجه في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء برقم (٢٢٣).

وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ. وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» متفقٌ عليه[١].

٢٧ ـ وعن أبي يحيى صهيب بن سنانٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «عَجَباً لأمْرِ المُؤمنِ إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خيرٌ وليسَ ذلِكَ لأَحَدٍ إلَّا للمُؤْمِن: إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكانَ خَيراً لَهُ، وإنْ أصَابَتْهُ ضرَاءُ صَبَرَ فَكانَ خَيْراً لَهُ» رواه مسلم[٢].

الشَّرح

هذه الآيات الكريمات والأحاديث الصحيحة كلها تتعلق بالصبر، والصبر من أفضل القربات ومن أهم الواجبات وهو ثلاثة أقسام: صبر على طاعة الله، وصبر عن معاصي الله، وصبر على المصائب المؤلمة من الأمراض وغيرها.

والواجب على المؤمن أن يقوم بهذه الأنواع كلها، أن يصبر على طاعة الله التي أوجب الله عليه حتى يؤدي من صلاة، وصوم، وزكاة، وحج، وجهاد، وغير ذلك، وهكذا يجب عليه الصبر عن محارم الله، والكف عنها والحذر منها من سائر المعاصي، يجب الصبر عن ذلك، فيكف نفسه ويجاهدها عن الإقدام على ما حرم الله، من سائر المعاصي؛ كالتساهل في الصلاة في الجماعة، والتخلف عنها، وكالبخل بالزكاة، وكعقوق الوالدين، والزنى، والسرقة، والغيبة، والنميمة، وغيرها من المعاصي، يجب الكف عن ذلك،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة برقم (١٤٦٩)، وفي كتاب الرقاق، باب الصبر عن محارم الله برقم (٦٤٧٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر برقم (١٠٥٣).

(٢) أخرجه في كتاب الزهد، باب المؤمن أمره كله خير برقم (٢٩٩٩).

ويجب الصبر عن ذلك، ويجاهد نفسه، حتى لا يقدم على معصية، وحتى لا يدع واجباً.

وهكذا عند المصائب إذا أصابه ما يكره من مرض أو موت قريب، أو غير ذلك مما يكره، عليه أن يصبر، فلا يجزع ولا يقول إلا خيراً، يقول جلَّ وعلا: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧]، ويقول النبي ﷺ: **«مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْراً مِنْهَا، إِلَّا أَجَرَهُ اللهُ فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْراً مِنْهَا»**[1].

وهكذا يقول جلَّ وعلا: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]؛ يعني: اصبروا على طاعة الله وعلى ترك محارم الله ويقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠]؛ يعني: أجراً كاملاً، ويقول جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ﴾ لنبلونكم بالسراء والضراء والشدة والرخاء ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾ [محمد: ٣١]، ويقول لنبيه ﷺ: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل: ١٢٧]، ويقول جلَّ وعلا لنبيه أيضاً: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ويقول له جلَّ وعلا: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨].

فلا بد من الصبر على طاعة الله، ولا بد من الصبر عن معاصي الله، ولا بد من الصبر على المصائب المؤلمة، من مرض وغيره مما يؤذي العبد.

---

(١) أخرجه من حديث أم سلمة في كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة برقم (٩١٨)، والإمام أحمد ٦/ ٣٠٩.

ويقول ﷺ في حديث الحارث الأشعري: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمان**» الطهور التطهر؛ يعني: الغسل والوضوء شَطْرُ الإيمان؛ لأن الطهارة طهارتان: طهارة من الأحداث وطهارة من الرذائل والمعاصي، فالطهارة من المعاصي بالتوبة وأداء الواجبات، هذا شطر والشطر الثاني التطهر من الأحداث بالغسل والوضوء هذا الشطر الظاهر المعنوي.

«**والحَمدُ لله تَمْلأُ الميزَانَ**» في فضل قول الحمد لله.

«**وَسُبْحَانَ الله والحَمدُ لله تَملآن أَوْ تَمْلأُ مَا بَينَ السَّماوات وَالأَرْضِ**» ففي هذا الحث على الإكثار من الحمد لله وسبحان الله.

يقول النبي ﷺ: «**أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ**[١]» ويقول ﷺ: «**لأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**»[٢]. ويقول عليه الصلاة والسلام: «**البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ ولا إله إلا الله وَاللهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»[٣]

«**والصَّلاةُ نُورٌ**» الصلاة نور العبد في قبره ويوم القيامة ونور في قلبه، من أسباب نور القلب وطهارته، فالمحافظة عليها أهم الأمور بعد الشهادتين، أهم واجب، وأعظم واجب الصلاة، بعد الشهادتين، بعد شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله، فالصلاة عمود الإسلام وهي النور للعبد في دنياه وفي أُخراه.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث سمرة بن جندب ﷺ في كتاب الآداب، باب كراهةِ التسمية بالأسماء القبيحة وبنافع ونحوه، برقم (٢١٣٧).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء برقم (٢٦٩٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ ٣/ ٧٥.

«والصَّدقةُ بُرهَانٌ» الصدقة والإنفاق في وجوه الخير برهان على قوة الإيمان، وعلى رغبة العبد فيما عند الله ﷻ.

«والصَّبْرُ ضِياءٌ» الصبر على طاعة الله والصبر على المعاصي، والصبر على المصائب، ضياء للعبد، نور له، سماه ضياء لما فيه من الشدة؛ لأن الصبر يحتاج إلى عناية، هو ضياء معه شدة يحتاج إلى صبر، فحبس النفس عن المعاصي وإلزامها بطاعة الله وحبسها عند المصائب عن الجزع يحتاج إلى صبر؛ ولهذا قال: «والصَّبْرُ ضِياءٌ»؛ يعني: يحتاج إلى قوة، قوة قلب، قوة إيمان حتى يصبر على طاعة الله، وحتى يصبر على المصائب، وحتى يصبر عن المعاصي.

«والقُرْآنُ حُجةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ» القرآن حجة للعبد إن عمل به، وحجة عليه إن ضيعه، حجة لك من أسباب دخول الجنة إن قام بحقه وامتثل أوامره، وحجة عليه إن ضيع أوامره ولم يقم به. هذا كتاب الله فيه الهدى والنور إن استقمت عليه فهو حجة لك ومن أسباب نجاتك، وإن خالفت أوامره فهو حجة عليك.

«كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو»؛ يعني: ويروح كل الناس يغدو ويروح؛ يعني: في هذه الدنيا.

«فَبَائعٌ نَفسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُها» الناس في هذه الدار يمشون في حوائجهم وفيما قدر الله لهم؛ لكن منهم من يسعى في خلاصه ونجاته ومنهم من يسعى في هلاكه ودماره، هؤلاء الناس منهم من يسعى في ليله ونهاره في أسباب هلاكه بالمعاصي والمخالفات، ومنهم من يسعى في أسباب نجاته بطاعة الله واتباع شريعته، وطاعة أوامره والسعي فيما يرضيه ﷻ، فهذا يعتق نفسه من النار بطاعة الله، وهذا يوبقها ويهلكها بالمعاصي والمخالفات.

فالواجب الحذر، وأن تجاهد هذه النفس حتى تستقيم على الحق وحتى تصبر عن الباطل. ولما جاءه جماعة عوام أعطاهم ثم أعطاهم

حتى نفد ما عنده، فقال عليه الصلاة والسلام للعباد: «**إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ بُورِكَ لَهُ فِيهِ وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ**»(١).

وفي اللفظ الآخر: «**مَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ**»(٢).

وقال أيضاً: «**وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ**». فمن طاوع نفسه وطلب الدنيا بحلها وحرامها هلك؛ لكن لا بد من الصبر وليكتف بالحلال وليحذر الحرام وليقلّ السؤال وليستغنِ عما في أيدي الناس «**وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ. وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**» وسأله حكيم بن حزام مرة بعد مرة فأعطاه ثم قال: «**يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ وكان كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى**».

فالمطلوب من المؤمن أن يحرص على الاستعفاف والاستغناء عما في أيدي الناس، والرضاء بما يسر الله له والقناعة، في الحديث الصحيح يقول ﷺ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافاً وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**»(٣).

---

(١) متفق عليه من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب تأويل قول الله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾ [النساء: ١١] برقم (٢٧٥٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى وأن اليد العليا هي المنفقة وأن السفلى هي الآخذة برقم (١٠٣٥).

(٢) أخرجه في كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة برقم (١٤٧٢).

(٣) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة برقم (١٠٥٤).

فالمؤمن يجاهد نفسه حتى يقنع بما يسر الله له، وحتى يرضى بالحلال ويكتفي به عن الحرام، وحتى يتصبر عن كل ما يضره ويخشى عليه منه.

وكذلك **الحديث الثالث**: «**عَجَباً لأمْرِ المُؤمنِ إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خيرٌ**» لا شك أن أمر المؤمن عجب «**إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكانَ خَيراً لَهُ، وإنْ أصَابَتْهُ ضرَاءُ صَبَرَ فَكانَ خَيْراً لَهُ ولَيسَ ذلِكَ لأَحَدٍ إلَّا للمُؤْمِن**» المؤمن هكذا لما أعطاه الله من اليقين والبصيرة إنْ أصَابَتْهُ ضرَاءُ صَبَر واحتسب وكانَ خَيراً لَهُ وإنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ صحة وعافية ونعمة شَكَر الله جلَّ وعلا، هكذا المؤمن ينبغي له أن يكون هكذا، ويجاهد نفسه دائماً دائماً، صبور عند البلاء شكور عند الرخاء.

نسأل الله للجميع التوفيق.

❊ ❊ ❊

٢٨ ـ وعن أنَسٍ ﷺ، قَالَ: لَمَّا ثَقُل النَّبيُّ ﷺ جَعلَ يَتَغَشَّاهُ الكَرْبُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ ﵂: وَاكَربَ أَبَتَاهُ. فقَالَ: «لَيْسَ عَلَى أَبيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ» فَلَمَّا مَاتَ، قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبّاً دَعَاهُ! يَا أَبتَاهُ، جَنَّةُ الفِردَوسِ مَأْوَاهُ! يَا أَبَتَاهُ، إلَى جبْريلَ نَنْعَاهُ! فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ ﵂: أَطَابَتْ أنْفُسُكُمْ أنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُول الله ﷺ التُّرَابَ؟! رواه البخاري(١).

٢٩ ـ وعن أبي زَيدٍ أُسَامَةَ بن زيدِ بن حارثةَ مَوْلَى رسولِ الله ﷺ وحِبِّه وابنِ حبِّه ﵄، قَالَ: أرْسَلَتْ بنْتُ النَّبيِّ ﷺ إنَّ ابْني قَد احْتُضِرَ فَاشْهَدنَا، فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلامَ، ويقُولُ: «إنَّ لله مَا أخَذَ وَلَهُ مَا أعطَى

---

(١) أخرجه في كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته برقم (٤٤٦٢).

وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى فَلتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ» فَأَرسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيهِ لَيَأْتِيَنَّهَا. فقامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابتٍ، وَرِجَالٌ ﷺ، فَرُفِعَ إِلَى رَسُول الله ﷺ الصَّبِيُّ، فَأَقْعَدَهُ في حِجْرِهِ وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ، فَفَاضَتْ عَينَاهُ فَقَالَ سَعدٌ: يَا رسولَ الله، مَا هَذَا؟ فَقَالَ: «هذِهِ رَحمَةٌ جَعَلَها اللهُ تَعَالَى في قُلُوبِ عِبَادِهِ»، وفي رواية: «فِي قُلُوبِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَإِنَّما يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبادِهِ الرُّحَماءَ» متفقٌ عليه(١).

□ وَمَعنَى: (تَقَعْقَعُ): تَتحرَّكُ وتَضْطَرِبُ.

٣٠ ـ **وعن** صهيب ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فيمَنْ كَانَ قَبلَكُمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ للمَلِكِ: إنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إلَيَّ غُلاماً أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ؛ فَبَعثَ إِلَيْهِ غُلاماً يُعَلِّمُهُ، وَكانَ في طَريقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعدَ إِلَيْه وسَمِعَ كَلامَهُ فَأَعْجَبَهُ، وَكانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ، مَرَّ بالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْه، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذلِكَ إِلَى الرَّاهِب، فَقَالَ: إِذَا خَشيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهلَكَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ.

فَبَيْنَما هُوَ عَلَى ذلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: اليَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحرُ أَفْضَلُ أم الرَّاهبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَراً، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَها ومَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهبَ فَأَخبَرَهُ.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «يعذب الميت ببعض بُكاء أهله عليه» برقم (١٢٨٤)، ومسلم في كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت برقم (٩٢٣).

فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ اليَومَ أَفْضَل منِّي قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِن ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ؛ وَكانَ الغُلامُ يُبْرِئُ الأكْمَهَ وَالأَبْرصَ، ويداوي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الأَدْوَاء.

فَسَمِعَ جَليسٌ لِلملِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فأتاه بَهَدَايا كَثيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هاهُنَا لَكَ أَجْمعُ إنْ أنتَ شَفَيتَنِي، فَقَالَ: إنّي لا أشْفِي أحَداً إِنَّمَا يَشفِي اللهُ تَعَالَى، فَإنْ آمَنْتَ بالله تَعَالَى دَعَوتُ اللهَ فَشفَاكَ، فَآمَنَ بالله تَعَالَى فَشفَاهُ اللهُ تَعَالَى، فَأَتَى المَلِكَ فَجَلسَ إِلَيْهِ كَما كَانَ يَجلِسُ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيري؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الغُلامِ، فَجيء بالغُلَامِ.

فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ، قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبرئ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وتَفْعَلُ وتَفْعَلُ! فَقَالَ: إنِّي لا أَشْفي أَحَداً، إنَّمَا يَشفِي الله تَعَالَى. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ؛ فَجِيء بالرَّاهِبِ فَقيلَ لَهُ: ارجِعْ عَنْ دِينكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالمِنْشَارِ فَوُضِعَ المِنْشَارُ في مَفْرق رَأسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ.

ثُمَّ جِيءَ بِجَليسِ المَلِكِ فقيل لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَوضِعَ المِنْشَارُ في مَفْرِق رَأسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بالغُلَامِ فقيلَ لَهُ: ارجِعْ عَنْ دِينكَ، فَأَبَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الجَبَل، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذِرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطرَحُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفنيهمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمُ الجَبلُ فَسَقَطُوا، وَجاءَ يَمشي إِلَى المَلِكِ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ فَقَالَ: كَفَانِيهِمُ الله تَعَالَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فاحْمِلُوهُ في قُرْقُورٍ وتَوَسَّطُوا بِهِ البَحْرَ، فَإنْ رَجعَ

عَنْ دِينِهِ وإِلَّا فَاقْذِفُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينةُ فَغَرِقُوا، وَجَاء يَمْشي إِلَى المَلِكِ. فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَا فعلَ أصْحَابُكَ؟ فَقَالَ: كَفَانيهِمُ الله تَعَالَى.

فَقَالَ لِلمَلِكِ: إنَّكَ لَسْتَ بقَاتلي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ. قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ في صَعيدٍ وَاحدٍ وتَصْلُبُني عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْماً مِنْ كِنَانَتي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ في كَبدِ القَوْسِ ثُمَّ قُلْ: بسْمِ الله ربِّ الغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِني، فَإنَّكَ إذَا فَعَلْتَ ذلِكَ قَتَلتَني، فَجَمَعَ النَّاسَ في صَعيد واحدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ في كَبِدِ القَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِسمِ اللهِ ربِّ الغُلامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوقَعَ في صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ في صُدْغِهِ فَمَاتَ.

فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الغُلامِ، فَأُتِيَ المَلِكُ فقيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ والله نَزَلَ بكَ حَذَرُكَ. قَدْ آمَنَ النَّاسُ. فَأَمَرَ بِالأُخْدُودِ بأفْواهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ وأُضْرِمَ فيهَا النِّيرانُ وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجعْ عَنْ دِينهِ فَأقْحموهُ فيهَا، أَوْ قيلَ لَهُ: اقتَحِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءت امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أنْ تَقَعَ فيهَا، فَقَالَ لَهَا الغُلامُ: يَا أُمَّاهْ اصْبِري فَإِنَّكِ عَلَى الحَقِّ!» رواه مسلم(١).

□ (ذِروَةُ الجَبَلِ): أعْلاهُ، وَهيَ ـ بكَسْر الذَّال المُعْجَمَة وَضَمِّهَا ـ، و(القُرْقُورُ) ـ بضَمِّ القَافَينِ ـ: نَوعٌ مِنَ السُّفُن، وَ(الصَّعيدُ) هُنَا: الأَرضُ البَارِزَةُ، وَ(الأُخْدُودُ): الشُّقُوقُ في الأَرضِ كَالنَّهْرِ الصَّغير، وَ(أُضْرِمَ): أوقدَ، وَ(انْكَفَأتْ)؛ أَي: انْقَلَبَتْ، وَ(تَقَاعَسَتْ): تَوَقفت وجبنت.

---

(١) أخرجه في كتاب الزهد والرقاق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب برقم (٣٠٠٥).

الشَرح

ففي هذه الأحاديث الثلاثة الحث على الصبر عند المصائب وهو الشاهد منها، فالله جلَّ وعلا يبتلي عباده بالسراء والضراء، فالواجب عند السراء الشكر ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، والواجب عند الضراء الصبر كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٦] قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] هذه الدار دار البلايا والمحن، دار الاختبار، هذا يبتلى بالنعم وهذا يبتلى بمصائب، فمن صبر عند البلية وشكر عند النعمة تمت له السعادة وصار من الناجين، وهم المرسلون وأتباعهم.

في **الحديث الأول**: أن الرسول ﷺ لما اشتد به المرض، واشتد به الكرب، كان يقول: «**فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى، اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى**».. قالت عائشة: إذاً لَا يُجَاوِرُنَا وهذا يُفسر قوله ﷺ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمْرَضُ إِلَّا خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»[1] فتذكر هذا التخير قال: «**فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى**» فقالت فاطمة عند ذلك: واكرب أبتاه؛ يعني: توجع من كرب أصابه عند الموت عليه الصلاة والسلام فقال ﷺ: «**لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ**»؛ يعني: له الجنة والسعادة عليه الصلاة والسلام، فلما قبض عليه الصلاة والسلام قالت: (**يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبّاً دَعَاهُ! يَا أَبَتَاهُ، جَنَّةُ الفِردَوسِ مَأْوَاهُ! يَا أَبَتَاهُ، إِلَى جبْرِيلَ**

---

(١) أخرجه البخاري من حديث عائشة ﵂ في كتاب التفسير، باب: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ﴾ [النساء: ٦٩] برقم (٤٥٨٦).

نَنْعَاهُ!) ـ من شدة ما أصابها من المصيبة ـ **فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ** رضي الله عنها: **(أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُول الله ﷺ التُّرَابَ؟!)** ـ من شدة ما أصابها هي سُنَّة الله في عباده، أن الأموات يدفنون، وهذه كرامة من الله للمسلمين أنهم يدفنون ما يبقون كالجيف في الصحراء؛ ولكن الميت المسلم يحفر له ويغسل، ويُطيب، ويكفن ويدفن ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢١] هذا من إكرام الله للمسلم، فالمصيبة بالنبي ﷺ هي أعظم المصائب، أعظم مصيبة مصيبة المسلمين بموته ﷺ ومع هذا صبر المسلمون، وصبر الصحابة، واحتسبوا، والحمد لله، هكذا يجب على من مات أبوه، أو أخوه، أو ابنه، أو زوجته، أن يصبر ويحتسب، ولا يقول إلا الخير، ولا يجزع، فكم مات من الناس خير منه، ومات رسول الله خير من الجميع، فصبر المسلمون.

وفي **الحديث الثاني**: أن إحدى بنات النبي ﷺ بعثت إليه تقول له: إن ابنها في النزع تحب أن يحضر؛ يعني: تذكر له أن ابنها في الموت، فقال لرسولها قل لها: «**إنَّ لله مَا أخَذَ وَلَهُ مَا أعطَى وَكُلُّ شَيءٍ عِندَهُ بِأجَلٍ مُسَمًّى فَلتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ**» أجاب؛ يعني: كالمعتذر عن الحضور قال لرسولها: قل لها فبلغها رسولها، فردت إليه الرسول تقسم على النبي ﷺ أن يحضر، تُقسم على أبيها أن يحضر، فقام عليه الصلاة والسلام وبَرَّ قسمها، من تواضعه، ورحمته، وعطفه، عليه الصلاة والسلام، لما أقسمت قام إليها فذهب إليها يزورها جبراً لمصيبتها، ومعه جماعة من الصحابة، هذا يدل على أنه ينبغي للمؤمن أن يتواضع مع أقربائه وأولاده إذا دعت الحاجة إلى ذلك جبراً لمصيبتهم، كأن يقسموا عليه أن يزورهم، أو يعالج مريضهم، أو ما أشبه ذلك، ويحتسب ويصبر في الأشياء التي لا حرج فيها، جبراً لهم، ورحمة لهم؛ ولهذا قام ﷺ وبَرَّ قسمها وذهب إليها.

فلما دخل البيت قدموا له الولد، فأجلسه في حجره عليه الصلاة والسلام؛ يعني: على رجليه ونفسه يتقعقع عند الخروج، عند الموت، نفس الطفل يتقعقع للخروج، فلما رأى حالته وظهور أمارات الموت عليه بكى عليه الصلاة والسلام، ودمعت عيناه عليه الصلاة والسلام، فقال له بعض الحاضرين سعد بن عبادة: (يا رسول الله ما هذا؟ قال: إنها رحمة، البكاء عند المصيبة رحمة **«وَإِنَّما يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبادِهِ الرُّحَماءَ»**) كون الإنسان يرحم يبكي عند المصيبة ما يُستغرب، خير من الذي يضحك، كونه يبكي وتدمع عيناه رحمة للمصابين، رحمة للمصاب لا بأس؛ ولهذا قال ﷺ: **«إِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ، وَلَا بِحُزْنِ القَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا ـ وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ ـ أَوْ يَرْحَمُ»**[1]، وقال لما مات ابنه إبراهيم وهو في الثدي، مات رضيعاً: **«إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»**[2] اللَّهُمَّ صلِّ عليه وسلم، ففي هذا الحث على جبر المصاب ورحمته، وزيارته وتعزيته، وتسليته عن مصيبته بالكلمات الطيبة، والدعوات الطيبة، كما فعل عليه الصلاة والسلام.

والحديث الثالث: قصة الساحر مع الملك، كان فيمن مضى قبلنا ملك جبار يدعو الناس إلى أن يعبدوه؛ كفرعون ـ نسأل الله العافية ـ يدعو الناس إلى أن يعبدوه ويخضعوا لأوامره، وكان عنده ساحر يفعل ما

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض برقم (١٣٠٤)، ومسلم في كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت برقم (٩٢٤).

(٢) أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: **«إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ»** برقم (١٣٠٣).

يريد من الناس بالسحر، وكان عند الملك صاحب له أصابه مرض في عينيه وذهب بصره، والساحر قال للملك: أنا قد كبرت سني فالتمس لي غلاماً ذكياً أُعلمه السحر حتى يحل محلي إذا مت، فالتُمس له شاب فجيء له به فقال: تعلم من هذا الساحر، وكان الشاب في طريقه راهب عابد من العُباد يمر عليه ويجلس عنده ويسمع كلامه وتذكيره، فدخل في قلبه كلام الراهب ومواعظه، ودخل في قلبه الإيمان فآمن وصار يذهب إلى الساحر فيقول له الساحر: تأخرت، فعلت فيقول: أخرني أهلي بعدما علَّمه الراهب، وإذا تأخر عن أهله قال: حبسني الساحر، حتى يتيسر له الدراسة على الراهب هذا والجلوس عنده ليستفيد في دينه.

وكان ذات يوم في الطريق دابة، حية كبيرة قد حبست الناس، فقال هذا الغلام: اليوم أعلم هل الساحر على الحق أو الراهب؟ **فَأَخَذَ حَجَراً، فَقَالَ: (اللَّهُمَّ إنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هذِهِ الدّابَّةَ حَتَّى يَمضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَها)** فعرف من هذا أن الراهب أحب إلى الله وأنه هو المصيب فأخبر الراهب بذلك ـ فقال: يا بني قد حصل لك الآن شيء من الكرامات ـ **(فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ اليَومَ أَفْضَل منِّي قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى**، من ظهر دينه يبتلى **فَإِن ابْتُلِيتَ فَلا تَدُلَّ عَلَيَّ)**.

وصار هذا الغلام يداوي الناس يعالجهم **ويُبْرئُ الأكْمَهَ وَالأَبْرصَ** صار له سمعة في الناس فجاءه صاحب الملك الجبار الذي ذهبت عيناه فقال: أريد أن تشفيني وجمع له مالاً كثيراً **فَقَالَ: (إنِّي لا أشْفِي أحَداً إنَّمَا يَشفِي اللهُ تَعَالَى)**، إذا أسلمت، وإلا ليس لي حاجة في المال إذا أسلمت، دعوت الله لك أن الله يشفي عينيك، فأسلم قال الرجل: نعم أنا أسلم، فأسلم فلما أسلم دعا الله له فرد الله عليه بصره، **فَأَتَى المَلِكَ فَجَلسَ إِلَيْهِ كَما كَانَ يَجلِسُ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ** الخبيث: **(مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ**

بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيري؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ)، فأمر الملك بقتله بالمنشار، ينشر من رأسه إلى أسفله من الجبروت والظلم ففُعل به ذلك وسأله عن الغلام فدله عليه قبل أن يقتله.

فجيء بالغلام وسُئل من ربك قال: ربي الله وربك الله قال: من علمك هذا، من دلك قال: الراهب الفلاني أتعلم منه، علمني أن رب الأرض الله، رب الجميع، فجيء بالراهب وقيل له: ارجع عن دينك وإلا قتلناك فأبى فأمر الجبار بنشره بمنشار حتى قتله.

ثم جيء بالغلام فقال: ارجع عن دينك، فأبى الغلام أن يرجع فأمر جماعة من جنده أن يذهبوا به، رأس الجبل وقال: فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه من رأس الجبل، فذهبوا به فلما صعدوا الجبل رجف بهم الجبل، فسقطوا جميعاً إلا الغلام سلم، فجاء إلى الملك وقال له: أين أصحابك؟ فقال: كَفَانِيهِمُ الله تَعَالَى، فأمر جماعة آخرين أن يأخذوه في قُرْقُورٍ - سفينة صغيرة - إلى البحر فإذا توسطتم البحر فألقوه فيه إلا أن يرجع عن دينه، فذهبوا بالغلام ليرجع عن دينه فأبى فجعلوه في السفينة وذهبوا به في البحر فانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وأنجى الله الغلام وَجَاء يَمْشي إِلَى المَلِكِ. فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: أين أصْحَابُكَ؟ **فَقَالَ: (كَفَانيهِمُ الله تَعَالَى)**.

فَقَالَ لِلمَلِكِ: (إنَّكَ لَسْتَ بقَاتلي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ. قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ في صَعيدٍ وَاحِدٍ وتأخذ سهماً من قوسي **وتَصْلُبُني عَلَى جِذْعٍ**، وارمني **ثُمَّ قُلْ: بِسْمِ الله ربِّ الغُلَامِ)**، والناس يسمعون فإذا قلت: بِسْمِ اللهِ ربِّ الغُلامِ فَإنَّكَ إذَا فَعَلْتَ ذلِكَ قَتَلْتَني، ففعل وصلبه وأخذ سهماً من كنانته فرماه به والناس حاضرون وجمعهم في صعيد واحد فأسمعهم بسم الله رب الغلام فأصابه، فأسلم الناس قالوا: آمنا برب الغلام وكفرنا بالملك آمن الناس بالله ودخلوا في دين الله، وهذا

مراد الصبي مراد الغلام أن يسلم الناس وأن يدخلوا في دين الله، فأمر الخبيث الملك الجبار بأن تُخدَّ أخدود؛ يعني: أخاديد في الأرض، مثل الصنوع في الأرض وأن توقد فيهَا النِّيرانُ وأن يُلقى فيها كل من آمن ولم يرجع إلى دينه الأول عبادة الملك، فطرحوا فيها من لم يطعه فجيء بامْرَأةٍ وَمَعَهَا صَبيٌّ، وقيلَ لَهَا: ارجعي عن دينك وإلا ألقيناك، فَتَقَاعَسَتْ أنْ تَقَعَ فيهَا، فَقَالَ لَهَا الغُلامُ: يَا أُمّاهْ لا ترجعي عن دينك اصْبِري فَإِنَّكِ عَلَى الحَقِّ! فأنطق الله الصبي وصبرها، وأنزل الله في مثل هذا قوله جلَّ وعلا: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٤ ـ ٨].

هذه البلايا من بلايا الدنيا، وذكر المؤلف هذا الحديث لما فيه من الابتلاء والامتحان، وأن الناس قد يبتلون بملوك جبابرة يلزمونهم بالباطل والشرك، وقد يبتلون بآباء، وبأمهات، وبإخوة، وبجيران، وبأصدقاء يضرونهم، وقد يبتلون بأمراض، وقد يبتلون بالفقر، وقد يبتلون بغير ذلك.

فالواجب على من ابتلي أن يصبر، حتى يفرج الله الأمور، هذه دار الابتلاء، ودار المحن، فلا بد في حق من ابتُلي بشيء يخالف الشرع أو شيء يضره أن يتحمل ويصبر، مرض، تسليط جار، أو عدو، أو قريب، يحتسب، وليحل المشاكل بالطرق الدينية، إن كان ذا خصومة يطلب الحكومة، حكم الله وإن كان في بلد فيها حكم الله إن كان ما فيها حكم الله يطلب الصلح مع أصحابه، وهكذا يطلب حل المشاكل بالطرق الممكنة التي ليس فيها ظلم، فإذا ظُلم فليحتسب وليصبر.

والله يقول: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦] سبق في علمه أن هذه الدار دار الابتلاء والامتحان وأنهاليست دار النعيم؛ ولكن

دار الابتلاء «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»(١)، ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ويقول سبحانه: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣] ابتلاء وامتحان حتى يتبين أهل الخير وأهل الصدق من أهل الباطل والفسق والفساد والكفر، وحتى يتبين الأتقياء والمؤمنون من غيرهم فترفع منازل المؤمنين ولهم الجنة والكرامة والمنازل العالية، ويخسر المبطلون ويساقون إلى النار نسأل الله العافية.

ونسأل الله أن يوفق الجميع للصبر والاحتساب والاستقامة على أمر الله والمسارعة إلى كل خير، والصبر عند البلية ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه.

***

٣١ ـ وعن أنس ﷺ، قَالَ: مَرَّ النَّبيُّ ﷺ بامرأةٍ تَبكي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: «اتَّقِي الله واصْبِري» فَقَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي؛ فإنَّكَ لم تُصَبْ بمُصِيبَتي، وَلَمْ تَعرِفْهُ، فَقيلَ لَهَا: إنَّه النَّبيُّ ﷺ فَأَتَتْ بَابَ النَّبيِّ ﷺ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابينَ، فقالتْ: لَمْ أعْرِفْكَ، فَقَالَ: «إنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولى» متفقٌ عليه(٢).

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ. أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته برقم (٥٩٩٧)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب رحمتهِ ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك برقم (٢٣١٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب قول الرجل للمرأة عند القبر اصبري، برقم (١٢٥٢)، وفي الجنائز، أيضاً باب زيارة القبور، برقم (١٢٨٣)، ومسلم في كتاب الجنائز، باب في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى برقم (٩٢٦).

📖 وفي رواية لمسلم: «تبكي عَلَى صَبيٍّ لَهَا».

٣٢ ـ **وعن** أبي هريرة ﷺ؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: مَا لعَبدِي المُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الجَنَّةَ» رواه البخاري[١].

٣٣ ـ **وعن** عائشةَ ﷺ؛ أَنَّهَا سَأَلَتْ رسولَ الله ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ، فَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ كَانَ عَذَاباً يَبْعَثُهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ يشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللهُ تعالى رَحْمَةً للْمُؤْمِنينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ في الطَّاعُونِ فيمكثُ في بلدِهِ صَابراً مُحْتَسِباً يَعْلَمُ أَنَّهُ لا يصيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشّهيدِ. رواه البخاري[٢].

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في وجوب الصبر والحذر من التسخط والجزع، أقدار الله ماضية ﷻ، فالواجب عند المصيبة الصبر والاحتساب، والحذر من التسخط والجزع.

في الحديث الأول: أنه ﷺ رأى امرأة عِنْدَ قَبْرٍ تَبكي على صبي لها، فقال لها ﷺ: **«اتَّقِي الله واصْبِري»** فَقَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي؛ ولم تعرفه فإِنَّكَ لم تُصَبْ بمُصِيبَتي فأخبرت بذلك فذهبت إلى بيته تعتذر فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابينَ فقالت: يا رسول الله لم أعرفك فَقَالَ ﷺ: **«إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولى»** والمعنى: الصبر عند أول ما تجد المصيبة، أما بعد حين تسلي الإنسان، سوف يتسلى وينتهي؛ لكن المهم عند وجود الصدمة،

(١) أخرجه في كتاب الرقاق، باب العمل الذي يُبتغى به وجه الله برقم (٦٤٢٤).
(٢) أخرجه في كتاب الطب، باب أجر الصابر في الطاعون برقم (٥٧٣٤).

موت القريب، وجود الحادث، هذا محل الصبر أما بعد طول المدة فإن الإنسان يتسلى وينسى مصيبته، فالواجب عند الصدمة المبادرة بالصبر، وعدم الجزع يقول ﷺ: «**لَيسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ أَوْ شَقَّ الجُيُوبَ أَوْ دَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ**»(١)، ويقول ﷺ: «**أنا بَرِيءٌ مِنَ الصَّالِقَةِ وَالحَالِقَةِ وَالشَّاقَّةِ**» والصَّالِقَة: هي التي ترفع صوتها عند المصيبة، وَالحَالِقَة: هي التي تحلق شعرها عند المصيبة وَالشَّاقَّة تشق ثوبها عند المصيبة، كل هذا الجزع لا يجوز، والواجب هو الصبر والاحتساب والقول كما قال الصابرون: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، وقد وعدهم الله خيراً كثيراً فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧] قال النبي ﷺ: «**مَا مِنْ عبد تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْراً مِنْهَا. إِلَّا أجره الله في مصيبته وأَخْلَفَ لَهُ خَيْراً مِنْهَا**»(٢).

فالواجب عند المصيبة احتساب الأجر والصبر، وهكذا إذا نزلت أمراض خطيرة كالطاعون إن وقع وهو في البلد؛ لا يخرج منها، وإن سمع به في بلد لا يقدم عليه كما قال ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ**» من باب اتقاء الأسباب، «**وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَاراً مِنْهُ**»(٣) في هذا الحديث أن العبد المؤمن إذا وقع

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ليس منا من ضرب الخدود، ومسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية برقم (١٠٣).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أم سلمة رضي الله عنها في كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة برقم (٩١٨).

(٣) أخرجه البخاري من حديث أسامة بن زيد في كتاب أحاديث الأنبياء، باب برقم (٣٤٧٣).

الطاعون في بلده وهو مرض خطير قلَّ أن يسلم من نزل به، فإذا وقع، فالواجب الصبر والاحتساب وعدم الفرار منه «**فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ في الطَّاعُونِ فيمكثُ في بلدِهِ صَابراً مُحْتَسِباً يَعْلَمُ أَنَّهُ لا يصيبُهُ إلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ إلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أجْرِ الشّهيدِ**» بسبب صبره واحتسابه وإن لم يصبه شيء فالإنسان تحت أقدار الله، ليس له مفر من قدر الله، فعليه أن يصبر ويحتسب عند وجود البلاء، طاعون، أو أمراض عامة أخرى، أو حروب، أو غير ذلك، فعليه أن يضرع إلى الله ويسأله الصبر والتوفيق، ويسأله الإعانة على المصيبة ويتحمل ويقول: إنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أُجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْراً مِنْهَا. كان ميتاً أو غيره اللَّهُمَّ يسِّر أمري اللَّهُمَّ أعني، اللَّهُمَّ ثبتني، يسأل ربه.

وهكذا الحديث الثاني: يقول ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: مَا لعَبدِي المُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إلَّا الجَنَّةَ**» هذا فضل من الله جلَّ وعلا إذا توفى سبحانه صفي العبد كولده، أو أخيه أو أبيه أو أمه أو زوجته أو زوج المرأة، أو ما أشبه ذلك إذا احتسب المؤمن وصبر عند المصيبة ليس له جزاء عند الله إلا الجنة هذا الفضل العظيم، والإنسان يصاب، هذه الدار دار المصائب، يصاب بأبيه، يصاب بولده، يصاب بزوجته، يصاب بأخيه، إلى غير هذا؛ لكن إن جزع فعليه الجزع ولا ينفعه الجزع بل عليه الإثم وإن صبر واحتسب فله الأجر العظيم؛ ولهذا يقول ﷺ: «**قال الله جلَّ وعلا: مَا لعَبدِي المُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا**» صفيّه؛ يعني: حبيبه مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا «**ثُمَّ احْتَسَبَهُ إلَّا الجَنَّةَ**».

نسأل الله للجميع التوفيق والهدايه.

▓▓▓

٣٤ ـ **وعن** أنس رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: «إنَّ الله ﷻ، قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عبدي بحَبيبتَيه فَصَبرَ عَوَّضتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ» يريد عينيه. رواه البخاري[١].

٣٥ ـ **وعن** عطَاء بن أبي رَباحٍ، قَالَ: قَالَ لي ابنُ عَباسٍ رضي الله عنهما: أَلَا أُريكَ امْرَأةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّة؟ فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هذِهِ المَرْأةُ السَّوداءُ أتتِ النَّبيَّ ﷺ، فَقَالَتْ: إنّي أُصْرَعُ، وإنِّي أتَكَشَّفُ، فادْعُ الله تَعَالَى لي. قَالَ: «إنْ شئْتِ صَبَرتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإنْ شئْتِ دَعَوتُ الله تَعَالَى أنْ يُعَافِيكِ» فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إنِّي أتَكَشَّفُ فَادعُ الله أنْ لا أَتَكَشَّف، فَدَعَا لَهَا. متفقٌ عليه[٢].

٣٦ ـ **وعن** أبي عبد الرحمٰن عبدِ الله بنَ مسعودٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رسولِ الله ﷺ يَحْكِي نَبِيّاً مِنَ الأَنْبِياءِ، صَلَواتُ الله وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ، ضَرَبه قَوْمُهُ فَأدْمَوهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَومي، فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمونَ» متفقٌ عليه[٣].

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في الحث على الصبر وأن المؤمن يُبتلى، فما أصابه من هم وغم ونصب ووصب وغير هذا، كله

---

(١) أخرجه في كتاب المرضى، باب فضل من ذهب بصره برقم (٥٦٥٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المرضى، باب فضل من يصرع من الريح برقم (٥٦٥٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب ثواب المسلم فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يُشاكها برقم (٢٥٧٦).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار برقم (٣٤٧٧)، وفي كتاب استتابة المرتدين، باب ٥ برقم (٦٩٢٩)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أُحد برقم (١٧٩٢).

يكفر الله به من خطاياه إذا احتسب ذلك وصبر فله خير عظيم، من هذا قوله ﷺ: «**إِنَّ الله ﷻ، قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عبدي بحَبيبتَيه فَصَبرَ عَوَّضتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ**»؛ يعني: عينيه، ابتلاه بالعمى وصبر واحتسب عوضه في ذلك الجنة، هذا خير عظيم وفضل كبير وأن من جزاء الصابرين على مصيبة العمى، الجنة ونعم الجزاء، ونعم الثواب لمن صبر واحتسب واستقام على أمر الله؛ لأن هذه الأحاديث فيها الوعد بالجنة والمغفرة، ومعناها لمن استقام وثبت على الحق واستقام على الخير. وهكذا حديث المرأة التي كانت تتكشف فدعا الله لها الرسول أن لا تتكشف، وكانت تُصرع يوجد بها صرع الجن فطلبت من الرسول أن يدعو الله لها فقال: «**إِنْ شئْتِ صَبَرتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شئْتِ دَعَوتُ لك**» فَقَالَتْ يا رسول الله: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إنِّي أَتَكَشَّفُ فَادعُ الله أَنْ لا أَتَكَشَّف، فَدَعَا الله لَهَا. هذا فيه وعدها بالجنة على صبرها على ما أصابها من مس الجن؛ ولكن ليس معنى هذا أنها لا تطلب العافية، فطلب العافية مطلوب، ومن صبر واحتسب فله أجر عظيم، والمؤمن من صفته أنه صبور حليم؛ لكن إذا دعا ربه أن يكشف عنه البلاء فلا بأس، دعا ربه أن يمن عليه بالعافية كما في الحديث الصحيح: «**سَلُوا اللهَ العَافِيَةَ فَإِنَّهُ لَمْ يُعْطَ عَبْدٌ شَيْئاً أَفْضَلَ مِنَ العَافِيَةِ**»[1].

وأيوب لما اشتد به المرض ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، فاستجاب الله دعوته وكشف ضُره، فالدعاء والضراعة إلى الله والعلاج والدواء كله لا ينافي الصبر، هذا شيء، وهذا شيء، فالإنسان يصبر ويحتسب ولا يجزع ومع هذا لا بأس أن يتعاطى العلاج ويتعاطى الدعاء وطلب العافية والشفاء، لا،

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/٨.

هذا لا ينافي هذا. كذلك قوله ﷺ في حكايته لبعض الأنبياء أنه ضَرَبه قَوْمُهُ فَأَدْمَوهُ فجعل يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، ويَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَومي، فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمونَ**» في هذا حلم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وصبرهم، وقد صبر نبينا كثيراً وآذوه كثيراً، هذا نبي دعا لهم؛ لأنهم جُهال ما عرفوا نبوته، ما عرفوا دلائله بخلاف من جحد واستكبر كقصة أبي جهل وأشباهه فإن هؤلاء يعرفون، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤] قال في حقهم: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

ولهذا دعا عليهم ﷺ لما وضعوا السلا على ظهره، دعا عليهم اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بفلان، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بفلان؛ لأنهم فجرة، قد عرفوا أنه نبي الله؛ ولكن عاندوا واستكبروا، أما هذا نبي قومه جهال ما عرفوا نبوته فدعا لهم: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَومي، فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمونَ**»؛ يعني: اللَّهُمَّ اهدهم حتى يغفر لهم، ففي هذا صبر الأنبياء وحلمهم عليهم الصلاة والسلام، فالتأسي بهم مطلوب والصبر، ولا سيما من كان جاهلاً، فليس عنده بصيرة يدعى له، وإذا أخطأ يتحمل، يدعى له بالهداية حتى يتبصر حتى يعرف الحق.

والمقصود أن الأنبياء هم خير الناس، وهم أصبر الناس، وأفضل الناس عليهم الصلاة والسلام فيسن للمؤمن التأسي بهم عليهم الصلاة والسلام.

وفق الله الجميع.

***

٣٧ ـ **وعن** أبي سعيدٍ وأبي هريرةَ ﵄، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «مَا يُصيبُ المُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حَزَنٍ، وَلَا أذىً، وَلَا غَمٍ، حَتَّى الشَّوكَةُ يُشَاكُهَا إلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» متفقٌ عليه(١).

▫ و(الوَصَبُ): المرض.

٣٨ ـ **وعن** ابنِ مسعودٍ ﵁، قَالَ: دخلتُ عَلَى النَّبيِّ ﷺ وهو يُوعَكُ، فقلت: يَا رسُولَ الله، إنَّكَ تُوْعَكُ وَعْكاً شَدِيداً، قَالَ: «أَجَلْ، إنِّي أوعَكُ كمَا يُوعَكُ رَجُلانِ مِنكُمْ» قلْتُ: ذلِكَ أن لَكَ أجْرينِ؟ قَالَ: «أَجَلْ، ذلِكَ كَذلِكَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصيبُهُ أذىً، شَوْكَةٌ فَمَا فَوقَهَا إلَّا كَفَّرَ اللهُ بهَا سَيِّئَاتِهِ، وَحُطَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا» متفقٌ عليه(٢).

▫ وَ(الوَعْكُ): مَغْثُ الحُمَّى، وَقيلَ: الحُمَّى.

الشَّرح

فهذه الأحاديث الثلاثة كلها في بيان ما يحصل للمسلم من الأجر العظيم والتكفير بسبب المصائب، تقدم أن المصائب يحط الله بها الخطايا ويكفر بها السيئات قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض برقم (٥٦٤١)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب ثواب المسلم فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يُشاكها برقم (٢٥٧٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المرضى، باب شدة المرض برقم (٥٦٤٧)، وفي باب أشد الناس الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل برقم (٥٦٤٨)، وفي باب وضع اليد على المريض برقم (٥٦٥٩)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب ثواب المسلم فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يُشاكها برقم (٢٥٧١).

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧]، فالمصائب يكفر بها الخطايا وإذا كان معها الصبر والاحتساب والرضى صار الأجر عظيماً ولهذا يقول ﷺ: «**مَا يُصيبُ المُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حَزَنٍ، وَلَا أذىً، وَلَا غَمٍّ، حَتَى الشَوكَةُ يُشَاكُهَا إلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**» هذه من نعم الله العظيمة، كل ما يصيب المسلم مما يؤذيه من تعب أو وصب وهو المرض بأنواعه، أو هم، أو غم، أو سائر أنواع الأذى حتى الشوكة، يكفر الله بها الخطايا، فينبغي للمؤمن أن يصبر ويحتسب حتى يكون الأجر أعظم مع التكفير ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، وقال سبحانه: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وهكذا دخل ابن مسعود على النبي ﷺ وهو يوعك؛ يعني: يحس بمرض الحمى يتألم من مرض الحمى، الوعك وعك الحمى، ما يصيب الإنسان من الشدة والتألم بسبب الحمى قال ابن مسعود: يَا رسُولَ الله إنَّكَ تُوْعَكُ وَعْكاً شَدِيداً، قَالَ: «**أجَلْ، إنِّي أوعَكُ كمَا يُوعَكُ رَجُلانِ مِنكُمْ**»؛ يعني: يضاعف عليه المصائب فقال له ابن مسعود: يا رسول الله أن لَكَ أجْرينِ؟ قَالَ: «**أَجَلْ**»، هذا يفيد أن الرسل عليهم الصلاة والسلام يصيبهم أكثر مما يصيب غيرهم وأن تضاعف المصائب عليهم ليعظم أجرهم وليكونوا أُسوة لغيرهم قدوة، قال ﷺ: أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً؟ قَالَ: «**الأنبياءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ فيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ صلْبَ الدِّينِ اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِي عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا تَبْرَحُ البَلَايَا عَلَى العَبْدِ حَتَّى تَدَعَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»[1]

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء برقم (٢٣٩٨)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء برقم (٤٠٢٣)، قال الترمذي: حسن صحيح.

وتقدم قوله ﷺ وهو يحكي نبياً من الأنبياء ضَرَبه قَوْمُهُ فَأدْمَوهُ وهو يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ ويَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَومي، فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمونَ**» قد أُوذي يوم أُحد وشُجَّ عليه الصلاة والسلام وكُسرت رباعيته، وسقط في بعض حفر أُحد؛ ليرفع الله من درجاته ويحط من خطاياه، ويضاعف له الأجور، وليكون أُسوة وقدوة لمن أصابه شيء يتأسى بالأنبياء.

والحديث الثالث [٣٩]: يقول ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ**»؛ يعني: يصب منه بالمصائب فهذا من علامات الخير؛ يعني: الصحة الدائمة، والسلامة الدائمة ما هي علامة السعادة كونه يصاب ببعض المصائب، هذا من علامات الخير أنه يُصِبْ مِنْهُ؛ يعني: يحصل له تكفير للسيئات «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ**» في الرواية الأخرى: «**يصاب منه**»؛ يعني: بأنواع المرض أو غيره من البلاء حتى تكفر السيئات وتحط الخطايا، كما أصاب الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، في الحديث الآخر: «**لَا يَزَالُ البَلَاءُ بِالمُؤْمِنِ أَوِ المُؤْمِنَةِ فِي جَسَدِهِ وَفِي مَالِهِ وَفِي وَلَدِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ**»(١)، في الحديث الآخر: «**إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلَاهُمْ**»(٢). وفي الحديث الآخر: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَفَّى بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(٣).

هذا يسلي المؤمن إذا أصابه الشيء، يحتسب يصبر، ويعلم أن له

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة ﷺ ٢/ ٢٨٧.

(٢) أخرجه الترمذي من حديث أنس في كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء برقم (٢٣٩٦)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء برقم (٤٠٣١).

(٣) أخرجه الترمذي من حديث أنس في كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء برقم (٢٣٩٦).

خيراً عظيماً ولا يجزع فإن هذه الأشياء التي تؤذيه وتصيبه من مرض أو فقر، أو تألم، أو شوكة، أو عثرة أو غير هذا، هذه مما يكفر الله بها الخطايا ويرفع بها الدرجات لمن صبر واحتسب.

وفَّق الله الجميع ورزق الجميع العافية.

❊ ❊ ❊

٣٩ ـ **وعن** أبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ» رواه البخاري(١).

□ وَضَبَطُوا (يُصِبْ): بفَتْح الصَّاد وكَسْرها.

٤٠ ـ **وعن** أنس ﷺ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوتَ لضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فاعلاً، فَليَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيني مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيراً لِي، وَتَوفّني إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيراً لي» متفقٌ عليه(٢).

٤١ ـ **وعن** أبي عبد الله خَبَّاب بنَ الأَرتِّ ﷺ، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رسولِ الله ﷺ وَهُوَ متَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ في ظلِّ الكَعْبَةِ، فقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو لَنا؟ فَقَالَ: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ في الأَرضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأسِهِ فَيُجْعَلُ نصفَينِ، وَيُمْشَطُ بأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِه وَعَظْمِهِ، مَا يَصُدُّهُ ذلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الأَمْر حَتَّى يَسيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَموتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ والذِّئبَ عَلَى غَنَمِهِ، ولكنكم تَسْتَعجِلُونَ» رواه البخاري(٣).

---

(١) أخرجه في كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض برقم (٥٦٤٥).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب الدعاء بالموت والحياة برقم (٦٣٥١)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب كراهة تمني الموت لضُرٍّ نزل به برقم (٢٦٨٠).

(٣) أخرجه في كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر برقم (٦٩٤٣).

📖 وفي رواية: «وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً وَقَدْ لَقِينا مِنَ المُشْرِكِينَ شدَّةً».

٤٢ ـ **وعن** ابن مسعودٍ ﷺ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَومُ حُنَينٍ آثَرَ رسولُ الله ﷺ نَاساً في القِسْمَةِ، فَأَعْطَى الأَقْرَعَ بْنَ حَابسٍ مئَةً مِنَ الإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَة بْنَ حصن مِثْلَ ذلِك، وَأَعطى نَاساً مِنْ أَشْرافِ العَرَبِ وآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ في القِسْمَةِ. فَقَالَ رَجُلٌ: والله إنَّ هذِهِ قِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُريدَ فيهَا وَجْهُ اللهِ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لأُخْبِرَنَّ رسولَ الله ﷺ، فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرتُهُ بمَا قَالَ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كالصِّرْفِ. ثُمَّ قَالَ: «فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لم يَعْدِلِ اللهُ وَرسولُهُ؟» ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبر». فَقُلْتُ: لَا جَرَمَ لَا أَرْفَعُ إِلَيْه بَعدَهَا حَدِيثاً. متفقٌ عليه[1].

▫ وَقَوْلُهُ: (كالصِّرْفِ): هُوَ بِكَسْرِ الصَّادِ المُهْمَلَةِ: وَهُوَ صِبْغٌ أَحْمَر.

الشَرح[2]

هذه الأحاديث الأربعة كالتي قبلها من الأحاديث الدالة على وجوب الصبر والتأسي بمن مضى من الأخيار والصبر على المصائب، فإن هذه الدار هي دار الابتلاء والامتحان فلا بد فيها من الصبر، ولهذا قال ﷻ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ١ ـ ٢]، وقال جلَّ وعلا: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، وقال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فرض الخُمُس، برقم (٣١٥٠)، وفي المغازي باب غزوة الطائف، برقم (٤٣٣٦)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، برقم (١٠٦٨).

(٢) شرح سماحة الشيخ لكتاب رياض الصالحين في جامع الإمام تركي بن عبد الله بمدينة الرياض بقراءة فضيلة الدكتور عمر العيد.

عَمَلًاۗ﴾ [هود: ٧]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ﴾ [الملك: ٢]؛ يعني: دار الابتلاء والامتحان والاختبار، فمن جاهد نفسه لله وصبر حتى أدى حق ربه وأدى حق عباده ووقف عند حدود الله فاز بالعاقبة الحميدة، وفاز بالنجاة والسعادة يوم القيامة، ومن جزع ومال مع هواه وشيطانه ندم غاية الندامة وفاز بالخيبة، نسأل الله العافية؛ ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الأول من هذه الأحاديث الأربعة: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ**»؛ يعني: بالمصائب إما في جسده بمرض، وإما في ماله، وإما في أقاربه، وإما في غير ذلك مما قد يؤذيه فإذا صبر واحتسب صار له عند الله المنزلة العالية والأجر العظيم مع تكفير السيئات «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ**» يُصِبْ مِنْهُ شيئاً من مرض أو غيره من أنواع المصائب حتى تعلو درجته حتى تكفر سيئاته حتى يعظم أجره «**إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ**» ويقول ﷺ: «**أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ**» في اللفظ الآخر: «**ثُمَّ الصَّالِحُونَ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ**».

في الحديث الثاني: يقول ﷺ: «**لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُم المَوتَ لِضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فاعلاً، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيني مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيراً لِي، وَتَوفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيراً لي**» ينهى ﷺ عن تمني الموت من أجل الضرِّ من أجل مرض أو نحوه وفي الحديث الثاني يقول ﷺ: «**لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ المَوْتَ وَلَا يَدْعُو بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ وَثِقَ بِعَمَلِهِ فَإِنَّهُ إِنْ مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ المُؤْمِنَ عُمُرُهُ إِلَّا خَيْراً**»(١) حياة المؤمن لا تزيده إلا خيراً من حسنات تكتب وسيئات تُمحى وأعمال صالحة إلى غير هذا من وجوه الخير، استغفار، وذكر الله ﷻ صدقات، فعمر المؤمن لا قيمة له فضل عظيم فينبغي للمؤمن أن يجتهد

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٢/ ٣٥٠.

في الخيرات، وأن يغتنم حياته، وألا يدعو بالموت ولا يتمنى الموت فقد تكون حياته فيها خير له من اكتساب الحسنات والبعد عن السيئات، فإذا دعت الحاجة إلى أن يقول فليقل: «**اللَّهُمَّ احْيني إذا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيراً لِي، وَتَوفّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيراً لي**» يرد الأمر إلى الله.

وفي اللفظ الآخر يقول ﷺ: «**اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الحَيَاةَ خَيْراً لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الوَفَاةَ خَيْراً لِي**»(١) فردَّ الأمر إلى الله ﷻ أما أن يقول: **اللَّهُمَّ** أمتني **اللَّهُمَّ** عجل موتي، أو **اللَّهُمَّ** أرحني من هذه الدنيا، أو ما أشبه ذلك لا؟ لا يقول هذا الكلام، بل يقول: «**اللَّهُمَّ احْيني إذا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيراً لِي، وَتَوفّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيراً لي**» يرد الأمر لله ﷻ.

وفي **الحديث الثالث**: حديث خَبَّاب لما اشتد به المرض وكوى عدة كيات ﷺ قال: وَلَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَانَا أَوْ نَهَى أَنْ نَتَمَنَّى المَوْتَ لَتَمَنَّيْتُ وقال: إنه قال النبي ﷺ ذات يوم وهم في مكة وَهُوَ متَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ في ظلِّ الكَعْبَةِ، فقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو لَنا؟ من شدة ما أصابهم من أذى المشركين فقال لهم عليه الصلاة والسلام: «**قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ في الأرضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأسِهِ فَيُجْعَلُ نصفَينِ، وَيُمْشَطُ بأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِه وَعَظْمِهِ، مَا يَصُدُّهُ ذلِكَ عَنْ دِينِهِ**»؛ يعني: قد أُصيب من قبلكم بمصائب أكثر، فالمعنى: اصبروا واحتسبوا ولا تستعجلوا، ثم قال: «**وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ الله هَذَا الأَمْر**» حلف عليه الصلاة والسلام أن الله سوف يُتمه «**وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ الله هَذَا الأَمْر حَتَّى يَسيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَموتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ والذِّئب عَلَى غَنَمِهِ**»؛ يعني: آمناً مطمئناً.

---

(١) أخرجه النسائي من حديث عطاء بن السائب عن أبيه ﷺ في كتاب السهو، باب نوع آخر برقم (١٣٠٥).

في اللفظ الآخر: «**حَتَّى تَخْرُجَ المَرْأَةُ مِنَ الحِيرَةِ إِلَى مَكَّةَ لَا تخافُ إِلَّا اللهَ**»(١) من الأمن، وقد وقع ذلك وقد انتشر الاسلام في عهد عمر رضي الله عنه، وفي عهد عثمان ومن بعدهم، وأمنت البلاد واتسعت رقعة الإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، ودخلت مصر والشام والعراق وغير ذلك من بلدان كثيرة، ودول كثيرة في الإسلام، وقضي على دول الكفر والضلال بسبب ما أعطى الله المؤمنين الصدق والصبر على الجهاد في سبيل الله عز وجل، فلا بد من الصبر فالله وعد بإتمام دينه كما قال عز وجل: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣] لقد وعدهم بالنصر ووفى لهم سبحانه لما وفوا بما عليهم قال عز وجل: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ [الحج: ٤٠ ـ ٤١] قال جلَّ وعلا: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ ـ ١٧٣].

فإذا استقام المؤمنون ونصروا دين الله واجتهدوا في طاعته سبحانه وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر نصرهم الله على عدوهم وآمنهم في بلادهم وأدرَّ عليهم الأرزاق وكفاهم المؤونة سبحانه وتعالى وإذا غيروا غُيرَّ عليهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ﴾ [الرعد: ١١]، كما جرى للماضين قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣]، فمن تغير بالمعاصي والشرك والكفر إلى توحيد الله وطاعته غيَّر الله حاله من الذُلِّ إلى العِزِّ ومن الفقر إلى الغنى، ومن الخوف إلى الأمن ومن عكس؛

---

(١) أخرجه البيهقي من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه ٢/ ٦٧ برقم (١٠٤٢٤) وابن حبان برقم (٧٣٣٠).

يعني: غيَّر الطاعة إلى المعصية وغيَّر التوحيد بالشرك، غُيرت عليه الأمور جزاءً وفاقاً، وما ربك بظلام للعبيد ﷻ.

وفي **الحديث الرابع**: يقول ﷺ لما فتح الله عليه حُنَيناً وفاء الله عليه أموال هوازن فإنه زال الحرج من الله ورسوله لأهل الطائف فجمع الله بينه وبينهم في حُنَينٍ وهزمهم الله وأذلهم وقتل عليه الصلاة والسلام منهم من قتل، وسبى نساءهم وذرياتهم وأموالهم، وكانت الأموال كثيرة من الإبل والغنم، فنفل عليه الصلاة والسلام بعض رؤوس الجيش وأعطاهم من الأموال ما يتألفهم به على دين الله وعلى طاعة الله من الرُوساء والكبراء وشيوخ القبائل تأليفاً لهم؛ لأن الله جعل لهم الحقَّ في الفيء وهم المؤلفة قلوبهم وجعل حقهم في الزكاة أيضاً، فأعطى بعض الرؤساء على مئة من الإبل، فَأَعْطَى الأَقْرَعَ بْنَ حَابسٍ رئيس بني تميم مئَةً مِنَ الإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَة بْنَ حصن رئيس فزارة وعباس بن مرداس رئيس بني سُليم وجماعة آخرين، فألفهم وأعطاهم، فقال بعض الناس ممن في قلبه نفاق: إنَّ هذِهِ قِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ فيهَا وَجْهُ اللهِ إنَّ هذِهِ قِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا؛ يعني: النبي عليه الصلاة والسلام، ما عدل، هذا مقصود الخبيث.

فلما سمعه عبد الله بن مسعود رفع ذلك إلى النبي ﷺ فلما أخبره بكلام هذا المجرم وهذا المنافق فتغير وجهه عليه الصلاة والسلام حَتَّى صار كالصِّرْفِ من الحُمرة. ثُمَّ قَالَ: «**فَمَنْ يَعْدِلِ إِذَا لم يَعْدِلِ اللهُ وَرسولُهُ؟**» في اللفظ الآخر: خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَعْدِل «**وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إذَا لَمْ أَعْدِلْ قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِل**» ثُمَّ قَالَ: «**يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى**»؛ يعني: نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام «**قَدْ أُوذِيَ بأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبر**»(١)؛ يعني: لي أُسوة بمن قبلنا من الرسل فقد أُذوا وصبروا كما قال الله ﷻ له:

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى ﷺ برقم (٣٤٠٥)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه برقم (١٠٦٢) واللفظ له.

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥] قال سبحانه: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وقال: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، هكذا أوصاه ربه بالصبر على شرِّ الناس وأذاهم وتهمتهم، وليس هذا ببدع فقد أُوذي الرُسل قبله عليه الصلاة والسلام، فلا يستنكر أن يقع ذلك بعد من مضى من الرسل مع خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام، فإذا كان الرسل يبتلون بهؤلاء المجرمين ويتهمونهم، فكيف يطمع بعد ذلك أحدٌ في السلامة، حتى الرب ﷻ ما سلم من عباده، حتى الرب ما سلم من الملحدين المجرمين الكفار الذين أنكروا خبره وأنكروا ما جاءت به رُسله وكذبوا ما قال جلَّ وعلا، فلا يطمع أحد في سلامته في هذه الدنيا فلا بد من أذى ولا بد من مصائب، فليصبر وليحتسب وليسأل ربه التوفيق والإعانة وليجتهد في طاعة الله ورسوله حتى يلقى ربه، فلا يحسب أبداً أنه سوف يسلم لا بد من شيء من مصائب إما مرض وإما فقر وإما أذىً من بعض الأقارب من بعض الأصدقاء أو من بعض الجيران.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية والصبر والاحتساب على طاعته وعلى المصائب حتى نلقاه ﷺ، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد.

❋❋❋

٤٣ ـ وعن أنسٍ ؓ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ الله بعبدِهِ الخيرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ في الدُّنْيا، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبدِهِ الشَّرَّ أمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يومَ القِيامَةِ». وَقالَ النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ» رواه الترمذي(١). وقال: حديثٌ حسنٌ.

---

(١) أخرجه في كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء برقم (٢٣٩٦)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء برقم (٤٠٣١).

٤٤ ـ **وعن** أنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ ابنٌ لأبي طَلْحَةَ رضي الله عنه يَشتَكِي، فَخَرَجَ أبُو طَلْحَةَ، فَقُبِضَ الصَّبيُّ، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ، قَالَ: مَا فَعَلَ ابْنِي؟ قَالَتْ أَمُّ سُلَيم وَهِيَ أمُّ الصَّبيِّ: هُوَ أَسْكَنُ مَا كَانَ، فَقَرَّبَتْ إليه العَشَاءَ فَتَعَشَّى، ثُمَّ أَصَابَ منْهَا، فَلَمَّا فَرَغَ، قَالَتْ: وَارُوا الصَّبيَّ فَلَمَّا أَصْبحَ أَبُو طَلْحَةَ أَتَى رسولَ الله ﷺ فَأخْبَرَهُ، فَقَالَ: «أعَرَسْتُمُ اللَّيلَةَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا»، فَوَلَدَتْ غُلاماً، فَقَالَ لي أَبُو طَلْحَةَ: احْمِلْهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ النَّبيَّ ﷺ، وبَعَثَ مَعَهُ بِتَمراتٍ، فَقَالَ: «أمَعَهُ شَيءٌ؟» قَالَ: نَعَمْ، تَمَراتٌ، فَأَخَذَهَا النَّبيُّ ﷺ فَمَضَغَهَا، ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْ فِيهِ فَجَعَلَهَا في فِيِّ الصَّبيِّ، ثُمَّ حَنَّكَهُ وَسَمَّاهُ عَبدَ الله. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

📖 وفي رواية للبُخَارِيِّ: قَالَ ابنُ عُيَيْنَةَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصارِ: فَرَأَيتُ تِسعَةَ أوْلادٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَؤُوا القُرْآنَ؛ يَعْنِي: مِنْ أوْلادِ عَبدِ الله المَولُودِ.

📖 وَفي رواية لمسلم: مَاتَ ابنٌ لأبي طَلْحَةَ مِنْ أمِّ سُلَيم، فَقَالَتْ لأَهْلِهَا: لَا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بابْنِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ، فَجَاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْه عَشَاءً فَأَكَلَ وَشَرِبَ، ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَتْ تَصنَّعُ قَبْلَ ذلِك، فَوَقَعَ بِهَا. فَلَمَّا أَنْ رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبعَ وأَصَابَ مِنْهَا، قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، أَرَأَيتَ لو أَنَّ قَوماً أعارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيتٍ فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ، أَلَهُمْ أن يَمْنَعُوهُمْ؟ قَالَ: لا، فَقَالَتْ: فَاحْتَسِبْ ابْنَكَ، قَالَ: فَغَضِبَ، ثُمَّ قَالَ: تَرَكْتِني حَتَّى إِذَا تَلطَّخْتُ، ثُمَّ أخْبَرتني بِابْني؟!

فانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رسولَ الله ﷺ فَأَخبَرَهُ بِمَا كَانَ فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «بَارَكَ اللهُ في لَيلَتِكُمَا»، قَالَ: فَحَمَلَتْ. قَالَ: وَكَانَ رسولُ الله ﷺ في سَفَرٍ وَهيَ مَعَهُ، وَكَانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا أَتَى المَدِينَةَ مِنْ سَفَرٍ لَا يَطْرُقُهَا

طُرُوقاً فَدَنَوا مِنَ المَدِينَة، فَضَرَبَهَا المَخَاضُ، فَاحْتَبَسَ عَلَيْهَا أَبُو طَلْحَةَ، وانْطَلَقَ رسولُ الله ﷺ.

قَالَ: يَقُولَ أَبُو طَلْحَةَ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ يَا رَبِّ أَنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَ رسولِ الله ﷺ إِذَا خَرَجَ وَأَدْخُلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ وَقَدِ احْتَبَسْتُ بِمَا تَرى، تَقُولُ أُمُّ سُلَيْم: يَا أَبَا طَلْحَةَ، مَا أَجِدُ الَّذِي كُنْتُ أجدُ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا وَضَرَبَهَا المَخَاضُ حِينَ قَدِمَا فَوَلَدَت غُلاماً. فَقَالَتْ لِي أُمِّي: يَا أَنَسُ، لا يُرْضِعْهُ أَحَدٌ حَتَّى تَغْدُو بِهِ عَلَى رسولِ الله ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحَ احْتَمَلْتُهُ فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رسولِ الله ﷺ..

وَذَكَرَ تَمَامَ الحَدِيثِ(١).

الشـَرح

هذه الأحاديث الثلاثة كلها تتعلق بالصبر والاحتساب وعدم الجزع في المصائب.

الحديث الأول: يقول ﷺ: «**إِذَا أَرَادَ الله بعبدِهِ الخَيرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ في الدُّنيا، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يومَ القِيَامَةِ**» هذا يدل على أن العبد إذا أراد الله به الخير ابتلاه بأشياء يكفر بها خطاياه وسيئاته من مرض أو فقر أو غير ذلك مما قد يبتلى به، فيكفر الله به من خطاياه ويكون ذلك عقوبة له على ذنبه الذي اقترف، فيمحو الله به ذلك الذنب، وهذا من إحسان الله إليه؛ لأن عقوبات الدنيا أسهل وأيسر من عقوبات الآخرة، وَإِذَا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العقيقة، باب تسمية المولود برقم (٥٤٧٠)، وفي الجنائز، باب من لم يظهر حزنه عند المُصيبة برقم (١٣٠١)، ومسلم في كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وجواز تسميته يوم ولادته واستحباب التسمية بعبد الله وإبراهيم وسائر أسماء الأنبياء ﷺ برقم (٢١٤٤).

أَرَادَ اللهُ بِعَبدِهِ الشَّرَّ أمْسَكَ عَنْهُ بذَنْبِهِ؛ يعني: أُمهل وأُنظر واستُدرج فيبقى صحيحاً سليماً معافى على ذنوبه وسيئاته وعدم توبته، فيكون ذلك أشد في عقوبته يوم القيامة فيوافى بذنوبه لم يكفر منها شيء لا بمرض ولا بفقر ولا بغير ذلك، فيكون ذلك أشد وأخطر بخلاف من ابتُلي في الدنيا بشيء من العقوبات التي نتجت عن أعماله السيئة من مرض أو فقر أو تسليط عدو أو غير هذا من المصائب، فيكفر الله بها من خطاياه ويمحو بها من سيئاته.

ويقول ﷺ: «**إنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**» كلما عظمت العقوبة عظم الجزاء، كلما عظمت البلية عظم الجزاء من مرض أو فقر أو موت قريب أو موت زوجة أو أذىً من أحد أو غير ذلك فتكفر الخطايا، ويعظم الأجر بذلك لمن صبر واحتسب ويقول الله جلَّ وعلا: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]؛ يعني: اختبار وامتحان فمن صبر أفلح ومن جزع هلك، ويستحب للمؤمن مع الصبر الرضا عن الله وأن يكون شاكراً لنعم الله راضياً عن ربه ﷻ، يعلم أن ربه حكيم عليم، وأنه يبتلي عباده بالسراء والضراء، في الشدة والرخاء، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**عَجَباً لأَمْرِ المُؤْمِنِ إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ وَإنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ**»[1].

وفي قصة أبي طلحة مع زوجته أم سليم أيضاً عظة وذكرى وتوجيه إلى الخير وتعليم لغيرها أن تحذو حذوها في الصبر، فإن أُم سليم كان

---
(١) سبق تخريجه في باب الصبر برقم (٢٧).

عندها ولد مريض فدخل عليها زوجها أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري ﷺ وسأل عن ابنه، فقالت: هو أسكن ما كان وقد مات، لكنها قَالَتْ لأَهْلِهَا: لَا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِابْنِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ، فلما سأل عنه قالت: هو أسكن ما كان، فظن أنه هادئ وأنه طيب ومرادها أنه قد مات؛ لأن الميت أسكن ما يكون ما عنده حركة، تأولت، وقدمت له عشاءه وطعم وشرب واتصل بها وجامعها، ثم قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عارية ثم طلبوا عاريتهم، أَلَهُمْ أن يَمْنَعُوهُمْ؟ قَالَ: لا، فَقَالَتْ: فَاحْتَسِبْ ابْنَكَ؛ يعني: إنه عارية عندنا، أعطاه لنا الله جلَّ وعلا عارية وأخذ عاريته، فلا ينبغي لنا أن نجزع، بل ينبغي أن نصبر ونحتسب.

فتكدر أبو طلحة من ذلك من كونها تركته حتى فعل حاجاته وشهواته ولم تخبره بولده، فانطلق إلى الرسول ﷺ وأخبره فقال له النبي: «**بَارَكَ اللهُ في لَيْلَتِكُمَا**» لما أخبره أنه اتصل بها قال «**بَارَكَ اللهُ في لَيْلَتِكُمَا**» ثم جهز الصبي وانتهوا منه بعد ذلك، وأراد الله أن تحمل من هذا الجماع فولدت غلاماً، ثم بعث به أبو طلحة أخاه أنساً ـ أخاه من أمه ـ أنس بن مالك الأنصاري ﷺ إلى النبي ﷺ حتى يحنكه وحتى يُسميه، فأرسلوه إليه أول ما ولد ومعه تمرات فأخذها النبي ﷺ ومضغ بعض التمرات في فمه وألقاها في فم الصبي وحنكه ودعا له وسماه عبد الله فبارك الله في ذلك الصبي بهذه الدعوة المباركة وولد له تسعة من الولد؛ يعني: من الصُلحاء، كلهم حفظوا القرآن وكانت لهم سمعة حسنة وكان منهم من روى الأخبار والأحاديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام.

فهذه من البركات التي نشأت عن الصبر والاحتساب والدعوة المباركة من النبي عليه الصلاة والسلام لهم بالبركة في ذريتهما، وفي هذا من الفوائد أنه ينبغي للمرأة أن تعظ زوجها كما ينبغي أن يعظها، كل منهما يعظ الآخر فيما يتعلق بالمصائب حتى يصبر كل منهما ولا يجزع،

وفيه من الفوائد أنه لا مانع من أن تتصنَّع المرأة لزوجها عند المصيبة وأن لا تخبره بالمصيبة حتى يقضي وطره منها، وفيه من الفوائد أنه لا مانع من تسمية المولود يوم ولادته وإن سمي يوم السابع فذلك حسن، وإن سمي يوم ولادته فذلك شرع إن سمي يوم السابع وعقَّ عنه يوم السابع فهذا بيَّنه النبي ﷺ قال: «**كُلُّ غُلَام مُرْتَهَنٌ بِعَقِيقَتِهِ تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سابِعِه وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ وَيُسَمَّى**»(١). فالأفضل أن يسمى يوم السابع ويحلق رأسه وتذبح عنه عقيقة شاتان عن الذكر وواحدة عن الأنثى.

هذا يوم السابع هذا هو الأفضل، وإن سمي يوم الولادة فلا بأس، فقد سمى النبي ﷺ ابنه إبراهيم يوم الولادة، وسمى عبد الله بن أبي طلحة يوم الولادة كل ذلك شرع سواءً في اليوم الأول أو في يوم السابع كله شرعي، كله عمل به النبي ﷺ.

وفَّق الله الجميع.

***

٤٥ ـ وعن أبي هريرةَ ؓ أنّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بالصُّرَعَةِ، إنَّمَا الشديدُ الَّذِي يَملكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(٢).

□ وَ(الصُّرَعَةُ): بضَمِّ الصَّادِ وَفَتْحِ الرَّاءِ وأَصْلُهُ عِنْدَ العَرَبِ مَنْ يَصْرَعُ النَّاسَ كَثيراً.

٤٦ ـ وعن سُلَيْمَانَ بن صُرَدٍ ؓ، قَالَ: كُنْتُ جالِساً مَعَ النَّبيّ ﷺ، وَرَجُلانِ يَسْتَبَّانِ، وَأَحَدُهُمَا قدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ، وانْتَفَخَتْ أوْدَاجُهُ، فَقَالَ

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث سمرة في كتاب الذبائح، باب العقيقة برقم (٣١٦٥).
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب برقم (٦١١٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبِأيِّ شيء يذْهبُ الغضب برقم (٢٦٠٩).

رَسُول اللهِ ﷺ: «إنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أعُوذ باللهِ منَ الشَّيطَانِ الرَّجِيم، ذَهَبَ منْهُ مَا يَجِدُ». فَقَالُوا لَهُ: إنَّ النَّبيَّ ﷺ، قَالَ: «تَعَوَّذْ باللهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ» متفق عليه[1].

٤٧ ـ **وعن** معاذِ بنَ أنسٍ ﷺ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيظاً، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ ﷻ عَلَى رُؤُوسِ الخَلائِقِ يَومَ القِيامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنَ الحُورِ العِينِ مَا شَاءَ» رواه أبو داود، والترمذي[2] وقال: حديثٌ حسنٌ.

الشَرح

هذه الأحاديث الثلاثة كلها تدل على شرعية الصبر وعظيم فائدته ولا سيما عند الغضب، فالإنسان يُبتلى بالغضب كثيراً عند وجود أسبابه وقد يقع في مشاكل بسبب ذلك من قتل وضرب وطلاق وغير ذلك، فينبغي له في مثل ذلك أن يحتمي بالصبر، وأن يحمل نفسه على الصبر، وأن يجاهدها حتى لا ينفذ طلبه؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بالصُّرَعَةِ، إنَّمَا الشَدِيدُ الَّذِي يَملكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ**» هذا الحديث الصحيح يدل على أن القوي الحازم هو الَّذِي يَملكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ فهو أولى باسم الشديد، وإن كان الذي يصرع الناس يسمى شديداً. فهو الذي يصرع الناس يطرح بقوته

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده برقم (٣٢٨٢)، وفي كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن برقم (٦٠٤٨)، وفي الأدب، أيضا برقم (٦١١٥)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبِأيِّ شيء يذْهبُ الغضب برقم (٢٦١٠).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب من كظم غيظاً برقم (٤٧٧٧)، والترمذي في كتاب البر والصلة، باب في كظم الغيظ برقم (٢٠٢١)، وفي كتاب صفة القيامة باب منه برقم (٢٤٩٣)، وابن ماجه في كتاب الزهد باب الحلم برقم (٤١٨٦).

ويسمى شديداً ولكن أولى منه بهذا الاسم وأحق منه بهذا الاسم **«الَّذِي يَملكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»** ويجاهدها ويلزمها الحق عند ثوران الغضب.

وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أن جاءه رجل فقَالَ: يا رسول الله أَوْصِنِي. قَالَ: **«لَا تَغْضَبْ»**. فَرَدَّدَ مِرَاراً، قَالَ: **«لَا تَغْضَبْ»**، فالغضب خطره كبير، ولكن من جاهد نفسه وقوي عليها سلمه الله من شره وهكذا قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الثاني لما رأى شخصين تخاصما واشتد غضب أحدهما حتى انْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، واحْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ ﷺ للرجل الذي اشتد غضبه: **«إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أعُوذ باللهِ منَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ، ذَهَبَ منْهُ مَا يَجِدُ»** هذا فيه الحثّ على التعوذ بالله عند وجود الغضب وهو من أسباب زوال الغضب، وهكذا الوضوء الشرعي عند الغضب من أسباب زواله، وهكذا السكوت عن الكلام، والجلوس، أو قيام من المكان إلى مكان آخر كل هذا من أسباب السلامة.

وفي **الحديث الثالث**: يقول عليه الصلاة والسلام: **«مَنْ كَظَمَ غَيظاً، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ ﷻ عَلَى رُؤُوسِ الخَلائِقِ يَومَ القِيامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنَ الحُورِ العِينِ»** ليختار من أيها ما شاء، هذا فضل كبير يدل على فضل كظم الغيظ؛ يعني: قد يبتلى بالغيظ وإن كان لا يريده وقد يبتلى بالغضب الشديد لكون الخصم أثاره أو زوجته أو أبيه أو أمه أو غير ذلك، يحتاج إلى تحمل وإلى صبر، فإذا كظم غيظه ولم ينفذه لا بضرب ولا سب ولا غير ذلك، فقد وعده الله بهذا الخير العظيم، فينبغي للمؤمن أن يحاسب نفسه ولا سيما عند وجود أسباب الغضب، لعله يقوى على كظم غيظه والسلامة من شر الغضب بالطرق التي بينها الرسول ﷺ من

التعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ومن الوضوء الشرعي، وترك الكلام والخوض فيما يسبب الغضب، والقيام من المكان إلى مكان آخر، إلى غير هذا من الأسباب التي يستطيعها.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❋ ❋ ❋

٤٨ ـ وعن أبي هريرةَ ﷺ: أنَّ رَجُلاً قَالَ للنبي ﷺ: أوصِني. قَالَ: «لا تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مِراراً، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ» رواه البخاري(١).

٤٩ ـ وعن أبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَا يَزَالُ البَلَاءُ بالمُؤمِنِ وَالمُؤْمِنَةِ في نفسِهِ ووَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى الله تَعَالَى وَمَا عَلَيهِ خَطِيئَةٌ» رواه الترمذي(٢)، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٥٠ ـ عن ابْنِ عباسٍ ﷺ، قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أخِيهِ الحُرِّ بنَ قَيسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمرُ ﷺ، وَكَانَ القُرَّاءُ أصْحَابَ مَجْلِس عُمَرَ ﷺ وَمُشاوَرَتِهِ كُهُولاً كانُوا أوْ شُبَّاناً، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لابْنِ أخيهِ: يَا ابْنَ أخِي، لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأمِيرِ فَاسْتَأذِنْ لِي عَلَيهِ، فاسْتَأذَن فَأذِنَ لَهُ عُمَرُ. فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: هِي يَا ابنَ الخَطَّابِ، فَواللهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ وَلا تَحْكُمُ فِينَا بالعَدْلِ. فَغَضِبَ عُمَرُ ﷺ حَتَّى هَمَّ أنْ يُوقِعَ بِهِ. فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أميرَ المُؤْمِنينَ، إنَّ الله تَعَالَى قَالَ لِنَبيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وَإنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، واللهِ مَا جَاوَزَهاَ عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا، وكَانَ وَقَّافاً

---

(١) أخرجه في كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب برقم (٦١١٦).
(٢) أخرجه في كتاب الشهادات، باب ما جاء في الصبر على البلاء برقم (٢٣٩٩).

عِنْدَ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى.. رواه البخاري(١).

٥١ ـ **وعن** ابن مسعود رضي الله عنه: أن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «إنَّهَا سَتَكونُ بَعْدِي أثَرَةٌ وأُمُورٌ تُنْكِرُونَها!» قَالُوا: يَا رَسُول الله، فَما تَأْمُرُنا؟ قَالَ: «تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسأَلُونَ الله الَّذِي لَكُمْ» متفقٌ عليه(٢).

□ وَ(الأَثَرَةُ): الانْفِرادُ بالشَّيءِ عَمنَ لَهُ فِيهِ حَقٌّ.

الشَّرح

فهذه الأحاديث الأربعة كالتي قبلها في الحث على الصبر وإلزام النفس ما يجب عليها ومنعها مما يضرها ويغضب الله عليها، هكذا المؤمن صبور في كل أموره، يجاهد نفسه ويلزمها بالحق ويكفها عما يضرها.

ففي **الحديث الأول**: يقول ﷺ لما سأل الرجل قال: أوصني يا رسول الله، قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**» فردد مراراً، قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**» رواه البخاري في الصحيح، يبيِّن لنا أن الغضب فيه خطرَ ولهذا ينبغي للمؤمن أن يجاهد نفسه حتى يبتعد عن أسباب الغضب، الغضب له أسباب وبحاجة لترك أسبابه؛ لأنه متى استحكم في الإنسان صعب عليه الخلاص منه بعد ذلك، فينبغي للمؤمن الحذر من أسبابه من المُلاحاة والمخاصمات مع أهله وأولاده وغيرهم، وأن يكون سمحاً صبوراً متحملاً، قد يسمع الكلمة التي لا تناسب فيعفو ويصفح، قد يُخطأ عليه فيعفو، وقد يؤذى فيصبر تفادياً لما قد يضرُ.

(١) أخرجه في كتاب التفسير، باب: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، الْعُرْفُ: الْمَعْرُوف برقم (٤٦٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام برقم (٣٦٠٣)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول برقم (١٨٤٣).

وتقدم قوله ﷺ: **«لَيْسَ الشَّدِيدُ بالصُّرَعَةِ، إنَّمَا الشَدِيدُ الَّذِي يَملكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»**؛ يعني: القوي الذي يستحق أن يمدح هو الذي يملك نفسه عند الغضب ويقهرها حتى لا تقع في المهالك.

في **الحديث الثاني**: يقول ﷺ: **«مَا يَزَالُ البَلَاءُ بالمُؤمِنِ وَالمُؤْمِنَةِ في نفسِهِ ووَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى الله تَعَالَى وَمَا عَلَيهِ خَطِيئَةٌ»**؛ يعني: لا يزال البلاء ينزل بالمؤمن وبالمؤمنة من مرض أو أذى قريب أو أذى ولد أو جار أو غير هذا من البلايا؛ ولهذا قال: **«في نفسِهِ ووَلَدِهِ وَمَالِهِ»**، لكنه يتلقى هذا بصدر رحب وتحمل وصبر **«حَتَّى يَلْقَى الله تَعَالَى وَمَا عَلَيهِ خَطِيئَةٌ»** ليس بالجزع بل يتحمل ما يصيبه من البلاء ويقول: **«إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»**، قدرُ الله وما شاء فعل، فلهذا صح عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال: **«مَا مِنْ عبدٍ يُصَابُ بِمُصِيبَةٍ فَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أُجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْ لي خيراً منها إلا آجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها»**[1].

وفي **الحديث الثالث**: يقول الحُرُّ بنُ قَيسٍ الفزاري: إن عُيَيْنَة بْن حِصْنٍ قدم على عمر رضي الله عنه لما كان أمير المؤمنين في المدينة وكان الحُرُّ بنُ قَيسِ بْنِ حِصْنٍ الفزاري ابن أخي عُيَيْنَة بْن حِصْنٍ وكان من العُلماء ومن الأخيار ومن جُلساء عمر رضي الله عنه وَكَانَ القُرَّاءُ وهم العلماء أصْحَابَ مَجْلِس عُمَرَ رضي الله عنه وأصحاب مُشاوَرَتِهِ كُهُولاً كانُوا أَوْ شُبَّاناً، كانوا يجالسونه ولهم معه مجالس في المشاورة في أمور المسلمين، فلما قدم عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ وهو شيخ قبيلة فزارة من شيوخ القبائل، وعادة شيوخ القبائل قد يتجوزون في الكلام وقد يقع منهم ما لا ينبغي من الكلمات؛ لأنهم شيوخ قبائل

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الجنائز، باب مَا جَاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْمُصِيبَةِ برقم (١٥٩٨)، والإمام أحمد ٦/ ٣٢١.

كبار؛ فلهذا قد يزلون بالكلمات التي لا تناسب كأنهم بين قومهم، فقال ائذن لي على عمر فاسْتَأْذَن فَأذِنَ لَهُ، فَلَمَّا دَخَلَ على عمر رضي الله عنه قَالَ: هِيه يَا ابنَ الخَطَّابِ، فَوَاللهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ وَلا تَحْكُمُ فِينَا بالعَدْلِ.

وهذه كلمة شنيعة لا تقال لمثل عمر وهو أعدل الناس بعد الرسول ﷺ وبعد أبي بكر الصديق، وكان يضرب المثل بعدله رضي الله عنه وعنايته وحرصه على أمور المسلمين وشفقته عليهم وإيصالهم حقوقهم والتأكيد على الأُمراء في إيصال الحقوق إليهم والحذر من مضرتهم، ثم يقابله بهذا الكلام الذي لا يليق كأنه يقابل بعض البادية الذين عنده فلهذا هَمَّ به عمر وغضب رضي الله عنه، فقال له الحُرُّ بنَ قَيسٍ ابن أخي هذا الرجل: (**يَا أميرَ المُؤْمِنينَ، إنَّ الله تَعَالَى قَالَ لِنَبيِّهِ ﷺ**: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩])، وَإنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، قال: فسكت عمر واللهِ مَا تَجَاوَزَهاَ حين تَلاَهَا الحُرِّ، وكَانَ وَقَّافاً عِنْدَ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى رضي الله عنه، ففي هذا صبر الإنسان مع القدرة صبر الأُمراء والرؤساء والملوك، وأنه ينبغي لهم عند الوعظ والتذكير أن يتحملوا وأن يصبروا وأن يعفو، فالعفو لا يأتي إلا بخير؛ ولهذا عفا عمر رضي الله عنه وأعرض عن هذا الرجل ولم يعاتبه على كلمته العوراء الخبيثة، وهذا يدل على أنه ينبغي للأمراء والرؤساء والأعيان أن تكون عندهم قوة على الصبر والتحمل حتى لا يؤذوا أحداً ولا يضروا أحداً.

كذلك حديث ابن مسعود رضي الله عنه؛ أن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «**إنَّهَا سَتَكونُ بَعْدِي أثَرَةٌ وأُمُورٌ تُنْكِرُونَها!**» قَالُوا: يَا رَسُول الله، فَما تَأْمُرُنا؟ قَالَ: «**تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسأَلُونَ الله الَّذِي لَكُمْ**»، وفي اللفظ الآخر: «**فَإنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ**»(١).

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل برقم (٣٤٥٥)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب الوفاء ببيعةِ الخلفاء الأول فالأول برقم (١٨٤٢).

أخبرهم النبي ﷺ أنها سَتَكونُ بَعْده أثَرَةٌ من الأمراء والأعيان والموظفين، قد تكون هناك أثَرَةٌ يستأثرها ولاة الأمور وقد يقع أُمُورٌ تُنْكِرُونَها! يعني: من ولاة الأمور قال الصحابة: فَما تَأْمُرُنا يَا رَسُول الله؟ قَالَ: «**تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ**»، من السمع والطاعة والإعانة على الخير وأداءِ الأمانة والنصح للمسلمين وغير هذا من الحقوق «**وَتَسأَلُونَ الله الَّذِي لَكُمْ**»؛ يعني: إذا بخسوكم شيئاً من حقكم، فاسألوه الله ﷻ ولا تنزعوا يداً من طاعة ولا تفتحوا باب الفتنة، هكذا نصحهم عليه الصلاة والسلام؛ ليتحملوا ما قد يقع من الرؤساء والكبار والأمراء، وأن يؤدوا الحق الذي عليهم لولاة الأمور من السمع والطاعة والإعانة على الخير وكتم أسباب الفتن إلى غير هذا مما ينبغي مع ولاة الأمور، وما نقصوه من حق الرعية فإن الإنسان يسأل الله أن يعوِّضه عن ذلك ولا يفتح باب الفتنة على الناس، ولا يسعى في إيقاظ الفتنة والشر على الناس، بل يتحمل ما ضاع عليه ويسأل الله من فضله ﷻ حتى لا يكون سبب شر على المسلمين في كلامه أو فعاله أو غير هذا مما قد يقع منه.

وفَّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

٥٢ ـ وعن أبي يحيى أُسَيْد بن حُضَير ؓ: **أنَّ رَجُلاً مِنَ الأنْصارِ، قَالَ: يَا رسولَ الله، ألَا تَسْتَعْمِلُني كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلاناً، فَقَالَ: «إنكُمْ سَتَلْقَونَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوني عَلَى الحَوْضِ»** متفقٌ عليه(١).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي ﷺ: «**اصْبِروا حَتَّى تَلْقَوْني على الحَوْضِ**» برقم (٣٧٩٢)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم برقم (١٨٤٥).

□ (وأُسَيْدٌ): بضم الهمزة. و(حُضَيْرٌ): بحاءٍ مهملة مضمومة وضاد معجمة مفتوحة، والله أعلم.

٥٣ ـ وعن أبي إبراهيم عبدِ الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: أنَّ رَسُول الله ﷺ في بعْضِ أيامِهِ التي لَقِيَ فِيهَا العَدُوَّ، انْتَظَرَ حَتَّى إِذَا مالَتِ الشَّمْسُ قَامَ فيهِمْ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَاسْأَلُوا الله العَافِيَةَ، فَإِذَا لقيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أنّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلالِ السُّيوفِ».

ثُمَّ قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانصُرْنَا عَلَيْهِمْ» متفقٌ عليه[1]. وبالله التوفيق.

الشَّرح

فهذان الحديثان كالأحاديث السابقة عن النبي عليه الصلاة والسلام في الحث على الصبر عند المصائب والصبر على الطاعات، والصبر عن محارم الله، والصبر عندما يبتلى المسلم بشيء من الظلم.

وقد سبق جملة من الآيات الكريمات في أمر الصبر كما قال جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، قال عز وجل: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، قال سبحانه: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، قال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧] في

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس برقم (٢٩٦٥ و٢٩٦٦)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء برقم (١٧٤٢).

آيات كثيرات كلها تدل على شرعية الصبر وتأكده، وأنه لا بد منه للمؤمن وهو أنواع ثلاثة:

النوع الأول: الصبر على طاعة الله الصبر على توحيد الله والإخلاص له وتخصيصه بالعبادة جلَّ وعلا والصبر على أداء الصلاة كما أمر الله، وعلى أداء الزكاة كما أمر الله، وعلى أداء صيام رمضان كما أمر الله، وعلى أداء الحج كما أمر الله، وهكذا الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وإكرام الجار، إلى غير هذا من أنواع الصبر على طاعة الله.

والنوع الثاني: صبر عن معاصي الله، وهو من أشقها على النفوس وأعظم ذلك الصبر عن الشرك والحذر منه وإخلاص العبادة لله وحده ثم الصبر عن بقية المعاصي، عن سفك الدماء بغير حق، عن الزنى، عن شرب المسكرات، وعن الربا، وعن عقوق الوالدين، عن قطيعة الرحم، عن شهادة الزور، عن الكذب، عن غير هذا من معاصي الله كالغيبة والنميمة والسباب، وغير هذا مما حرم الله، لا بد من الصبر عن هذه المحارم والحذر منها طاعة لله وتعظيماً له ورجاء ثوابه.

النوع الثالث: الصبر على المصائب التي تصيب الإنسان في نفسه أو في أهله أو في ماله من فقر، أو مرض أو موت قريب أو غير ذلك فلا يجزع بل يتحمل ويقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، قدر الله وما شاء فعل، ولا مانع من تعاطي الأسباب، التي تُعينُه على الصبر، يستعين بالله يتذكر لقاءه بربه وأن الله يجازيه بأعماله فيستعين بذلك على الصبر على طاعة الله وعلى الصبر عن معاصي الله، وعلى الصبر على المصائب.

وفي هذا أن بعض الأنصار قَالَ: يَا رسولَ الله، ألَا تَسْتَعْمِلُني كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلاناً وفُلاناً؛ يعني: تُؤمرُني تجعلني على عمل، فَقَالَ عليه الصلاة والسلام: «**إنكُمْ سَتَلْقَونَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوني عَلَى الحَوْضِ**»؛ يعني: إنكم ستلقون بعدي من يؤثر عليكم غيركم ويقدم غيركم عليكم من الأمراء والملوك «**فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوني عَلَى الحَوْضِ**» تقدم في الحديث السابق عن ابن مسعود أنه قال عليه الصلاة والسلام: «**إنَّهَا سَتَكونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وأُمُورٌ تُنْكِرُونَها!**» قَالُوا: يَا رَسُول الله، فَما تَأْمُرُنا؟ قَالَ: «**تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسأَلُونَ الله الَّذِي لَكُمْ**» فالمؤمن مبتلى، فعليه أن يؤدِي الحق الذي عليه لوالديه ولأقاربه وجيرانه وولاة الأمور من السمع والطاعة وعدم شقِ العصا إلى غير ذلك، ويسأل الله الذي له من الحقوق إذا بُخسها ولم ينصف أو ظُلم ولم يُعط حقه يسأل الله الذي له، ولا مانع من أن يطالب بحقه ويأخذه بالطرق الشرعية، لا بأس إذا ظُلم لا مانع أن يطالب بحقه وأن يسعى في إزالة الظلامة بالطرق التي شرعها الله ﷻ.

وفي هذا الحديث أيضاً حديث عبدِ الله بن أبي أوفى ﵁؛ أن النبي عليه الصلاة والسلام كان إذا أراد الغزو أو أراد الإغارة على أحد ولم يتيسر أول النهار أخر ذلك حتى تزول الشمس، فإذا زالت الشمس أغار على من يريد من الكفرة، وكان يقول ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَاسْأَلُوا الله العَافِيَةَ**» (قال أهل العلم: معنى ذلك لا تمنوا ذلك مستخيرين أو مُرائين أو جازمين بأنكم منصورون بدون الأسباب الشرعية أو ما أشبه ذلك من العجب ونحو ذلك)، أما تمني لقاء العدو رغبة في الجهاد ومحبة في الجهاد فهذا مطلوب كما قال ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ**»(١)،

(١) يأتي تخريجه في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله برقم (١٣٤١) ج٤.

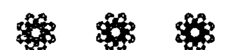
وقال جلَّ وعلا: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١٠ ـ ١١]، وقال سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣].

فالمسلمون مأمورون بالجهاد والقتال فإذا تمنى المسلم لقاء العدو لنصر دين الله وإقامة أمر الله لا فخراً وخيلاء ولا عُجباً بنفسه ولا رياءً ولكنه يتمنى ذلك من أجل ما شرع الله من الجهاد ومن أجل إقامة الدين، ومن أجل دعوة الناس إلى دين الله والدفاع عن دينه في قتال أعدائه ثم قال: «**لا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَاسْأَلُوا الله العَافِيَةَ فَإِذَا لقيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا**»، إذا قدَّر الله اللقاء بالعدو فالواجب الصبر وعدم الفرار وعدم الجبن، بل يصبر المؤمن في لقاء عدوه ويتحمل مع إخوانه «**وَاعْلَمُوا أنّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلالِ السُّيوفِ**» السيوف التي تُسلُ في سبيل الله ويقاتل بها في سبيل الله، أهلها موعودون بدخول الجنة والكرامة كما قال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١].

ثم يقول عند اللقاء عليه الصلاة والسلام بهذه الدعوات: «**اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانصُرْنَا عَلَيْهِمْ**»، ففي هذا شرعية الدعاء في الجهاد وعن الثقة بالله ومع الصبر، المؤمن يسأل ربه ويطلبه أن يعينه وأن يهزم عدوه وأن يثبت أقدامه هكذا المؤمن، ثم فعله المصطفى عليه الصلاة والسلام وهو سيد أهل الإيمان وهو أفضل أهل الإيمان وأصبرهم عليه الصلاة والسلام ومع ذلك يفتقر

لربه ويسأله المغفرة والثبات والإعانة؛ لأن العبد ضعيف إلا بالله إن نصره الله، وإلا فهو ضعيف، فإذا نصره الله وأيده تمت له السعادة.

وفَّق الله الجميع.





٤ ـ بَابُ الصدق

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١].

وأما الأحاديث:

٥٤ ـ فالأول: **عن** ابن مسعود رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «إنَّ الصِّدقَ يَهْدِي إِلَى البرِّ، وإنَّ البر يَهدِي إِلَى الجَنَّةِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَصدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقاً. وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكتَبَ عِنْدَ الله كَذَّاباً» متفقٌ عليه(١).

٥٥ ـ الثاني: **عن** أبي محمد الحسن بنَ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما، قَالَ: حَفظْتُ مِنْ رَسُول الله ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ؛ فإنَّ الصِّدقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَالكَذِبَ رِيبَةٌ» رواه الترمذي(٢) وقال: حديثٌ صحيحٌ.

□ قوله: (يَرِيبُكَ): هُوَ بفتح الياء وضمها: ومعناه: اتركْ مَا تَشُكُّ في حِلِّهِ وَاعْدِلْ إِلَى مَا لا تَشُكُّ فِيهِ.

٥٦ ـ الثالث: عن أبي سفيانَ صَخرِ بنَ حربٍ رضي الله عنه في حديثه الطويلِ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] برقم (٦٠٩٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله برقم (٢٦٠٧).

(٢) أخرجه في كتاب صفة القيامة، . . . إلخ، باب منه برقم (٢٥١٨).

في قصةِ هِرَقْلَ، قَالَ هِرقلُ: فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ - يعني: النَّبيّ ﷺ - قَالَ أبو سفيانَ: قُلْتُ: يقولُ: «اعْبُدُوا اللهَ وَحدَهُ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيئاً، وَاترُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، ويَأْمُرُنَا بالصَّلاةِ، وَالصِّدْقِ، والعَفَافِ، وَالصِّلَةِ» متفقٌ عليه(١).

الشَّرح

هذه الآيات والأحاديث الثلاثة فيما يتعلق بالصدق، والصدق شأنه عظيم وفائدته كبيرة في الدين والدنيا جميعاً، فالصادقون هم أولياء الله أما الكذابون من جملة أولياء الشيطان، فالواجب على المؤمن أن يتحرى الصدق في أعماله وأقواله، وأن يحذر الكذب في أقواله وأعماله ديناً؛ ودنيا ولهذا قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، فالتقوى هي طاعة الله ورسوله وهي الاستقامة على دين الله والصدق من ذلك، الصدق من التقوى ولكن نبَّه عليه الرب ﷻ لعظم شأنه فقال: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ خص الصدق بالذكر؛ لأنه من أهم التقوى، ومن أعظم شعب التقوى وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي باب منه برقم (٧)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام برقم (١٧٧٣).

فالصادقون والصادقات لهم شأن عظيم في عبادتهم لله، وفي أدائهم ما أوجب الله، وفي تركهم ما حرم الله، وفي وقوفهم عند حدود الله، وقال ﷻ: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١]؛ يعني: لو عاملوه بالصدق في أقوالهم وأعمالهم لكان خيراً لهم، والصدق صفة المؤمنين، والكذب صفة المنافقين، فالواجب على المؤمن أن يحذر خصال المنافقين ويبتعد عنها وقال ﷻ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

والصدق يكون في القول ويكون في العمل فالصادق في القول هو المبتعد عن الكذب، وفي العمل هو الذي يؤدي حق العمل، فيكون صادقاً في صلاته، صادقاً في زكاته، صادقاً في صومه، صادقاً في حجه، صادقاً في جهاده، صادقاً في بره لوالديه، صادقاً في دعوته إلى الله، صادقاً في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر إلى غير ذلك، بعض الناس يرضى بالرسوم فقط مجرد الرسوم، والحقائق لا حقائق عنده، هذه حال المنافقين نعوذ بالله يتظاهرون بالصدق ويُخفون الكذب في أقوالهم وأعمالهم ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٢ ـ ١٤٣] هذه حال أهل النفاق نسأل الله العافية، فلا يجوز للمؤمن أن يتصف بصفاتهم ولا أن يتخلق بأخلاقهم، وقال عليه الصلاة والسلام: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقاً وَإِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّاباً**». يقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا

﴿يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]، فالكذابون هم الذين يجترئون على محارم الله ويتركون ما أوجب الله ﷻ، فعلى المؤمن أن يتحرى الصدق في أقواله وأعماله، ويبتعد عن صفات أهل النفاق وهي الكذب في الأقوال والأعمال، والتظاهر بالصدق وهو مع الكذابين في أقواله وأعماله.

وهكذا حديث الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما يقول: إنه سمع النبي ﷺ يقول: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ؛ فإنَّ الصِّدقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَالكَذِبَ رِيبَةٌ**»، والمؤمن يتحرى الشيء الواضح البيِّن الذي لا شبهة فيه فيفعله ويدع ما فيه شبهة حتى لا يقع في الكذب ولا يقع في الحرام «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ**»؛ يعني: ما تشُكُ فيه «**إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ**» إلى شيء لا ريب فيه ولا شك فيه، بل هو واضح في حله وفي كونه طاعة لله، ليس فيه شبهة فالمؤمن يتحرى هذا الشيء، يتحرى الشيء الطيب، والواضح البين الحلال، أو الواضح أنه طاعة لله، أما ما فيه شبهة حلال أو ليس بحلال، أو فيه شبهة هل هو طاعة أو ليس بطاعة يتركه، يكفيه الواضح البين من طاعة الله ومما أحل الله ﷻ، وما كان موافقاً للصواب وحصلت معه الطمأنينة، فالصدق فيه الطمأنينة والراحة، راحة الضمير، والكذب فيه التردد، وفيه الريبة، وفيه اضطراب الضمير، بسبب عدم اطمئنانه؛ لأن هذا الشيء موافق لشرع الله، فالمؤمن يطمئن عند الصدق وعند البر، وإذا جاءت الأمور الأخرى التي فيها الريب تردد واقشعر قلبه من ذلك، وخاف أن يقع في الباطل، فينبغي للمؤمن أن يتحرى الصدق في كل شيء، وألا يكون حظه الترسُم أو القول من دون حقيقة كالمنافقين، نعوذ بالله من ذلك.

وهكذا حديث أبي سفيان بن حرب حين سأله ملك الروم عن أمر النبي ﷺ قال له: ماذا يأمركم؟ يعني محمداً عليه الصلاة والسلام، وكان أبو سفيان في تجارة إلى الشام قبل فتح الشام في حياة النبي عليه الصلاة

والسلام وكان ملك الروم في فلسطين ذاك الوقت في القدس، فأخبر أن هنا رهطاً من قريش من أصحاب هذا النبي فدعاهم وجمعهم إليه، وقال: إني سائلكم عن هذا النبي، عن هذا الرجل الذي يدعي أنه نبي فاصدقوني، وجمع أصحابه معه وسأل من أقربهم إليه نسباً؟ قالوا: أبو سفيان فجمعهم إليه، وقال: إني سائلك عن شيء يتعلق بهذا النبي فإن كذب فكذبوه، فجمعهم حوله وسأله عن مسائل، منها قال له: بماذا يأمركم؟ قال: يأمرنا أن نعبد الله وحده، وألا نشرك به شيئاً، وأن نترك ما يقول آباؤنا من الشرك ـ هذا أول شيء وأعظمه أنه يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن الشرك بالله ﷻ.

كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

قال: ويأمرنا بالصلاة والصدق والصلة والعفاف، هكذا أخبر ملك الروم أنه يأمرهم بتوحيد الله والإخلاص له وترك الإشراك به ويأمرهم بالصلاة؛ يعني: بإقامة الصلاة ويأمرهم بالصدق في القول والعمل، ويأمرهم بصلة الرحم، ويأمرهم بالعفاف عن الفواحش، وفي آخر سؤالاته قال: لئن كان كما قلت؛ يعني: هذه أوصافه ليملكنَّ موضع قدمي هاتين، وقد وقع ذلك فلما استخلف أبو بكر ثم جاءت خلافة عمر وتوجهت الجيوش إلى الشام أجلوا الروم من الشام وتملكها المسلمون، فالمقصود أنه ﷺ يأمر بالصلة والصدق والعفاف، كما أمر بالتوحيد والإخلاص والصلاة، فهو يأمر أيضاً بالصدق بالأقوال والأعمال، ويأمر بصلة الرحم، ويأمر بالعفاف عن المحارم، ويدعو إلى مكارم الأخلاق، وإلى محاسن الأعمال، وينهى عليه الصلاة والسلام عن سفاسف الأخلاق وسيئ الأعمال، فينبغي على المؤمن أن يتحرى ما أمر الله به

ورسوله فيعمل به ويستقيم عليه، وأن يترك ما حرم الله ورسوله فيبتعد عنه ويحذره ويُحذره الناس، يرجو ثواب الله ويخشى عقاب الله.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❊ ❊ ❊

٥٧ ـ الرابع: عن أبي ثابت، وقيل: أبي سعيد، وقيل: أبي الوليد، سهل بن حُنَيْف ﷺ وَهُوَ بدريٌّ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ سَأَلَ الله تَعَالَى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ» رواه مسلم(١).

٥٨ ـ الخامس: عن أبي هريرةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «غَزَا نبيٌّ مِنَ الأنْبياءِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ لِقَومِهِ: لا يَتْبَعَنِّي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امرأة وَهُوَ يُريدُ أنْ يَبْنِي بِهَا وَلَمَّا يَبْنِ بِها، وَلا أحَدٌ بَنَى بُيُوتاً لَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلا أحَدٌ اشْتَرَى غَنَماً أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ أَوْلادَها، فَغزا فَدَنَا مِنَ القَرْيَةِ صَلاةَ العَصْرِ أَوْ قَريباً مِنْ ذلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إنَّكِ مَأمُورَةٌ وَأنَا مَأمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا، فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيهِ، فَجَمَعَ الغَنَائِمَ فَجَاءتْ؛ يعني: النَّارَ لِتَأكُلَهَا فَلَمْ تَطعَمْها، فَقَالَ: إنَّ فِيكُمْ غُلُولاً، فَلْيُبايِعْني مِنْ كُلِّ قَبيلةٍ رَجُلٌ، فَلَزِقَتْ يد رجل بِيَدِهِ فَقَالَ: فِيكُمُ الغُلُولُ فلتبايعني قبيلتك، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغلول، فَجَاؤُوا بِرَأْس مثل رأس بَقَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ، فَوَضَعَهَا فَجاءت النَّارُ فَأَكَلَتْها. فَلَمْ تَحلَّ الغَنَائِمُ لأحَدٍ قَبْلَنَا، ثُمَّ أحَلَّ الله لَنَا الغَنَائِمَ لَمَّا رَأَى ضَعْفَنا وَعَجْزَنَا فَأَحَلَّهَا لَنَا» متفقٌ عليه(٢).

(١) أخرجه في كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى برقم (١٩٠٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس، باب قول النبي ﷺ: «**أُحلت لكم الغنائم**» =

□ (الخَلِفَاتُ): بفتحِ الخَاءِ المعجمة وكسر اللامِ: جمع خِلفة وهي الناقة الحامِل.

٥٩ ـ السادس: عن أبي خالد حَكيمِ بن حزام رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «البَيِّعَانِ بالخِيَار مَا لَمْ يَتفَرَّقَا، فَإنْ صَدَقا وَبيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا في بيعِهمَا، وإنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بركَةُ بَيعِهِما» متفقٌ عليه[1].

الشَرح

هذه الأحاديث الثلاثة تدل على عظم شأن الصدق، وأن الصدق عاقبته حميدة وفضله كبير، وأنه ينبغي لكل مؤمن ولكل مؤمنة أن يتحرى الصدق في أقواله وأعماله، وأن يحذر الكذب في أقواله وأعماله، كما قال عز وجل في كتابه العظيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال سبحانه: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩]، فالصدق في القول وفي العمل فيتحرى الصدق في أقواله، ويتحرى الصدق في أعماله، فيؤدي الصلاة صادقاً مُكملاً لها، ويؤدي الزكاة صادقاً مُكملاً لها، وهكذا الصوم، وهكذا الحج، وهكذا الجهاد، وهكذا بر الوالدين، وهكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهكذا بقية الأوامر، وهكذا تجنب المحارم، يجب فيها الصدق.

وفي **هذا الحديث** من الأحاديث الثلاثة: يقول ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ الله**

= برقم (٣١٢٤)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة برقم (١٧٤٧)، وأحمد ٢/٣١٨.

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب إذا بيّن البيعان ولم يكتما ونصحا برقم (٢٠٧٩)، ومسلم في كتاب البيوع، باب الصدق في البيع والبيان برقم (١٥٣٢).

تَعَالَى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»؛ يعني: من سأل الله صدقاً أن يرزقه الشهادة في سبيله بلغه منازل الشهداء وإن مات على فراشه، فضلاً منه ﷻ هذا يدل على فضل الصدق، وأن الصادقين يبلغون منازل الصدق وإن لم يدركوا مطالبهم التي طلبوها ما داموا صادقين في أقوالهم وأعمالهم، والله يُبلغهم منازل الصديقية وإن كانوا لم يبلغُوا ما طلبوا وأرادوا، بعد بذلهم الجهد وبذلهم المطلوب.

وفي **الحديث الثاني**: أن نبياً من الأنبياء غزا فقال: «**غَزَا نبيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِم فَقَالَ لِقَومِهِ: لا يَتْبَعَنِّي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امرأة وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا، وَلا أحَدٌ بَنَى بُيُوتاً لَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلا أحَدٌ اشْتَرَى غَنَماً أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ أَوْلادَها**». المقصود من هذا أن هؤلاء ما يصدقون في الجهاد، هذا وراءه امرأة ما دخل عليها وقلبه مُعلق بها، وهذا عنده بيوت بنى أُسسها ولم يُكملها فقلبه مُعلق بها حتى يُكملها، وهذا وراءه غنم وخلفات ينتظر ولادتها ونتاجها، فهم يخافون من الموت، ما يصدقون في الجهاد؛ يعني: لا يتبعني إلا رجل مُفرغ للجهاد، صادق في الجهاد، راغب في الجهاد، ليس وراءه ما يشغله عن الجهاد، فلما قرُب من القرية التي يريد جهادها عند العصر قال يخاطب ربه: يا رب احبس عليَّ هذه الشمس، وقال: إنكِ مأمورة ـ يعني: الشمس ـ وأنا مأمور؛ يعني: أنتِ مأمورة بالسير وأنا مأمور بجهاد هؤلاء، ثم قال: يا رب احبسها علينا فحبسها الله عليه، وقفت ولم تغب حتى فتح الله عليه.

هذه من آيات الله جلَّ وعلا أن أيد رسله وأيد الدعاة إليه بما يشاء ﷻ، ومن ذلك أنه حبس الشمس على هذا النبي، والمشهور أنه يوشع بن نون، عليه الصلاة والسلام فتى موسى، أوحى الله إليه وجعله

نبياً بعد موسى، فالمقصود أن الله فتح عليه وحبس عليه الشمس، الحديث من أصح الأحاديث عن رسول الله، عليه الصلاة والسلام فهو جلَّ وعلا يتصرف في عباده كيف يشاء، وفي خلقه كيف يشاء، كما أنه في آخر الزمان يُطلعها من مغربها، آية من آيات قُرب الساعة، فهكذا إذا شاء حبسها ﷻ، إذا شاء حبسها عن السير، وفي هذا الحديث حبسها على هذا النبي حتى فتح الله عليه، وهذا كله من بركة الصدق، لما كان صادقاً في الجهاد، صادقاً في إبلاغ رسالة الله، صادقاً في أداء الواجب أعانه الله حتى بحبس الشمس، تقف عن السير حتى نفذ أمر الله في هؤلاء الكفرة.

وفي **الحديث الثالث**: حديث حكيم بن حزام يقول ﷺ: «**البَيِّعَانِ بالخِيَار مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا في بيعِهمَا، وإنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بركَةُ بَيعِهِما**» هذا يبين لنا أن الصدق في المعاملات، والبيع والشراء، والبيان وعدم كتمان العيوب، من أسباب البركة، وأما عدم الصدق، وعدم البيان، من أسباب محق البركة، فمن كان يعامل الناس بالصدق وعدم الغش بارك الله له في أعماله وتجارته، ومن عامل الناس بالكذب والغش والخيانة محق الله بركة تجارته، وإن بلغت ما بلغت، بل قد يعاقب به حتى تكون زاده إلى النار، بسبب كذبه وخيانته وغشه، فينبغي للمؤمن أن يتقي الله في معاملاته، وأن يحرص على الصدق، والبيان وعدم الغش، حتى يبارك له، وحتى يسلم من غضب الله.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❁ ❁ ❁




٥ ـ بَابُ المراقبة

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨ ـ ٢١٩]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

والآيات في الباب كثيرةٌ معلومةٌ.

وأما الأحاديث:

٦٠ ـ فالأول: عن عمر بن الخطاب ﷺ، قَالَ: بَيْنَما نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُول الله ﷺ ذَاتَ يَوم، إذْ طَلَعَ عَلَينا رَجُلٌ شَديدُ بَياضِ الثِّيابِ، شَديدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيهِ أثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيهِ إِلَى رُكبتَيهِ، وَوَضعَ كَفَّيهِ عَلَى فَخِذَيهِ، وَقالَ: يَا مُحَمَّدُ، أخبرني عَنِ الإسلامِ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «الإسلامُ: أنْ تَشْهدَ أنْ لا إلـهَ إلَّا الله وأنَّ مُحمَّداً رسولُ الله، وتُقيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيتَ إن اسْتَطَعْتَ إلَيْهِ سَبيلاً». قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ! قَالَ: فَأَخْبرنِي عَنِ الإيمَانِ. قَالَ: «أنْ تُؤمِنَ باللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ». قَالَ: صَدقت. قَالَ: فأَخْبرني عَنِ الإحْسَانِ. قَالَ: «أنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأنَّكَ تَرَاهُ فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّهُ يَرَاكَ». قَالَ: فَأَخْبِرني عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بأعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قَالَ: فأخبِرني عَنْ أَمَاراتِهَا. قَالَ:

«أنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وأنْ ترَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ في البُنْيَانِ». ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيّاً، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُمَرُ، أَتَدْري مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ ورسُولُهُ أعْلَمُ. قَالَ: «فإنَّهُ جِبْريلُ أَتاكُمْ يعَلِّمُكُمْ أمْرَ دِينكُمْ». رواه مسلم(١).

□ ومعنى: (تَلِدُ الأَمَةُ رَبَّتَهَا)؛ أيْ: سَيِّدَتَهَا؛ ومعناهُ: أنْ تَكْثُرَ السَّراري حَتَّى تَلِدَ الأَمَةُ السُّرِّيَّةُ بِنْتاً لِسَيِّدِهَا وبنْتُ السَّيِّدِ في مَعنَى السَّيِّدِ وَقيلَ غَيْرُ ذلِكَ. وَ(العَالَةُ): الفُقَراءُ. وقولُهُ: (مَلِيّاً)؛ أَيْ: زَمَناً طَويلاً وَكانَ ذلِكَ ثَلاثاً.

الشرح

هذه الآيات الكريمات والحديث الشريف فيما يتعلق بالمراقبة، والمعنى: مراقبة الله سبحانه في أداء الأوامر وترك النواهي، وهذا هو الواجب على كل مسلم أن يراقب ربه في جميع ما يأتي، وما يذر في أعماله وأقواله، وسائر أعماله، فإنه متى راقب ربه سبحانه وحذره وخافه ﷻ أدى الحق كما ينبغي، وابتعد عما لا ينبغي، ووقف عند الحدود، ومتى غفل وقع فيما لا ينبغي، فالغفلة طريق الشيطان إلى ترك الأوامر وارتكاب النواهي؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

هم الغافلون عما خُلقوا له من طاعة الله ﷻ، فالمراقبة لازمة للمؤمن والمؤمنة أينما كانا في أداء الحقوق واجتناب النواهي، والوقوف عند الحدود، حتى لا يخدعه الشيطان، وحتى لا تُضله النفس الأمارة

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه برقم (٨).

بالسوء، وحتى لا يقع فيما يضره، ويغضب الله عليه؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨ ـ ٢١٩]، وقبلها يقول سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢١٧ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٧ ـ ٢٢٠]، ويقول ﷻ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

فالله شاهد عليك أينما كنت، يرى حركاتك وسكناتك، يرى أعمالك ويرى تصرفاتك أينما كنت، فعليك أن تراقبه سبحانه في أقوالك وأعمالك، حتى لا تفعل إلا ما يُرضيه، وحتى تبتعد عن مساخطه ومناهيه ﷻ، وقال ﷻ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧]، وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، فالذي معك أينما كنت، يرى مكانك ويطلع على قلبك وعلى إراداتك وعلى أهوائك، عليك أن تحذره، سبحانه والله يقول سبحانه: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، فهو لا يخفى عليه خافية، مع أنه ﷻ فوق العرش فوق جميع الخلق، ولكن علمه في كل مكان، يعلم كل شيء، ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [المائدة: ٧]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥].

فالذي يعلم كل شيء، ويعلم خائنة الأعين، ويعلم ما تنطوي عليه الصدور، يجب أن تُجله وتحذره، سبحانه وتراقبه في أعمالك وأقوالك، حتى تُؤدي ما شرع الله لك كما شرع، وحتى تبتعد عما نهاك الله عنه كما

نهى ﷺ، ترجو ثوابه وتخشى عقابه، وهكذا أمَرَكَ مولاك، وهكذا أرشدك وعلمك، وبعث نبيه إليك، حتى تستمع لما يقول، وحتى تعي ما يقول، وحتى تعمل بذلك، ولك على ذلك حسن المصير لك الجنة، والكرامة والسعادة والسلامة من غضب الله وعقابه.

أما حديث جبرائيل: حديث عمر ﷺ في قصة جبرائيل فهو حديث عظيم من أصح الأحاديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، والله جلَّ وعلا بعث جبرائيل ليعلِّم الناس، وفي الحديث نفسه أنه كان عليه الصلاة والسلام كان بارزاً للناس في بعض الأيام فلم يتقدموا أن يسألوا وهابوا، فأرسل الله جبرائيل وسأل حتى يعلم الناس، حتى يستفيد الناس من هذا السؤال؛ ولهذا قال في آخره: هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم، فالله أرسله؛ ليسأل والناس يسمعون فأتاه عليه الصلاة والسلام وكان عليه ملابس بيض وشعره أسود ولا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه من الصحابة أحد، وجه غريب لا يُعرف، تشكل بشكل آدمي وهو ملكٌ كريم له ستمائة جناح، كل جناح منها مد البصر، في خلقته التي خلقه الله عليها، ولكنه يتشكل بأمر الله على أشكال، وفي هذه المرة جاء على شكل إنسان غريب شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه من الصحابة أحد، فجلس إلى النبي ﷺ وأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، مبالغة في القُرب والسؤال، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، وفي اللفظ الآخر: يا رسول الله أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَام. حتى يسمع الناس، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سبيلا»**.

يعني: هذه أركان الإسلام فسر له الإسلام بأركانه وعُمُدِهِ العظيمة، وكل طاعة من طاعات الله فهي من الإسلام، وكل ترك معصية كذلك من

الإسلام، ولكن هذه أركانه، هذه عُمُدُه التي يقوم عليها، الشهادتان والصلاة والزكاة والصيام والحج، هذه أركانه الخمسة؛ فلا بد من شهادة أن لا إلـه إلا الله وهي الأصل الأصيل، الشهادة بأن الله واحد لا شريك له هو المعبود بالحق وهو رب الجميع وخالق الجميع والمتصرف في الكون، وهو ذو الأسماء الحسنى، والصفات العُلى ﷻ، لا شريك له ولا ند له، جلَّ وعلا، ولا بد مع هذا من الشهادة أن محمداً رسول الله صدقاً من قلبك، تعلم أن الله أرسله إلى الناس عامة الجن والإنس، من أجابه واتبع ما جاء به فله الجنة والسعادة، ومن حاد عن سبيله واتبع هواه فله الخيبة والندامة والنار.

فهاتان الشهادتان هما أصل الدين، هما أساس الملة، شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله وهاتان الشهادتان هما الركن الأول من أركان الإسلام، وهما أعظم الأركان، فمن قالهما عن صدق دخل في الإسلام، ثم يؤمر بالصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك من أوامر الله ورسوله، ثم يلي هاتين الشهادتين الصلوات الخمس، وهي عمود الإسلام في اليوم والليلة خمس مرات للرجال والنساء، ثم الزكاة زكاة المال، ثم صوم رمضان، ثم حج البيت، هذه الأركان الخمسة.

ثم قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**» هذه أركان الإيمان وأصوله، أن تؤمن بالله رباً وإلـٰهاً ومعبوداً بالحق ﷻ، وأنه ﷻ فوق العرش، فوق جميع الخلق، عالٍ فوق خلقه، قد استوى على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته، لا يشابه خلقه في شيء من صفاته، كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، وتؤمن بالملائكة، وهم عباد مكرمون، خلقهم الله من النور، وهم أقسام وأصناف، منهم

جبرائيل، هذا السائل، ومنهم الملائكة الموكلون بالجنة، والموكلون بالنار، والموكلون بقبض أرواح العباد، إلى غير ذلك من أصنافهم، عليهم الصلاة والسلام قال فيهم جلَّ وعلا: ﴿...بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٨] هذه حالهم، وقال فيهم جلَّ وعلا: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

فهم خلقهم الله من النور، وجعلهم مُطيعين له، ممتثلين لأوامره، تاركين نواهيه، عليهم الصلاة والسلام ومن جملتهم ملك الموت، من جملتهم جبرائيل الذي يأتي بالوحي من السماء إلى الرسل، عليهم الصلاة والسلام، وهو الذي سأل عن هذه المسائل، وملائكته وكتبه كذلك، الكُتب المنزلة من السماء، التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، وأشرفها القرآن، وهو كتاب الله العظيم، المنزل على محمد، عليه الصلاة والسلام.

فعلى المؤمن أن يؤمن بملائكة الله وكُتب الله، وأن لله ملائكة، وأن له كُتباً أنزلها على الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام أعظمها وأشرفها كتاب الله القرآن، ويؤمن بالرسل، عليهم الصلاة والسلام جميعاً، وأولهم نوح أرسله الله إلى الأرض بعد ما وقع الشرك، وآخرهم محمد عليه الصلاة والسلام، وهو خاتم الأنبياء، فعلى كل مؤمن أن يؤمن بأن الله أرسل الرسل يدعون الناس إلى توحيد الله وطاعة الله كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وعليه أن يؤمن باليوم الآخر، وهو الركن الخامس، أن يؤمن باليوم الآخر؛ يعني: البعث بعد الموت، والجنة والنار، والحساب والجزاء، لا بد من هذا، عليه أن يؤمن بذلك، ويصدق بذلك، وأنه حق، والسادس الإيمان بالقدر، وأن الله قدر الأشياء وعلمها وكتبها سبحانه، فكل ما في الوجود قد كتبه الله ومضى في علمه ﷻ لا يغيب عن علمه شيء، ولا يخفى عليه

شيء، وقد قدر كلَّ شيء وأحصى كلَّ شيء، من آجال العباد، وأرزاقهم وأعمالهم، وطاعاتهم ومعاصيهم، وأهل الجنة، وأحصى أهل الجنة وأهل النار، إلى غير ذلك، كله مُقدر معلوم لدى الله ﷻ.

ثم سأله عَنِ الإِحْسَانِ. فقَالَ: **«أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»** هذه المراقبة **«أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»**؛ يعني: تعبد ربك كأنك تشاهده، مؤمناً خائفاً وجلاً مُعظماً لربك ﷻ، **«فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»** يراقبك ﷻ ولا يخفى عليه خافية، فاعبد الله على هذا الحال؛ يعني: اعبد الله كأنك تشاهد ربك حتى تخشع وتؤدي الحق وتحذر غضب الله وعقابه، فإن لم تعبده على هذا الوجه **كَأَنَّكَ تَرَاهُ** فاعلم أنه يراك ﷻ وأنه يشاهدك، وأنه جلَّ وعلا لا تخفى عليه منك خافية، فاعبد الله على هذا المعنى، وهذه هي المراقبة والمشاهدة، المشاهدة تعبد الله كأنك تراه، والمراقبة تعبد الله على أنه سبحانه يراقبك ويعلم مكانك، فتؤدي حقه عن إيمان، وعن رغبة، وعن رهبة، وعن حياء، وعن صدق، وعن إخلاص، هكذا يجب على المؤمن في كل أموره أن يراقب ربه سبحانه وأن يخشاه ويحذره، حتى يؤدي حقه كما أمر، وحتى يبتعد عما نهى عنه ﷻ.

ثم سأله عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ **«مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»**، فالمعنى: أني لا أعلمها وأنت أيها السائل لا تعلمها، علمها إلى الله جلَّ وعلا كما قال سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٧] هو الذي يعلم متى تقوم الساعة لا يعلمها إلا هو ﷻ؛ يعني: ساعة مجيئها وساعة قيامها لا يعلمه إلا هو ﷻ، والساعة تقوم يوم الجمعة؛ لكن لا يعلم متى تقوم هل بعد مائة عام أو بعد خمسين عاماً أو أقل أو أكثر، هذا إلى الله ﷻ، لكنك الآن في آخر الزمان، نحن في آخر الزمان ومضى أكثره ولم يبق منه إلا القليل، وكان النبي ﷺ ذات يوم بين أصحابه في آخر النهار والشمس في

أطراف الجبال وأطراف الشجر، قال: **«لم يبق من دنياكم إلا كما بقي من هذا اليوم»** وهم في آخر النهار، والله المستعان.

ثم قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. يعنى علاماتها قَالَ: **«أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا»**؛ يعني: أن تكثر الإماء السراري حتى يطأ السيد أمته؛ يعني: جاريته فتحمل فتكون أولادها بمنزلة ساداتها؛ لأن ولد الأمة كالسيد لها، وبنتها كالسيدة لها؛ لأنها بنت سيدها؛ ولأن الذكر أبو سيدها فكانت كالسيد لها، وهذا وقع في العرب من أزمانٍ طويلة بعدما فتح الله عليهم الفتوح وجاهدوا الكفرة، وملكوا الإماء والعبيد، وكثُر فيهم هذا؛ فلهذا وقع أول أشراط الساعة في عهد النبي ﷺ وبعده، **«وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ** - يعني: الغنم - **يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ»**.

هؤلاء هم العرب هذه صفاتهم الأُولى كانوا في الغالب عليهم الفقر والحاجة ورعاية الغنم، ثم أمدهم الله بعد ذلك بالخير العظيم والرزق الواسع، وملكوا الناس وصاروا قادة الناس، بسبب دخولهم في الإسلام، واتباعهم للنبي عليه الصلاة والسلام، فتحوا الفتوح، ومصروا الأمصار، وملكوا الدنيا، وصاروا رؤوساً على الناس، وهم العرب، بسبب دخولهم في الإسلام، واستقامتهم على دين الله، رفع الله ﷻ شأنهم وأعزَّ قدرهم بعد ما كانوا حفاة عراة رعاء الشاء، ثم تطاولوا في البنيان، وعمروا العمائر، ورفعوا البناء، لما فتح الله عليهم الدنيا، هذه من علاماتها التي وقعت، ولها علامات سوف تقع وعلامات لم تقع، منها: خروج الدجال من جهة الشرق، وهو كذاب يدعي أنه نبي، ثم يدعي أنه رب العالمين، ومعه مخارق يشبه بها على الناس، ثم ينزل المسيح عيسى ابن مريم من السماء، عليه الصلاة والسلام من السماء فيقتل الدجال، ويحكم الأرض بالعدل وبشريعة محمد، عليه الصلاة والسلام، ثم يخرج يأجوج ومأجوج في عهد عيسى، ثم ينزع القرآن من الصحف والصدور، وهدم الكعبة كذلك في آخر

الزمان، كلٌ هذه من أشراط الساعة، ومن أشراطها طلوع الشمس من مغربها، بعد ما كانت تطلع من مشرقها، علامة على قرب الساعة وقرب قيامها، فإذا طلعت من مغربها لا تقبل التوبة من أحد بعد ذلك، إذا طلعت من مغربها خُتم على الأعمال على ما هي عليه من خير وشر، فلا تُقبل التوبة بعد ذلك من عاصٍ، ولا من كافر، ليس له إلا عمله السابق، وآخر الآيات أن الله جلَّ وعلا يرسل ريحاً طيبةً تقبض أرواح المؤمنين وأرواح المؤمنات، ثم يبقى الأشرار، وعليهم تقوم الساعة، نسأل الله السلامة والعافية.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❋ ❋ ❋

٦١ـ الثاني: عن أبي ذر جُنْدُب بنَ جُنادَةَ وأبي عبدِ الرحمٰنِ معاذِ بن جبلٍ رضي الله عنهما، عن رسولِ الله ﷺ، قَالَ: «اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ[(١)].

٦٢ـ الثالث: عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كنت خلف النَّبيّ ﷺ يوماً، فَقَالَ: «يَا غُلامُ، إنِّي أعلّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسأَلِ الله، وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ باللهِ، وَاعْلَمْ: أنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلَّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِن اجتَمَعُوا عَلَى أنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلَّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحفُ» رواه الترمذي[(٢)] وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

---

(١) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، برقم (١٩٨٧).

(٢) أخرجه في كتاب صفة القيامة والرقاق والورع، عن الرسول ﷺ، باب ٥٩ برقم (٢٥١٦).

📖 وفي رواية غيرِ الترمذي: «احْفَظِ الله تَجِدْهُ أَمَامَك، تَعرَّفْ إِلَى اللهِ في الرَّخَاءِ يَعْرِفكَ في الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ: أنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ: أنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً»(١).

الشَّرح(٢)

هذان الحديثان عن رسول الله عليه الصلاة والسلام فيهما أمره ونواهيه، وأن من اتقاه وقاه الله ﷻ كل شر، ومن حفظ أوامره ونواهيه حفظه الله من كل سوء؛ فلهذا قال عليه الصلاة والسلام لمعاذ ولأبي ذر: «**اتق الله حيثما كنت**»؛ يعني: في جميع الأحوال، في البيت وفي الطريق وفي المسجد والسفر والإقامة والشدة والرخاء والصحة والمرض وفي جميع الأحوال، هكذا يجب على المؤمن والمؤمنة، تقوى الله حيث كان في شأن، في جميع أموره، في صلاته، في صومه، في زكاته في حجه، في بيعه وشرائه، في معاملة أهله، في معاملة جيرانه، في جميع الأحوال، عليه أن يتقي الله ويراقبه ويلزم ما أوجب عليه ﷻ «**وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا**»؛ يعني: بادر بحسنات عند فعل السيئة، إذا زلت قدمك فبادر بالحسنات يمحو الله بها السيئة، ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

والتوبة من أحسن الحسنات فعلى المؤمن أن يتوب إلى الله إذا زلت قدمه وإذا وقع منه شيء مما حرم الله بادر بالتوبة، فالتوبة حسنة بعد سيئة، يمحو الله بها السيئة، يقول جلَّ وعلا: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧).
(٢) شرح سماحة الشيخ لكتاب رياض الصالحين في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض بقراءة فضيلة الشيخ عمر العيد.

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، ويقول ﷺ في الحديث الصحيح: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ**»(١) وأتبع السيئة الحسنة تمحها؛ يعني: احرص على عمل الحسنات في جميع أوقاتك، يمحو الله بها سيئاتك، من التسبيح والتهليل والتحميد، والذكر والاستغفار والصدقة والإحسان إلى الناس، ونصر المظلوم، والإعانة على كل خير، هذه حسنات يمحو الله عن العبد بها السيئات.

«**وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**» كذلك هذا من الحسنات، طيب الوجه، طيب الكلام، حسن المقابلة، هذه هي المخالقة، خالق الناس بخلق حسن، لا بالسب ولا بالشتم ولا بالتعبيس والاكفهرار، ولكن بالكلام الطيب والوجه المنبسط، قال عليه الصلاة والسلام: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»(٢)، إلا من شرَّع الله هجره يستثنى من هذا، من شرَّع الله هجره يهجر، ولكن مع عموم المسلمين يكون عندك الخلق الحسن، وطيب الكلام وحسن المعاشرة، إلا من شرع الله هجره.

وهكذا قوله ﷺ: «**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ**»(٣)، ويقول ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**» كل هذا معناه مراقبة الرب في كل شيء.

«**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ**»؛ يعني: احفظ أوامره، ربنا ﷻ غني عنا ليس في حاجة إلينا، ولكن المقصود حفظ أوامره وحفظ طاعته، وترك

---

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي عبيدة بن عبد الله عن أبيه في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة برقم (٤٢٥٠).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء برقم (٢٦٢٦).

(٣) أخرجه الامام أحمد ٦/ ٣٤١.

معصيته، وهذا معنى نصره أيضاً، يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧] فحفظ الله ونصر الله طاعة أوامره وترك نواهيه، والوقوف عند حدوده، والحذر من معصيته، جلَّ وعلا هكذا يكون المؤمن مراقباً محاسباً، «**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ**» الجزاء من جنس العمل فمن حفظ الله حفظه الله من نفسه وهواه وشيطانه، «**احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تجاهك**» يعني: أمامك.

«**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»؛ يعني: في حاجاتك بربك ﷻ اسأله من فضله، واستعن به واسأله حاجاتك؛ لأنه غني حميد والقادر على كل شيء، جلَّ وعلا وهذا لا يمنع من الأسباب فيضرع إلى الله، ويسأله حاجاته ويستعين به، ومع هذا يتعاطى الأسباب من البيع والشراء والزراعة وغير هذا من وجوه الأسباب، وهكذا الاستعانة بإخوانه فيما ينفعه مما أباح الله فيما يقدرون عليه وهم أحياء قادرون، أما الاستعانة بالأموات أو بالأشجار والأحجار أو بالكواكب أو بالأصنام هذا شرك أكبر، هذا شرك بالله أعوذ بالله، وكفر بالله نسأل الله العافية، لكن الاستعانة بأخيك الحاضر الحي القادر، تستعين به في عمارة بيتك بأُجرة أو بغير أُجرة في غرس شجر، في حفر بئر، في إصلاح سيارة بأُجرة أو بغير أُجرة هذا لا بأس، هذه أمور جائزة بين المسلمين؛ لأن أخاك يسمع كلامك وحاضر أو بالمكاتبة أو بالهاتف، كل هذا لا بأس به.

ثم بيَّن الرسول ﷺ أن الأشياء مقدورة قد مضى بها علم الله، فعليك أن تأخذ بالأسباب، وأن تعتمد على الله ـ جلَّ وعلا ـ وتعرف أن أمورك مضبوطة محفوظة لا يضيع منها شيء، كل ما كتب الله لك لا بد أن يحصل وما لم يكتب لك لا يحصل؛ فلهذا قال: «**وَاعْلَمْ: أَنَّ الأُمَّةَ**»؛ يعني: كلهم «**لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِن اجتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيءٍ**

قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» والمعنى بهذا، الحث على الاتكال على الله، والاعتماد عليه، وقطع التعلق بغيره، والأخذ بالأسباب النافعة، والحذر من الأسباب التي حرمها الله ﷻ، وفي اللفظ الآخر يقول ﷺ: «احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ»؛ يعني: اجتهد في أسباب العافية والقدرة حتى تعرف في أيام الشدة والضرورة، فيحسن إليك ويلطف بك، «تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً»[١].

فالمؤمن هكذا يتحرى أسباب الخير ويجتهد في طاعة ربه ﷻ ويتعرف إليه سبحانه بدعوته والضراعة إليه، وسؤاله قضاء حاجاته، وتفريج كربته، وإعانته على كل خير، فهو القادر على كل شيء ﷻ وهو القائل: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] ولا ييأس؛ ولهذا قال: «وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ» اصبر ويأتي النصر، اصبر على طاعة الله واصبر على الأسباب حتى يأتي النصر، «وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ» كلما اشتدت جاء الفرج، وأن مع العسر يسراً.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❊ ❊ ❊

٦٣ ـ الرابع: عن أنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: إِنَّكُمْ لَتعمَلُونَ أعْمَالاً هي أدَقُّ في أعيُنِكُمْ مِنَ الشَّعرِ، كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُول الله ﷺ مِنَ المُوبِقاتِ. رواه البخاري[٢]. **وَقالَ: «المُوبقاتُ»: المُهلِكَاتُ.**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٦/ ٣٨٣.

(٢) أخرجه في كتاب الرقاق، باب ما يُتَّقى من مُحَقَّراتِ الذنوب برقم (٦٤٩٢).

٦٤ ـ الخامس: **عن أبي هريرة ﷺ، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «إنَّ الله تَعَالَى يَغَارُ، وَغَيرَةُ الله تَعَالَى، أنْ يَأتِيَ المَرْءُ مَا حَرَّمَ الله عَلَيهِ»**[١] **متفق عَلَيهِ. و«الغَيْرةُ»: بفتحِ الغين، وَأَصْلُهَا الأَنَفَةُ.**

الشَّـرح

هذان الحديثان الصحيحان عن رسول الله عليه الصلاة والسلام يدلان على وجوب مراقبة الله، والحذر من محارمه، وأن يتهم الإنسان رأيه فيما يتعاطاه من الأعمال والأقوال، فإنه قد يقع في المعصية وهو لا يشعر، بسبب غفلته وتساهله، فالواجب العناية ومراقبة الله ﷻ في كل شيء؛ ولهذا يقول أنس ﷺ وهو أنس بن مالك خادم النبي عليه الصلاة والسلام يقول: (**إنَّكُمْ لَتعمَلُونَ أعْمَالاً هي أدقُّ في أعيُنِكُمْ مِنَ الشَّعرِ، كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُول الله ﷺ مِنَ المُوبِقاتِ**)؛ يعني: من المهلكات يقول: إن الناس تساهلوا بعده ﷺ حتى صاروا يعدون أعمالاً دقيقة لا تهمهم، كانت عند الصحابة من الموبقات من المهلكات وهذا معناه: أنه يجب على المؤمن أن يحذر وألّا يتساهل في شيء من المعاصي، وهكذا جاء هذا المعنى عن أبي سعيد الخدري ﷺ مثل ما قال أنس، أن الناس بعده ﷺ قد يتساهلون فيما يفعلون من المعاصي ويستصغرونها ويحتقرونها وهي عند السلف الصالح من الصحابة، من الموبقات، من المهلكات وجاء في حديث آخر يقول ﷺ: «**إيَّاكُمْ وَمُحقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ**»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الْغَيْرةِ برقم (٥٢٢٣). ومسلم في كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش برقم (٢٧٦١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد ١/ ٤٠٣ من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ و٥/ ٣٣١ من حديث سهل بن سعد الساعدي.

ثم ضرب لهذا مثلاً، القوم في السفر ينزلون المنزل فيأتي هذا بعود وهذا ببعرة وهذا بكذا، ثم يوقدون ناراً ثم يطبخون عليها حاجاتهم، وهي مجمعة من عود وبعرة ونحو ذلك، تجمع حتى تكون ناراً قوية تنضج الطعام الذي فوقها، وهكذا السيئات قد يحتقرها العبد ويراها صغيرة فتجتمع عليه حتى يهلك بأسبابها؛ لتساهله وعدم عنايته بها وحذره منها.

وفي **الحديث الثاني**: يقول ﷺ: «**إِنَّ الله تَعَالَى يَغَارُ**»؛ يعني: يغضب، وغيرته أن ينتهك العبد ما حرم الله عليه، الله يَغضب على العبد حين ينتهك محارمه ويتساهل بما حرم الله عليه، والله أشد غيرة من عباده؛ ولهذا حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، فيجب على العبد أن يحذر الفواحش وأن يبتعد عنها، وألّا يُعرض نفسه لغضب الله عليه، فإن المعاصي من أسباب غضب الله ومن أسباب دخول النار، كما أن الطاعات من أسباب رضاه ﷻ ومن أسباب دخول الجنة، فليراقب العبد أعماله وأقواله، حتى يتحقق أنها سليمة وأنها تنفعه ولا تضره، فكم من مجازف ومتساهل يقع في المهالك وهو لا يدري.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❊ ❊ ❊

٦٥ ـ السادس: عن أبي هريرة ؓ: **أَنَّه سَمِعَ النَّبيَّ ﷺ، يقُولُ: «إِنَّ ثَلاثَةً مِنْ بَني إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، أَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِليْهِمْ مَلَكاً، فَأَتَى الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ؛ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ**

عَنْهُ قَذَرُهُ وَأُعْطِيَ لَوناً حَسَناً. فَقَالَ: فَأيُّ المَالِ أَحَبُّ إِليكَ؟ قَالَ: الإِبلُ ـ أَوْ قالَ: البَقَرُ شكَّ الرَّاوي ـ فَأُعطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَاركَ الله لَكَ فِيهَا.

فأَتَى الأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَذِرَني النَّاسُ؛ فَمَسَحَهُ فَذَهبَ عَنْهُ وأُعْطِيَ شَعراً حَسَناً. قالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِليْكَ؟ قَالَ: البَقَرُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلاً، وَقالَ: بَارَكَ الله لَكَ فِيهَا. فَأَتَى الأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ الله إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرُ النَّاسَ؛ فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرهُ. قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِليْكَ؟ قَالَ: الغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً والداً، فَأَنْتَجَ هذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكانَ لِهذَا وَادٍ مِنَ الإِبلِ، وَلِهذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَمِ.

ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ في صُورَتِهِ وَهَيئَتِهِ، فَقَالَ: رَجلٌ مِسْكِينٌ قَدِ انقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ في سَفَري فَلا بَلاغَ لِيَ اليَومَ إِلَّا باللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذي أَعْطَاكَ اللَّونَ الحَسَنَ، والجِلْدَ الحَسَنَ، وَالمَالَ، بَعِيراً أَتَبَلَّغُ بِهِ في سَفَري، فَقَالَ: الحُقُوقُ كثِيرةٌ. فَقَالَ له: كأنِّي أعرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ فقيراً فأعْطَاكَ اللهُ!؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المالَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ، فقَالَ: إنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ الله إِلَى مَا كُنْتَ.

وَأَتَى الأَقْرَعَ في صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذا، وَرَدَّ عَلَيهِ مِثْلَ مَا رَدَّ هَذَا، فَقَالَ: إنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

وَأَتَى الأَعْمَى في صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ له: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وابنُ سَبيلٍ انْقَطَعتْ بِيَ الحِبَالُ في سَفَرِي، فَلا بَلَاغَ لِيَ اليَومَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسأَلُكَ بالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتبَلَّغُ بِهَا في سَفري، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أعمَى

فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ فَوَاللهِ ما أَجْهَدُكَ اليَومَ بِشَيءٍ أَخَذْتَهُ للهِ ﷻ فَقَالَ: أَمْسِكْ مالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ. فَقَدْ رضي الله عنك، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيكَ» متفقٌ عليه(١).

□ و(النَّاقةُ العُشَرَاءُ): بضم العين وفتح الشين وبالمد: هي الحامِل. قوله: (أَنْتَجَ) وفي رواية: (فَنتَجَ): معناه: تولَّى نِتاجها، والناتج لِلناقةِ كالقابِلةِ للمرأةِ. وقوله: (وَلَّدَ هَذَا) هُوَ بتشديد اللام؛ أي: تولى ولادتها، وَهُوَ بمعنى أنتج في الناقة، فالمولّد، والناتج، والقابلة بمعنى؛ لكن هَذَا لِلحيوان وذاك لِغيرِهِ. وقوله: (انْقَطَعَتْ بِي الحِبَالُ) هُوَ بالحاءِ المهملةِ والباءِ الموحدة؛ أي: الأسباب. وقوله: (لا أَجْهَدُكَ) معناه: لا أشق عليك في رد شيء تأخذه أَوْ تطلبه من مالي. وفي رواية البخاري: (لا أحمَدُكَ) بالحاءِ المهملة والميم ومعناه: لا أحمدك بترك شيء تحتاج إِلَيْه، كما قالوا: لَيْسَ عَلَى طولِ الحياة ندم؛ أي: عَلَى فواتِ طولِها.

الشَّرح

فهذا الحديث العظيم الجليل أخبر به النبي ﷺ عمن قبلنا؛ لما فيه من العظة والذكرى والحث على مراقبة الله ﷻ وشكر نعمه والحذر من إنكارها وجحدها، هؤلاء ثلاثة ممن قبلنا من بني إسرائيل ـ الذين منهم اليهود ـ الآن بنو إسرائيل هم بنو يعقوب النبي عليه الصلاة والسلام وهو إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام ويلقب إسرائيل، ومعنى إسرائيل: عبد الله، هؤلاء ثلاثة من بني إسرائيل من قبلنا، امتحنهم الله وابتلاهم بالضراء والسراء، ابتلاهم أولاً بالضراء ثم بالسراء، فما وُفقوا لما ابتلاهم، لم يوفقوا إلا واحداً منهم، وُفق واحد وكفر اثنان النعمة، أبرص، وأقرع، وأعمى، البرص مرض معروف الذي

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل برقم (٣٤٦٤)، ومسلم في كتاب الزهد والرقاق باب برقم (٢٩٦٤).

يبتلى به بعض الناس، والقرع مرض في الرأس يسقط معه الشعر، والعمى معروف، أرسل الله إليهم ملكاً ابتلاءً وامتحاناً على فقرهم ومرضهم، **(فقال للأبرص: أي شي أحب إليك قال: جلد حسن ولون حسن)**، فمسح عليه الملك بأمر الله فصلح جسمه وزال عنه البرص ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] ﷻ، **(فقال: أي المال أحب إليك! قال: الإبل أو البقر)** شك الراوي والسياق يدل على أنه أراد الإبل، فأُعطي ناقة عُشراء؛ يعني: حاملاً في بطنها ولد وقال له الملك: بارك الله لك فيها فتمت النعمة، نعمة المال ونعمة الصحة والعافية ثم ذهب عنه.

وأتى الأقرع **(فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به)**؛ يعني: هذا العيب يذهب عني فمسحه الملك وزال عنه الأذى، وأصلح الله رأسه وأعطاه شعراً حسناً، **(فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر)**، فأُعطي بقرة حاملاً وقال له الملك بارك الله لك فيها.

ثم أتى الأعمى وهو الثالث **(قال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يُرد الله لي بصري فأبصر به الناس)** فمسح على عينيه فرد الله إليه بصره. **(قال: أي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأُعطي شاة والداً)**؛ يعني: ولوداً تنتج. وقال له: بارك الله لك فيها.

ثم ذهب عنهم ما شاء الله من الزمان، فبارك الله في هذه الأموال بسبب دعوة الملك لهم، دعا الله لهم فأجاب الله دعوته وبارك لهم ابتلاءً وامتحاناً هل يشكرون أم يكفرون؟ فصار للأبرص وادٍ من الإبل، وللأقرع وادٍ من البقر، وصار للأعمى وادٍ من الغنم، ثم رجع إليهم الملك بأمر الله في صورهم السابقة.

فرجع للأبرص في صورة رجل أبرص، ورجع للأقرع في صورة أقرع، ورجع للأعمى في صورة أعمى، فقال للأبرص: رجل مسكين وابن سبيل؛ يعني: أنا عبد مسكين فقير وابن سبيل ولستُ من هذا البلد، أنا غريب **(أسألك بالذي أعطاك الجلد الحسن واللون الحسن والمال بعيراً أتبلغ به في سفري)**، ذكره بقوله: أعطاك الجلد الحسن، ذكره بحاله الأولى وفقره **(فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر، وجحد النعمة فقال له الملك: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت)**، والظاهر أن الله أجاب دعوته كما أجاب دعوته الأولى، فرجع إلى حاله الأولى أبرص فقيراً، نسأل الله العافية.

ثم أتى الأقرع فقال له مثل ذلك، فقال الأقرع: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر، مثل ما قال الأبرص، **(فقال له الملك: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت)**، والله أعلم أنه رجع أقرع ورجع فقيراً، نسأل الله العافية بسبب الدعوة.

ثم أتى الأعمى **(فقال له: رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري هذا، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك وأعطاك المال شاة أتبلغ بها في سفري)**، فقال: نعم، فقال: **(قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، وكنت فقيراً فأعطاني الله الغنم، فخذ ما شئت ودع ما شئت)**؛ يعني: ما أخص واحدة، بل خذ ما شئت ودع ما شئت، جود عظيم **(فوالله لا أجهدك اليوم بشيءٍ أخذته لله)**؛ يعني: لا أمنعك شيئاً أنت محتاج إليه، فقال له الملك: أمسك عليك مالك؛ يعني: لست بحاجة **(فإنما ابتليتم)**؛ يعني: ابتليتم بالضراء والسراء ابتليتم بالمرض؛ الأول البرص والقرع والعمى، ثم ابتلوا بالعافية والنعمة والمال، في السراء والضراء، **(فقد رضي الله عنك)**، بسبب شكرك النعم واعترافك بالواقع، وقد **(سخط على صاحبيك)**؛ لكفرهم النعمة وإنكارهم ما أعطاهم الله، هذه عقوبة من لم يراقب الله وجحد

النعم واستكبر، عقوبته الهلاك والدمار وغضب الله ﷻ، وأما من شكر النعم واعترف لله بالفضل فعاقبته حميدة، عاقبته الرضا من الله والبركة فيما أعطاه الله، وهذا فيه الحث والتحريض على شكر نعم الله وعلى الصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، وعلى الاعتراف بالنعم وعدم جحدها وإنكارها، وأن الواجب على العبد أن يراقب الله، فهو الذي أعطاه، وهو الذي أنعم عليه وهو الذي ابتلاه بالسراء والضراء فتجب عليه مراقبة الله، والاعتراف بحقه وشكره على نعمه حتى يزيده من فضله، كما يقول سبحانه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، والرسول ﷺ حين قص علينا هذه القصة فالمقصود من ذلك العبرة والذكرى، قصها علينا حتى نشكر نعم الله، حتى لا نتشبه بالأبرص والأقرع، بل ينبغي أن نقتدي بالأعمى لا بالأبرص والأقرع، نعمل بالشكر والاعتراف بالنعم وحمد الله على ما يسر، هذا هو الواجب على كل مسلم أن يعترف بنعم الله، وأن يشكر الله جلَّ وعلا قولاً وعملاً لا مجرد اللسان، وأن يحذر كفران النعم وعدم مراقبة الله سبحانه في ذلك.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❋ ❋ ❋

٦٦ ـ السابع: عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بعدَ المَوتِ، والعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَواهَا وَتَمنَّى عَلَى اللهِ» رواه الترمذي[1] وقال: حديثٌ حسنٌ.

□ قَالَ الترمذي وغيره من العلماء: معنى (دَانَ نَفْسَهُ): حاسبها.

---

(١) أخرجه في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب منه برقم (٢٤٥٩)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له برقم (٤٢٦٠).

٦٧ ـ الثامن: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ» حديثٌ حسنٌ رواه الترمذي[1]. وغيره.

٦٨ ـ التاسع: عن عُمَرَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «لَا يُسْأَلُ الرَّجُلُ فِيمَ ضَرَبَ امْرَأَتَهُ» رواه أبو داود[2]. وغيره.

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة أيضاً فيها المراقبة لله والحساب للنفس، والجهاد لها والإعراض عما لا ينبغي؛ واشتغال الإنسان بما يعنيه ويهمه دون ما لا يعنيه، ولهذا روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ»؛ الكيس: الحازم الفطن الآخذ بالعزم والقوة «مَنْ دَانَ نَفْسَهُ»؛ يعني: حاسبها وجاهدها وعمل لما بعد الموت، الدين: الحساب كما قال جلَّ وعلا: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] يوم الحساب والجزاء ويقول جلَّ وعلا: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥]؛ يعني: جزاءهم الحق وحسابهم الحق، فالكيِّس والحازم والفطن هو الذي قد سعى لخلاص نفسه، وهو الذي يحاسبها ويجاهدها لله، ويراقب الله فيها حتى تستقيم على الطريق، حتى لا تعوج يميناً وشمالاً، حتى تلزم الحق وتبتعد عن الباطل: «وَعَمِلَ لِمَا بعدَ المَوتِ»؛ يعني: حاسب نفسه فيما تأتي وتذر، واشتغل بأعماله التي تنفعه بعد الموت، ينفعه عند لقاء ربه؛ وذلك بأداء الفرائض وترك المحارم، والوقوف عند حدود الله، هذا هو

---

(١) أخرجه في كتاب الشهادات، عن رسول الله ﷺ باب منه برقم (٢٣١٨).
(٢) أخرجه في كتاب النكاح، باب في ضرب النساء برقم (٢١٤٦)، وأخرجه أحمد في مسند عمر برقم (١٢٢)، وابن ماجه في كتاب النكاح، باب ضرب النساء برقم (١٩٨٦).

العمل الذي ينفعه يوم القيامة؛ يعني: يستقيم على دين الله ويتباعد عن محارم الله، وأن يقف عند حدود الله، عن مراقبة لله وعن إخلاص له، وعن جهاد لنفسه وحساب له، لعلها تقف عند الحد، لعلها تنجو.

«**والعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَواهَا وَتَمنَّى عَلَى اللهِ الأماني**»؛ العاجز: المفرط المضيع المتكاسل الذي قد غلبه هواه، ومع هذا يتمنى على الله الأماني، يعطي نفسه هواها في شهواتها المحرمة ويتمنى درجات المقربين والصالحين، هذا هو العاجز، هذا ضعيف الهمة الذي تكاسل عن مطالب الحق وضعف عن إلزام النفس ما ينفعها، حتى تابع هواها فيما حرم الله عليها، وهذا هو الهلاك فإن من أعطى نفسه هواها هلك، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧ ـ ٤١] وقال الله لداود: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

وفي **الحديث الآخر**: «**من حُسْنِ إسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ**»؛ أي: من حسن إسلام العبد وإيمانه أن يترك ما لا يعنيه، وما هو ملزوم أن يسأل الناس عن شيء ما له حاجة أو يتشاغل فيما لا يهمه مشغول به غيره، فالحازم والفاهم هو الذي يتشاغل بما يعنيه وبما ينفعه ويحفظ وقته حتى لا يتشاغل بما لا يعنيه ولا يهمه، فيكون تاركاً ما أهم مشتغلاً بما لا يهم وهذا هو الضعف والعجز، فما ينبغي أن يتدخل فيما لا يعنيه ولا يشتغل بما لا يعنيه من أمور الناس، وإنما يشتغل بنفسه وحاجتها وأسباب صلاحها وما ينفع الناس بما يرضي الله، من أمر بالمعروف ونهي عن منكر، نصيحة، مواساة للفقير، نصر لمظلوم، إلى غير هذا من وجوه الخير ويقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «**مَنْ كَانَ فِي**

حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»[١] هذا ينفع، أما تشاغله بما لا يعنيه من شؤون الناس التي تضره ولا تنفعه هذا من عجزه وعدم كيسه ومن ضعف تصرفه.

وفي **حديث عمر** رضي الله عنه: عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: **«لَا يُسْأَلُ الرَّجُلُ فِيمَ ضَرَبَ امْرَأَتَهُ»**؛ لأنه قد يضربها لأمور خاصة بينه وبينها، تعلق بفراشه، تعلق بغير ذلك، فلا ينبغي التدخل في هذه الأمور، لكن إذا ادعت ما يخالف الشرع، ينصح ويوجه إلى الخير ويعلم، ويقال له: اتق الله؛ لأنها أسيرة عندك أمانة اتق الله فيها، أما كونه يسأل: لماذا ضربتها؟ لماذا لماذا؟ هذا قد يكون هناك أمور خاصة يستحى عن ذكرها، ولا يرغب أن يذكرها، ولكن ما يمنع هذا من نصيحته إذا ادعت عليه ما يضرها، ينصح ويوجه إلى الخير من جهة الحاكم، من جهة العالم، من جهة أبيها، من جهة أبيه، من جهة أقاربه حتى يوفقوا بينهم للإصلاح؛ لأن بعض الأزواج عنده ظلم وعنف وعنده قلة خوف من الله وقلة مراقبة لله، فيضربها فيما لا تستحق ويتسارع إلى ضربها عند كل شيء لا يتحمل الضرب، وهذا من الجهل والظلم وقلة البصيرة.

فإن ضرب المرأة من أسباب الفُرقة ومن أسباب سوء الحال ومن أسباب الشحناء بينهما، فلا ينبغي ضربها إلا عند الضرورة وعند الحاجة القصوى، إذا لم تنفع النصيحة ولم ينفع التوجيه ولا الهجر ينتقل إلى الضرب الخفيف الذي لا يضرها، ولكن يحصل به نوع من التأديب كما

---

(١) هذا الحديث جزؤه الأول مخرج في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر في البخاري في كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يُسلِمْهُ برقم (٢٤٤٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٨٠)، والشطر الثاني منه أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر برقم (٢٦٩٩).

قال ﷻ: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤] فبدأ بالوعظ، بدأ بوعظها فعظوهن، ثم الهجر.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.






٦ ـ بَابُ في التقوى

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وهذه الآية مبينة للمراد من الأولى، وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠] والآيات في الأمر بالتقوى كثيرةٌ معلومةٌ، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩] والآيات في البابِ كَثِيرة مَعْلُومَةٌ.

وأما الأحاديث، فالأول:

٦٩ ـ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه، قَالَ: قِيلَ: يَا رسولَ الله، مَنْ أكرمُ النَّاس؟ قَالَ: «أتْقَاهُمْ». فقالوا: لَيْسَ عن هَذَا نسألُك، قَالَ: «فيُوسُفُ نَبيُّ اللهِ ابنُ نَبيِّ اللهِ ابنِ نَبيِّ اللهِ ابنِ خليلِ اللهِ» قالوا: لَيْسَ عن هَذَا نسألُك، قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ تَسْألُوني؟ خِيَارُهُمْ في الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ في الإِسْلامِ إِذَا فَقُهُوا» متفقٌ عليه(١).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] برقم (٣٤٩٣)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب خيار الناس برقم (٢٥٢٦).

▫ و(فَقُهُوا): بِضم القافِ عَلَى المشهورِ وَحُكِيَ كَسْرُها؛ أيْ: عَلِمُوا أحْكَامَ الشَّرْعِ.

الشَّـرح

هذه الآيات فيما يتعلق بالتقوى وعظم شأنها وأنها جماع الدين فعلى جميع المكلفين من الجن والإنس أن يتقوا الله وأن يراقبوه ﷻ، فإنهم خُلقوا ليعبدوا الله، وعبادة الله هي تقواه وطاعته واتباع شريعته، هذه هي عبادته ﷻ؛ ولهذا كرر الأمر بالتقوى في آيات كثيرات؛ لأن من اتقى الله حق التقوى فقد عبده وأطاعه، فالمتقي لله هو الذي يعبد الله ويعظم حرماته، ويخلص له العمل وينقاد لشرعه، ويقف عند حدوده، عن إخلاص له، سبحانه وعن رغبة فيما عنده، وعن تقيد بشريعته التي جاء بها نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، هذا هو المتقي؛ ولهذا أكثر الله من ذكر التقوى في كتابه العظيم؛ ليعلم العباد عظم شأنها، وأنها الدين كله، فالدين كله يسمى الإسلام، ويسمى الإيمان، ويسمى الهدى، ويسمى التقوى، ويسمى البر، فالتقوى جامعة للخير كله، يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

المعنى: يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وانقادوا لأمره وعظَّموه اتقوا ربكم؛ يعني: الزموا التقوى؛ يعني: الزموها واستقيموا عليها؛ لأنها حقيقة الإيمان حق تقاته؛ يعني: ما اسطعتم كما قال ﷻ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦].

وقال عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل ﷺ: تقوى الله حق تقاته أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر[1]، وهذا داخل في قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ طاعته سبحانه والإكثار من

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٧/ ٢٨٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٤٨٧).

ذكره وشكر نعمه، هكذا تكون التقوى، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ معناه: استقيموا على التقوى، واثبتوا عليها والزموها، حتى الموت، لا تخرجوا عنها ولا تضيعوها، بل الزموا طاعة الله ورسوله، وترك ما نهى الله عنه ورسوله، والوقوف عند حدود الله حتى تلقوا ربكم بالموت، وهذه هي التقوى، لا ينفعك أن تتقي الله اليوم ثم تخلُ في الغد، لا، لا بد أن تلزمها، لا بد أن تلزم التقوى وتستقيم عليها، حتى تلقى ربك، وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣]، فجعل التقوى وسيلة إلى الخروج من المضايق والشدائد إلى الرزق الحلال الطيب، والمتقي لله يطلب الحلال ويُيسرُ الله له المخارج من المضايق، والتيسير من أمور التعسير؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

وقال: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَـٰٓأُولِي الْأَلْبَـٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، تزودوا لماذا؟ للآخرة للجنة في هذه الدار، فالناس مسافرون، وهذه الأيام والليالي مراحل حتى الأجل، مراحل، ساعاتها ودقائقها وشهورها وكل أيامها مراحل، أنت مسافر، وأنت جالس، وأنت نائم، وأنت ماشي، وأنت مسافر، فكل يوم مرحلة، ليلة مرحلة، كل ساعة مرحلة، وهكذا حتى تصل إلى نهاية الأجل الذي كتبه الله لك فعند هذا ينتهي السفر، وتستقر في القبر على ما كتب الله لك من خير وشر، هذه النهاية، القبر ثم الجنة أو النار.

ويقول سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]؛ يعني: قولوا قولاً طيباً، أصلحوا الجوارح، احفظوا الجوارح، الأيدي والأسماع والأبصار واللسان احفظوها حتى

تستقيم على تقوى الله، وحتى تسلموا من شرها، فاليد يجب أن تحفظ، والرجل كذلك والسمع كذلك والبصر كذلك واللسان كذلك كلها يجب أن تحفظ من محارم الله، حتى تصل إلى شاطئ السلامة، ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٩].

فالمتقي لله يعطيه الله نوراً وفرقاناً، حتى يتبصر وحتى يهتدي وذلك بطاعة الله ورسوله، وطلب العلم والتفقه في الدين، فالتفقه في الدين من التقوى، والتعلم من التقوى، ومتى تفقه طالباً للعلم مخلصاً لله راغباً فيما عند الله أعطاه الله الفرقان والنور، ولما سئل عليه الصلاة والسلام قيل يارسول الله من أكرم الناس؟ قال: أتقاهم. . هذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] نص القرآن أكرم الناس من العرب والعجم والجن والإنس والذكور والإناث أكرمهم أتقاهم، مهما كان وإن كان فقيراً، وإن كان عجمياً، وإن كان أنثى، وإن كان مملوكاً، أكرمهم عند الله أتقاهم مهما كانت حالته؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فنبي الله يوسف ابن نبي الله يعقوب ابن نبي الله إسحاق ابن خليل الله إبراهيم، بيَّن عليه الصلاة والسلام أن يوسف من أتقى الناس، وأنه كريم على الله جلَّ وعلا، وهو نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي، أربعة مسلسلة رابعهم خليل الرحمٰن إبراهيم، وهو أفضلهم، عليه الصلاة والسلام قالوا: ليس عن هذا نسألك قال: «فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ تَسْأَلُونِي»، وفي اللفظ الآخر: **«فَعَنْ مَعَادِنِ الناس تَسْأَلوني»**[1]. قالوا: نعم قال: **«خِيَارُهُمْ فِي**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، في الباب السابق برقم (٣٤٩٦).

الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا»، خيار الناس من العرب والعجم والجن والإنس خيارهم في الجاهلية هم خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، يعني فقهوا في دين الله، واستقاموا على دين الله، فهم خيار الناس سواء كانوا عرباً أو عجماً، جناً أو إنساً، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام.

معلوم أن خيار الناس في الجاهلية هم الأجواد، هم الكرماء، هم الذين يبذلون أموالهم في منفعة الناس، في رحمة الفقير، في نصر المظلوم، في ردع الظالم، في حماية الجيران في نفوسهم وأموالهم، في حمل الكَلِّ والسبيل على القبيلة، حتى يتحمل عنها ما يضرها، هؤلاء هم أكرم الناس في الجاهلية هم الكرماء في الجاهلية، الذين ترجع إليهم القبائل في شدائدها، هم الكرماء هم الذين يتحملون حاجات الضعفاء، ويواسونهم وهم الشجعان في قتال الأعداء؛ لحماية الجار؛ لحماية الذمار في نصر المظلوم في ردع الظالم، هم خيار الناس في الجاهلية، وهم خيار الناس في الإسلام أيضاً إذا فقهوا في دين الله، إذا استقاموا على دين الله، ورحموا الضعيف، ونصروا المظلوم، وردعوا الظالم، واستقاموا على دين الله وواسوا الفقير، وجاهدوا في سبيل الله واستقاموا، هم خيار الناس، كما أنهم كانوا في الجاهلية خياراً فزادهم الإسلام خيرية وفضلاً؛ لتقواهم لله وقيامهم بأمر الله، فمن أراد أن يكون عند الله خَيِّراً وكريما وعظيماً فليتق الله في أموره كلها، فيما يأتي ويذر، وبذلك يكون من خير الناس ومن أفضل الناس.

وفَّق الله الجميع.

❋ ❋ ❋

٧٠ ـ الثاني: **عن** أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ، قال: «إنَّ الدُّنْيا حُلْوَةٌ خضِرةٌ، وإنَّ الله مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرَ كَيفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيا وَاتَّقُوا النِّسَاء؛ فإنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إسرائيلَ كَانَتْ في النِّسَاءِ» رواه مسلم(١).

٧١ ـ الثالث: **عن** ابن مسعودٍ رضي الله عنه: أنَّ النَّبيّ ﷺ كَانَ يقول: «اللَّهُمَّ إنِّي أَسألُكَ الهُدَى، وَالتُّقَى، وَالعَفَافَ، وَالغِنَى» رواه مسلم(٢).

٧٢ ـ الرابع: **عن** أبي طريفٍ عديِّ بن حاتم الطائيِّ رضي الله عنه، قالَ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ ثُمَّ رَأَى أتْقى للهِ مِنْهَا فَلْيأتِ التَّقْوَى» رواه مسلم(٣).

٧٣ ـ الخامس: **عن** أبي أُمَامَةَ صُدَيّ بنَ عجلانَ الباهِلِيِّ رضي الله عنه، قالَ: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يَخْطُبُ في حجةِ الوداعِ، فَقَالَ: «اتَّقُوا الله وَصلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا أُمَرَاءكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ» رواه الترمذي(٤)، في آخر كتاب الصلاة وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح.

الشَّرح

هذه الأحاديث الأربعة كلها تتعلق بتقوى الله ومراقبته عز وجل وأن الواجب على المؤمن وعلى المؤمنة أن يتقيا الله جلَّ وعلا في كل شيء، فإن التقوى هي جماع الأمر وهي جماع الخير وهي حقيقة الدين.

---

(١) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، برقم (٢٧٤٢).

(٢) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شرِّ ما عمل ومن شرِّ ما لم يعمل برقم (٢٧٢١).

(٣) أخرجه في كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي خيرٌ يكفر عن يمينه.

(٤) أخرجه في كتاب الجمعة، عن رسول الله ﷺ، باب منه برقم (٦١٦).

فمن اتقى الله استقام على أمره، ووقف عند حدوده، وابتعد عن محارمه، وجاهد في سبيله، وحصل على كل ما يحبه الله ويرضاه، هكذا التقوى سميت تقوى؛ لأن العبد يتقي ربه ويجتنب أسباب غضبه ويستقيم على أسباب رضاه، وذلك بأداء ما أوجب، وترك ما حرم، والمسارعة إلى الخيرات؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧] فهي جماع الخير، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤]، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ﴾ يعني في الجنة ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ يعني التي في الدنيا ﴿وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الدخان: ٥١ - ٥٧].

في هذا الحديث: يقول ﷺ: **«إنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرةٌ، وإنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرَ كَيفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاء؛ فإنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إسرائيلَ كَانَتْ في النِّسَاءِ»**، ويقول ﷺ: **«مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»**(١). فتنة النساء فتنة عظيمة؛ لِما جبل عليه الرجال من الميل إليهن؛ ولِما جبلن هُنَّ على الميل للرجال؛ لما في ذلك من الحكمة لله ﷻ حتى يحصل التزاوج والذرية وغير ذلك من المصالح، فوجب على العبد أن يحذر شرَّ النساء إلا من طريق ما أحل الله ﷻ؛ ولهذا قال: **«فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاء»**، والدنيا كذلك خطرها عظيم والنفوس إليها ميالة والقناعة قليلة، فالواجب الحذر، وقد جبلت النفوس على حب الدنيا؛ ولهذا أكثر الخلق يطلبها بكل طريق من

---

(١) يأتي تخريجه في شرح الحديث رقم (٢٨٨).

حلال وحرام ويقطع فيها أرحامه ويتعاطى فيها ما حرم الله، من الرِّشوة والسرقة والخيانة والغش وغير هذا مما يتحسر به على شيء من الدنيا، فوجب أن تتقى؛ ولهذا قال: فاتقوا الدنيا؛ يعني: احذروها ولا تأخذوا منها إلا ما أباح الله، واتقوا النساء فلا تأتوا منهن إلا ما أباح الله، هكذا يجب على المؤمن؛ ولهذا قال: «**فإنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إسرائيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**»؛ يعني: أول فتنة وقعت في بني إسرائيل في النساء لما وقعت فيهم الفاحشة نزل بهم العذاب نعوذ بالله من ذلك، فيجب على المؤمن والمؤمنة الحذر من شر الدنيا، وشر النفس الأمارة بالسوء، فيما يتعلق بالرجال والنساء.

وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام «**اللَّهُمَّ إنِّي أَسأَلُكَ الهُدَى، وَالتُّقَى، وَالعَفَافَ، وَالغِنَى**»، هذه من دعواته عليه الصلاة والسلام من رُزق الهدى والتُقَى والعفاف عما حرم الله، والغنى غنى النفس عما حرم الله، فقد أفلح، فهي دعوة عظيمة «**اللَّهُمَّ إنِّي أَسأَلُكَ الهُدَى، وَالتُّقَى، وَالعَفَافَ، وَالغِنَى**» ومن دعائه ﷺ أيضاً: «**اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى والسداد، اللَّهُمَّ اهدني وسددني**» هذه دعوات جامعة قليلة مختصرة، ويقول ﷺ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»(١).

وإذا حلف أحدكم على يمين فرأى غيرها أتقى لله منها فليأت التقوى، فالإنسان مأمور بالتقوى في كل شيء، حتى في الأيمان فإذا حلف على يمين ورأى أن الحنث فيها أتقى لله، وأقرب إلى شرع الله حنث وكفَّر عن يمينه، وفي اللفظ الآخر يقول ﷺ: «**وَإذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا، فَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ، وَأْتِ الَّذِي هُوَ**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حِجاب من النار برقم (١٠١٦).

خَيْرٌ»(١)، ويقول عليه الصلاة والسلام: **«إِنِّي وَاللهِ إِنْ شَاءَ اللهُ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا إِلَّا كفرت عن يميني وأَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ»**(٢).

وحلف مرة على بعض أصحابه أنه لا يحملهم في بعض الغزوات ثم جاءته إبل فدعاهم وحملهم، فقالوا: إنك حلفت أن لا تحملنا قال: ما حملتكم الله الذي حملكم؛ يعني: الله الذي يسَّر أمركم: **«إِنِّي وَاللهِ إِنْ شَاءَ اللهُ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا إِلَّا كَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي، وَأَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ»** وهكذا الإنسان إذا قال: والله ما أزور فلاناً والله ما أزور خالتي والله ما أزور عمي والله ما أزور فلاناً والله ما أكلم فلاناً، ثم تبصر ونظر أن هذا غلط وأنها قطيعة رحم يكفر عن يمينه ويأت الخير، يزور قريبه يصل رحمه يكلم أخاه، إلا إذا كانت اليمين على وجه شرعي، بأن قاطعه لله وهجره لله؛ لأنه قد تظاهر بالشرور والمعاصي فهجره لله لا بأس، هذا حق، لكن يقطع رحمه ويقول: والله ما أزور فلاناً لأبيه أو أخيه أو عمه من أجل خصومة أو نزاع جرى بينهما، لا، يحنث في هذا اليمين يكفر عن يمينه يزور أباه، يزور أخاه، يزور عمه ما دام عمه وأخوه ونحو ذلك ليس بهم ما يمنع، وهكذا قال: والله ما أسافر أو والله ما أحج هذا العام أو والله ما أعتمر ثم نظر فإذا هو متيسر له أن يعتمر أو يحج أو يسافر لمصلحة، يكفر عن يمينه، أو والله ما أكلم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩] برقم (٦٦٢٢)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرهَا خيراً منها أن يأتي الّذي هو خيرٌ ويكفّر عن يمينه برقم (١٦٥٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس، باب ومن الدّليل على أنّ الخمس لنوائب المسلمين ما سأل هوازن النّبيّ ﷺ برضاعه فيهم فتحلّل من المسلمين، برقم (٣١٣٣)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الّذي هو خيرٌ ويكفّر عن يمينهِ برقم (١٦٤٩).

فلاناً ولا أزور فلاناً ولا أضيف فلاناً ثم رأى أن المصلحة تقتضي أنه يزور ويكلم ويضيف يكفر عن يمينه، الكفارة ميسرة بحمد الله؛ إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو عتق رقبة، فإن عجز صام ثلاثة أيام، أما إذا كان فقيراً لا يستطيع لا إطعام ولا كسوة ولا عتق صام ثلاثة أيام، والإطعام نصف صاع من قوت البلد لكل واحد، خمسة أصواع للعشرة كفارة اليمين من أرز أو تمر أو حنطة أو من غير ذلك من قوت البلد.

هذا مما يبين لنا أن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتعطيل المفاسد، وجمع القلوب والحث على كل خير، ولا سيما التواصل بين المؤمنين وصلة الرحم وبر الوالدين والبعد عن الشحناء.

وخطب النبي ﷺ ذات يوم في الناس وذلك في حجة الوداع فقال: **«أيها الناس اتَّقُوا اللهَ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ وَصُومُوا شَهْرَكُمْ وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ وَأَطِيعُوا أمراءَكُم تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ»**.

وفي اللفظ الآخر: **«أَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ»**[1]؛ فالمعنى: الواجب على المؤمنين أن يؤدوا ما أوجب الله عليهم، وأن يحذروا ما حرم الله عليهم، وبذلك يحصل لهم دخول الجنة؛ فلهذا قال: **«أيها الناس اتَّقُوا رَبَّكُمْ»** بتوحيده والإخلاص له وتعظيم أمره ونهيه ﷻ وترك الإشراك به وترك معصيته، ثم نص على أركان الإسلام، قال: **«وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ»**، وفي اللفظ الآخر: **«وَأَطِيعُوا أُمَرَاءكُمْ»**؛ يعني: في المعروف، الطاعة لازمة للأمراء في المعروف، في الحق، لا في الباطل: **«تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ»** فهذه الأمور من أسباب دخول الجنة

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبي أمامة ﷺ في كتاب الصلاة، باب منه (٨٢) برقم (٦١٦)، وقال هذا حديث حسن صحيح والإمام أحمد ٥/ ٢٥١ و٢٦٢.

والنجاة من النار لمن أخلص لله وأداها لوجه الله يرجو ثوابه ويخشى عقابه.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.





٧ ـ بَابُ في اليقين والتوكل

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١١]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، والآيات في الأمر بالتوكل كثيرةٌ معلومةٌ. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]؛ أي: كافيه، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢] والآيات في فضل التوكل كثيرةٌ معروفةٌ.

وأما الأحاديث:

٧٤ ـ فالأول: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبيَّ ومَعَهُ الرُّهَيطُ، والنبي وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلانِ، والنبيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ إِذْ رُفِعَ لي سَوَادٌ عظيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي فقيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَومُهُ، ولكنِ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَنَظَرتُ فَإِذا سَوادٌ عَظِيمٌ، فقيلَ لي: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ الآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظيمٌ، فقيلَ لِي: هذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ ألفاً يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ

ولا عَذَابٍ»، ثُمَّ نَهَضَ فَدخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ في أُولئك الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ولا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذينَ صَحِبوا رسولَ الله ﷺ، وَقالَ بعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ وُلِدُوا في الإِسْلامِ فَلَمْ يُشْرِكُوا بِالله شَيئاً - وذَكَرُوا أشيَاءَ - فَخرجَ عَلَيْهِمْ رسولُ الله ﷺ، فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟» فَأَخْبَرُوهُ فقالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ وَلا يَسْتَرقُونَ، وَلا يَتَطَيَّرُونَ؛ وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوكَّلُون» فقامَ عُكَّاشَةُ ابنُ محصنٍ، فَقَالَ: ادْعُ الله أنْ يَجْعَلني مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أنْتَ مِنْهُمْ» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أنْ يَجْعَلنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ» متفقٌ عليه(١).

ﷺ الشَّـرح ﷺ

فهذه الآيات الكريمات والحديث الشريف كلها تتعلق بالثقة بالله والتوكل عليه واليقين بما أخبر به سبحانه وما يستحقه على عباده، فعلى الأمة جميعاً وعلى كل مكلف أن يتيقن كل ما أخبر الله به ورسوله أنه حقٌّ، وأن يصدق بذلك، وأن يعلم أنه لا إلـه إلا الله، يعلم يقيناً أنه لا معبود حقٌّ إلا الله سبحانه، وأن ما عبده الناس من دون الله من أصنام أو أشجار أو أحجار أو كواكب أو جن أو ملائكة أو أنبياء أو غيرهم كله معبود بالباطل، العبادة حق الله، هو الذي يدعى، وهو الذي يرجى، وهو الذي يصلى له، ويصام له، ويحج له، إلى غير هذا من العبادة، كما قال ﷻ: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، ﴿وَمَا خَلَقۡتُ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى وفضل من لم يكتوِ برقم (٥٧٠٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب برقم (٢٢٠).

﴿ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

والعبادة هي التذلل لله بطاعته، وترك معصيته، هي الذل والخضوع لله بأداء ما أوجب وترك ما حرم، والمسارعة إلى مراضيه إخلاصاً له وحده، وطلباً لمرضاته وتركاً لمعصيته ﷻ، هذا هو الواجب على جميع المكلفين أن يعبدوه وحده ويخصوه بالعبادة دون كل ما سواه، وأن يتيقنوا هذا يقيناً أن هذا حق عليهم ولازم لهم، كما قال ﷻ في أول سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٢ ـ ٥].

فلا بد من اليقين والصدق فيما أخبرت به الرسل، ولا سيما خاتمهم وإمامهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، فأن تكون على يقين يجب أن تكون على يقين؛ لأنك عبد الله وأن الواجب عليك إخلاص العبادة لله، وأنك مخلوق لعبادة الله لا لغير ذلك، مخلوق لتعبد ربك بطاعة أوامره وترك نواهيه، كما يقول سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، لم تخلق لأجل الزراعة أو تعمير البيوت أو الأكل والشرب أو الحدادة أو النجارة أو الخياطة أو غير ذلك، لا، خلقت لتعبد ربك، وتطيع أوامره، وتنتهي عن نواهيه، وخلق الله لك هذه الأمور في الدنيا لتستعين بها على طاعته، خلق لك الماء والرزق والحيوان وأنزل المطر وأنبت النبات، حتى تستعين بنعم الله على طاعة الله، ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، خلق لنا ما في الأرض من حيوان ونبات ومعادن وغير هذا؛ لنستعين بها على طاعته واتقاء سخطه والقيام بحقه ﷻ مع الإيمان واليقين بأن محمداً عبد الله ورسوله، وتصديق المرسلين الماضين الذين أخبر الله عنهم أنهم صدقوا فيما قالوه، وبلغوا

عن الله رسالته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩].

فلا بد من الصدق في العمل، ولا بد من تصديق ما أخبرت به الرسل، وما أخبر الله به في كتابه، ثم لا بد من التوكل على الله، فعليك أن تشهد أنه لا معبود بحق إلا الله، وأنه إلـٰهك وأنه معبودك الحق، وأن ما عبده الناس من دون الله باطل، وأن صرف العبادة لغيره من صنم أو جن أو إنس شرك بالله. عليك أن تتيقن هذا وعليك أن تتيقن أن محمداً عبد الله ورسوله، أرسله الله إلى الناس كافة، إلى الجن والإنس، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فعليك أن تؤمن بهذا وعليك أن تنقاد لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام وأن تستقيم عليه، وأن تَعَضَّ عليه بالنواجذ عن يقين، وعن إيمان وعن صدق بما جاء به الرسول ﷺ، وأنه حق وأن الواجب عليك اتباعه.

كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، ويقول ﷻ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فالمفلح هو الذي اتبع الرسول ﷺ وهو المحبوب عند الله، الذي اتبع الرسول وانقاد لأمره وسار على طريقه، ولا بد من التوكل على الله في أمورك كلها؛ تأخذ بالأسباب تعمل بالأسباب، تزرع تعمل بالأسباب الأخرى، خياطة، نجارة تجارة غير ذلك، لكن مع التوكل على الله. تأخذ بالأسباب تعلم أن الرازق هو الله، وأن ما كتبه الله لك لا بد أن يأتيك، وما صرفه الله عنك لا يأتيك، عليك أن تتوكل على الله في كل أمورك، لا على أسبابك ولا على جهودك، ولكن على الله وحده، وتأخذ بالأسباب، لا تدع الأسباب، تكدح وتعمل تأخذ

بالأسباب؛ تجارة، زراعة، صنعة من الصناعات، تستعين بها على طاعة الله جل وعلا وهكذا يقول جل وعلا: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، ويقول جل وعلا: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]؛ يعني: يكفينا الله وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾؛ يعني: هو كافيه، فأنت إذا أخذت بالأسباب وأطعت ربك وتوكلت عليه كفاك ما أهمك ﷻ، عليك أن تأخذ بالأسباب وأن تعلم أن ربك هو الرزاق، وأنه سبحانه هو الذي يدبر الأمور، إنما أنت عبد مأمور، تأخذ بالأسباب، والله مدبر الأمور، وقاضي الحاجات ﷻ وهو الرزاق ﷻ فعليه التوكل وإليه المرجع ﷻ، ثم أخبر النبي ﷺ أنه عرض عليه ليلة الإسراء لما أُسري به إلى بيت المقدس، ثم عرج إلى السماء عليه الصلاة والسلام عرضت عليه الأمم التي تكون يوم القيامة، عرضها الله عليه، صورها حين تعرض يوم القيامة، وتأتي يوم القيامة بأعمالها، فرأى شيئاً عظيماً سواداً عظيماً، فسأل عن هذا فقيل: هذا موسى وقومه، موسى بن عمران كليم الرحمٰن عليه الصلاة والسلام؛ يعني: أتباعه من بني إسرائيل ممن كان قبلنا، ثم نظر إلى الأفق فإذا سواد عظيم، ثم قيل **«انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم، فقيل له: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب»**، وفي الرواية الأخرى: فسألت ربي فزادني مع كل ألف سبعين ألفاً زاده الله مع كل ألف سبعين ألفاً، وفي رواية: مع كل واحد سبعين ألفاً وثلاث حثيات من حثيات الله ﷻ كلهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، لماذا؟ لكمالهم طاعة ربهم، واستقامتهم على

دينه، ومحافظتهم عليه، وتواصيهم به، استحقوا هذا الخير العظيم، ثم فسرها بقوله: **«هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»**؛ يعني: أنهم استقاموا على طاعة ربهم وتركوا معصيته، وتركوا بعض الأسباب التي تكره؛ كالكي، والاسترقاء: طلب الرقية من الناس، تركوا ذلك اعتماداً عليه ﷻ وتوكلاً عليه وأخذاً بأسباب أخرى، أخذاً بالأسباب التي ليس فيها سؤال الناس، أما رواية **«فلا يرقون»** فهي رواية غير صحيحة عند أهل العلم، عند المحققين من أهل العلم؛ لأن الرقية مشروعة النبي رَقَى ورُقِي عليه الصلاة والسلام، رقى بعض المرضى ورقى نفسه ورُقي ورقاه جبرائيل عليه الصلاة والسلام، فالرقية سبب شرعي لا بأس بها، أما الاسترقاء كونك تقول: يا فلان اقرأ علي، تركها أولى تركها أفضل، إلا عند الحاجة الشديدة، إذا جاءت الحاجة الشديدة فلا بأس أن يسترقي.

كما في **الحديث الآخر**: أن النبي ﷺ أمر عائشة أن تسترقي، وأمر أولاد جعفر أن يسترقوا[1] لما دعت الحاجة إلى الاسترقاء، يطلبون من يرقيهم من أهل الخير لعلاج بعض الأمراض، **«ولا يكتوون»** الكي مكروه إلا عند الحاجة، يكون آخر الطب الكي إذا احتيج إليه، وإلا فتركه أولى، والأخذ بالأسباب الأخرى أولى، إلا عند الحاجة، **«ولا يتطيرون»** التطير التشاؤم بالمرئيات والمسموعات، وهذا من عادة أهل الجاهلية التشاؤم، فإذا خرج لحاجته ورأى شيئاً ما يناسبه رجع عن حاجته، رأى حيواناً ما هو خلقه زين أو رأى حيواناً أسود، أو سمع صوتاً غير مناسب تطير ورجع، هذا ما يجوز، هذا منكر.

الإنسان يمضي في حاجته ويتوكل على الله ﷻ؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: **«فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا**

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب رقية العين برقم (٥٧٣٨)، ومسلم في كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة برقم (٢١٩٥).

بِكَ»[١]، وفي لفظ يقول: **«اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»**[٢] لا يتشاءم، يخرج في حاجته ولا يبالي، يستعين بالله ويتوكل عليه ﷺ، وكان أهل الجاهلية إذا رأوا شيئاً ما يناسبهم عند خروجهم من بيوتهم لحاجة، أو سمعوا صوتاً ما يناسبهم رجعوا، هذا التطير الذي ذمه الله جل وعلا، وأنكره رسوله عليه الصلاة والسلام فينبغي للمؤمن أن يحذر ذلك، وألّا يتطير، فإذا رأى ما يكره يقول: **«اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»**[٣]. ويمضي في حاجته، ولا يضره ذلك، ولا يتشاءم، لا في صفر ولا في غيره؛ لأن بعض الجاهلية يتشاءمون في صفر، وبعضهم يتشاءمون بيوم الأربعاء، وبعضهم يتشاءم بشوال، كلها باطلة كلها من عمل الجاهلية، كل الشهور ليس فيها تشاؤم، كل الأيام ليس فيها تشاءم، لا في سفر، ولا في زواج، ولا غيره.

وفَّق الله الجميع.

❖ ❖ ❖

٧٥ ـ عن ابن عباس ﷺ أيضاً: أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يقول: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْك تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ. اللَّهُمَّ أعُوذُ بعزَّتِكَ؛ لا إلهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضلَّني، أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالجِنُّ والإنْسُ يَمُوتُونَ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ، وهذا لفظ مسلم واختصره البخاري[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث عروة بن عامر في كتاب الطب، باب فِي الطِّيَرَةِ برقم (٣٩١٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٥/ ٢٧١.

(٣) يأتي تخريجه في شرح الحديث رقم (١٦٧٧) ج٤.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عُمل ومن شر ما لم يعمل (٢٧١٧)، والبخاري مختصراً في كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ: **«اللَّهُمَّ اغفر لي ما قدمت وما أخرت»** (٦٣٩٨ ـ ٦٣٩٩).

٧٦ ـ **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً، قَالَ: «حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، قَالَهَا إبراهيمُ ﷺ حِينَ أُلقِيَ في النَّارِ، وَقَالَها مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]» رواه البخاري(١).

📖 وفي رواية لَهُ عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ آخر قَول إبْرَاهِيمَ ﷺ حِينَ أُلْقِيَ في النَّارِ: حَسْبِيَ الله ونِعْمَ الوَكِيلُ.

٧٧ ـ الرابع: **عن** أبي هريرةَ رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «يَدْخُلُ الجَنَّةَ أَقْوامٌ أفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أفْئِدَةِ الطَّيرِ» رواه مسلم(٢).

◻ قيل: معناه متوكلون، وقيل: قلوبهم رَقيقَةٌ.

الشَّرح

فهذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها، فيها الحث والتحريض على التوكل على الله والإيمان به والاستقامة على أمره ﷻ، هذا هو الواجب على جميع المكلفين أن يؤمنوا بالله رباً وإلـٰهاً ومعبوداً بالحق ﷻ ويخصوه بالعبادة، وأن يؤمنوا به وبجميع رسله، وبما أخبر به سبحانه من أمر الجنة والنار، وأمر القيامة وغير ذلك.

هذا هو الواجب على جميع المكلفين، توحيد الله وتخصيصه بالعبادة، والإيمان بكل ما أخبر به ﷻ، وبكل ما أخبر به رسوله عليه الصلاة والسلام عن يقين وعن تصديق، هكذا المؤمن، كما قال جل وعلا: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا

(١) أخرجه في كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ الآية [آل عِمرَان: ١٧٣] برقم (٤٥٦٣).

(٢) أخرجه في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير برقم (٢٨٤٠).

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦]، فالمؤمن هكذا يؤمن بالله موحداً مخلصاً مصدقاً بكل ما أخبر الله به ورسوله، منقاداً لشرع الله، معظماً لحرمات الله، واقفاً عند حدود الله، يرجو ثواب الله، ويخشى عقابه، ويتوكل عليه في كل أموره، وبذلك تستقيم له العقيدة، ويستقيم له أمره، ويفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة.

وفي هذا الحديث: يقول ﷺ: **«اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»**، وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ». وفي الرواية الأخرى: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»**[1].

وهذا فيه الإخلاص لله، والإخبات له، والإيمان به، سبحانه **«اللَّهُمَّ لك أسلمت وبك آمنت»** ففي هذا الإسلام لله والانقياد لأوامره معنى أسلم لله؛ يعني: انقاد لأمر الله، وخضع لأمر الله، فهو يمتثل أمر الله، وينتهي عن نهي الله ﷻ **«وبك آمنت»**؛ يعني: بوجودك وأسمائك وصفاتك واستحقاقك للعبادة، أنا مؤمن بذلك، فالمؤمن يؤمن بالله رباً وإلٰهاً ومعبوداً بالحق، ويؤمن بأنه سبحانه له الأسماء الحسنى، وله الصفات العُلى، وله الكمال في كل شيء، ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، كما قال ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ

---

(١) يأتي تخريجه في شرح الحديث رقم (١٤٧٩) ج٤.

كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤]، وقال ﷻ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

هكذا المؤمن، هكذا كل مكلف، يجب عليه أن يؤمن بالله رباً وإلـٰهاً ومعبوداً بالحق، وأن ينقاد لعظمته وأمره، وأن يقف عند حدوده، وأن يدع ما نهى عنه ﷻ؛ ولهذا كان من تضرعاته ﷺ: **«اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ»**، **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»**، وفي اللفظ الآخر يقول عليه الصلاة والسلام: **«اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»** هكذا ينبغي للمؤمن أن يكون هكذا، حريصاً على الإيمان بربه إيماناً صادقاً، إيماناً مؤثراً للعمل، مع إسلام الوجه لله، وإسلام الجوارح لله، والانقياد لعظمته، وترك ما حرم ﷻ في جميع الأمور، وهذا هو معنى لا إلـٰه إلا الله، فإن معناها لا معبود حقٌ إلا الله، مع الانقياد لأوامره، وأداء حق هذه الكلمة العظيمة، مع الإيمان بأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه، وانقيادا لما جاء به، عليه الصلاة والسلام فعلاً وتركاً.

وفي **الحديث الثاني**: يقول ابن عباس ﵄: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها المسلمون يوم أُحد حين قيل لهم: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] فماذا صار ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤]، جازاهم على هذا التوكل العظيم

والانقياد لله بأن انقلبوا رابحين ناجحين بنعمة من الله وفضل، وأذل الله عدوهم، وأنزل في قلبه الرعب، فهكذا ينبغي عند الشدائد والملمات والعظائم أن يقول العبد: حسبنا الله ونعم الوكيل؛ يعني: كافينا الله، ونعم الوكيل، الحسب معناه: الكافي ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]؛ يعني: معنى حسبنا الله معناه: كافينا الله ونعم الوكيل هو الله ﷻ، لكن يقولها العبد مع الإيمان الصادق، ومع الثقة بالله، ومع الامتثال لأوامره، لا مجرد دعوى، يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل ثم ينقاد لأمر الله، ويبتعد عن محارم الله، ويقف عند حدود الله، يرجو ثواب الله ويخشى عقابه ﷻ.

وهكذا إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما أُلقي في النار التي جمع لها النمرود وأصحابه قال: «**حسبنا الله ونعم الوكيل**» فإن إبراهيم دعاهم إلى توحيد الله، ودعاهم إلى ترك الأصنام، وعبادتها من دون الله، وكسرها بيده عليه الصلاة والسلام، فلما علموا بذلك أخذوه وأوقدوا له ناراً عظيمة، وجعلوه في المنجنيق، وربطوه بالحجارة، ورموه إلى النار من بُعد؛ لعظمها وكثرة حرها ووجود الاشتعال فيها العظيم، فرموه من بعيد، فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل، فقال الله جل وعلا: ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٩، ٧٠] أطفأها الله عليه وكفاه شرها مع عظمها؛ لإيمانه بربه وتوكله عليه وقيامه بحقه، ودعوته إلى سبيله وإخلاصه له ﷻ، فهكذا ينبغي للمؤمن أن يكون دائماً حريصاً على طاعة الله ورسوله، كافاً عن محارم الله، متوكلاً عليه جل وعلا منقاداً لأمره، معظماً لحرماته أينما كان، هكذا المؤمن دائماً وليس يكون ذلك بالكلام فقط، بل يكون بالكلام والقلب والعمل، فيقول بلسانه ما أمره الله به ورسوله، وينقاد بقلبه خاضعاً لله، معظماً لحرماته، مؤمناً به ﷻ وينقاد بجوارحه في طاعة الأوامر وترك النواهي.

كذلك حديث «**يدخل الجنة قومٌ أفئدتهم مثل أفئدة الطير**»؛ يعني:

رقيقة قلوبهم؛ لتعظيم الله وخوفهم منه ﷻ وتوكلهم عليه، وبكائهم من خشيته، عندهم رقة عظيمة في قلوبهم، بسبب ما غمرها من توحيد الله ومحبته والإيمان به والثقة به، والتعظيم لأوامره ونواهيه، فعند ذلك رقَّت قلوبهم وصارت في غاية من الرقة؛ لعظم خوفها من الله وبكائها من خشيته وتوكلها عليه وحذرها من عقابه ﷻ.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❊ ❊ ❊

٧٨ ـ عن جابر ﷺ: أَنَّهُ غَزَا مَعَ النبي ﷺ قِبلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُول الله ﷺ قَفَلَ معَهُمْ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ في وَادٍ كثير العِضَاه، فَنَزَلَ رَسُول الله ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بالشَّجَرِ، وَنَزَلَ رَسُول الله ﷺ تَحتَ سَمُرَة فَعَلَّقَ بِهَا سَيفَهُ وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رسولُ الله ﷺ يَدْعونَا وَإِذَا عِنْدَهُ أعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: «إنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيفِي وَأنَا نَائمٌ فَاسْتَيقَظْتُ وَهُوَ في يَدِهِ صَلتا، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: الله ـ ثلاثاً» وَلَمْ يُعاقِبْهُ وَجَلَسَ. متفقٌ عليه[1].

📖 وفي رواية قَالَ جَابرٌ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بذَاتِ الرِّقَاعِ، فَإِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لرسول الله ﷺ، فجاء رَجُلٌ مِنَ المُشْرِكينَ وَسَيفُ رَسُول الله ﷺ معَلَّقٌ بالشَّجَرَةِ فَاخْتَرطَهُ، فَقَالَ: تَخَافُنِي؟ قَالَ: «لَا» فَقَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «الله».

📖 وفي رواية أبي بكر الإسماعيلي في «صحيحه»، قَالَ: مَنْ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع (٤١٣٥)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب صلاة الخوف (٨٤٣).

يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «اللهُ». قَالَ: فَسَقَطَ السيفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَ رسولُ الله ﷺ السَّيْفَ، فَقَالَ: «مَنْ يَمْنَعُكَ مني؟». فَقَالَ: كُنْ خيرَ آخِذٍ. فَقَالَ «تَشْهَدُ أَنْ لا إلـهَ إلَّا الله وَأَنِّي رَسُول الله؟» قَالَ: لَا، وَلَكنِّي أُعَاهِدُكَ أَنْ لا أُقَاتِلَكَ، وَلَا أَكُونَ مَعَ قَومٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّى سَبيلَهُ، فَأَتَى أَصْحَابَهُ، فَقَالَ: جئتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ.

▫ قَولُهُ: (قَفَلَ)؛ أي: رجع، وَ(العِضَاهُ): الشجر الَّذِي لَهُ شوك، و(السَّمُرَةُ): بفتح السين وضم الميم: الشَّجَرَةُ مِنَ الطَّلْح، وهيَ العِظَامُ مِنْ شَجَرِ العِضَاهِ، وَ(اخْتَرَطَ السَّيْف)؛ أي: سلّه وَهُوَ في يدهِ. (صَلْتاً)؛ أي: مسلولاً، وَهُوَ بفتحِ الصادِ وضَمِّها.

٧٩ ـ السادس: **عن** عُمَر ﷺ، قَالَ: سمعتُ رَسُول الله ﷺ، يقول: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصا وَتَرُوحُ بِطَاناً». رواه الترمذي[1]، وقال: حديثٌ حسنٌ.

▫ معناه: تَذْهبُ أَوَّلَ النَّهَارِ (خِمَاصاً)؛ أي: ضَامِرَةَ البُطُونِ مِنَ الجُوعِ، وَتَرجعُ آخِرَ النَّهَارِ (بِطَاناً)؛ أَي: مُمْتَلِئَةَ البُطُونِ.

٨٠ ـ **عن** أبي عُمَارة البراءِ بن عازب ﷺ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «يَا فُلانُ، إذَا أَوَيْتَ إِلَى فراشِكَ، فَقُل: اللَّهُمَّ أَسْلَمتُ نَفْسي إلَيْكَ، وَوَجَّهتُ وَجْهِي إلَيْكَ، وَفَوَّضتُ أَمْري إلَيْكَ، وَأَلجأْتُ ظَهري إلَيْكَ رَغبَةً وَرَهبَةً إلَيْكَ، لا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجى مِنْكَ إلَّا إلَيْكَ، آمنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ؛ وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. فَإِنَّكَ إنْ مِتَّ مِنْ لَيلَتِكَ مِتَّ عَلَى الفِطْرَةِ، وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصَبْتَ خَيراً» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

---

(١) أخرجه في كتاب الشهادات، باب في التوكل على الله (٢٣٤٤)، وأخرجه أحمد ١/ ٣٠، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب التوكل واليقين (٤١٦٤)، وإسناده صحيح وصححه الحاكم ٤/٣١٨.

📖 وفي رواية في «الصحيحين»، عن البراءِ، قَالَ: قَالَ لي رَسُول الله ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجِعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءكَ للصَّلاةِ، ثُمَّ اضْطَجعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيمَنِ، وَقُلْ» وذَكَرَ نَحْوَهُ ثُمَّ قَالَ: «وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ» متفقٌ عليه(١).

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في الحث على التوكل والثقة بالله والإيمان به والاعتصام به ﷻ مع الأخذ بالأسباب والاستقامة على الأسباب التي شرعها الله لعباده وأمرهم بها ﷻ.

في **الحديث الأول**: أنه ﷺ كان في بعض مغازيه لما جاءت القائلة نزلوا وتفرق الناس تحت الشجر، ونزل عليه الصلاة والسلام تحت شجرة وعلق بها سيفه، وكان في بعض الأحيان لا يحرس، وربما جعل حرساً عليه الصلاة والسلام في بعض أحيانه يجعل حرساً، وفي بعض الأحيان لا يجعل حرساً عليه الصلاة والسلام، فجاءه أعرابي والأعرابي هو ساكن البادية، فأخذ السيف وهو معلق بالشجرة فاستيقظ النبي ﷺ وهو في يده صلتاً، فقال الأعرابي للرسول ﷺ: من يمنعك مني؟ يعني: السيف بيدي الآن، فقال النبي الله ثلاثاً: **«الله الله، يمنعني منك»** فسقط السيف من يده، فأخذه النبي عليه الصلاة والسلام فقال له النبي: **«من يمنعك مني»**؛ يعني: أنت، قال: لا أحد، كن خير آخذ يقول للنبي: كن خير آخذ، فقال: **«أتشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله»**، قال: لا، لكني

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ [النساء: ١٦٦] (٧٤٨٨)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (٢٧١٠).

أعاهدك ألا أُقاتلك وألّا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلّى سبيله عليه الصلاة والسلام وعفا عنه، فذهب الأعرابي إلى قومه وقال: جئتكم من عند خير الناس؛ يعني: عفا عني بعدما فعلت ما فعلت.

هذا فيه الدلالة على صفحه وعفوه عليه الصلاة والسلام وثقته بربه واعتصامه به عليه الصلاة والسلام وتوكله على الله ﷻ، فإن المؤمن يأخذ بالأسباب، ويعتني بالأسباب، فهم في محل آمنون وفي الجيش وليس هناك محل خوف، فصار هذا الأعرابي بين الناس، ولعله قد تظاهر بالإسلام وليس بمسلم؛ ولهذا خفي عليهم أمره فلما نام النبي ﷺ ووجد السيف معلقاً أخذه وقال ما قال، ففي هذا أنه يجوز ترك الحراسة ولا بأس أن يترك الحراسة في بعض الأحيان ولا حرج، وإذا تعاطى الحراسة فلا بأس، وكان في بعض الأحيان يتخذ حرساً عليه الصلاة والسلام وفي بعضها لا يتخذ شيئاً، وقد أنزل الله ﷻ في سورة المائدة: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧]، فالله قد عصمه عليه الصلاة والسلام وعافاه من شرهم، حتى توفاه ﷻ وقد أصابه يوم أُحد ما أصابه من الجراحات، فقد جرح في وجهه، وكسرت البيضة على رأسه، وكسرت رباعيته عليه الصلاة والسلام وصبر على ذلك، فالحاصل أن المؤمن عليه أن يتوكل على الله، وأن يأخذ بالأسباب، فإذا دعت الحاجة إلى الحرس اتخذ الحرس، وإذا لم تدع الحاجة إلى ذلك فلا بأس.

وعليه مع ذلك أن يأخذ بالأسباب، من البيع والشراء والزراعة ونحو ذلك من أسباب الرزق، مع توكله على الله، وعلمه بأن الله هو الرزاق وأنه قد قدر الرزق بأسبابه، وهو القائل جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وهو القائل سبحانه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦]، وهو القائل ﷻ: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ

ﱡﭐالرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُﱠ [العنكبوت: ١٧]، لكن ليس معنى ذلك أن الإنسان يجلس في بيته أو في المسجد، يقول: يأتيني الرزق، لا، لا بد أن يعمل ما دام يستطيع العمل، يطلب الرزق ويعمل، عاملاً بَنَّاءً حارساً خياطاً حَجَّاراً نجاراً زارعاً إلى غير هذا، يفعل الأسباب، ولا يجلس هكذا، والرزق آت ومعلق بأسبابه من الله ﷻ، فقد يأتيه رزقه على يده، وقد يأتيه الرزق، على يد غيره، من إرث وصدقة وهبة وغير ذلك، لكنه لا يعطل الأسباب، بل يأخذ بالأسباب.

وفي هذا فضل العفو مع القدرة، وأن العفو مع القدرة من ولاة الأمور إذا رأوا المصلحة في ذلك أنه قد يأتي بخير كثير، فهذا ذهب إلى قومه وقال: جئتكم من عند خير الناس، وهذا سبب من أسباب إسلامهم ودخولهم في دين الله ﷻ، وقد دخل كثير من الناس في الإسلام بسبب العفو والرحمة والعطف والإحسان، فإذا رأى ولي الأمر العفو عن بعض من أساء ورأى أن العفو فيه مصلحة فإنه يعفو، رجاء المصلحة كما قال ﷻ: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وفي **الحديث الثاني**: يقول عليه الصلاة والسلام: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصاً وَتَرُوحُ بِطَاناً**» المعنى: أن العباد لو توكلوا على الله حق التوكل وأخذوا بالأسباب لجاءتهم أرزاقهم، ولكن كثيراً من الناس كسول لا يتعاطى الرزق، أو يُعرض عن الله، وعن وعد الله، وعما أعد الله، ويعتمد على أسبابه التي هي أفعاله، معرضاً عن الله وعن التوكل عليه ﷻ وهذا غلط كبير أيضاً، والواجب أن يجمع بين الأمرين، يعتمد على الله ويفوض إليه جل وعلا ويعلم أنه الرزاق وأن كل شي بيده ﷻ، ومع ذلك يأخذ بالأسباب، فيجمع بين الأمرين، الثقة بالله والاعتماد عليه، والإيمان بأنه الرزاق وأنه مقدر الأرزاق، وأن ما كتب الله حاصل، ومع ذلك يأخذ

بالأسباب، من بيع وشراء أو زراعة أو خرازة أو حدادة أو نجارة، أو عاملاً عند أحد في بناء أو غيره؛ يعني: يتعاطى ما أمكنه من الأسباب التي تدر عليه الرزق لنفسه وأهل بيته وضيفه ونحو ذلك، ولا يغفل ولا يجلس متكاسلاً معرضاً عن طلب الرزق، فإن هذا ليس من شيم الرجال، وليس من أخلاق المؤمنين، بل لا بد من عمل، ولا بد من أسباب.

ولهذا قال الرسول ﷺ: «**لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصا وَتَرُوحُ بِطَاناً**» الطير ما جلست على أوكارها، طارت تطلب الرزق، فأنت كذلك مثل الطير اطلب الرزق اعمل، فالطيور تطير من أوكارها من الجدار والأشجار تسيح في الأرض تطلب الرزق، تأخذ من هذا المكان حبة ومن هذه الشجرة كذا ثم ترجع في آخر النهار قد يسَّر الله لها رزقها، «**وَتَرُوحُ بِطَاناً**»؛ يعني: شباعاً، فهكذا أنت اعمل في ليلك أو نهارك أو فيهما جميعاً في طلب الرزق، حتى تعيش، وحتى تأخذ ما كتب الله لك، وحتى تستغني عن سؤال الناس، وعما في أيدي الناس، هكذا ينبغي للمؤمن، وأن لا يضعف ولا يجبُن ولا يكسل ولا يكن سؤولاً للناس، يطلب ما عند الناس، ولكن يعمل ويكدح ويطلب الرزق حسب قدرته، مع الثقة بالله، ومع التوكل على الله، ومع إيمانه بأن الله هو الرزاق، وأن رزقه سوف يأتيه على ما كتب الله له من الأسباب.

وهكذا **الحديث الثالث**: يقول ﷺ للبراء بن عازب: «**إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فراشِكَ، فَقُل: اللَّهُمَّ أَسْلَمتُ نَفْسي إِلَيْك، وَوَجَّهتُ وَجْهِي إِلَيْك، وَفَوَّضتُ أَمْري إِلَيْك، وَأَلجأْتُ ظَهري إِلَيْك رَغبَةً وَرَهبَةً إِلَيْك، لا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْك إِلَّا إِلَيْك، آمنتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ؛ وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ**». وفي اللفظ الآخر: «**وَاجْعَلْهُنَّ من آخِرَ مَا تَقُولُ**» هذا يستحب عند النوم، عند النوم يقرأ آية الكرسي ويقرأ: قل هو الله أحد والمعوذتين ويقول: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق،

ويكون مما يقول عند النوم: «اللَّهُمَّ أَسْلَمتُ نَفْسي إلَيْكَ»، بعدما يتوضأ والأفضل أن يتوضأ وينام على طهارة، هذا هو الأفضل ويضطجع على شقه الأيمن، ثم إذا أراد أن ينقلب على شقه الآخر فلا بأس، لكن يبدأ بشقه الأيمن عند النوم ويقول في آخر ما يقول بعدما يأتي بما كتب الله له من آية الكرسي وغيرها، بعدما يفرغ مما يقول عند النوم، يقول في آخر ما يقول: «اللَّهُمَّ أَسْلَمتُ نَفْسي إلَيْكَ، وَفَوَّضتُ أَمْري إلَيْكَ» هذا فيه التفويض، وهذا فيه التوكل، «فَوَّضتُ أَمْري»؛ يعني: توكلت عليك، ويتعاطى الأسباب، يسمي الله ويقول: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، ويقرأ آية الكرسي، ومع هذا يتوكل على الله جل وعلا هذه أسباب، «لا مَلْجَأ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إلَّا إلَيْكَ»، الملجأ والمنجى إلى الله ﷻ، ليس من الله ﷻ مفر وإليه الملجأ والمنجى ﷻ «آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ؛ وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»؛ هكذا المؤمن عند النوم يستحب له أن يقول هذا ختام ما يقول من الكلمات، يكون في آخر ما يقول: «اللَّهُمَّ أَسْلَمتُ نَفْسي إلَيْكَ، وَفَوَّضتُ أَمْري إلَيْكَ وَوَجَّهتُ وَجْهِي إلَيْكَ، وَأَلجأْتُ ظَهري إلَيْكَ رَغبَةً وَرَهبَةً إلَيْكَ» رغبة؛ يعني: فيما عندك ورهبة مما عندك؛ يعني: رغبة في الثواب ورهبة من العقاب «آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ»؛ يعني: القرآن وسائر الكتب المنزلة «وَبنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»؛ يعني: محمداً عليه الصلاة والسلام، وهكذا بقية المرسلين يؤمن بالجميع، بجميع كتب الله وبجميع رسل الله عليهم الصلاة والسلام ويكون هذا من آخر ما يقول، وهذا من أسباب سلامته وعافيته وعصمة الله له ﷻ وإذا مات على هذا مات على الفطرة وإن أصبح أصبح بخير.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

***

٨١ ـ **عن** أبي بكرٍ الصِّديق رضي الله عنه عبدِ اللهِ بنَ عثمان بن عامرِ بن عمر ابنِ كعب بن سعدِ بن تَيْم بنَ مرة بن كعبِ بن لُؤَيٍّ بن غالب القرشي التيمي رضي الله عنه وَهُوَ وَأَبُوهُ وَأُمُّهُ صَحَابَةٌ رضي الله عنهم قَالَ: نَظَرتُ إِلَى أَقْدَامِ المُشْرِكِينَ وَنَحنُ في الغَارِ وَهُمْ عَلَى رُؤُوسِنا، فقلتُ: يَا رسولَ الله، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيهِ لأَبْصَرَنَا. فَقَالَ: «مَا ظَنُّكَ يَا أَبا بَكرٍ باثنَيْنِ الله ثَالِثُهُمَا» متفقٌ عليه[1].

٨٢ ـ **عن** أم المُؤمنينَ أمِّ سَلَمَةَ وَاسمها هِنْدُ بنتُ أَبي أمية حذيفةَ المخزومية رضي الله عنها: أنَّ النَّبيّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيتِهِ، قَالَ: «بِسْمِ اللهِ تَوَكَّلتُ عَلَى اللهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ». حديثٌ صحيحٌ رواه أبو داود، والترمذي[2] وغيرهما بأسانيد صحيحةٍ. قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وهذا لفظ أبي داود.

٨٣ ـ **عن** أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ؛ يَعْني: إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيتِهِ: بِسمِ اللهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إلَّا باللهِ، يُقالُ لَهُ: هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيطَانُ» رواه أبو داود والترمذي، والنسائي[3] وغيرهم. وَقالَ الترمذي: حديث حسن.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين وفضلهم (٣٦٥٣)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر الصديق (٢٣٨١).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا خرج من بيته (٥٠٩٤)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء فيما يقول إذا خرج من بيته (٣٤٢٧)، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا خرج من بيته (٣٨٨٤)، وأحمد ٦/٣٠٦ و٣١٨ و٣٢٢.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا خرج من بيته (٥٠٩٥)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء فيما يقول إذا خرج من بيته (٣٤٢٦).

زاد أبو داود: «فيقول ـ يعني: الشيطان ـ لِشيطان آخر: كَيفَ لَكَ بِرجلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟».

٨٤ ـ **وعن** أنس ﷺ، قَالَ: كَانَ أَخَوانِ عَلَى عهد النَّبيِّ ﷺ وَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأتِي النَّبيَّ ﷺ وَالآخَرُ يَحْتَرِفُ، فَشَكَا المُحْتَرِفُ أخَاهُ للنبي ﷺ، فَقَالَ: «لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ» رواه الترمذي[(١)] بإسنادٍ صحيح على شرط مسلمٍ.

□ (يحترِف): يكتسب ويتسبب.

الشَّرح[(٢)]

هذه الأحاديث الأربعة كلها تتعلق بالثقة بالله، والاعتماد على الله، والتوكل عليه، مع الأخذ بالأسباب، فالمؤمن مأمور بالأمرين، بالتوكل على الله والاعتماد عليه والإيمان بأنه سبحانه مسبب الأسباب ورازق العباد، ومصرف شؤونهم، وأن كل شيء بقضاء وقدر، وأنه لن يصيب العبد إلا ما كتب له ولن يفوته ما كُتب له: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، وهو مأمور مع هذا بأمر آخر وهو الأخذ بالأسباب، بأسباب السعادة وأسباب الجنة، وتوقي أسباب النار، وبأسباب الرزق حتى يستغني عما في أيدي الناس، وحتى يسد حاجته وحاجة أهله، فلا بد من الأمرين جميعاً، ثقة بالله واعتماداً عليه وتوكلاً عليه ﷻ وإيماناً صادقاً بأنه مسبب الأسباب ورازق العباد، وأنه مصرف الأمور جل وعلا وأن كل شيء بقضائه وقدره ﷻ.

---

(١) أخرجه في كتاب الشهادات، باب في التوكل على الله (٢٣٤٥).

(٢) شرح كتاب رياض الصالحين في جامع الإمام تركي بن عبد الله بقراءة الشيخ عمر العيد.

مع الأمر الثاني وهو الأخذ بالأسباب التي شرعها وأباحها، وعدم الكسل وعدم التثاقل، بل يجب أن يأخذ بالأسباب ويستعين بالله على ذلك، ولهذا في قصة خروج النبي ﷺ إلى المدينة مهاجراً هارباً من شر المشركين وأذاهم لما أجمعوا على قتله عليه الصلاة والسلام أنجاه الله من بين أظهرهم، وخرج إلى المدينة مختفياً ومعه الصديق رضي الله عنه[1] وكانوا في غار قد اختفيا فيه، يقال له: (غار ثور) قرب مكة فجاء الطلب فأعمى الله بصائرهم ولم يروهم، فقال الصديق رضي الله عنه للنبي ﷺ: (يا رسول الله، لو نظر أحدهم إلى أقدامه لأبصرنا، فقال النبي ﷺ: «**مَا ظَنُّكَ يَا أَبا بَكرٍ باثنَيْنِ الله ثَالِثُهُمَا**»)؛ يعني: من كفاه الله ما ضره العباد فأنزل الله قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

فالله أنجاهم من شرهم، وأعمى أبصارهم عن النظر إليه، حتى استمر في طريقه الى المدينة معافى مسلماً ـ عليه الصلاة والسلام ـ حتى وصل إليها بسلامة الله، والطلب هاهنا وهاهنا، قد أعطوا من جاء به قتيلاً أو حياً مائة من الإبل، فكلهم لم يفلحوا في ذلك، ولم ينالوا مطلوبهم، وكان من جملتهم سراقة بن مالك الجعشمي، وصل الى النبي ﷺ ودنا منه على فرسه من جملة الطلب من المشركين، فلما دنا من النبي ﷺ ساخت قوائم فرسه في الأرض إلى بطنها، وقال سُراقة: يا

---

(١) أبو بكر الصديق هو عبد الله بن عثمان بن عامر التيمي بن مرة وهو الصديق الأكبر وهو أفضل الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، اسمه عبد الله وأبوه اسمه عثمان واشتهر بكنيته «أبو بكر» وبلقبه الصديق رضي الله عنه خير الصحابة وأفضلهم وأسبق الرجال المكلفين إلى الإسلام رضي الله عنه.

محمد إني أعلم أن هذا بسببك، فادع الله أن يطلقني ولا أَضرك وسوف أُدافع عنك فدعا الله له، وأطلق الله فرسه ورجع إلى قريش، وكل من لقي في الطريق يقول له: ليس في هذا الطريق أحد ارجعوا، فجاء أولاً طالباً ويريد إمساكه، ثم رجع مدافعاً عنه، عليه الصلاة والسلام، يرد الطلب بسبب ما أجرى الله على فرسه، وما حمى الله به نبيه، عليه الصلاة والسلام ولهذا قال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ قال: «**مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكرٍ باثنَيْنِ الله ثَالِثُهُمَا**»؛ يعني: من كفاه الله وحفظه وصانه لا يضره الناس.

فعلى العبد أن يتوكل على الله ويعمل بالأسباب، ويأخذ بها، فالرسول والصديق أخذا بالأسباب، اختفيا في الغار والله أعانهما وستر عليهما وأعمى أبصار أُولئك الكفرة الطالبين، حتى تخلصا من شرهم.

وهكذا **الحديث الثاني**: من حديث أم سلمة وحديث أنس ﵄ عن النبي ﷺ؛ أنه إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيتِهِ، قَالَ: «**بِسْمِ اللهِ تَوَكَّلتُ عَلَى اللهِ، وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إلَّا باللهِ اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ أنْ أضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أظلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ**» يستحب لمن خرج من بيته أن يقول هكذا، سواء للمسجد أو غير المسجد، إذا خرج من بيته لحاجة، للسوق أو للمسجد أو لزيارة أخيه أو غير ذلك، يستحب له أن يقول هذا الذكر وهذا الدعاء.

وجاء في حديث أنس أن الشيطان يقول لشيطان آخر: (**كيف لك برجل قد هُدي وكُفي ووُقي**)، وفي الرواية الأُخرى يقال له: «**إنك قد هُديت ووُقيت وكُفيت**» المقصود أن هذا من أسباب الكفاية والوقاية والسلامة؛ لأن فيه تفويض إلى الله، «**بِسْمِ اللهِ تَوَكَّلتُ عَلَى اللهِ، وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إلَّا باللهِ**» تفويض إليه ﷻ، وتوكل عليه وأخذٌ بالأسباب، فالإنسان يأخذ بالأسباب ويستعين بالله ﷻ، وهكذا قوله ﷺ في حديث أبي هريرة ﵁: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كذا لكَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ:**

قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» فالمؤمن يأخذ بالأسباب «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»(١) يأخذ بالأسباب تجارة، زراعة، نجارة، حدادة إلى غير هذا من الأسباب، ويستعين بالله ﷻ في ذلك ولا يعتمد على قوته وجهده بل يستعين بالله ويسأله التوفيق والإعانة والكلاءة، وأن ينفع بالأسباب، ويستمر في ذلك مع اعتماد قلبه على الله، وتوكله عليه وأخذه بالأسباب التي شرعها الله ﷻ فالله جل وعلا هو الذي يقسم الأرزاق ويوزعها بين عباده ﷻ لا إلـٰه غيره ولا رب سواه.

كذلك حديث الرجلين اللذين كان أحدهما يحضر حلقات النبي ﷺ ويطلب العلم، والآخر يحترف ويطلب الرزق، فجاء المحترف للنبي ﷺ وقال: إن أخي تأخر عن طلب الرزق معي وعن الاحتراف معي، يطلب من النبي ﷺ ليأمره أن يشاركه في الحرف والعمل، فقال النبي ﷺ: «**لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ**»؛ يعني: هذا يطلب العلم وأنت تطلب الرزق فلعل طلبه للعلم وجلوسه في حلقاته ﷺ ليستفيد وأنت تعمل لعل هذا يكون سبباً لتوفيقك وحصول الرزق الذي أنت تطلبه، «**لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ**»؛ يعني: دعه يتعلم العلم ويتفقه في الدين وأنت تعمل وتطلب الرزق، فالله جل وعلا يرزقك بعمل هذا ودعائه لك، وجهادك أنت حتى تسُد حاجته وحاجتك فإذا كان اثنان أو أكثر بعضهم يطلب العلم وبعضهم يطلب الرزق، فإن هذا يكون سبباً لرزق هذا، فيكون تعاوناً بين الجميع، هذا في طلب الآخرة وطلب العلم النافع، وهذا في طلب الرزق يتعاونان، والله جل وعلا يجعل في عمل هذا الذي هو طلب العلم عوناً للآخر في طلب الرزق، وسبباً لنجاحه في أعماله؛ لكونه جعل أخاه يطلب العلم وفرغه للعلم وكفاه مؤونة الدنيا، فالله سبحانه يعينه بسبب ذلك، ويسدد خطاه وعمله بسبب فسحه المجال لأخيه في طلب العلم، وعونه على ذلك.

وفق الله الجميع التوفيق والهداية.

---

(١) يأتي تخريجه في شرح الحديث رقم (١٠٠).



٨ ـ بَابُ الاستقامة

قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣ ـ ١٤].

٨٥ ـ **وعن** أبي عمرو، وقيل: أبي عَمرة سفيان بن عبد الله رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُول الله، قُلْ لي في الإسْلامِ قَولاً لَا أسْأَلُ عَنْهُ أَحَداً غَيْرَكَ. قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ» رواه مسلم(١).

٨٦ ـ **وعن** أبي هريرةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بعَمَلِهِ» قالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُول الله؟ قَالَ: «وَلَا أنا إلَّا أنْ يَتَغَمَّدَني الله برَحمَةٍ مِنهُ وَفَضْلٍ» رواه مسلم(٢).

□ وَ(المُقَاربَةُ): القَصدُ الَّذِي لا غُلُوَّ فِيهِ وَلَا تَقْصيرَ، وَ(السَّدادُ): الاستقامة والإصابة. وَ(يتَغَمَّدني): يلبسني ويسترني.

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام برقم (٣٨).
(٢) أخرجه في كتاب صفة القيامة، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى (٢٨١٦).

▫ قَالَ العلماءُ: مَعنَى الاستقامَةِ لُزُومُ طَاعَةِ الله تَعَالَى، قالوا: وهِيَ مِنْ جَوَامِعِ الكَلِمِ، وَهِيَ نِظَامُ الأُمورِ؛ وبِاللهِ التَّوفِيقُ.

❁ الشَّرح ❁

هذه الآيات الكريمات والحديثان الشريفان كلها تتعلق بأمر الاستقامة، وما ذاك إلا لأن الواجب على كل مؤمن وعلى كل مؤمنة الاستقامة على أمر الله والثبات على دينه، والحذر من أسباب الانحراف والوقوع فيما حرَّم الله ﷻ، فالإسلام دين يجب أن يستمر حتى تلقى ربك، فلا بد من استقامة وصبر وثبات حتى الموت؛ ولهذا قال الله لنبيه: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: ١١٢]، فأمر الله نبيه أن يستقيم، وهو مستقيم عليه الصلاة والسلام، لكن ليعلم جميع الأمة أن هذا هو واجبهم، كما هو واجب على نبيهم أن يستقيم، فعليهم أن يستقيموا؛ يعني: أن يثبتوا على الحق ويلزموه ولا يعوجوا عنه، يميناً ولا شمالاً، وهو ما بعث الله به النبي بالهدى ودين الحق، من توحيد الله والإخلاص له، وطاعة أوامره وترك نواهيه، والوقوف عند حدوده، عن رغبة ورهبة وعن صدق وإيمان، هذه هي الاستقامة؛ يعني: لزوم الحق قولاً وعملاً، والثبات عليه والاستمرار على ذلك حتى تلقى ربك، ومن هذا قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢].

يمدح الله سبحانه المستقيمين من أوليائه وعباده، ويُخبر سبحانه عن جزائهم في الآخرة، حتى ينشط كل مؤمن وكل مؤمنة في الاستقامة

والثبات، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾؛ يعني قالوا: إلـٰهنا ومعبودنا وخالقنا ورازقنا هو الله وحده ﷻ، ثم استقاموا على توحيده والإخلاص له، والتقرب إليه بما أمر وترك ما نهى، وثبتوا على هذا واستمروا عليه، هذه هي الاستقامة؛ يعني: اعترفوا بالحق قولاً وعملاً، وأن معبودهم الله وحده، وهو المعبود بالحق ﷻ، ثم استقاموا على مقتضى هذا الإيمان وهذا الاعتراف، استقاموا عليه استمروا وثبتوا على ترك ما حرم عليهم، وعلى فعل ما أوجب عليهم، والموالاة في ذلك، والمحبة في ذلك، والبغضاء في ذلك. أخبر عن جزائهم قال سبحانه: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾؛ يعني: عند الموت تقول لهم: لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون، فالله جل وعلا يبشرهم بهذا الخير على أيدي الملائكة قبل يوم القيامة، وهكذا عند قيامهم من قبورهم وبعثهم ونشورهم، يبشرون بهذا الخير العظيم ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ لا تخافوا مما أمامكم، ولا تحزنوا على ما خلفتم ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ التي وعد الله بها المتقين المؤمنين، أبشروا بها لاستقامتكم على دين الله وإيمانكم به، ثم يقول عن الملائكة تقول الملائكة: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ الملائكة أولياء المؤمنين، يدعون لهم، ويستغفرون لهم، ويحثونهم على الخير، ويرغبونهم فيه، هم أولياء المؤمنين في الدنيا وفي الآخرة، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾؛ يعني: في الجنة ﴿مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ ما تطلبون ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ هذا جزاء أهل الاستقامة، هكذا في سورة فصلت.

وفي سورة الأحقاف يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣ ـ ١٤]، فجدير بذي الرغبة والنفس المؤمنة والراغب في الخير أن يهتم بهذا الأمر، وأن يُعنى بالاستقامة،

وأن يحذر الانحراف والميل إلى الباطل، فإنها مدة يسيرة ثم ينتقل عن هذه الدار ويلقى عمله، فيُسر بما قدم من الخير، ويحزن على ما قدم من شر، وهو لا يدري ما مدته في هذه الحياة، ومتى ينتهي منها، فالواجب أن يأخذ بالحيطة، وأن يعمر أوقاته بالاستقامة، ويحفظ أوقاته بالاستقامة، حتى يحمد العاقبة، وفي الحديث يقول ﷺ لسفيان بن عبد الله الثقفي لما قال: يا رسول الله: قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك؛ يعني: قولاً جامعاً، فقال له النبي ﷺ: «**قل: آمنت بالله ثم استقم**»، هذا جامع، للخير قل: آمنت بالله ثم استقم؛ يعني: آمنت بالله رباً وإلـٰهاً ومعبوداً بالحق، ثم يستقيم على هذا الإيمان في طاعة الله وترك محارمه ﷻ، هذا هو القول الجامع، إيمان صادق لله وأنه إلـٰهك الحق، وإيمان بما شرع، وإيمان برسله، ثم استقامة على ذلك.

وفي **الحديث الثاني**: يقول ﷺ: «**قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بعَمَلِهِ**»، وفي لفظ آخر: «**واعلموا أنه لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**»، هذا يُبين أن الأعمال أسباب ليست الموجبة، وإنما الموجب فضله وعفوه ﷻ، الأمر بيده جل وعلا، العبد يأخذ بالأسباب من طاعة الله ورسوله، وترك ما نهى الله عنه ورسوله، والله سبحانه هو المتفضل الذي يكتب له الرحمة ويقبل عمله ويغفر ذنبه ويدخله الجنة، فضلاً منه وإحساناً، فالأعمال أسباب كما قال ﷯: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢] فالأعمال الطيبة أسباب الجنة، والأعمال الخبيثة أسباب النار، والمعول في دخول الجنة على عفوه سبحانه ورحمته وفضله، فليطمئن المؤمن إلى وعده العظيم، وأن يسأله سبحانه العفو والمغفرة، ولا يُعجب بعمله ولا يمن بعمله وليستقم على طاعة ربه مع التسديد والمقاربة؛ يعني: مع لزوم القصد وعدم الغلو

وعدم التفريط، والمقاربة والتسديد معناه لزوم الطريق السوي، والسير على المنهج القويم، من دون إفراط ولا غلو، ومن دون تفريط وتقصير وجفاء، يكون بين ذلك، طاعة الأوامر وترك النواهي، من دون زيادة وغلو ومن دون جفاء وتقصير، فلا بدعة وزيادة، ولا جفاء وتقصير في طاعة الله، ولكن بين ذلك هذا الوسط هذا هو السداد والمقاربة.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.





٩ ـ بَابٌ في التفكير في عظيم مخلوقات الله تعالى وفناء الدنيا وأهوال الآخرة وسائر أمورهما وتقصير النفس وتهذيبها وحملها على الاستقامة

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ [سبأ: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ١٧ ـ ٢١]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا﴾ [محمد: ١٠].

ومن الأحاديث الحديث السابق: «الكيِّس من دان نفسه»(١).

الشَّرح

هذه الآيات الكريمات وما جاء في معناها من الآيات والأحاديث كلها تتعلق بالحث والترغيب في التفكير في آيات الله وعظمة مخلوقاته ودلالتها على أنه رب الجميع وإلٰه الجميع وأنه مستحق أن يعبد ويطاع أمره وينتهى عن نهيه، ويوقف عند حدوده، فقد فصل آيات ووعظ العباد وذكرهم، حتى يستقيموا وحتى يعدوا العُدة للقائه، وحتى يبتعدوا عن

(١) انظر حديث رقم (٦٦) (ص١٦٤).

مناهيه، وحتى يقفوا عند حدوده، وحتى يعظموه حق تعظيمه ﷻ، ولهذا يقول جلَّ وعلا: قل يا محمد قل يا رسول الله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾ [سبأ: ٤٦].

الله أمر نبيه أن يعظهم بواحدة، وهي التفكر والنظر والتبصر وعدم الغفلة، يقوم الرجل وحده أو مع أخيه يفكران وينظران ويحاسبان أنفسهما؛ لماذا خلق هذا الكون؟ لماذا خلق الثقلان؟ لماذا بُعث الرسل؟ لماذا نزلت الكتب؟ كلها لتعبد ربك وتطيعه ﷻ، لم تنزل الكتب عبثاً، ولم ترسل الرسل عبثاً، ولم تخلق الخلق عبثاً، بل كلها لأمر عظيم كلها لتعرف ربك وتعبده، سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال ﷻ: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ① أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود: ١ ـ ٢]، وقال جلَّ وعلا: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، ويقول سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ يعني: يا محمد ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ويقول ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ﴾؛ يعني: دلائل وبراهين ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] لأولي العقول الصحيحة.

غالب الناس ما عندهم عقول كالبهائم، غالب الناس كالبهائم ما

يعقلون ولا يفهمون إلا ما يأكلون ويشربون وينكحون، ليس لهم هم إلا هم البهائم كيف يأكل؟ كيف يشرب؟ كيف ينكح؟ وهكذا، قال ﷻ في أكثر الخلق: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤] بل أضل من الأنعام، أردى من الأنعام، غالب هؤلاء المخلوقين أردى من الأنعام، لا يفكرون ولا ينظرون في معادهم ولا في طاعة ربهم، لا هَمَّ لهم إلا الدنيا ومعاشها، محاسنها وزخرفها ومأكلها ومشربها ومنكحها ونحو ذلك، ليس لهم نظر في الآخرة، ولا اهتمام بالآخرة، فاحذر أن تكون من هؤلاء الذين جعلهم الله أضل من الأنعام، أردى من الأنعام، والأنعام الإبل والبقر والغنم قد تهتدي إلى مصالحها، تذهب للمراعي تجتنب ما يضرها، تنفع الناس، أما هؤلاء الذين هم أروى من الأنعام لا ينفعون الناس بل يضرون الناس في دينهم، وإن نفعوهم في صنعة ونحوها، لكن يضرونهم في الدين يدعونهم إلى النار، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾؛ يعني: خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] غفلوا عن الله، وعن الدار الآخرة، وعما جاءت به الرسل، فلا هَمَّ لهم إلا دنياهم، ومعاشهم وأكلهم وشربهم فقط، ولهذا صاروا أضل من الأنعام، أعوذ بالله من ذلك.

ومدح الله عباده المتقين، أصحاب العقول السليمة، فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ﴾؛ يعني: لبراهين ودلائل، ﴿لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ الألباب هي العقول الصحيحة المنتبهة، ثم وصفهم فقال: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١] يتفكرون في مخلوقات الله، سماء وأرض، وجبال، وبحار، وأنهار ومخلوقات متنوعة، من بني آدم وغير بني آدم، لم تخلق عبثاً ولا

سدى ولا باطلاً، بل خلقت لأمر عظيم، كما قال ﷻ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]؛ يعني: مهملاً لا يؤمر ولا ينهى، وقال ﷻ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]؛ يعني: بئس هذه الحُسبة وهذا الظن، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ ما خلقوا باطلاً، بل خلقوا لأمر عظيم؛ ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧]؛ يعني: ظنهم أن هذه الأشياء لا معنى لها، ولا حقيقة لها، ولا حكمة لها، نسأل الله العافية فضلُّوا، وهلكوا وأهلكوا غيرهم، ويقول جلَّ وعلا منبهاً عباده: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧ ـ ٢٠]؛ يعني: ألا يفكرون في هذه الإبل العظيمة، كيف خلقها ربها ﷻ في خلقة عظيمة، تحمل الأثقال وتنفع الناس في تنقلاتهم من مكان، إلى مكان، وكانت هي الحمولة قبل وجود هذه السيارات وهذه الطائرات، مضى على الناس العالم الكثير وآلاف السنين هي التي تحملهم من مكان إلى مكان، ومن إقليم إلى إقليم، ومن بلاد إلى بلاد، ويشربون من ألبانها، وينتفعون من لحومها وأوبارها وجلودها، وهكذا البقر وهكذا الغنم وهكذا الصيود التي أباحها سبحانه لماذا خلقت؟ خُلقت لكم ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، ثم هذه الجبال المنصوبة القائمة ثبت الله بها الأرض، هذه الجبال وما فيها من العبر من الغيران التي يستظل بها الناس عند الحاجة، والمياه والنبات والمعادن إلى غير ذلك مما في الجبال من العبر، وكذلك هذه السماء المرفوعة فوقنا، وما زُينت به من الأنوار، ومن الأنواء ومن الشمس ومن القمر، وهذه الأرض المسطحة المبسوطة للعباد، وعليها يسيرون، وعليها ينامون، وعليها يحرثون، وعليها يسافرون، وعليها يتقلبون، وهي هادئة ساكنة، كل هذا من رحمة الله ﷻ كلها من آياته سبحانه.

ولهذا قال جلَّ وعلا: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤] لقوم يعقلون، لقوم يذكرون، فالواجب التعقل والتذكر، والتفكر في هذه المخلوقات، وهذه الآيات والعجائب، ثم التفكر في نفسك أنت، يقول سبحانه: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، هذه النفس وما أعطاك الله من العقل، تميز به الخير والشر، والضار والنافع، وهذا السمع تسمع به الأصوات، وهذا البصر ترى به المبصرات، وهذه الأيدي لحاجاتك، وهذه الأرجل لحاجاتك، تمشي على رجلك، وتأخذ بيدك، وتنطق بلسانك، وتأكل بفمك، وتذوق الطعام بمذاقك، وتشم الروائح بأنفك، هذه الآيات والعبر، ثم خلق لك من فوق مدخل الطعام، ومن أسفل مخرج الطعام، إلى غير ذلك، هيأ لك أزواجاً من نفسك، تحصل بها اللذة، ويحصل بها المتاع والسكن والذرية، آيات وعبر للعباد، ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، فالواجب على العاقل أن يتنبه وأن يتذكر، وأن يُعدَّ العُدة للقاء ربه ﷻ، يروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعُ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ**» الأماني[١].

الكيِّس الحازم العاقل الفطن الذي يعمل لآخرته ويعد العُدة للقاءِ ربه، هذا الحازم، والعاجز المسكين الهالك الذي يتبع نفسه هواه، يعطي نفسه الهوى، ويتمنى على الله الأماني، معطل ومُضيع لأمر الله، هذا العاجز الهالك الذي لم ينتبه لنفسه، ولم يُعدَّ للقاءِ ربه، ولهذا قال: «**والعاجز من أتبع نفسه هواه**»؛ يعني: أعطاها هواها، إن أراد الزنى أعطاها الزنى، الخمر الخمر، السرقة سرق، الغش غش، وهكذا يعطيها هواها، إن كسلت عن الصلاة ترك الصلاة، وهكذا الزكاة، وهكذا الصيام، وهكذا البر بالوالدين، وهكذا، وهكذا يعطيها هواها فيهلك مع

(١) سبق تخريجه في باب المراقبة برقم (٦٦) (ص١٦٤).

الهالكين، نعوذ بالله، فالكيس والحازم والمؤمن هو الذي يأخذ بالحزم، ويأخذ بالقوة، ويؤدي الحقوق، ويردع نفسه عن هواها، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١]، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

فالحازم القوي والرجل هو الذي يتبع الحق، ويقول بالحق، ويلزم الحق، ويستقيم على الحق، وإن خالف هواه، ويؤدي حق الله عليه وإن خالف هواه، ويبتعد عما حرم الله عليه وإن تاقت له نفسه، وإن مال إليه، يحذر ويبتعد ويقف عند الحدود، هذا هو الحازم، هذا هو الموفق، وهذا هو الكيِّس الذي يحمد العاقبة في الدنيا والآخرة.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.





١٠ - بَابُ المبادرة إلى الخيرات وحث من توجه إلى الخير على الإقبال عليه بالجد من غير تردد

قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨] وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

٨٧ - وأما الأحاديث: فالأول: **عن** أبي هريرة رضي الله عنه: أن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «بَادِرُوا بِالأعْمَال فتناً كقطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِم، يُصْبحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً، وَيُمْسِي مُؤمِناً ويُصبحُ كَافِراً، يَبيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ مِنَ الدُّنيا» رواه مسلم[1].

٨٨ - الثاني: **عن** أبي سِروْعَة بكسر السين المهملة وفتحها عُقبَةَ بن الحارث رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّيتُ وَرَاءَ النَّبيّ ﷺ بالمَدِينَةِ العَصْرَ، فَسَلَّمَ ثُمَّ قَامَ مُسْرِعاً، فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيهِمْ، فَرأى أَنَّهمْ قَدْ عَجِبُوا مِنْ سُرعَتِهِ، قَالَ: «ذَكَرتُ شَيئاً مِنْ تِبرٍ عِندَنَا فَكَرِهتُ أنْ يَحْبِسَنِي فَأمَرتُ بِقِسْمَتِهِ» رواه البخاري[2].

📖 وفي رواية لَهُ: «كُنتُ خَلَّفتُ في البَيْتِ تِبراً مِنَ الصَّدَقةِ فَكَرِهتُ أنْ أُبَيِّتَهُ». «التِّبْرُ»: قِطَعُ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ.

---

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بأعمال قبل تظاهر الفتن (١١٨).
(٢) أخرجه في كتاب الأذان، باب من صلى بالناس فذكر حاجة فتخطاهم (٨٥١).

٨٩ ـ الثالث: **عن** جابر رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رجل للنبي ﷺ يومَ أُحُد: أَرَأيتَ إنْ قُتِلتُ فَأَيْنَ أنَا؟ قَالَ: «في الجنَّةِ» فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ كُنَّ في يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ.. متفقٌ عليه[1].

٩٠ ـ الرابع: **عن** أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: جاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رسولَ الله، أيُّ الصَّدَقَةِ أعْظَمُ أجْراً؟ قَالَ: «أنْ تَصَدَّقَ وَأنتَ صَحيحٌ شَحيحٌ، تَخشَى الفَقرَ وتَأمُلُ الغِنَى، وَلَا تُمهِلْ حَتَّى إِذَا بَلَغتِ الحُلقُومَ قُلْتَ لِفُلان كذا ولِفُلانٍ كَذا، وقَدْ كَانَ لِفُلانٍ» متفقٌ عليه[2].

□ (الحُلقُومُ): مَجرَى النَّفَسِ. وَ(المَرِيءُ): مجرى الطعامِ والشرابِ.

الشَّرح

هذه الآيات والأحاديث فيها الحث على المبادرة بالخيرات، والمسابقة إلى الطاعات، وعدم التأخير والإمهال، فإن كل وقت يذهب على الإنسان يعتبر خسارة إذا لم يعمر بطاعة الله والتقرب إليه، والأوقات أعزُّ من الذهب، فينبغي أن تعمر بالخير، وأن تصان من الشر، وأن يكون المؤمن في جميع أوقاته منافساً في الخيرات، مسابقاً إليها، مسارعاً إلى كل ما ينفعه، قال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨] فاستبقوا؛ يعني: سارعوا إليها، وتنافسوا فيها، قال عز وجل: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]؛ المعنى: سارعوا إلى أسباب المغفرة والجنة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة أُحد (٤٠٤٦)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد (١٨٩٩).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب أي الصدقة أفضل وصدقة الشحيح الصحيح (١٤١٩)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح (١٠٣٢).

من الأعمال الصالحات وهكذا قوله سبحانه: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]، فالمسابقة هي المسارعة، وهي الاستباق، وهي المبادرة إلى أنواع الخير قبل أن يحول حائل من مرض أو عجز أو غير ذلك من الأسباب التي قد تحول بين الإنسان وبين العمل الصالح، فليستبق الخيرات، وليغتنم صحته ونشاطه وقوته وقدرته قبل أن يحال بينه وبين ذلك.

في الحديث الأول: يقول ﷺ: «**بَادِرُوا بِالأعْمَال فتناً كقطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِم، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً، وَيُمْسِي مُؤمِناً ويُصبِحُ كَافِراً، يَبيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ مِنَ الدُّنيا**»؛ يعني: سيمر على الناس فتن بعده ﷺ تتغير فيها الأحوال بسرعة؛ يعني: يتقلب فيها الإنسان بسرعة من كفر إلى إيمان، ومن إيمان إلى كفر، بسبب الجهل، والمغريات ودعاة الباطل وأنواع الفتن، فينبغي للمؤمن أن يبادر بالأعمال الصالحات ما دام على يقين، وعلى خير، وفي فرصة من القدرة، وفي اللفظ الآخر: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعاً هَلْ تَنْظُرُونَ إِلَّا فَقْراً مُنْسِياً أَوْ غِنًى مُطْغِياً أَوْ مَرَضاً مُفْسِداً أَوْ هَرَماً مُفَنِّداً أَوْ مَوْتاً مُجْهِزاً أَوِ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ أَوِ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ**»(١).

فالمؤمن يبادر ويسارع في أنواع الخير، وكان عليه الصلاة والسلام يسابق إلى الخيرات ويسارع عليه الصلاة والسلام إلى الطاعات ويعمر أوقاته بأنواع الخير، ومن ذلك أنه ذات يوم بعد ما صلى العصر قام

(١) رواه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في المبادرة بالعمل برقم (٢٦٠٦).

مسرعاً، فعجب الناس من سرعته ثم رجع إليهم، فأخبرهم أنه أسرع لأن في البيت شيئاً من تبر من الصدقة أحب أن يُخرجه وألّا يبيت عنده، أحب أن يوصله إلى مستحقه، وهذا يدل على أنه ينبغي الإسراع في الأشياء المعدة للصرف، المعدة للنفقة في سبيل الله، ينبغي الإسراع بها كإخراج الزكاة إلى مستحقيها والكفارات إلى مستحقيها، وهكذا ما أراد من خير ينبغي الإسراع به حتى لا تتعثر النية أو يحدث حادث يمنع من فعل هذا الخير، والإنسان عرضة للآفات وما يدري ماذا ينزل به، فينبغي له اغتنام الفرصة في كل وقت، وفي فعل الخير، وترك الشر، ونفع الناس فيما يرضي الله، إلى غير ذلك.

وهكذا **الحديث الثالث**: حديث جابر ﷺ: (**قَالَ رجل للنبي ﷺ يَومَ أُحُد: أَرَأيتَ إنْ قُتِلتُ فَأَيْنَ أَنا؟ قَالَ: «في الجنَّةِ» فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ كُنَّ في يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ..**) وفي لفظ آخر قال: «**في الجنة إن قتلت صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر**» وكان في يديه تمرات فألقاها وسارع إلى القتال حتى قتل، ولم يصبر حتى يأكلها. وفي قصة آخر من الصحابة يوم بدر كان في يده تمرات، فقال: ما بيني وبين الجنة أن ألقى هؤلاء فيقتلونني، إن حياتي لأكل هذه التمرات لطويلة ثم دخل إلى القتال مع الناس ولم يزل يقاتل حتى قتل ﷺ. والمقصود من هذا الدلالة على المنافسة في الخير، والمسارعة وعدم التباطؤ عن أمور الخير.

الحديث الرابع: أنه سئل ﷺ: أي الصدقة أفضل سأله الصحابة: أي الصدقة أفضل؟ قال: «**أنْ تَصَدَّقَ وَأَنتَ صَحيحٌ شَحيحٌ، تَخشَى الفَقرَ وتَأمُلُ الغِنَى، وَلَا تُمهِلْ**»؛ أي: لا تؤخر «**حَتَّى إِذَا بَلَغتِ الحُلقُومَ قُلْتَ لِفُلان كذا ولِفُلانٍ، كَانَ لِفُلانٍ**»؛ يعني: بادر بالصدقات والإنفاق في وجوه الخير ما دمت صحيحاً شحيحاً تخشى الفقر وترجو الغنى، فلا تؤخر الصدقة إلى أن تمرض، أو إلى أن يكبر سنك وتشرف على الأجل، لا

وبادر بها وأنت صحيح، وأنت قوي، وأنت تريد الغنى وتخشى الفقر، هذا وقت حب المال، الإنسان إذا كان قوياً صحيحاً يحب المال، لكن إذا مرض وخاف من الموت قد يرخص عنده المال ويتصدق ويوصي ويفعل أشياء، لكن إذا تصدق وهو صحيح طيب وأنفق في وجوه البر كان هذا أفضل، قبل أن تحيط به الأمراض، وتقرب منه المنية، ويتحرى أوقات الحاجة، ويتحرى المحتاجين، حتى يواسيهم وحتى يحسن إليهم، في أي وقت، وأي مكان، قال تعالى في وصف المتقين: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤] وقال في وصف أهل الإيمان: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

وفقنا الله وإياكم إلى ما يرضيه.

❊ ❊ ❊

٩١ ـ عن أنس ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يومَ أُحُدٍ، فَقَالَ: «مَنْ يَأخُذُ منِّي هَذَا؟» فَبسطُوا أيدِيَهُمْ كُلُّ إنسَانٍ مِنْهُمْ يقُولُ: أَنَا أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ يَأخُذُهُ بحَقِّه؟» فَأَحْجَمَ القَومُ فَقَالَ أَبُو دُجَانَةَ ﷺ: أنا آخُذُهُ بِحَقِّهِ، فأخذه فَفَلَقَ بِهِ هَامَ المُشْرِكِينَ. رواه مسلم[1].

▫ اسم أبي دجانةَ: سماك بن خَرَشة. قوله: (أحجَمَ القَومُ)؛ أي: توقفوا. وَ(فَلَقَ بِهِ)؛ أي: شق. (هَامَ المُشرِكينَ)؛ أي: رُؤُوسَهم.

٩٢ ـ عن الزبير بن عدي، قَالَ: أتينا أنسَ بن مالك ﷺ فشكونا إِلَيْه مَا نلقى مِنَ الحَجَّاجِ. فَقَالَ: «اصْبرُوا؛ فَإنَّهُ لا يَأتي زَمَانٌ إلَّا والَّذِي

---

(١) أخرجه في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي دُجانة سماك بن خرشة ﷺ (٢٤٧٠).

بَعدَهُ شَرٌّ مِنهُ حَتَّى تَلقَوا رَبَّكُمْ» سَمِعتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ رواه البخاري(١).

٩٣ ـ **عن** أبي هريرة رضي الله عنه: أن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «بادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعاً، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إلَّا فَقراً مُنسياً، أَوْ غِنىً مُطغِياً، أَوْ مَرَضاً مُفسِداً، أَوْ هَرَماً مُفْنداً، أَوْ مَوتاً مُجْهزاً، أَو الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَو السَّاعَةَ فالسَّاعَةُ أدهَى وَأَمَرُّ»! رواه الترمذي وقال: حديثُ حسن(٢).

٩٤ ـ **وعنهُ:** أن رَسُول الله ﷺ، قَالَ يَومَ خيبر: «لأُعْطِيَنَّ هذِهِ الرَّايَةَ رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ يَفتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيهِ» قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: مَا أحبَبْتُ الإمَارَة إلَّا يومَئِذٍ، فَتَسَاوَرتُ لَهَا رَجَاءَ أنْ أُدْعَى لَهَا، فَدَعا رسولُ الله ﷺ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فَأعْطَاهُ إيَّاهَا، وَقالَ: «امْشِ وَلا تَلتَفِتْ حَتَّى يَفتَح اللهُ عَلَيكَ» فَسَارَ عليٌّ شيئاً ثُمَّ وَقَفَ ولم يلتفت فصرخ: يَا رَسُول الله، عَلَى ماذا أُقَاتِلُ النّاسَ؟ قَالَ: «قاتِلْهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وَأنَّ مُحَمداً رسولُ الله، فَإذَا فَعَلُوا فقَدْ مَنَعوا مِنْكَ دِمَاءهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلَّا بحَقِّهَا، وحسَابُهُمْ عَلَى الله» رواه مسلم(٣).

□ (فَتَسَاوَرْتُ): هُوَ بالسين المهملة؛ أي: وثبت متطلعاً.

الشَّرح

هذه الأحاديث الأربعة كالتي قبلها في الحث على المسابقة للخيرات والمسارعة إلى الطاعات قبل أن يهجم الأجل وقبل أن تحدث موانع تمنع من فعل الخير، فالمؤمن ينتهز الفرص ويسارع بالخير، يخشى

---

(١) أخرجه في كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه برقم (٧٠٦٨).
(٢) أخرجه في كتاب الزهد، باب ما جاء في المبادرة بالعمل برقم (٢٣٠٦).
(٣) أخرجه في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب برقم (٢٤٠٥).

أن يحال بينه وبين ذلك، فيما يستقبل، والإنسان في الحقيقة هو ابن ساعته، فالماضي مضى، والمستقبل غيب، لا يدري الإنسان هل يدرك منه شيئاً أم لا، فهو ابن الساعة يسارع فيها إلى الخير، ويتباعد فيها عن الشر، ويتحامل في جهاد العدو، لعله ينجو.

وفي **الحديث الأول**: أنه عليه الصلاة والسلام أخذ السيف، والسيف معروف وقال: «**من يأخذه مني**»، فبدر الناس إلى طلبه، كل يقول: أنا آخذ، سيف مطلوب ومهيب في الجهاد عند تقارب الصفوف وعند اختلاط العدو بخصمه، فقال: «**من يأخذه بحقه**»، فأحجم القوم، ليس جُبناً لم يحجموا جُبناً لكن خوفاً ألّا يفوا إذا قالوا بحقه: فإن وعد النبي ﷺ هذا الوعد العظيم أمر خطير، فإذا أخذه الإنسان وقال للنبي ﷺ: أنا آخذه بحقه، يخشى أن لا يؤدي حقه في القتال والجهاد، فلهذا توقفوا لما قال من يأخذه بحقه خوفاً أن يقولوا بحقه وأن يأخذوه بحقه، فلا يحصل لهم ما أرادوا؛ لأن قتال الأعداء ليس بالأمر السهل.

فلما توقف القوم وثب أبو دجانة سماك بن خرشة الأنصاري وكان معروفاً بالشجاعة والإقدام والصبر، وهو الذي باشر قتل مسيلمة الكذاب في بلاد بني حنيفة المدعي النبوة بعد النبي عليه الصلاة والسلام مع وحشي بن حرب، اجتمعا على قتله، فقال: أنا آخذه بحقه فأعطاه النبي ﷺ السيف ففلق به هام المشركين؛ يعني: تقدم وقاتل حتى قتل به من شاء الله، وفي هذا الحث إلى المسابقة إلى الخير والمسارعة إلى الخير، وأن المؤمن يجاهد نفسه ويعظم الرغبة ويحسن الظن بمولاه ويتقدم إلى الخير، يرجو ما عند الله من المثوبة ويصبر نفسه حتى يسابق إلى الخيرات، وحتى يسارع إلى الطاعات، ولو فيها مشقة.

وفي **الحديث الثاني**: يقول أنس رضي الله عنه لما قالوا له: إننا أصابنا شر

من الحجاج، والحجاج أمير العراق لبني أمية في ذلك الوقت في الربع الأخير من القرن الأول، وكان ظالماً غشوماً قتَّالاً سفَّاكاً للدماء بأدنى سبب، فقال التابعون لأنس: لقد لقينا من هذا الرجل شراً كثيراً، فقال أنس: اصبروا فإني سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «**اصْبِرُوا؛ فَإِنَّهُ لا يَأتي زَمَانٌ إلَّا والَّذِي بَعدَهُ شَرٌّ مِنهُ حَتَّى تَلقَوا رَبَّكُمْ**»؛ يعني: أن الدين في نقص وغربة بعد النبي ﷺ إلى أن تقوم الساعة. وجاء في الحديث الآخر تفسير ذلك، وأن النقص يكون بذهاب العلماء الأخيار شيئاً فشيئاً، ينقصون، كل عام أكثر نقصاً من الذي قبله، ويُحدث أناساً ليس عندهم علم، فيقيسون الأمور بآرائهم، فينهدم الإسلام وينثلم كما في الرواية الأخرى.

وهذا في الجملة، هذا النقص في الجملة ولكن قد يأتي على الناس أوقات تكون فيها بعض الجهات أفضل من الوقت السابق، يحدث فيها تجديد وقيام بالدعوة إلى الله، ونشاط في الإسلام، فتكون حال تلك الجهة أو حال تلك القبيلة أو حال تلك الدولة أحسن مما قبل؛ ولهذا قال بعض أهل العلم إن الحديث معناه في الجملة «**حتى تلقوا ربكم**» في الجملة وقد يأتي زمان متأخر خير من زمان متقدم في بعض الأحيان، كما في قصة عمر بن عبد العزيز، فإن ولايته على رأس المائة كانت أفضل من ولاية كثير ممن قبله وأنفع للمسلمين، وكما جرى في هذه البلاد (نجد)، فإن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه لما قام بالدعوة في النصف الثاني من القرن الثاني عشر ونشر الدعوة إلى التوحيد وتحكيم الشريعة، كانت الحال في وقته أحسن من الحال التي قبلها بأزمان، وكان الناس قبله في نجد على تحكيم قوانين الطواغيت، وعلى ظهور البدع والفساد، والشرك بالله وعبادة الأوثان والقبور، وغير ذلك، حتى أظهر الله هذه الدعوة إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام، والصبر على ذلك، وحصل منها خير عظيم وصارت

الحال في نجد أحسن من الحال التي قبل ذلك في الزمان الذي قبله في أعوام كثيرة ومئات كثيرة، والله المستعان.

وهكذا تقع هذه الأمور في بلدان كثيرة وفي نواحٍ كثيرة يحصل فيها نشاط إسلامي ودعاة وبروز لأهل العلم، فتكون حال البلد أو حال الدولة أو حال المنطقة أحسن مما قبل من حالها قبل ذلك، ولكن هذه لا ترد على الحديث وإنما هي نقط تقع في الدهر يفرج الله بها عن المسلمين ويعز الله فيها الإسلام، ويذل فيها الشرك وأهله ويظهر فيها السُّنَّة ويقمع البدعة، مع كون الحديث على العموم في جنس النقص في العموم.

والحديث الرابع: حديث علي ﷺ لما بعثه إلى خيبر قال عليه الصلاة والسلام: «**لأُعْطِيَنَّ هذِهِ الرَّايَةَ رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ يَفتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيهِ**» فتطاول الناس لها كعمر وغيره يرجون هذا الخير؛ لأنه قال: «**يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ**» فلما سمع الصحابة ذلك فرحوا بهذا الأمر وكل رجا ليتولى هذا الأمر؛ لأنه قال: «**يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ**»، كل إنسان يحب أن يكون بهذا الوصف، وإن كان كل مؤمن يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، لكن الشهادة من الرسول بالتعيين على هذا الشخص المعين، فكل يحب ذلك، قال عمر ﷺ: (**ما أحببت الإمارة إلا يومئذٍ فتساورت لها رجاء أن أدعى لها**)، قال: «**أين علي بن أبي طالب**» ﷺ فجيء به إليه، وكان قد أرمد ﷺ فتفل في عينيه ودعا له فأبرأه الله ثم أعطاه الراية؛ يعني: البيرق، وجَّهه إلى يهود خيبر وقال: نفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى، وقال: «**امْشِ وَلا تَلتَفِتْ حَتَّى يَفتَح اللهُ عَلَيكَ**» سر على مهلك فقال: يا رسول الله على أي شيء أقاتلهم؟ قال: «**قاتِلْهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أنْ لا إلـه إلّا اللهُ، وَأنَّ مُحَمداً رسولُ الله، فَإذَا فَعَلُوا فقَدْ مَنَعوا**

مِنْكَ دِمَاءهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بحَقِّهَا، وحسَابُهُمْ عَلَى الله»: «**فَوَاللهِ لأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**».

يبيِّن ﷺ أن المقصود من القتال ليس هو سفك الدماء ولا أخذ الذرية والنساء، وإنما المقصود من الجهاد والقتال هداية الناس، المقصود إخراجهم من الظلمات إلى النور وهدايتهم، ليس المقصود سفك الدماء، فالواجب على المجاهدين والدعاة أن يحرصوا على توجيه الناس إلى الخير، وإرشادهم وتبليغهم دعوة الله، حتى يخرجوا من الظلمات إلى النور، وحتى يهديهم الله، فلا يحتاجون إلى جهاد ولا إلى قتال، والله بعث الرسل وأنزل الكتب لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، كما قال جل وعلا: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، نسأل الله العافية.

هذا في الدلالة على فضل الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، وأن العبد إذا هدى الله على يديه ولو رجلاً واحداً خير له من حمر النعم؛ يعني: خير له من الدنيا وما عليها لما في هدايته على يده من الفضل العظيم، وقال عليه الصلاة والسلام: «**من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله**»، كذلك حديث أبي هريرة ﷺ: «**بادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعاً**» وتقدم في الدرس الماضي «**هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقراً مُنسياً، أَوْ غِنىً مُطغِياً، أَوْ مَرَضاً مُفسِداً، أَوْ هَرَماً مُفْنداً، أَوْ مَوتاً مُجْهزاً، أَوْ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ فالسَّاعَةُ أدهَى وَأَمَرُّ**» وتقدم قوله ﷺ: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِم يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً أَوْ يُمْسِي مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كَافِراً يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**».

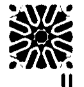
فالمقصود من هذا المبادرة بالخير والمسارعة إلى الطاعات قبل

وجود حوادث وفتن تحول بين الناس وبين الخير والهدى والصلاح، ولهذا قال: «**بادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعاً**»؛ يعني: بادروا بالأعمال الصالحات، سبعة أشياء، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، ما دمت تقوى على العمل عندك مال عندك قوة بادر قبل أن يحل بك فقر ينسيك الخير ويشغلك عن الخير، أو غنىً مطغياً، قد يحلّ بك غنى يزيد عليك المال ويكثر حتى يطغيك ويشغلك بالشهوات، أو مرضاً مفسداً قد يصيبك المرض فيفسد عليك أعضاءك حتى لا تستطيع العمل ولا تنشط على العمل بسبب المرض، أو تصاب بالهرم وضعف القوى وتغير العقل، فلا تستطيع بعد هذا العمل، أو موتاً مجهزاً، أو موتاً يُجهز عليك روحك، فتنتقل من هذا العالم إلى عالم البرزخ إلى الآخرة بما مت عليه من خير وشر.

فبادر بالعمل قبل هذا كله. أو الدجال كما يقع في آخر الزمان، الدجال شخص يخرج من جهة الشرق من جهة الصين وما حولها، يدعو إلى النبوة يقول: إنه نبي ثم يقول: إنه رب العالمين، فيتبعه أمم كثيرة من رعاع الناس وجهلة الناس، معه خوارق تلتبس على كثير من الناس، وهو أكذب الناس وأشرهم وأخبثهم، لكذبه ودجله، فالمعنى احذروا أن تأخر بكم الدنيا ويتأخر بكم الزمان حتى تقعوا في زمن الدجال، وقد أمر الله بالاستعاذة من الفتن في كل صلاة، في كل صلاة شرع الله لنا أن نستعيذ من فتنة المسيح الدجال؛ لأنها فتنة عظيمة، نسال الله العافية. أو الساعة وهي السابعة أو تكون ممّن يتأخر به الزمان حتى تقوم عليك الساعة مع الناس وهي لا تقوم إلا على شرار الناس، احذر أن تكون منهم، بادر بالأعمال الصالحة لعلك تنجو.

وفّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١١ - بَابُ في المجاهدة

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨]؛ أي: انقطع إليه. وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، والآيات في الباب كثيرةٌ معلومة.

وأما الأحاديث: فالأول:

٩٥ - عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إنَّ الله تَعَالَى قَالَ: مَنْ عادى لي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدي بشَيءٍ أَحَبَّ إلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإذَا أَحبَبْتُهُ كُنْتُ سَمعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجلَهُ الَّتِي يَمْشي بِهَا، وَإنْ سَأَلَني أعْطَيْتُهُ، وَلَئِن اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ» رواه البخاري(١).

▫ (آذَنْتُهُ): أعلمته بأني محارِب لَهُ. (اسْتَعَاذَني): روي بالنون وبالباءِ.

(١) أخرجه في كتاب الرقاق، باب التواضع برقم (٦٥٠٢).

الشَرح

هذه الآيات الكريمات مع الحديث الشريف فيها الحث على مجاهدة النفس في طاعة الله والمسارعة إلى الخير وعدم احتقار العمل الصالح ولو قليلاً، فإن القليل عند الله عظيم يقول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]؛ والمعنى: من جاهد نفسه لله وجاهد شيطانه وجاهد أعداء الله وجاهد العُصاة وجاهد كل من يعادي الخير ويدعو إلى الشر، والله ﷻ يهديه السبيل إذا صدق وأخلص في ذلك؛ ولهذا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾؛ يعني: في الله لا للرياء والسمعة ولا لقصد آخر، بل يجاهد نفسه في طاعة الله وابتغاء مرضاته والتقرب إليه، رجاء رحمته وخوف عقابه ﷻ ولهذا أطلق فقال: جاهدوا، هذا يعم جهاد النفس، ويعم جهاد الشيطان ويعم جهاد الهوى، ويعم جهاد الكفار، ويعم جهاد المنافقين، ويعم جهاد العصاة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى غير ذلك، فمن جاهد لله جاهد نفسه وشيطانه وهواه، وجاهد أعداء الله في سبيل الله، فالله جلَّ وعلا يهديه سبيله ويجازيه جزاء المحسنين؛ لعمله الصالح واجتهاده ورغبته في الخير وصبره.

وهكذا يقول سبحانه: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] يخاطب نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام؛ المعنى: واستمر في العبادة واصبر عليها واثبت عليها، حتى يأتيك اليقين وهو الموت؛ يعني: استمر في العبادة واصدق فيها واصبر واثبت عليها حتى الموت، هكذا ينبغي لكل مؤمن، لا يتقلب تارة مع العصاة، وتارة مع الكفار، وتارة مع المنافقين، وتارة مع المؤمنين، لا، الواجب الثبات على الحق والصبر حتى يلقى ربه ﷻ لا يتقلب.

وهكذا قوله جلَّ وعلا: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨]؛ يعني: استمر في العبادة واصبر في العبادة، وهكذا يقول جلَّ وعلا: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨]، في هذا الحث على عمل الخير ولو كان قليلاً، هكذا قوله جل وعلا: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] فالمؤمن لا يحقر الأعمال الصالحة ولو كانت قليلة؛ لا تحقر الصدقة بقليل، قليل مع قليل ينفع الفقير، وهكذا العمل الصالح من جميع الأنواع، من صلاة وصوم وغير ذلك، إذا صمت يوماً من الشهر أو يومين من الشهر أو صوم يوم من السُّنَّة كيوم عرفة؛ كيوم عاشورا؛ كيوم الاثنين ويوم الخميس، كل هذا ينفعك، لا تحقر شيئاً وهكذا الصلاة، صليت الضحى ركعتين، صليت أربع ركعات، صليت أكثر، تهجدت في الليل، صليت بعد الظهر صليت بين المغرب والعشاء ما يسر الله لك، كل هذا ينفعك في الدنيا والآخرة إذا أخلصت لله ﷻ، فلا تحقر شيئاً، هكذا الصدقة بدرهم بدرهمين، بتمرة بتمرتين، بصاع بصاعين، بما تيسر حتى قال ﷺ: **«اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»**[1].

وثبت عن عائشة رضي الله عنها في الصحيح قالت: جاءتني امرأة ومعها ابنتان تسأل ـ تشحذ ـ فلم أجد في البيت إلا ثلاث تمرات. ما وجد في بيتها ـ عائشة ـ رضي الله عنها إلا ثلاث تمرات، أصابهم جهد في المدينة ومشقة وحاجة وهو نبي الله عليه الصلاة والسلام، قالت: فأتيت بالثلاث وأعطيتها المرأة فأعطت اثنتين لبنتيها كل واحدة أعطتها واحدة، ورفعت الثالثة لفمها لتأكلها هي، فسبقها ابنتاها وأكلتا التمرتين وطلباها الثالثة،

(١) يأتي تخريجه في شرح الحديث رقم (١٣٩).

فلما رأتهما يطلبانها شقتها نصفين ولم تأكل شيئاً، قالت عائشة: فأعجبني أمرها، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته بذلك وما جرى للمرأة مع ابنتيها، قال: **«إن الله أوجب لها بها الجنة»** بهذه الرحمة وهذا العطف، بتمرة، لكن المقصود الرحمة والعطف والإحسان، فالمؤمن لا يحقر شيئاً، إذا أعطى فقيراً ريالاً أو ريالين لا يقول: قليل، يعطيه لا يرده ولو قليل، ريال ريالين، تمرات إذا كان محتاجاً لشيء قليل من الطعام، شيء من اللباس، على حسب حاجة الفقير، فبعض الفقراء يحتاج ولو درهماً واحداً يعطى إياه، أو شيء من الطعام، أو تناول غداء أو عشاء، ويقول النبي ﷺ: يقول الله ﷻ **«مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ»**؛ يعني: أعلنته بالحرب؛ يعني: أنها حرب لي.

والولي هو المؤمن المسلم، المؤمنون هم أولياء الله إذا أطاعوا الله واتبعوا شريعته، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٣] هؤلاء أولياء الله قال النبي ﷺ: **«أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي ـ يَعْنِي: فُلَاناً ـ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ إِنَّمَا وَلِيِّي اللهُ وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ»**(١) هؤلاء هم أولياء الله ورسوله، والمسلم إذا أطاع الله ورسوله فهو ولي الله، هو المؤمن وهو المتقي وهو البر والصالح، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ يقول الله: **«مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً»**؛ يعني: مؤمناً **«فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ»**، فالذي يؤذي المؤمنين حرب لله ورسوله، يؤذيهم بالضرب أو بغير ذلك من أنواع الأذى، بالسب والشتم أو بغير ذلك من أنواع الظلم، هذا نوع محاربة لله ولرسوله، نسأل الله العافية.

---

(١) متفق عليه من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب تبل الرحم ببلالها برقم (٥٩٩٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم برقم (٢١٥).

ويقول الله سبحانه في كتابه العظيم في القرآن: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨] كثير من الناس لا يبالي، يؤذي الناس بسبه وحسده وغيبته ونميمته وشره بغير موجب، ولكنه الحسد والهوى والشر الذي طبع عليه، نسأل الله العافية، يقول الله: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ**»، أحب شيء إلى الله أن تتقرب إليه بفرائضه التي فرضها عليك، من صلاة وصوم وزكاة وحج وبر الوالدين وصلة رحم وجهاد في سبيل الله وأمر بمعروف ونهي عن منكر وترك لما حرم الله؛ لأن ترك المحارم فرض، كون الإنسان يترك محارم الله من الزنى والسرقة والغيبة والنميمة وشرب المسكر والعقوق للوالدين وقطيعة الرحم وغير هذا من المعاصي، هذا فرض على المؤمن أن يترك ذلك، يُفرض عليه أن يدع المعاصي، كما أنه فرض عليه أن يؤدي ما أوجب الله، من صلاة وصوم وغير ذلك، فإذا أدى هذه الأمور فهذا أحب شيء إلى الله أنك تؤدي فرائضه.

بعض الناس يتقرب بالنوافل ويضيع الفرائض، يصوم نافلة أو يصلي نافلة ويضيع الفريضة، هذا جهل وضلال، الواجب البداءة بالفريضة، والنافلة إن تيسرت وإلا ما تضر، المهم الفريضة، أن تؤدي فرائض الله من الصلاة وغيرها وأن تدع محارم الله، فإذا يسر الله لك نافلة فهذا خير إلى خير، قال: «**مَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**»؛ يعني: زيادة على الفرائض يتقرب بالنوافل من الصلوات الراتبة صلاة الضحى التهجد بالليل وأنواع الصيام النافلة، ما يزال العبد يتقرب إلى الله بأنواع الذكر، بأنواع الصدقات، بأنواع المعروف، حتى تكون محبة الله له أكمل وأعظم، «**فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ**»؛ يعني: المحبة الكاملة «**كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا**»، المعنى: أن الله يوفقه في هذه الأمور، أما في الرواية الأخرى «**فبي يسمع وبي**

يبصر وبي يبطش وبي يمشي»؛ يعني: أنه يوفق في سمعه وفي بصره وفي مشيه وفي أخذه وتناوله، يكون موفقاً في ذلك محفوظاً من المعاصي والشرور، معاناً من الله ﷻ بسبب اجتهاده للخيرات وحرصه على أداء الفرائض وترك المحارم، واجتهاده في أنواع النوافل والطاعات، والله يسدده ويعينه بسبب حرصه على الخير واجتهاده في الخير، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، من اتقى الله أعانه الله، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧]، **«وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ»**، يقوله الرب ﷻ، إذا اتقى العبد ربه واجتهد في الخيرات، إن استعان الله أعانه وإن سأله أعطاه وإن استغفره غفر له، بسبب اجتهاده في الخير، وبسبب عنايته بطاعة الله وتوبته إلى الله من ذنوبه، وإقلاعه منها وتركه ما حرم الله عليه وصبره على ذلك، هذا من أسباب توفيق الله حتى يموت على الخير والهدى والصلاح.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❋ ❋ ❋

٩٦ ـ الثاني: عن أنس ﷺ، عن النَّبيّ ﷺ فيما يرويه عن ربّه ﷻ، قَالَ: «إِذَا تَقَرَّبَ العَبْدُ إِلَيَّ شِبْراً تَقَربْتُ إِلَيْه ذِرَاعاً، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَربْتُ مِنهُ بَاعاً، وإِذَا أَتَانِي يَمشي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» رواه البخاري(١).

٩٧ ـ الثالث: عن ابن عباس ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغبونٌ فيهما كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالفَرَاغُ» رواه البخاري(٢).

---

(١) أخرجه في كتاب التوحيد، باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه برقم (٧٥٣٧)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله برقم (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه في كتاب الرقاق، باب ما جاء في الصحة والفراغ... برقم (٦٤١٢).

٩٨ ـ الرابع: عن عائشة ﵂: أَنَّ النَّبيّ ﷺ كَانَ يقُومُ مِنَ اللَّيلِ حَتَّى تَتَفطَّرَ قَدَمَاهُ فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصنَعُ هَذَا يَا رسولَ الله، وَقدْ غَفَرَ الله لَكَ مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلا أُحِبُّ أنْ أكُونَ عَبْداً شَكُوراً»؟ متفقٌ عليه(١)، ونحوه في الصحيحين من رواية المغيرة بن شعبة(٢).

الشَّـرح

هذه الأحاديث الثلاثة كلها تتعلق بالمجاهدة للنفس في طاعة الله ورسوله والمسابقة إلى الخيرات والمنافسة في الطاعات وهكذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كانوا أسبق الناس إلى كل خير وأصبرهم على كل خير، وهكذا أتباعهم بإحسان يسارعون في الخيرات ويجتهدون في أداء ما أوجب الله وما شرعه الله ويصبرون على ذلك كما قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ويقول سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]: ويقول له جلَّ وعلا: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝٤٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٨ ـ ٤٩]، فالمؤمن مأمور بالمسابقة ولزوم الطاعة والاجتهاد في الخير.

ولهذا يقول ﷺ: يقول الله ﷻ: **«إِذَا تَقَرَّبَ العَبْدُ إِلَيَّ شِبْراً تَقَرَّبْتُ**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿لِيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ [الفتح: ٢] برقم (٤٨٣٧)، ومسلم في كتاب صفة القيامة، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة برقم (٢٨١٩ و٢٨٢٠).

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿لِيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ [الفتح: ٢] برقم (٤٨٣٦)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة برقم (٢٨١٩).

إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً، وَإِذَا أَتَانِي مَشْياً أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» وفي اللفظ الآخر: «فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ»[1]، والله ﷻ يحب من عباده أن يذكروه وأن يجتهدوا في طاعته وهو سبحانه أسبق إليهم بالخير وأسرع إليهم بالخير جلَّ وعلا وهو الجواد العظيم الكريم ومن ذكر الله ذكره الله: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ومن شكر الله شكر الله له سعيه وأجزل له المثوبة ﷻ وهو الشكور جلَّ وعلا، الحليم الجواد الكريم ومن سابق إليه بالطاعات فهو الأسبق ﷻ إليه أيضاً بثوابه وأجره وتقريبه وتعظيمه، وهو ﷻ أعلم بكيفية هذه المسابقة، وهذه المسارعة التي أخبر عنها نبيه عليه الصلاة والسلام فهي مسابقة ومسارعة حق على الوجه الذي يليق بالله ﷻ، لكن من مضمونها ومقتضاها أنه سبحانه يجزل له المثوبة ويريده من الخير ويثبت أقدامه على طاعته ﷻ، فهو بالخير أجود من عبده وأسرع، فينبغي لك يا عبد الله أن تجتهد في أنواع الطاعات، وأن تسابق إلى أنواع الخير، وأن تصبر وتستمر حتى تلقى ربك ﷻ، هكذا المؤمن لا يضعف، ولكن يستمر ويستقيم، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣١]؛ يعني: ما تطلبون ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٢] هذا جزاء أهل الاستقامة على طاعة الله، جزاءهم التثبيت والتوفيق والفوز بدار الكرامة يوم القيامة.

ويقول أيضاً عليه الصلاة والسلام، «نِعْمَتَانِ مَغبونٌ فيهما كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالفَرَاغُ»، كثير من الناس تضيع عليه صحته ويضيع عليه فراغه، ما يقدِّر هذه الصحة، ولا هذا الفراغ، بل تذهب أيامه ولياليه

---

(١) يأتي تخريجه في شرح الحديث رقم (١٤٣٥) ج٤.

بدون فائدة، عنده صحة، عنده فراغ ولكنهما ضائعتان، لم يستعملهما فيما يرضي الله ويقرب إليه «**نِعْمَتَانِ مَغبونٌ فيهما كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالفَرَاغُ**»، العاقل والحازم والكيِّس يغتنم صحته قبل مرضه، فيستقيم على طاعة الله ويستعملها فيما يرضي الله، ويسابق إلى الخير من أنواع الطاعات، من صلاة وصوم وأمر بمعروف ونهي عن منكر وصدقة، وعيادة مريض، وزيارة أخ في الله، ومذاكرة في الخير، واشتغال بذكر الله حتى تعمر أوقاته بطاعة الله، وحتى يحفظ صحته في طاعة الله، وهكذا فراغه، يشغله بطاعة الله، بذكر الله وطاعته لا بالكسل، والأحاديث الباطلة التي تضره ولا تنفعه، بل يشغله بما ينفعه من ذكر الله وقراءة القرآن والمذاكرة في العلم والتسبيح والتهليل، وغير هذا مما ينفعه في الدنيا والآخرة.

تقول عائشة ﵂ (كَانَ النَّبيّ ﷺ يقُومُ مِنَ اللَّيلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ) من طول القيام، يقرأ طويلاً ويركع طويلاً عليه الصلاة والسلام ويسجد طويلاً، وهكذا يقول المُغيرة بن شعبة ﵁: كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى ترِم قدماه من طول التهجد، فيقال له في ذلك: يا رسول الله لِمَ تفعل هذا وأنت مغفور لك؟ فيقول: «**إني أحب أن أكون عبداً شكوراً**» فالمؤمن كلما زاد الخير إليه وزادت نعم الله عليه، فينبغي أن يشكرها بمزيد من الطاعات، وبمزيد من الاجتهاد، حتى يكون شكوراً، والله سبحانه يقول: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، ويقول ﷻ: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، ويقول سبحانه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، فشكر الله يكون بطاعته ومسارعة إلى مراضيه وترك معاصيه، ويكون الشكر أيضاً بالإكثار من ذكر الله وقراءة القرآن، ومساعدة المحاويج والإحسان إليهم، وبر الوالدين وصلة الرحم وعيادة المريض، إلى غير هذا من وجوه الخير، كل هذا من شكر الله ﷻ

وكل هذا من عِمارة الأوقات وعدم ضياعها الأوقات في غير فائدة.
رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

***

٩٩ ـ الخامس: عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: كَانَ رَسُول الله ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ أَحْيَا اللَّيلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ المِئْزَر. متفقٌ عليه[١].

□ والمراد: العشر الأواخر مِنْ شهر رمضان. و(المِئْزَرُ): الإزار، وَهُوَ كناية عن اعتزالِ النساءِ. وقيلَ: المُرادُ تَشْمِيرُهُ للعِبَادةِ، يُقالُ: شَدَدْتُ لِهَذَا الأمْرِ مِئْزَري؛ أي: تَشَمَّرْتُ وَتفَرَّغْتُ لَهُ.

١٠٠ ـ السادس: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «المُؤْمِنُ القَوِيُّ خيرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعيفِ وَفي كُلٍّ خَيرٌ. احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، واسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجزْ. وَإنْ أَصَابَكَ شَيءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أنّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدرُ اللهِ، وَمَا شَاءَ فَعلَ؛ فإنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيطَانِ» رواه مسلم[٢].

الشَّرح

فهذان الحديثان الشريفان الصحيحان عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، كلاهما يدل على تشميره في العبادة وعلى استقامته وجهاد نفسه في العبادة وحث الأمة على ذلك فهو ﷺ مع جده واجتهاده في العبادة وهو مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع ذلك أعظم الناس عبادة وأكثرهم عبادة، وأصبرهم على العبادة، وأصبرهم على العبادة، حتى قال عليه الصلاة والسلام: **«أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ»**[٣] لما تقال

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضل ليلة القدر، باب العمل في العشر الأواخر من رمضان برقم (٢٠٢٤)، ومسلم في كتاب الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان برقم (١١٧٤).

(٢) أخرجه في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله برقم (٢٦٦٤).

(٣) يأتي تخريجه في شرح الحديث رقم (١٤٣) (ص٣٠١).

بعض الصحابة عمله وقالوا أين نحن من رسول الله ﷺ مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وزعموا أنهم يجتهدون اجتهاداً أكثر فقال بعضهم: أما أنا فأصوم ولا أفطر وقال بعضهم: أما أنا فأقوم الليل ولا أنام وقال الآخر: أما أنا فلا آكل اللحم، وقال الآخر: أما أنا فلا أنام على فراش، فبلغ النبي خبرهم عليه الصلاة والسلام، فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه أنه بلغني كذا وكذا «**أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**» هذا من تخفيف الله وتيسيره فالإنسان يتعبد ويطيع الله ورسله؛ لكن لا يشق على نفسه يتكلف ما لا يطيق؛ ولهذا قال لكني أصل وأنام؛ يعني: ما أسهر وأصوم وأفطر تارة وتارة وآكل اللحم وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني، فالمؤمن يجتهد في العبادة، ويكثر من الخير؛ لكنه لا يكلف نفسه إلا وسعها لا يشدد فيشدد الله عليه فإن الإنسان إذا حمل نفسه ما لا تطيق انقطعت وضعفت ولم تقم بالواجب فالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى ولكن يكلف من العمل ويجتهد في العمل حسب طاقته في أنواع الخير، وأنواع الطاعات مع العناية بآداء الفرائض وترك المحارم، الأهم هو أنك تؤدي الفرائض وتبتعد عن المحارم فإذا جاء بعد ذلك مزيد خير من الطاعات والنوافل هذا خير إلى خير، وكان عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد رضي الله عنه يقول: أيها الناس ليسَ تقوى اللهِ بصيامِ النهار، وقيام الليلِ والتخليطِ، فيما بيْنَ ذلكَ؛ يعني: التخليف بالمعاصي والشرور، ولكن تقوى اللهِ، أداءُ ما افترضَ الله وتركُ محارم اللهُ، فمن رُزِقَ بعدَ ذلك خيراً، فهو خيرٌ إلى خيرٍ(١)، فالأهم العظيم هو أنك تؤدي فرائض الله من صلاة، وصوم، وزكاة،

---

(١) أورده الحافظ ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم في شرح الحديث الثامن عشر والسيوطي في الدر المنثور ج١ ص(٢١).

وحج مع الاستطاعة، وبر الوالدين وصلة الرحم، وأمر بالمعروف ونهي عن منكر، وصدق في الحديث، وترك لمحارم الله خير فإذا تيسر بعد هذا نوافل، صوم نافلة، صلاة نافلة، صدقة نافلة فهذا خير إلى خير.

تقول عائشة ﵂: كان النبي ﷺ إذا دخل العشر الأخيرة من رمضان أحيا ليله وأيقظ أهله وجد وشد المئزر؛ يعني: شمر في العبادة وأعتزل النساء عليه الصلاة والسلام، كان يعتكف في الغالب في العشر الأواخر من رمضان، هذا يدل على شرعية الجد في العشر الأواخر من رمضان والعناية بها والتشمير في إحياء الليل بالعبادة والقراءة والذكر مع صيام النهار؛ لأن صوم النهار فرض وهو من رمضان، فالمؤمن مع صيامه يجتهد في هذه العشر الأخيرة؛ لأن فيها ليلة القدر، وهي ليال عظيمة ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يحيها بالعبادة ويوقظ أهله ويجتهد في ذلك مع أنه عليه الصلاة والسلام في جميع السُّنَّة يقوم من الليل الشيء الكثير يصلي طويلاً ويركع طويلاً ويسجد طويلاً عليه الصلاة والسلام، وكان يقوم في آخر الليل وكان ربما قام في أول الليل وربما قام في وسط الليل ولكن آخر الأمر استقر تهجده في آخر الليل عليه الصلاة والسلام في الثلث الأخير هكذا ينبغي للمؤمن أن يكون له نصيب من الليل ولو قليلاً يتهجد فيه يصلي ثلاث ركعات أو خمس ركعات أو أكثر، وكان النبي ﷺ يصلي عشرة ركعات يسلم من كل ثنتين ويوتر بواحدة عليه الصلاة والسلام، وربما صلى سبعاً، وربما صلى خمساً حسب النشاط والقوة؛ وليس فيه حد محدود لو صلى مائة يسلم من كل ثنتين أو أقل أو أكثر لا بأس؛ لكن يختم بواحدة يختم هذه الصلاة بواحدة وهي الوتر يقرأ فيها الفاتحة وقل هو الله أحد هذه الختام لوتره من الليل.

والحديث الثاني يقول ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْر**»؛ يعني: في كل واحد من المؤمنين خير؛ ولكن المؤمن القوي الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويعين على نوائب الحق ويكرم الضيف ويعين على ردع الظالم وعلى نصر المظلوم ويرحم الضعيف، ويشفع في الخير ويناصر الحق هذا له فضل

على المؤمن الضعيف، المؤمن القوي؛ يعني: قوي الإيمان؛ يعني: عنده من النشاط في فعل الخير ما يشمل وجوهاً كثيرة في شفاعة لمظلوم من نصر لمظلوم من ردع لظالم، من مواساة لفقير، من عيادة لمريض، من أمر بالمعروف ونهي عن منكر، من دعوة إلى الله ﷻ إلى غير هذا من وجوه الخير، هذا أفضل عند الله من المؤمن الضعيف الذي من بيته إلى المسجد فقط ما يشارك في الأشياء الأخرى ثم قال: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ باللهِ**» كلمة عظيمة، كلمة جامعة، هذا خطاب لأهل الإيمان كلهم إلى جميع المسلمين «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ باللهِ**»؛ يعني: احرص على ما ينفعك في الدنيا والآخرة على ما ينفعك في الدنيا من عمل يدر عليك رزقاً حلالاً يقوم بحالك وحال أهلك، من تجارة، حدادة، من خرازة، ومن زراعة؛ أي عمل بيدك تعمل، تعمل تجتهد حتى يحصل لك رزق مباح يقوم بحالك مع سائر وجوه الخير.

في الحديث الآخر يقول ﷺ: لما سُئِلَ: أيُّ الكَسْبِ أَطْيَبُ؟ قَالَ: «**عملُ الرَّجُلِ بيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٌ**»(١) وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ، خَيْراً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبيَّ اللهِ دَاوُدَ** ﷺ**، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**»(٢).

كان يصنع الدرع ويبيعها ويأكل من عمل يده عليه الصلاة والسلام، فهكذا المؤمن يكون له عمل لا يرضى بأن يتجول في الأسواق أو يسأل الناس لا يعمل، يكدح يتجر بعمل حداده، خرازة، بنا، زراع، تاجر، يبحث عن عمل مما أباح الله لا يجلس؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ**» لا تتكل على عملك وعلى جهدك بل يستعين بربه، يقول اللَّهُمَّ أعني، اللَّهُمَّ يسر أمري بعمل

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفة من حديث سعيد بن عمير رضي الله عنه ٤/ ٥٥٤ برقم (٢٣٠٨٣).

(٢) أخرجه البخاري من حديث المقدام رضي الله عنه في كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده برقم (٢٠٧٢).

ويسأل ربه العون والتوفيق، وهكذا في أمر الآخرة يعمل للآخرة، يؤدي ما أوجب الله وينتهي عما حرم الله يستعين بالله على ذلك ويكون أكبر همه الآخرة وأكبر جهده في الآخرة حتى يستعد للقاء ربه ويكون عمل الدنيا معيناً له على طاعة الله، ثم قال عليه الصلاة والسلام: «**وَلَا تَعْجَزْ**»؛ يعني: إياك والكسل العجز عليك بالجد والحزم والنشاط في طلب الرزق الحلال «**وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ**»؛ يعني: أخفقت الجهود حرص ولكن ما تيسر له الزرع جاءه جراد جاءه آفة، التجارة ما ربحت العمل ما تيسر لا يجزع يقول قدر الله ما شاء فعل يعني هذا قدر الله وما شاء الله فعله يعني يلجأ يجتهد في العمل؛ ولكن مع هذا هو صبور عند المصائب يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، قدر الله وما شاء الله فعل. ولا يقول: لَوْ، لَوْ. «**فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**» لو أني فعلت كذا، لو أني ما اشتريت من فلان هذا، ما تنفع، بل تضره، تفتح له عمل الشيطان؛ ولكن يزاول العمل يعود للعمل ويطلب العمل عملاً بدل عمل حتى ينجح حتى يحصل له المطلوب من رزق الله ﷻ مع الصبر وحسن الظن بالله ﷻ واستعمال ما أباح الله من الوسائل والاستغناء عما في أيدي الناس هكذا يكون المؤمن قوي النفس رفيع النفس حريصاً على العمل الطيب المباح الذي يغنيه الله عن الحاجة إلى الناس.

وفق الله الجميع.

❋ ❋ ❋

١٠١ ـ السابع: عَنْهُ: أَنَّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «حُجِبَتِ النَّارُ بالشَّهَواتِ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ» متفقٌ عليه[(١)].

□ **وفي رواية لمسلم: (حُفَّتْ) بدل (حُجِبَتْ): وَهُوَ بمعناه؛ أي: بينه وبينها هَذَا الحجاب فإذا فعله دخلها.**

---

(١) من حديث أبي هريرة ﷺ. أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب حُجبت النار بالشهوات برقم (٦٤٨٧)، ومسلم في كتاب الجنة، برقم (٢٨٢٢).

١٠٢ ـ الثامن: **عن** أبي عبد الله حُذَيفَةَ بنِ اليمانِ رضي الله عنهما، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ ذَاتَ لَيلَةٍ فَافْتَتَحَ البقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ المِئَةِ، ثُمَّ مَضَى. فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا في ركعَة فَمَضَى، فقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقرَأَهَا، يَقرَأُ مُتَرَسِّلاً: إِذَا مَرَّ بآيَة فِيهَا تَسبيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ» فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحواً مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ» ثُمَّ قَامَ طَوِيلاً قَرِيباً مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى» فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيباً مِنْ قِيَامِهِ. رواه مسلم(١).

١٠٣ ـ التاسع: **عن** ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيّ ﷺ لَيلَةً، فَأَطَالَ القِيامَ حَتَّى هَمَمْتُ بأَمْرِ سُوءٍ! قيل: وَمَا هَمَمْتَ بِهِ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأَدَعَهُ.. متفقٌ عليه(٢).

١٠٤ ـ العاشر: **عن** أنس رضي الله عنه، عن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «يَتْبَعُ المَيتَ ثَلَاثَةٌ: أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَملُهُ، فَيَرجِعُ اثنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ: يَرجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبقَى عَملُهُ» متفقٌ عليه(٣).

الشَّرح

هذه الأحاديث الأربعة كالتي قبلها، فيها الدلالة على شرعية مجاهدة النفس بالعمل الصالح والصبر على ذلك، تأسياً بالنبي عليه الصلاة والسلام وعملاً بأمر الله وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام في

---

(١) أخرجه في كتاب الصلاة، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل برقم (٧٧٢)، وأحمد ٥/ ٣٨٤ و٣٩٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب طول القيام في صلاة الليل برقم (١١٣٥)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل برقم (٧٧٣) البخاري.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه برقم (٦٥١٤)، ومسلم في كتاب الزهد والرقاق، برقم (٢٩٦٠).

المجاهدة، وسبق في الدرس الماضي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦] فأعمال العبد لنفسه، كما قال ﷻ: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ﴾ [الإسراء: ٧]، قال ﷻ: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ﴾ [فصلت: ٤٦]، ولهذا يقول ﷺ: «**حُفَّتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**».

في اللفظ الآخر «**حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَواتِ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ**»؛ والمعنى: أن الشهوات تُفضي إلى النار نعوذ بالله؛ ولهذا قال: «**وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**»، من أطاع شهواته واتبع هواه، سارت به إلى النار، وجرَّته إلى النار فالإنسان قد يشتهي ظلم الناس وقد يشتهي الزنى ويشتهي الخمر ويشتهي غير ذلك مما حرَّم الله، فمن أطاع نفسه هواها هلك وصار إلى النار أعوذ بالله، كما قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٣٨ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٣٩ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧ ـ ٤١]، وقال ﷻ يخاطب داود عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦] من اتبع هواه وشهواته هلك، «**وحفَّت الجنة بالمكاره**» بما تكرهه النفوس، من المجاهدة والأعمال العظيمة، كالجهاد في سبيل الله والصدقات، والصبر على بر الوالدين وصلة الرحم، وحفظ اللسان عن الغيبة والنميمة، وحفظ الجوارح عما حرَّم الله، إلى غير هذا مما شرع الله ﷻ وأمر به، فكثير من النفوس لا تهوى هذا بل تكره هذا، ولا تستقيم عليه وتريد هواها، فمن جاهدها في الله وصبرها حتى تستقيم على طاعة الله، وحتى تكُفَّ عن محارم الله أفلح، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] ومن طاوع نفسه في التثاقل عن الخير والتأخر عما أوجب الله؛ لأن نفسه لا تشتهي ذلك أو تكسل عنه، إذا تابعها وانقاد لها هلك، فلا بد من جهاد لها، حتى تثبت عن الحق، حتى تُريد الحق، حتى تهواه، حتى تحبه، حتى تستقيم عليه، فلا بد من جهاد.

وفي حديث حذيفة بن اليمان ﷺ الدلالة على مجاهدة نفسه عليه الصلاة والسلام، وهكذا حديث ابن مسعود، فيهما الدلالة على أنه عليه الصلاة والسلام كان يجاهد نفسه في طاعة الله، وكان عليه الصلاة والسلام يقوم في الليل قياماً طويلاً في التهجد، حتى قال حذيفة إنه قام في ليلة فقرأ بالبقرة فافتتحها، فقال حذيفة: لعله يركع عند المائة آية فمضى، فقال: لعله يركع في آخرها فمضى، وقرأ النساء وفي رواية آل عمران ثم النساء، فقرأ النساء وآل عمران؛ يعني: خمسة أجزاء وزيادة قرأها في ركعة في الليل يترسل، قراءة يترسل فيها ويُرتلها، عليه الصلاة والسلام ويقف عند آية تسبيح، عند آيات أسماء الله وصفاته ويسبح الله، وعند آيات الترغيب بالجنة يقف ويسأل، وعند آيات العذاب يقف ويتعوذ، ومعه حذيفة رضي الله عنه وأرضاه، قال: ثم ركع فكان ركوعه قريباً من قيامه، أطال في الركوع يقول: «**سبحان ربي العظيم، سبحان ربي العظيم**» قالت عائشة: إنه كان يكثر في ركوعه وسجوده ويقول: «**سبحانك الله ربنا وبحمدك اللَّهُمَّ اغفر لي**»[(١)] وكان يقول في ركوعه أيضاً: «**سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة**»[(٢)]، ويقول في ركوعه وفي سجوده أيضاً: «**سبوح قدوس رب الملائكة والروح**»، ويكثر من هذا مع سبحان ربي العظيم: «**سبحان ربي العظيم سبحانك اللَّهُمَّ ربنا وبحمدك اللَّهُمَّ اغفر لي**»[(٣)] حتى صار ركوعه قريباً من قيامه من الطول، ثم رفع فقال: «**سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد**»، ثم

---

(١) يأتي تخريجه برقم (١١٤) (ص٢٥٩).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث عوف بن مالك الأشجعي ﷺ في كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده برقم (٨٧٣)، والنسائي في كتاب التطبيق، باب نوع آخر من الذكر برقم (١٠٤٩).

(٣) متفق عليه من حديث عائشة ﷺ أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب الدعاء في الركوع برقم (٧٩٤)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود برقم (٤٨٤).

أطال يُثني على الله قياماً طويلاً نحواً من ركوعه، ثم سجد وأطال في سجوده، يقول: «**سبحان ربي الأعلى**» ويدعو في سجوده وأطال، عليه الصلاة والسلام.

وفي رواية: فما صلى إلا ركعتين حتى فجر الفجر، وفي رواية: أنه صلى أربع ركعات حتى فجر الفجر، هذا يدل على أنه عليه الصلاة والسلام في بعض الأحيان يطول وفي بعضها أخف من هذا، وتقول عائشة ﵂: كان في بعض الأحيان يصلي قائماً في تهجده في الليل وفي بعضها يصلي قاعداً، عليه الصلاة والسلام، فإذا بقي عليه ثلاثون آية أو ما يقاربها قام فقرأها واقفاً ثم ركع(١)، كل ذلك جائز في النافلة، إن صلَّى قائماً أو قاعداً أو صلَّى بعض القيام قاعداً ثم قام وكمل القراءة، كله فعله النبي عليه الصلاة والسلام، وهذا كله يدل على اجتهاده ﷺ ورغبته في الخير مع أنه مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فلما قيل: يا رسول الله تعمل هذا العمل، تتعب هذا التعب وأنت مغفور لك؟ قال: «**إني أحب أن أكون عبداً شكوراً**»؛ يعني: يشكر الله على ما منَّ به من المغفرة والرحمة والنبوة والخير العظيم عليه الصلاة والسلام.

وفي حديث ابن مسعود ﵁: أنه قام معه قياما طويلاً، (قال: حتى هممت بأمرِ سوءٍ، قيل: يا ابن مسعود ماذا هممت به؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه)؛ يعني: تعبت وأنا قائم فهممت أن أجلس في التهجد بالليل، وهذا يبيِّن لنا اجتهاده ﷺ وحرصه على الخير واستكثاره منه مع أنه مغفور له عليه الصلاة والسلام، وهكذا كان يكثر من الصدقات وعيادة المريض والنصيحة للناس والخطبة في المنبر في يوم الجمعة وغيرها، وفي أوقات المجالس، ينصحهم ويذكرهم عليه الصلاة والسلام، هكذا ينبغي للمؤمن أن يستكثر من الخير وأن لا يمل الخير،

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب في صلاة القاعد برقم (٩٥٣)، وابن ماجه في كتاب الصلاة، باب في صلاة النافلة قاعداً برقم (١٢٢٧).

من ذكر لله وتسبيح وتحميد وتهليل وتكبير وعيادة مريض وأمر بالمعروف ونهي عن منكر ودعوة إلى الله ﷻ، ونصيحة وتهجد بالليل وصلاة الضحى، إلى غير هذا من وجوه الخير مع الفرائض، هذا زيادة على الفرائض التي فرضها الله ﷻ وتأسياً بالرسول ﷺ وحرصاً على أعمال الخير، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، حسب طاقته، لا يشق على نفسه، ولكن لا يتساهل بل يستكثر من الخير، يريد ما عند الله من المثوبة ـ جلَّ وعلا ـ في الليل وفي النهار.

وفي حديث أنس رضي الله عنه: يقول عليه الصلاة والسلام: «**يتبع الميت ثلاثةٌ**»؛ يعني: حين يموت، «**أهله وماله وعمله؛ فيرجع اثنان ويبقى معه واحدٌ**» وهو العمل؛ يعني: يتبعه أهله في الغالب أقاربه وأصدقاؤه وماله مما تحتاج إليه في الدفن، ثم يرجع ما معه من مال أو من أهل ويبقى معه عمله في قبره، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فالذي يبقى معك هو الجدير بأن تحرص عليه، أما الأهل فيرجعون، والزوجة قد تتزوج بعدك، والأولاد يشغلون بعدك بشؤونهم، وأصدقاؤك كذلك، وهكذا مالك ينتقل لغيرك ولا ينفعك إلا ما قدمت وصار معك في قبرك وفي صفحة حسناتك، فقدم نفسك، هذا المال الموجود أنفق به في سبيل الله وتصدق منه ولا مانع أن تُبقي للورثة ما ينفعهم، لكن لا تبخل عن نفسك لِما ينفعها من وجوه الخير، وصلة الرحم، والصدقة على الفقير ومواساة المحتاج، ونصر المظلوم والإنفاق في وجوه الخير، حسب الطاقة مع الأعمال الأُخرى الصالحة، من عيادة المرضى، والإكثار من قراءة القرآن، ومن ذكر الله ومن الاستغفار، ومن بر الوالدين، وصلة الرحم، ومن زيارة الإخوان في الله؛ لقصد وجه الله إلى غير هذا من وجوه الخير، ترجو ثواب الله ﷻ وترجو حُسن عاقبته.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❋ ❋ ❋

١٠٥ ـ **عن** ابن مسعود ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبيّ ﷺ: «الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذلِكَ» رواه البخاري(١).

١٠٦ ـ **عن** أبي فِراسٍ ربيعةَ بنِ كعبٍ الأسلميِّ خادِمِ رَسُول الله ﷺ، ومن أهلِ الصُّفَّةِ ﷺ، قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رسولِ الله ﷺ فآتِيهِ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ: «سَلْنِي» فقُلْتُ: أسألك مُرَافَقَتَكَ في الجَنَّةِ. فَقَالَ: «أَوَ غَيرَ ذلِكَ»؟ قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: «فأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ» رواه مسلم(٢).

١٠٧ ـ الثالث عشر: **عن** أبي عبد الله، ويقال: أَبُو عبد الرحمٰن ثوبان مولى رَسُول الله ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ؛ فَإِنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ للهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرجَةً، وَحَطَّ عَنكَ بِهَا خَطِيئَةً» رواه مسلم(٣).

١٠٨ ـ الرابع عشر: **عن** أَبي صَفوان عبد الله بنِ بُسْرٍ الأسلمي ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «خَيرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ» رواه الترمذي(٤)، وقال: حديثٌ حسنٌ.

□ (بُسْر) بضم الباء وبالسين المهملة.

الشَّرْح

هذه الأحاديث الأربعة كالتي قبلها، وسبقت أحاديث متعددة تدلُّ كلها على شرعية المبادرة إلى الخيرات والمسارعة إلى أنواع الطاعات، والإعداد للآخرة والحذر من الغفلة، وما ذاك إلا لأن هذه الدار هي دار العمل ودار الزرع للآخرة ودار الإعداد، وليست دار إقامة، ولا دار نعيم

(١) أخرجه في كتاب الرقاق، باب الجنة أقرب الى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك برقم (٦٤٨٨).

(٢) أخرجه في كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه برقم (٤٨٩).

(٣) أخرجه في الكتاب والباب السابقين برقم (٤٨٨).

(٤) أخرجه في كتاب الزهد، باب ما جاء في طول العمر للمؤمن برقم (٢٣٣٠)، والدارمي ٢/٣٠٨، وأحمد ٤/١٨٨ و١٩٠.

ولكنها دار النُقلة، ولهذا يقول ﷺ: «**الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثلُ ذلِكَ**» ليس بينك وبين هذه وهذه إلا خروج الروح وخروجها قد يأتي غفلة، وقد يأتي غرة وأنت في غفلتك، فاحذر، فإن خرجت الروح على استقامة وطاعة فالجنة، وإن خرجت على انحراف وفساد فإلى النار؛ ولهذا قال ﷺ: «**الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثلُ ذلِكَ**» رواه البخاري في الصحيح.

وهذا يبيِّن لنا قُرب الآخرة وقُرب الدارين، الجنة والنار. والإنسان قد يُطول الأمل ويغفل ويعطي نفسه هواها، ثم يهجم عليه الأجل وهو على غفلة، فإذا عرفت أنه ليس بينك وبين الجنة والنار إلا هذا المقدار اليسير وهو خروج الروح، وقد يكون الأجل قد قرب ودنا وأنت في غفلة، قد يصبح الإنسان ولا يمسي، ويمسي ولا يصبح، وقد ينام ولا يقوم، فالعاقل والحازم هو الذي يعد العدة دائماً ويكون دائماً على حذر وإعداد للآخرة، لعله ينجو، هكذا المؤمن يكون بعيداً عن الغفلة حريصاً على إعداد ما يرضي الله ويُقرب لديه من الأعمال الصالحات.

الحديث الثاني: حديث ربيعة بن كعب الأسلمي وحديث ثوبان ﷺ، وفيهما الحثّ على الإعداد للآخرة بكثرة الصلاة، يقول ربيعة: وكان يخدم النبي ﷺ ويحضر له الوضوء وبعض حاجته، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام «**سلني**»، فقال ربيعة رضي الله عنه: (**أسألك مرافقتك في الجنة**)، همة عظيمة، وفي اللفظ الآخر: (أسألك أن تشفع لي) فقال: «**فأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**»؛ يعني: أعني لتحقيق هذا الطلب بكثرة الصلاة، وهذا يدل على أن كثرة الصلاة من أسباب السلامة من النار، ومن أسباب حصول شفاعته ﷺ في أهلها إذا كانوا من أهل التوحيد والإسلام، فإن كثرة الصلاة من أسباب المغفرة، ومن أسباب نيل شفاعته، عليه الصلاة والسلام، وهكذا يقول لثوبان يقول له: «**عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ؛ فَإِنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ للهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرجَةً، وَحَطَّ عَنكَ بِهَا خَطِيئَةً**»؛ والمعنى: أكثر من الصلاة؛ لأن السجود وحده غير مشروع التقرب وحده إلا لسبب، كالتلاوة والشكر ونحو ذلك.

المعنى: أكثر من الصلاة التي بسبب الإكثار منها يكثر السجود لله والخضوع بين يديه، وإلصاق هذا الوجه بالأرض خضوعاً لله وذلاً بين يديه وطلباً لمرضاته، فهذه السجدات التي تكون في الصلوات يرفع الله بها العبد درجات، ويحط عنه بها خطيئات، وهي مشروعة ليلاً ونهاراً.

وفي **الحديث الآخر**: «**الصلاة خير وضوح**» فالضحى والظهر والعصر والمغرب والعشاء، وما بين العشاء والفجر كله محل صلاة، محل تقرُّب ما عدا وقت النهي بعد صلاة العصر إلى غروبها وبعد صلاة الصبح إلى ارتفاع الشمس، وأنت لك متسع، فالضحى كله صلاة والظهر كله صلاة ومن غروب الشمس إلى طلوع الفجر كله صلاة لمن أراد أن يتطوع.

وفي الحديث الرابع يقول ﷺ: «**خَيرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ**»؛ والمعنى: وشر الناس بالضد من طال عمره وساء عمله، نعوذ بالله، وخيار الناس الذين فسح الله لهم في الأجل ووفقهم لحسن العمل، فصارت ساعاتهم وأيامهم ولياليهم فيما يرفعهم عند الله درجات، وفيما ينفعهم، فعليك يا عبد الله أن تحفظ هذه الساعات وهذه الأيام والليالي في طاعة الله وتصونها وتحذر فيها من خلاف ذلك، حتى تكون على سبيل نجاة وعلى طريق فلاح، بخلاف من تساهل وتابع الهوى، فإن السيئة تغلب عليه ويكون عمره شراً عليه، نسأل الله السلامة، كلما طال العمر زاد البلاء بسبب سوء العمل. نسأل الله العافية: نعوذ بالله.

نسأل الله للجميع التوفيق والهداية.

❋ ❋ ❋

١٠٩ ـ الخامس عشر: عن أنس ﷺ، قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ ﷺ عن قِتالِ بدرٍ، فَقَالَ: يَا رسولَ الله، غِبْتُ عَنْ أوّل قِتال قَاتَلْتَ المُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللهُ أشْهَدَنِي قِتَالَ المُشرِكِينَ لَيرَيَنَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ. فَلَمَّا كَانَ يَومُ أُحُدٍ انْكَشَفَ المُسْلِمونَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أعْتَذِرُ إلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤُلاءِ ـ يعني:

أَصْحَابُهُ - وأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤُلاءِ - يَعني: المُشركِينَ. ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعدُ بْنُ مُعاذٍ، فَقَالَ: يَا سعدَ بنَ معاذٍ، الجَنَّةُ وربِّ الكعْبَةِ إنِّي أجِدُ ريحَهَا منْ دُونِ أُحُدٍ. قَالَ سعدٌ: فَمَا اسْتَطَعتُ يَا رسولَ الله مَا صَنَعَ! قَالَ أنسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعاً وَثَمانينَ ضَربَةً بالسَّيفِ، أَوْ طَعْنَةً بِرمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَمَثَّلَ بِهِ المُشْرِكونَ فما عَرَفهُ أَحَدٌ إلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ. قَالَ أنس: كُنَّا نَرى أَوْ نَظُنُّ أن هذِهِ الآية نزلت فِيهِ وفي أشباهه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] إِلَى آخِرها. متفقٌ عليه[(١)].

▫ قوله: (لَيُرِيَنَّ اللهُ) روي بضم الياء وكسر الراء؛ أي: لَيُظْهِرَنَّ اللهُ ذلِكَ للنَّاس، وَرُويَ بفتحهما ومعناه ظاهر، والله أعلم.

١١٠ - السادس عشر: **عن** أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري ﷺ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ كُنَّا نُحَامِلُ عَلَى ظُهُورِنَا، فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيءٍ كَثيرٍ، فقالوا: مُراءٍ، وَجَاءَ رَجُلٌ آخَرُ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ، فقالُوا: إنَّ اللهَ لَغنيٌّ عَنْ صَاعِ هَذَا! فَنَزَلَتْ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]. متفقٌ عليه[(٢)] هذا لفظ البخاري.

▫ وَ(نُحَامِلُ): بضم النون وبالحاء المهملة؛ أي: يحمل أحدنا عَلَى ظهره بالأجرة ويتصدق بِهَا.

١١١ - السابع عشر: **عن** سعيد بن عبد العزيز، عن ربيعة بن يزيد،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣] برقم (٢٨٠٥ و٤٠٤٨ و٤٧٨٣)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد برقم (١٩٠٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة برقم (١٤١٥و٤٦٦٨)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحمل بأجرة يُتصَدَّقُ بها والنهي الشديد عن تنقيص المُتصدق بقليل برقم (١٠١٨).

عن أَبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر جندب بن جُنادة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ فيما يروي عن اللهِ تَبَاركَ وتعالى، أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادي، إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلى نَفْسي وَجَعَلْتُهُ بيْنَكم مُحرَّماً فَلا تَظَالَمُوا. يَا عِبَادي، كُلُّكُمْ ضَالٌ إلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاستَهدُوني أَهْدِكُم. يَا عِبَادي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إلَّا مَنْ أطْعَمْتُهُ فَاستَطعِمُوني أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادي، كُلُّكُمْ عَارٍ إلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ. يَا عِبَادي، إنَّكُمْ تُخْطِئُونَ باللَّيلِ وَالنَّهارِ وَأَنَا أغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً فَاسْتَغْفِرُوني أغْفِرْ لَكُمْ. يَا عِبَادي، إنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغوا ضُرِّي فَتَضُرُّوني، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفعِي فَتَنْفَعُوني. يَا عِبَادي، لَوْ أنَّ أوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذلِكَ في مُلكي شيئاً. يَا عِبَادي، لَوْ أنَّ أوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذلِكَ من مُلكي شيئاً. يَا عِبَادي، لَوْ أنَّ أوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُوني فَأَعْطَيتُ كُلَّ إنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقصَ ذلِكَ مِمَّا عِنْدِي إلَّا كما يَنْقصُ المِخْيَطُ إذَا أُدْخِلَ البَحْرَ. يَا عِبَادي، إنَّمَا هِيَ أعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيراً فَلْيَحْمَدِ الله وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إلَّا نَفْسَهُ».

📖 قَالَ سعيد: كَانَ أَبُو إدريس إِذَا حَدَّثَ بهذا الحديث جَثا عَلَى رُكبتيه. رواه مسلم[1].

📖 وروينا عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، قَالَ: لَيْسَ لأهل الشام حديث أشرف من هَذَا الحديث.

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها، فيها الحث والتحريض على المسارعة إلى الخيرات والمبادرة إلى الطاعات والاستكثار من الخير،

(١) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٧٧).

فهذه الدار هي دار العمل وهي دار المسابقة إلى الخيرات والمسارعة إلى الطاعات، فالعمر فيها محدود ولا يدري الإنسان متى ينتهي هذا العمر ومتى تنتهي هذه الحياة ومتى يهجم الأجل، فجدير به أن يجتهد في أنواع الخير وأن يسابق إلي أنواع الطاعات، كما قال الله سبحانه: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وكما قال ﷻ: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١]، وقال ﷻ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، فكان السلف الصالح من الصحابة ﭫ وأتباعهم بإحسان يسابقون إلى الطاعات، ويجتهدون في كل خير يستطيعونه، اغتناماً لأنواع الخير واغتناماً للزمان واغتناماً للحياة، هكذا المؤمن يغتنم.

وفي حديث أنس في قصة أنس بن النضر الأنصاري ﭬ: كان أنس بن النضر وهو عم أنس بن مالك خادم النبي عليه الصلاة والسلام لم يحضر غزوة بدر، فقال: (يا رسول الله لم أحضر أول غزوة غزوتها المشركين، لئن أدركت معك غزوة أُخرى لَيُرِيَنَّ الله ما أصنع)؛ يعني: من الجد والنشاط والاجتهاد في قتال المشركين بدلاً من الغزوة التي فاتتني، فلما جاء يوم أُحد والتقى الناس وحصل ما حصل، من انكشاف المسلمين بسبب إخلال الرماة في الموقف ودخول خيل المشركين على الناس من خلفهم واضطراب الأمر وانكشف بعض المسلمين، تقدم أنس بن النضر إلى جهة المشركين ليقاتل، وقال يخاطب ربه: (**اللَّهُمَّ إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء**)؛ يعني: إخواننا الذين انكشفوا وتقهقروا (**وإني أبْرَأُ إليك مما صنع هؤلاء**)؛ يَعْني: المشركين ثم تقدم ليقاتل حتى قتل ﭬ وأوفى بما عليه بما قال، قال أنس ﭬ: (فوجدناه قتيلاً فيه بضع وثمانون ضربةً ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم في جميع بدنه حتى لم يعرف إلا ببنانه بأطراف أصابعه)، عرفته أُخته بأطراف أصابعه بما كساه من الدماء وكثرة الجراحات التي به رضي الله عنه وأرضاه، وجدناه وقد مثَّل به المشركون بما فعل فيهم من القتال رضي الله عنه وأرضاه.

والتمثيل: قطع بعض الأطراف، مثل قطع الأذن قطع الأنف يسمى تمثيلاً، فهذا مما فعله هذا الصحابي الجليل من المسابقة إلى الخيرات والمنافسة في جهاد الأعداء والصبر على جِلادِهم، حتى تقدم عند كفاف إخوانه وتأخرهم، تقدّم، وأوفى بما عاهد الله عليه من الصبر والمصابرة في قتال أعداء الله، حتى قال أنس: فظننا أن الله أنزل فيه وفي أمثاله قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣] هذه الآية في سورة الأحزاب، فيه وفي أمثاله من الأخيار الذين قالوا وفعلوا وصدقوا وصبروا، حتى لقوا من الله ما لقوا، حرصاً منهم على فعل الخير ورغبة فيما عند الله من المثوبة وغيرة لله وجهاداً لأعدائه.

وفي حديث عقبة يقول أبو مسعود رضي الله عنه عقبة بن عمرٍو الأنصاري البدري: انهم كانوا يُحاملون؛ يعني: أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام وكان النبي ﷺ يأمرهم بالصدقة ويحثهم عليها، وكان الذي ما عنده مال يذهب إلى السوق ويحمل حاجات الناس، هذا يحمل كذا وهذا يحمل كذا ثم يأخذ أُجرة فيتصدق بها على الفقراء، يتبع الفقراء ويتصدق بها عليهم، لمن لا يجدون حيلة في أن يحملوا أو يعملوا.

وهذا يدل على رغبة الصحابة وحرصهم على الخير ورغبتهم في الطاعات، حتى صاروا يحملون على ظهورهم متاع الناس؛ ليتصدقوا بالأُجرة على العاجزين الفقراء، هذه منقبة عظيمة وفضل كبير، أن الإنسان يعمل؛ لينفع غيره، يعمل بنفسه؛ ليتصدق على الفقير. فكان الرجل إذا أتى بمال كثير وتصدق به قال المنافقون: هذا مُراءٍ، وإن جاء بالشيء القليل على قدر حاله، قالوا: الله غَنيٌّ عن صدقة هذا، فالمنافقون لا يسلم منهم أحد؛ لشرهم وخُبثهم، فأنزل الله في شأنهم قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩].

توعَّد الله أنه يسخر منهم ويستهزئُ بهم وأنه يعذبهم عذاباً أليماً،

نعوذ بالله بسبب تثبيطهم عن الحق وإيذائهم للمؤمنين، من تصدق بكثير قالوا: هذا مُراءٍ ورموه بما هو براءٌ منه، وإن تصدق بالصاع ونصف الصاع والدرهم والدرهمين، قالوا: الله غني عن صدقة هذا، هذا من ضلالهم وجهلهم وكفرهم وعنادهم، فلا ينفعون ولا يتركون الناس ينفعون الناس بل هم مثبطون عن الخير، ضالُون مضلُّون ولهذا قال الله جلَّ وعلا في حقهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥]، وقال في حقهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٢ ـ ١٤٣].

ليسوا مع المؤمنين ولا مع الكافرين، بل هم مذبذبون مع هؤلاء تارة ومع هؤلاء تارة، أينما وجدوا مصلحة دنيوية مالوا إليها، فلا إيمان عندهم ولا تقوى، بل عندهم الرياء والكفر والشرك بالله الذي رموا به المؤمنين، وهم أهل الرياء وهم أهل السمعة وهم أهل الشرك، ومع هذا يرمون المؤمنين الأجواد الأخيار يرمونهم بالرياء، كما قال من قبلهم، رمتني بدائها وانسلت، يرمون الناس بدائهم، داؤهم الرياء والكفر والضلال، نسأل الله العافية.

وفي **الحديث الثاني**: حديث أبي ذر الغفاري جندب بن جُنادة رضي الله عنه، وهو حديث عظيم جليل يقول النبي عليه الصلاة والسلام، يقول الله عز وجل: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلَا تَظَالَمُوا**»، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠] جلَّ وعلا فهو منزه عن الظلم، والظلم وضع الأشياء في غير موضعها، هذا هو الظلم وضع الأشياء في غير موضعها، كحرم الإنسان من حسناته أو حرمانه حسناته، أو تحميله من سيئات غيره ونحو ذلك، هذا معنى الظلم: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلَا تَظَالَمُوا**»؛ المعنى: احذروا الظلم في الأنفس، والأموال، والأعراض وغير ذلك مما يتأذى به المؤمنون «**يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ**

فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ» فكل إنسان في حاجة وضرورة إلى هداية الله ومن لم يهده الله فهو ضال «**كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ**»؛ يعني: اطلبوني الهداية واضرعوا إليَّ «**يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ**»، كل الناس فقراء إليه إلا من يسَّر الله له جلَّ وعلا يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر: ١٥ ـ ١٧] ﷻ، فجميع ما في أيدي الناس هو من الله جلَّ وعلا ليس من غيره كما قال سبحانه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] النعم التي بأيدي الكفار، بأيدي المسلمين كلها من الله يعطيها من يشاء ﷻ، يعطي هذا ويحرم هذا ويزيد هذا وينقص هذا، يغني هذا ويُفقر هذا عن حكمة بالغة، فله الحكمة البالغة ﷻ والحُجةُ الدامغة.

«**يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ**»؛ يعني: اطلبوني ستر عوراتكم وإدرار رزقي عليكم في الملبس وغيره، فالعبد فقير إلى الله في كل شيء في طعامه، وفي شرابه، وفي لباسه، وفي جميع شؤونه، أن يضرع إلى الله في طلب الرزق ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤] ﷻ، «**يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**».

العباد محل الخطايا، كل بني آدم خطاء فينبغي الضراعة إلى الله بطلب المغفرة والإكثار من الاستغفار وهو سبحانه جواد كريم يحب من عباده أن يستغفروه ولهذا قال: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩]، وقال: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود: ٣]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]؛ فالمؤمن مأمور بالتوبة وهكذا كل إنسان مأمور بالتوبة من كافر ومسلم من تقصيره وذنوبه، «**يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي**»، العباد عاجزون لا

يقدرون على نفع الله ولا ضره، وهو غني عنهم ﷻ، ليس في حاجة إليهم، وليس لهم قدرة على أن يضروه فإنه سبحانه لا يضره شيء جلَّ وعلا، بل هو النافع الضار ﷻ، وليس في يد العباد قدرة على أن ينفعوه أو يضروه وهو غني عنهم وهو القادر عليهم ﷻ. **«يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً»**، لو أن الناس كلهم كانوا أتقى الناس وكانوا على غاية من الديانة، ما زاد في ملكه شيء ﷻ فملكه كامل لا يضره شيء ولا ينقصه شيء، **«يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحدٍ منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً»** ﷻ، فطاعاتهم لا تزيده ومعاصيهم لا تضره، بل طاعاتهم تنفعهم هم ومعاصيهم تضرهم هم، كما قال ﷻ: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]، وقال سبحانه: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦]. فأنت يا عبد الله، حسناتك وأعمالك الطيبة تنفعك في الدنيا والآخرة، وسيئاتك وأعمالك الشريرة تضرك أنت، والله لا يضره منك شيء ﷻ.

«يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ» هذه الإبرة المعروفة إذا أدخلت البحر هل تنقصه شيئاً؟ لا تنقصه شيئاً فهؤلاء الأمم أولها وآخرها وجنها وإنسها وغيرهم وملائكتها وغيرهم، لو أنهم قاموا بصعيد واحد بلغاتهم الكثيرة، يسألون الله جلَّ وعلا حاجاتهم فأعطاهم إياها ما نقص ذلك من ملكه شيء ﷻ؛ لأنه غني حميد، يقول للشيء كن فيكون ﷻ ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

«يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِي أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» هذه النتيجة،

الأعمال إنما هي أعمالكم؛ يعني: الحاصل إن ما تفعلون أعمال تُنسب إليكم خير وشر، يحصيها لكم، **ثم أوفيكم إياها يوم القيامة**؛ يعني: يجازيهم عليها يوم القيامة «**فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللهَ**»؛ يعني: هو الموفق الهادي ﷻ، هو الذي وفقه وهداه وأعانه، «**وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِك فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ**» لتقصيره وطاعة هواه وشيطانه قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

هذه حال الناس يوم القيامة، المُسيء يجازى بما يستحق والمحسن يُجازى بما يستحق ﴿يُنَبَّؤُا الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣]، ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩] فينبغي للمؤمن أن يُعدَّ لهذا اليوم العُدة الصالحة، بطاعة الله والاستقامة على أمره، وجهاد النفس بطاعة الله والكف عن محارم الله، والحرص على نفع عباد الله بالدعوة إلى الله والتوجيه إلى الخير، بالأمر بالمعروف بالنهي عن المنكر، بعيادة المريض وبمواساة المحتاج ونصر المظلوم وردع الظالم أو نصيحته حسب ما يتيسر للعبد من أعمال الخير، «**إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا**»، هذه النهاية «**فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً**» في صحيفته وفي ميزانه يوم القيامة «**فَلْيَحْمَدِ اللهَ**»، هو الذي هداه ووفقه، ومن وجد غير ذلك وجد المعاصي والكفر والشرك والضلال، فلا يلومن إلا نفسه. يلوم نفسه؛ لأنه قصر وتابع الشيطان وأطاع الهوى فندم غاية الندامة، وخسر غاية الخُسران، وباءَ بالخيبة والعذاب الأليم وغضب الله يوم القيامة، وفي ذلك غاية الحسرة، نعوذ بالله ونسأل الله العافية والسلامة، ونسأل الله أن يوفق الجميع لما يرضيه، ويرزقنا وإياكم المسارعة إلى مراضيه والابتعاد عن مناهيه والوقوف عند حدوده، فذلك هو طريق النجاة.

ورزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❊ ❊ ❊




١٢ ـ بَابُ الحث على الازدياد من الخير في أواخر العمر

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧].

قال ابن عباس، والمحققون: معناه: أو لم نعمركم ستين سنةً؟ ويؤيده الحديث الذي سنذكره إن شاء الله تعالى، وقيل: معناه: ثماني عشرة سنةً، وقيل: أربعين سنةً. قاله الحسن والكلبي ومسروقٌ. ونقل عن ابن عباس أيضاً. ونقلوا: أن أهل المدينة كانوا إذا بلغ أحدهم أربعين سنةً تفرغ للعبادة. وقيل: هو البلوغ.

وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ قال ابن عباس والجمهور: هو النبي ﷺ وقيل: الشيب. قاله عكرمة، وابن عيينة، وغيرهما. والله أعلم.

وأما الأحاديث:

١١٢ ـ فالأول: **عن** أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «أعْذَرَ الله إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً» رواه البخاري(١).

□ قَالَ العلماء: معناه لَمْ يَتْرُكْ لَهُ عُذراً إذْ أمْهَلَهُ هذِهِ المُدَّةَ. يقال: أعْذَرَ الرجُلُ إذَا بَلَغَ الغايَةَ في العُذْرِ.

١١٣ ـ الثاني: **عن** ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ عمر يُدْخِلُنِي مَعَ أشْيَاخِ بَدرٍ فكأنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ في نفسِهِ، فَقَالَ: لِمَ يَدْخُلُ هَذَا معنا ولَنَا

---

(١) أخرجه في كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر برقم (٦٤١٩).

أبْنَاءٌ مِثلُهُ؟! فَقَالَ عُمَرُ: إنَّهُ منْ حَيثُ عَلِمْتُمْ! فَدعانِي ذاتَ يَوم فَأدْخلَنِي مَعَهُمْ فما رَأيتُ أنَّهُ دعاني يَومَئذٍ إلّا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تقُولُونَ فـي قـولِ الله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾؟ [النصر: ١] **فَقَالَ بعضهم: أُمِرْنَا نَحْمَدُ اللهَ وَنَسْتَغْفِرُهُ إذَا نَصرنَا وَفتحَ عَلَيْنا، وَسَكتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيئاً. فَقَالَ لي: أَكَذلِكَ تقُول يَا ابنَ عباسٍ؟ فقلت: لا. قَالَ: فما تقول؟ قُلْتُ: هُوَ أجَلُ رَسُول الله ﷺ أعلَمَهُ لَهُ، قَالَ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ وذلك علامةُ أجَلِكَ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾** [النصر: ٣] **فَقَالَ عمر رضي الله عنه: مَا أعلم مِنْهَا إلَّا مَا تقول.** رواه البخاري(١).

الشَرح

فهذه الآية الكريمة مع الحديثين الشريفين كلها فيها الحث على الجد والاستكثار من العمل الصالح، ولا سيما في آخر المدة وعند قرب الأجل، فإنه ينبغي للمؤمن أن يزداد حرصه، وأن تكثر مسابقته إلى الخيرات عند تقدم السن وقرب الأجل، يقول الله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧]؛ المعنى: قد أعذرنا إليكم وأمهلناكم وجاءكم نذيرنا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولكنكم لم ترعووا ولم تستفيدوا من هذه المهلة؛ ولهذا قال: ﴿فَذُوقُواْ﴾؛ يعني: العذاب بسبب تفريطكم وإضاعتكم ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾؛ يعني: مدة طويلة يتذكر فيها من تذكر، وجاء في الحديث تفسيرها، ستون عاماً قال بعض أهل العلم: معناها أربعون عاماً، وقال

---

(١) أخرجه في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ برقم (٤٩٧٠).

بعضهم ثمانية عشر عاماً؛ يعني: بعد البلوغ بمدة يسيرة والصحيح أن ذلك ما جاء في الحديث يقول عليه الصلاة والسلام: «**أَعْذَرَ الله إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً**»؛ يعني: بلغ منه العذر؛ يعني: أمهله المدة الكافية، لو كان عنده تذكر وعنده عناية. . .

هذا للحديث الآخر: أن الله لا يهلك قوماً حتى يعذروا من أنفسهم؛ يعني: حتى يعترفوا بأنهم ظالمون، حتى يقروا على أنفسهم أنهم مستحقون للهلاك، بسبب ما قدموا من أعمال السوء، كما قال ﷻ: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١١ ـ ١٥]؛ يعني: اعترفوا بذنوبهم وسيئاتهم وعرفوا أنهم مستحقون للعقوبة، قال تعالى عن أهل النار أنهم قالوا: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠ ـ ١١]؛ يعني: بُعداً لهم، نعوذ بالله من ذلك، هكذا قوله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾؛ يعني: أيها الناس ﴿نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]، قال أهل العلم: إنه النبي عليه الصلاة والسلام، وقال بعضهم معناه جاءكم الشيب فإن الشيب نذير للموت، ومن شاب بعضه فقد مات، من شاب في الإسلام فقد مات بعضه، في الشيب نوع من الموت، موت للشعر، فالحاصل أن الشيب نذير، ولكن أعظم منه هو ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام من الهدى والبيان والوعظ والتذكير، فقد ذكر سبحانه وبيَّن جلَّ وعلا وأرسل الرسل مبشرين منذرين، وكلما دخلت أمة النار يقال لهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾ [الملك: ٨ ـ ٩] يعترفون بما هم عليه وبما فعلوا من الباطل، نعوذ بالله من ذلك.

وكان عمر رضي الله عنه وأرضاه يجالس القُراء وهم علماء ويتخذهم أصحاب الشورى عنده في مسائل المسلمين، وكانوا أصحاب مجلسه كهولاً أو شُباناً أو شيوخاً، وكان ابن عباس من الشباب الفقيه العالم فدعاه معهم واستنكر بعضهم ذلك وقالوا: إن لنا أولاداً مثله فكيف يدعوه دونهم، وكان ابن عباس قد امتاز في العلم والفضل والفقه في الدين قد دعا له النبي ﷺ أن يفقهه الله في الدين، فأجاب الله دعوته فأراد عمر أن يُشارك في هذه المشورة وسأله والناس يسمعون من المهاجرين والأنصار والكبار الحاضرين، ما تقول يا ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ١ - ٣] سألهم أولاً، سأل الصحابة الحاضرين ما تقولون؟ قالوا: أمرنا إذا جاء الفتح وجاء النصر أن نسبح ربنا وأن نستغفره؛ يعني: شكراً لله جلَّ وعلا، وهذا كلام حق ولم ينتبهوا لِما أراده عمر؛ لأن الآية مع ذلك تنعى النبي ﷺ وتذكره بأجله وأنه قد قرُب، قال لابن عباس: ما تقول؟ قال: أقول: إنها علامة أجل للنبي ﷺ؛ يعني: مع الأمر بالتسبيح والاستغفار في آخر الحياة، فهي تذكير بأن قد دنا أجله، قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم، والمعنى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ﴾؛ يعني: يا محمد ﴿يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ فذلك علامة قُرب أجلك؛ لأن المهمة قد انتهت قد حصلت، التي بُعث بها قد حصلت، وهي إنذار الناس وإبلاغ الناس، وقد فتح الله عليه مكة، قد دخل الناس في دين الله أفواجاً، قد حصل المقصود، فقيل بعد هذا: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾؛ يعني: اختم حياتك بالتسبيح والتهليل والاستغفار فإذا كان النبي ﷺ يؤمر بذلك، فالمسلمون كذلك مأمورون من باب أولى؛ لأن الخطر عليهم أعظم، وهو مغفور له ومشهود له بالجنة ويؤمر بالتسبيح والاستغفار في آخر الحياة، فالمسلمون الآخرون الذين لا

يدرون ماذا يكون لهم وماذا يختم لهم به، وليس مقطوعاً لهم بالجنة إلا إذا ماتوا على الإيمان، هم في حاجة شديدة إلى أن يسبحوا الله وأن يستغفروه وان يستكثروا من العمل الصالح في آخر حياتهم، لعلهم يختم لهم بذلك، فإن الاستكثار من العمل الصالح والتوبة والاستغفار في آخر الحياة من أسباب الخاتمة الحسنة.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❋ ❋ ❋

١١٤ ـ الثالث: عن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: مَا صلّى رَسُول الله ﷺ صلاةً بَعْدَ أنْ نَزَلتْ عَلَيهِ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ إلَّا يقول فِيهَا: «سُبحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي» متفق عليه[1].

📖 **وفي رواية في الصحيحين عنها: كَانَ رَسُول الله ﷺ يُكْثِرُ أنْ يقُولَ في ركُوعِه وسُجُودهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»، يَتَأوَّلُ القُرآنَ. معنى: «يَتَأوَّلُ القُرآنَ»؛ أي: يعمل مَا أُمِرَ بِهِ في القرآن في قوله تَعَالَى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾.**

📖 **وفي رواية لمسلم: كَانَ رَسُول الله ﷺ يُكثِرُ أنْ يَقُولَ قَبلَ أنْ يَمُوتَ: «سُبحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمدِكَ أسْتَغْفِرُكَ وَأتُوبُ إلَيْكَ». قَالَتْ عائشة: قُلْتُ: يَا رَسُول الله، مَا هذِهِ الكَلِماتُ الَّتي أرَاكَ أحْدَثْتَها تَقُولُهَا؟ قَالَ: «جُعِلَتْ لي عَلامَةٌ في أُمَّتِي إذَا رَأيْتُها قُلتُها ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾» إلَى آخِرِ السورة.**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب الدعاء في الركوع برقم (٧٩٤)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود برقم (٤٨٤).

📖 وفي رواية لَهُ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يُكثِرُ مِنْ قَولِ: «سبْحَانَ اللهِ وَبِحَمدِهِ أسْتَغفِرُ اللهَ وأتُوبُ إلَيْهِ». قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رسولَ اللهِ، أَراكَ تُكثِرُ مِنْ قَولِ سُبحَانَ اللهِ وَبِحَمدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وأتوبُ إلَيْه؟ فَقَالَ: «أخبَرَني رَبِّي أنّي سَأرَى عَلامَةً في أُمَّتي فإذا رَأيْتُها أكْثَرْتُ مِنْ قَولِ: سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمدِهِ أسْتَغْفرُ اللهَ وَأتُوبُ إلَيْه فَقَدْ رَأيْتُهَا: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فتح مكّة، ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾» [النصر: ١ ـ ٣].

١١٥ ـ الرابع: عن أنس رضي الله عنه، قَالَ: إنَّ اللهَ عز وجل تَابَعَ الوَحيَ عَلَى رسولِ الله ﷺ قَبلَ وَفَاتهِ حَتَّى تُوُفِّيَ أكْثَرَ مَا كَانَ الوَحْيُ.. متفقٌ عليه[1].

١١٦ ـ الخامس: عن جابر رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيهِ» رواه مسلم[2].

الشَرح

هذه الأحاديث الثلاثة فيها الدلالة على أنه ينبغي للمؤمن أن يكثر في آخر حياته من الأعمال الصالحة، ومن جملة ذلك التسبيح والتهليل والاستغفار، والإكثار من ذلك في الصلاة وفي خارجها، وفي هذا قالت عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ في آخر حياته يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده:

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل برقم (٤٩٨٢)، ومسلم في كتاب التفسير، برقم (٣٠١٦)، وأخرجه أحمد ٣/ ٢٣٦.

(٢) أخرجه في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت برقم (٢٨٧٨).

«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» وفي اللفظ الآخر لما نزلت هذه السورة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ١ ـ ٣].

لما نزلت هذه السورة أكثر عليه الصلاة والسلام من التسبيح والاستغفار في الركوع وفي السجود وفي غير ذلك من سائر الأوقات، فسُئل عن هذا فقال: **«إن الله جعل لي علامة في أمتي إذا رأيتها أكثرت من التسبيح والاستغفار وقد رأيتها وهي فتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجاً»**، فدل ذلك على انه ينبغي الإكثار مما أكثر منه النبي ﷺ بالتسبيح والتحميد والاستغفار في الركوع والسجود وفي غير هذا من الأوقات ليلاً ونهاراً، صباحاً ومساءً، سفراً وإقامة، صحيحاً ومريضاً، في جميع الأوقات يكثر في الركوع أن يقول: **«سبحانك اللَّهُمَّ ربنا وبحمدك، اللَّهُمَّ اغفر لي»**، هكذا في السجود، هكذا في بقية أوقاتك، ويشرع له عند القيام من المكان أن يقول: **«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»**، لقوله سبحانه: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨] وكان يقول ﷺ إذا أراد أن يقوم من مكانه: **«سُبحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمدِكَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»** وهذا الكلام طابع على ما يجري في المجلس، إن كان خيراً كان خاتماً له، وإن كان شراً كان كفارة له، فينبغي للمؤمن عند قيامه من المجلس أن يقول: **«سبحانك اللَّهُمَّ ربنا وبحمدك، اللَّهُمَّ اغفر لي»** ويكثر من هذا في سائر أوقاته، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، استغفر الله وأتوب إليه، اللَّهُمَّ اغفر لي، اللَّهُمَّ تُب علي.

قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: (كنا نعُد للنبي ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة يقول: **«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّاب الرَّحيمُ»**[(١)])، يعدون له في المجلس الواحد عليه الصلاة والسلام

(١) يأتي تخريجه في الحديث رقم (١٨٧٢) ج٤.

وهو مغفور له، ومع هذا يعدون له في المجلس الواحد «**اللَّهُمَّ اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور**» مائة مرة عليه الصلاة والسلام هذا يدل على عنايته ﷺ بهذا الأمر مع أنه مغفور له، موعود بالجنة ولكن يحب أن يكون عبداً شكوراً، عليه الصلاة والسلام، فيكثر من الاستغفار والتسبيح والتحميد والصلاة والعبادة والصدقات إلى غير هذا من وجوه الخير، عليه الصلاة والسلام، فكان أسبق الناس إلى كل خير وأبعدهم من كل شر، وهكذا أصحابه بعده ﷺ سبقوا إلى كل خير وتركوا الشر وابتعدوا عنه، هم خير الناس وأسبقُ الناس إلى كل خير بعد الرسل عليهم الصلاة والسلام ولهذا قال فيهم ﷺ: «**خير الناس قرني**»[1].

قال أنس رضي الله عنه: (تابع الله على نبيه الوحي عند وفاته عليه الصلاة والسلام حتى تمت الشريعة وكملت الشريعة)، تابع الله الوحي؛ يعني: أوحى إليه كثيراً وحياً متتابعاً بما فيه كمال الشريعة وتمامها قبل أن يموت، عليه الصلاة والسلام، وهذا من باب إنعام الله عليه وتفضله عليه في آخر حياته بالزيادة من الخير، وإكمال الشريعة لأمته، عليه الصلاة والسلام، وقال جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال النبي ﷺ: «**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيهِ**»؛ يعني: إن مات على توبة بُعث على توبة، وإن مات على أعمال صالحة بُعث عليها، وإن مات على شرك ومعاصي بُعث عليها، فكل يُبعث على ما مات عليه من خير وشر.

وهذا معناه: ينبغي للمؤمن أن يحرص دائماً دائماً على أن يكون على خير، حتى إذا هجم عليه الأجل فإذا هو على خير، ويُبعث على خير، ولا سيما عند كبر السن وعند المرض، في هذه الأوقات الخطيرة،

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله رضي الله عنه أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد برقم (٢٦٥٢)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم برقم (٢٥٣٣).

ينبغي له أن يكثر من الأعمال الصالحات، والتوبة الصادقة والاستغفار؛ لأن هذا المرض قد يكون فيه موتك وهذا السفر قد يكون فيه موتك وهذا المساء قد يكون فيه موتك وهذا الصباح، وهكذا المؤمن يحتاط، ولكن عند كبر السن وعند المرض وعند وجود الأخطار تكون الحيطة أكثر، وتكون المسابقة إلى الخيرات أكثر؛ لأن ذلك مظنة قرب الأجل، ولكن العاقل والحازم يكون أبداً في زيادة وفي عمل صالح، ولو كان شاباً ولو كان صحيحاً، فيكثر من الخيرات ويغتنم حياته، فكم من شابٍ مات قبل أن يشيب، وكم من شاب نزل به الأجل واضطرب شبابه ولم يبلغ ما أمله، فالمؤمن يحرص على اغتنام الخيرات شاباً وشيخاً، قال عليه الصلاة والسلام: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ**»[(١)]، وكون الشاب ينشأ في العبادة ويوطن نفسه على العبادة ويجاهدها للعبادة حتى ينشأ عليها حتى يستمر عليها وحتى يشيب عليها وحتى يموت عليها.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.



(١) يأتي برقم (٤٤٩) في المجلد الثاني (ص١٩٦).




١٣ ـ بَابُ بيان كثرة طرق الخير

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥] وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧] وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧] وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [الجاثية: ١٥] والآيات في الباب كثيرةٌ.

وأما الأحاديث فكثيرة جداً، وهي غير منحصرة، فنذكر طرفاً منها:

١١٧ ـ الأول: عن أبي ذر جُنْدبِ بنِ جُنَادَةَ ﵁، قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله، أيُّ الأعمالِ أفْضَلُ؟ قَالَ: «الإيمانُ باللهِ وَالجِهادُ في سَبيلِهِ». قُلْتُ: أيُّ الرِّقَابِ أفْضَلُ؟ قَالَ: «أنْفَسُهَا عِنْدَ أهلِهَا وَأكثَرهَا ثَمناً». قُلْتُ: فإنْ لَمْ أفْعَلْ؟ قَالَ: «تُعِينُ صَانِعاً أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ». قُلْتُ: يَا رَسُول الله، أرأيْتَ إنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ العَمَلِ؟ قَالَ: «تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ؛ فإنَّها صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ» متفقٌ عليه[1].

□ (الصَّانِعُ): بالصاد المهملة هَذَا هُوَ المشهور، وروي (ضائعاً) بالمعجمة؛ أي: ذا ضِياع مِنْ فقرٍ أَوْ عيالٍ ونحو ذلِكَ، (وَالأَخْرَقُ): الَّذِي لا يُتقِنُ مَا يُحَاوِل فِعلهُ.

١١٨ ـ الثاني: عن أبي ذر أيضاً ﵁: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «يُصْبحُ عَلَى كُلِّ سُلامَى منْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ: فَكُلُّ تَسبيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ

(١) أخرجه البخاري في كتاب العتق، باب أيُّ الرقاب أفضل برقم (٢٥١٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال برقم (٨٤).

تَحمِيدةٍ صَدَقَة، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكبيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالمعرُوفِ صَدَقَةٌ، ونَهيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقةٌ، وَيُجزِئُ مِنْ ذلِكَ رَكْعَتَانِ يَركَعُهُما مِنَ الضُّحَى» رواه مسلم(١).

□ (السُّلامَى): بضم السين المهملة وتخفيف اللام وفتح الميم: المفصل.

١١٩ ـ الثالث: عنه، قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا فَوَجَدْتُ في مَحَاسِنِ أعْمَالِهَا الأذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ في مَسَاوِئِ أعمَالِهَا النُّخَاعَةُ تَكُونُ في المَسْجِدِ لا تُدْفَنُ» رواه مسلم(٢).

الشَّرح

فهذه الآيات الكريمات والأحاديث في بيان كثرة طرق الخير، فالله جلَّ وعلا شرع لعباده سبحانه أنواعاً من الخير وطرقاً متعددة لتحصيل ما يرضيه ويقرب لديه، وحثَّ عباده على ذلك فقال ﷻ: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥]، فقول: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ يعم القليل والكثير، وقال جلَّ وعلا: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨]، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، ويقول ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ﴾ [الجاثية: ١٥]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ﴾ [الإسراء: ٧]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ

---

(١) أخرجه في كتاب الصلاة، باب استحباب صلاة الضحى... إلخ برقم (٧٢٠).
(٢) أخرجه في كتاب المساجد، باب النهي عن البُصاقِ في المسجد في الصلاة وغيرها برقم (٥٥٣).

وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١]؛ والمعنى: سابقوا إلى الأعمال التي تودي إلى هذه الجنة، سابقوا إليها وسارعوا إليها، والآيات في هذا المعنى كثيرة تدل على شرعية المسابقة إلى الخيرات والمسارعة إلى الطاعات؛ لأن ذلك مما يثقل ميزان الحسنات ويخفف ميزان السيئات؛ ولأن ذلك يتضمن طلب مرضاة الله ﷻ ومضاعفة الأجر عنده، فإنه يضاعف الحسنات ﷻ ويزيد العبد خيراً على خير كلما زاد في الخير زاده الله، كما قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

فيقول النبي ﷺ لما سأله أبو ذر: أي العمل أفضل؟ قال: «**إيمان بالله وجهاد في سبيله**»، والإيمان يشمل أداء الفرائض وترك المحارم، ويشمل كل ما شرعه الله لعباده، ومن ذلك الجهاد في سبيل الله، فإنه من شعب الإيمان ومن أفضل العبادات، كما في الحديث «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ**» ـ في سبيل الله ـ وهو من أعظم شعب الخير، ومن أعمال الخير، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١٠ ـ ١١]، فضمَّ الجهاد إلى الإيمان، وهو شعبة منه وخصلة عظيمة منه؛ لما في ذلك من إعزاز الإسلام وحماية المسلمين وحماية بلادهم؛ ولما في ذلك أيضاً من القضاء على الكفر والضلال والشرك ودعوة أهله إلى دين الله ﷻ.

قال أبو ذر: يا رسول الله فأي الرقاب أفضل، قال: «**أَنْفسها عند أهلها، وأكثرها ثمناً**»؛ يعني: في العتق، كلما كانت الرقبة أنفس عند أهلها لدينها وتقواها وأعمالها وكلما كان ثمنها أكثر صار عتقها أفضل وهكذا في الهدايا والضحايا في الإبل والبقر والغنم، كلما كانت أنفس كانت أفضل عند الله ﷻ قلت: يا رسول الله فإن لم أفعل؟ قال: «**تعين صانعاً أو تصنع**

لأخرق»؛ يعني: تعين صاحب صنعة على صنعته، حداد على حدادته، مزارع على زراعته، نجار في نجارته، خياط على خياطته، تعين إخوانك فيما في صناعاتهم وتعينهم في حاجاتهم في عمل صالح، «**وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**» ويقول عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ**» فإعانة المحاويج في صناعاتهم حتى يُنجزوها في زراعتهم، في أي شيء من أعمالهم المباحة أو المشروعة، وفي بناء مسجدهم وفي بناء مدرستهم، في بناء بيت المحتاج، إلى غير ذلك، عمل صالح يؤجر عليه صاحبه إذا احتسبه عند الله ﷻ.

«**أو تصنع لأخرق**»؛ الأخرق: الذي لا يحسن العمل، ما عنده عمل؛ يعني: ما عنده بصيرة في الأعمال يسمى أخرق، فيعمل له؛ يعني: يساعده بما يسَّر الله له من المال ومساعدته تعليمه يعلمه كيف يعمل، كيف يخيط، كيف ينجر، كيف يفعل، يعلّمه شيئاً ينتفع به في هذه الدنيا، فالأخرق هو المحتاج للتعليم فيعلمه أخوه ما يحتاج إليه حتى يشارك في العمل خياطة في نجارة، في حدادة، في أي شيء ينفعه في هذه الدنيا حتى يعيش مع الناس.

قال أبو ذر: (أرأيت إن ضعفت عن ذلك)؛ يعني: ضعفت عن مساعدة الناس فماذا أعمل؟ قال: «**تكف شرك عن الناس فإنها صدقةٌ منك على نفسك**»؛ يعني: الذي ما فيه فائدة في نفع الناس يكف شره، الذي ما عنده فائدة يعين الناس ولا ينفعهم، أقل شيء يكف شره عن الناس ولا يؤذيهم لا بأفعال ولا بأقوال، فإنها صدقة أيضاً، ويحاسب نفسه ويجاهدها حتى لا يؤذي أحداً لا بقول ولا بفعل، يكون حافظاً لسانه حافظاً جوارحه عن إيذاء الناس، هذه صدقة على النفس.

وفي **الحديث الثاني**: يقول عليه الصلاة والسلام: «**يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**»، «**يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلامَى**»؛ يعني: على كل مفصل السلامى المفاصل مفاصل الإنسان وقد ثبت عن رسول الله عليه

الصلاة والسلام أن الإنسان خلق على ثلاثمائة وستين مفصلاً، كل بني آدم فيه ثلاثمائة وستون مفصلاً، هذا الجسم الذي رُكب من ابن آدم على ستين وثلاث مئة مفصل في رجليه ويديه ورأسه وظهره وبطنه كل هذا مبني على ستين وثلاث مئة مفصل في هذا الإنسان ويشرع له أن يؤدي عنها صدقات، يشرع له أن يؤدي على هذه النعم وهذه المفاصل صدقات، فكل تسبيحة صدقة، وكل تهليلة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تكبيرة صدقة أمر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة، كلمة طيبة صدقة قال: ويجزئ عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى فإذا صلى ركعتين أدت عنه هذه الصدقات ركعتان من الضحى تؤدي عنه ثلاثمائة وستين صدقة عن كل مفصل؛ لأن هذا البدن يستعمل في الركعتين كله، يستعمل هذا البدن في ركعتين، كل هذا البدن يستعمل في هذه الصلاة إذا صلى ركعتين من الضحى، أدى هذه الصدقات عن هذه المفاصل، وهذا أيضاً من فضل الله ﷻ أن هذه الأعمال التي يعملها الإنسان تؤدي عنه صدقات يكون له فيها فضل ويكون له فيها أجر، في تسبيحه وتهليله، وأمر بمعروف ونهي عن منكر إلى غير ذلك، مع صلاة هاتين الركعتين تؤدي عن ذلك، فإذاً جمع بين الخيرين، يسبح يهلل ويكبر ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو إلى الله ويصل الرحم ويساعد في الخير ويصلي الضحى، جمع خيراً إلى خير وإذا صلى من الليل وتهجد من الليل صار خيراً أيضاً إلى خير.

وفي الحديث الثالث: يقول ﷺ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ أعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا**» فرأى من محاسن هذه الأمة الأذى يزال عن الطريق وهو من خصال الإيمان ومن شُعب الإيمان، إذا صار الإنسان يمشي في الطريق فرأى حفرة وسوَّاها، رأى عظماً أزاله أو رأى شوكة أزالها أو رأى حديدة تؤذي الناس أزالها وما أشبه ذلك، كلما رأى في الطريق ما يؤذي الناس أزاله هذا من أعمال الخير أيضاً ومن طرق الجنة، فينبغي للمؤمن أن يكون له احتساب، يلاحظ في طرقاته، إذا خرج من بيته، إذا ذهب

للمسجد، إذا رجع إذا رأى شيئاً يؤذي الناس أزاله، ومن محاسنها أيضاً إخراج القذاة من المسجد كونه يرى في المسجد قذاة أو أشياء ما تناسب المسجد، يزيلها كالريش والخرق وما جاء به الهواء إلى المسجد يزيلها ويرفعها حتى يكون المسجد نظيفاً للمصلين.

ورأى من مساوئها الأذى في المسجد بالنخاعة (بالنخامة) أو البصاق، هذا من مساوئ الأمة، كونه يبصق في المسجد فالبصاق في المسجد خطيئة ما يجوز؛ لأن فيه تقذير، فهذا من المساوئ يرى ذلك ويسكت ولا يزيله، فإذا رأى النخاعة في المسجد أو أذى فإن من السُّنَّة أن يزيل ذلك، يزيل النُخاعة، يزيل الأثر الذي يراه يؤذي المصلين، أو يكدر عليهم، سواء أتى به الهواء أو ألقاه بعض السفهاء أو بعض الصبيان يزيل ذلك، فإن رأى شيئاً لا يناسب أزاله ورفعه، ومن ذلك نخامة قد يكون سفيه بصق في المسجد، فإذا رأى ذلك يزيلها يرفعها.

ولما رأى النبي ﷺ ذات يوم نُخامة في جدار المسجد حكَّها وغضب وأنكر عليهم ذلك ودعا بطيب فجعله محلها، عليه الصلاة والسلام، هكذا ينبغي للمؤمن إذا رأى شيئاً في المسجد أزاله، وإن رأى في الطريق شيئاً أزاله، وإن رأى معروفاً أمر به، وإن رأى منكراً نهى عنه، ويشغل لسانه، يشغله بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والاستغفار، ولا يكون ساكتاً، هذا اللسان خفيف الحركة إذا يسَّر الله له إشغاله بالخير، هذا من نعم الله عليه، كل تسبيحة بعشر حسنات، كل واحدة بعشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة وأنت ماشٍ في الطريق ما يضرك شيئاً ولكنها غنائم تحصلها.

وفَّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

١٢٠ ـ الرابع: **عنه**: أنَّ ناساً قالوا: يَا رَسُولَ الله، ذَهَبَ أهلُ الدُّثُور بالأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أمْوَالِهِمْ، قَالَ: «أَوَلَيسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ بِهِ: إنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكبيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأمْرٌ بالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وفي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ» قالوا: يَا رسولَ اللهِ، أيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «أَرَأيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا في حَرام أَكَانَ عَلَيهِ وِزرٌ؟ فكذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا في الحَلالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ» رواه مسلم(١).

□ (الدُّثُورُ) بالثاء المثلثة: الأموال وَاحِدُهَا: دثْر.

١٢١ ـ الخامس: **عنه**، قَالَ: قَالَ لي النَّبيّ ﷺ: «لا تَحْقِرنَّ مِنَ المَعرُوفِ شَيئاً وَلَوْ أنْ تَلقَى أخَاكَ بِوَجْهٍ طَليقٍ» رواه مسلم(٢).

١٢٢ ـ السادس: **عن** أبي هريرةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوم تَطلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَينَ الاثْنَينِ صَدَقةٌ، وتُعِينُ الرَّجُلَ في دَابَّتِهِ، فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وبكلِّ خَطْوَةٍ تَمشيهَا إِلَى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، وتُميطُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» متفق عليه(٣).

📖 ورواه مسلم أيضاً من رواية عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إنْسان مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وثلاثمائة

---

(١) أخرجه في كتاب الزكاة، باب بيان اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف برقم (١٠٠٦).

(٢) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء برقم (٢٦٢٦).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم برقم (٢٧٠٧)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب بيان اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف برقم (١٠٠٩).

مفْصَل، فَمَنْ كَبَّرَ اللهَ، وحَمِدَ الله، وَهَلَّلَ اللهَ، وَسَبَّحَ الله، وَاسْتَغْفَرَ الله، وَعَزَلَ حَجَراً عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ شَوْكَةً، أَوْ عَظماً عَن طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ أَمَرَ بمَعْرُوف، أَوْ نَهَى عَنْ منكَر، عَدَدَ السِّتِّينَ والثلاثمائة فَإِنَّهُ يُمْسِي يَوْمَئِذٍ وقَدْ زَحْزَحَ نَفسَهُ عَنِ النَّارِ»[1].

الشَّرح

هذه الأحاديث الأربعة، كلها تدل على كثرة طرق الخير، إن الله جلَّ وعلا نوّع طرق الخير ووسعها حتى ينال كل مسلم نصيباً وافراً منها، وطرق الخير التي تؤدي إلى الجنة والمغفرة والنجاة من النار ومرضاة الرب ﷻ كثيرة، فينبغي للمؤمن أن يلتمسها وأن يتعرف عليها ويساهم فيها، حتى يدرك ما وعد الله به هؤلاء الذين يشاركون في هذه الخيرات.

الحديث الأول: يقول أبو ذر ﷺ: أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا: «**يَا رَسُولَ الله ذَهَبَ أهلُ الدُّثُور بالأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أمْوَالِهِمْ**» أهلُ الدُّثُور هم أهل الأموال؛ يعني: الأغنياء. يقول الفقراء: ذهب أهل الأموال بالأجور؛ يعني: امتازوا علينا نشترك معهم في الصلاة والصيام ونحو ذلك، لكنهم زادوا علينا بالعتق والصدقات؛ لأن عندهم أموالاً وإنا ما عندنا أموال فقال عليه الصلاة والسلام: «**أوَلَيْسَ قد جَعلَ الله لكم ما تَصَدّقون به**»؛ يعني: الصدقة غير محصورة في المال، هناك صدقات غير صدقات المال يمكن كل مسلم أن يشترك فيها، ثم بيَّن عليه الصلاة والسلام فقال: «**إنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكبيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأمْرٌ بالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ**»، كذلك الكلمة

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عائشة ﵂ من كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف برقم (١٠٠٧).

الطيبة، كما في الحديث الثاني صدقة، إزالة الأذى عن الطريق صدقة، والخطوات للمساجد للصلاة صدقات، وهكذا بر الوالدين، وصلة الرحم، وكثرة الاستغفار، الدعوة إلى الله ﷻ، وزيارة المرضى، ونصح المسلمين، هذه أنواع من الخير وأنواع من الصدقات غير المال.

وهكذا في حديث أبي ذر الثاني: **«لا تَحْقِرنَّ مِنَ المَعرُوفِ شَيئاً وَلَوْ أنْ تَلقَى أخَاكَ بِوَجْهٍ طَلِيقٍ»**؛ يعني: وجه منبسط طلق، ليس فيه عبوسة ولا اكفهرار، هذه من الصدقات، أن تقابل أخاك بوجه طيب منبسط لا مُكفهر ومُعبس، إلا إذا كان ذاك الرجل يستحق الهجر هذا شيء آخر، لكن تلقى إخوانك المسلمين وأهل بيتك بوجهِ طيب، وبِشر وإظهار لحُسن الكلام وحُسن المقابلة، كل هذا من الصدقات، وهكذا حديث عائشة: قَالَ رَسُول الله ﷺ: **«إنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إنْسان مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى ثلاثمائة وسِتِّينَ مفْصَلاً، فَمَنْ كَبَّرَ اللهَ، وحَمِدَ الله، وَهَلَّلَ اللهَ، وَسَبَّحَ الله، وَاسْتَغْفَرَ الله وَعَزَلَ حَجَراً عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ شَوْكَةً، أَوْ عَظماً عَن طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ أمَرَ بمَعْرُوف، أَوْ نَهى عَنْ منكَر، عَدَدَ السِّتِّينَ والثلاثمائة فَإنَّهُ يُمْسِي يَومَئِذٍ وقَدْ زَحْزَحَ نَفسَهُ عَنِ النَّارِ»**. عدد بعدد هذه المفاصل، في اللفظ الآخر (يمشي)؛ يعني: بهذه الأعمال الطيبة وهذه الطرق التي أثنى الله على أهلها، فالمؤمن قد وسع الله له الطرق في وجوه الخير، فينبغي له أن يسلكها وأن يساهم فيها وألا يعجز ولا يكسل، فالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير وكثرة الاستغفار والمشي إلى الصلوات في الأوقات الخمسة: الفجر، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، إلى المساجد، كل هذه الخطوات صدقات وحسنات وكفارة للسيئات.

وهكذا إزالة الأذى عن الطريق من حجر أو شوك أو عظام أو غير هذا من أنواع الأذى أو حفرة يسويها حتى لا يعثر فيها أحد أو ما أشبه

ذلك، وهكذا وجوه البر الأخرى التي شرعها الله من عيادة المرضى، من رد السلام، وإفشاء السلام، بر الوالدين، وصلة الرحم، عمل ما ينفع المسلمين في أمور دينهم ودنياهم، والنصح للمسلمين، وكل شيء تفعله مما يرضي الله، يكون لك فيه صدقة ويكون لك فيه أجر. وهذه من السبل الطيبة التي شرعها الله لعباده سُبل الخير، ولكن يؤتى الإنسان في الغالب من جهة الكسل، والضعف وعدم الرغبة الجيدة في الخير، أو من جهة الجهل وعدم العلم، فدواء الجهل العلم، الإنسان يحضر مجالس الذكر ومجالس العلم، يحرص عليها في أي مكان في أي مسجد، يلتمس مجالس العلم، حتى يستفيد، يقول النبي ﷺ: «**إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا**» قَالَ: وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ قال: «**حِلَقُ الذِّكْرِ**»[(1)]؛ يعني: حلق العلم. قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»، فدواء الجهل التعلم والعلم، وسؤال أهل العلم ومجالسة الأخيار، وحضور حلقات العلم، هذا هو الدواء.

وفي الإذاعة الآن التي انتشرت عند كل أحد فيها، إذاعة القرآن وإذاعة نور على الدرب، برنامج يقال له: نور على الدرب، فيها علم كثير، يسمع القرآن ويسمع أحاديث العلم، ويسمع الفتاوى في العلم، هذا البرنامج نوصي وننصح باستماعه والإكثار منه، فان استماع القرآن فيه خير كثير، ولا سيما بالنظر إلى من لا يُتقنُ القرآن ولا يحفظه، أو لا يتلوه كثيراً، كذلك ما يسمع من الأحاديث العلمية في إذاعة القرآن، وفي برنامج نور على الدرب، هذه تنفع المسلم، وهذا البرنامج يذاع بين المغرب والعشاء ويذاع في الساعة التاسعة والنصف ليلاً في إذاعة القرآن، فينبغي لطالب الحق من رجل وامرأة أن يسمع مثل هذا البرنامج، وأن يعنى بالقرآن الكريم إذا كان يتلوه في بيته من المصحف أو على

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب برقم (٣٥١٠).

صدره حتى يستفيد علماً، وحتى يعرف الكثير من طرق الخير، وحتى يشارك فيها يرجو ما عند الله من المثوبة ﷻ، قال النبي ﷺ: «**وفي بُضْعِ أحَدكُمْ صَدَقَةٌ**» هذه من الطرق، بُضع؛ يعني: هي المجامعة لزوجته «**وفي بُضْعِ أحَدِكُمْ**» في فرجه «**صَدَقَةٌ**» قالوا: يَا رسولَ اللهِ، أيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أجْرٌ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، أرَأيتُمْ لَوْ وَضَعَهَا في حَرَامٍ أكَانَ عَلَيهِ وِزرٌ؟ فكذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا في الحَلالِ كَانَ لَهُ أجْرٌ**»؛ يعني: كما أنه لو زنى فعليه الإثم العظيم، فإذا وضع نطفته وجماعه في زوجته صار له أجر، يُعفّ فرجه ويُعفّ بصره ويُعفّ أهله، ويحصل له أجر بتوفيق الله ﷻ.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❋ ❋ ❋

١٢٣ ـ السابع: عَنهُ، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِد أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ اللهُ لَهُ في الجَنَّةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[(١)].

□ **(النزل): القوت والرزق وما يهيأ للضيف.**

١٢٤ ـ الثامن: عَنهُ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «يَا نِسَاءَ المُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شاةٍ» متفق عليه[(٢)].

□ **قَالَ الجوهري: (الفرسِن): منَ البَعيرِ كالحَافِرِ مِنَ الدَّابَةِ قَالَ: وَرُبَّمَا اسْتُعِيرَ في الشَّاةِ.**

١٢٥ ـ التاسع: عَنهُ، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «الإيمانُ بِضْعٌ وَسَبعُونَ أَوْ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب فضل من غدا إلى المسجد ومن راح برقم (٦٦٢)، ومسلم في كتاب المساجد، باب المشي إلى الصلاة تُمحى به الخطايا وتُرفع به الدرجات برقم (٦٦٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب فضل الهبة برقم (٢٥٦٦)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بالقليل... إلخ برقم (١٠٣٠).

بِضعٌ وسِتُونَ شُعْبَةً: فَأفْضَلُهَا قَولُ: لا إلـهَ إلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إمَاطَةُ الأذَى عَنِ الطَّريقِ، والحياءُ شُعبَةٌ مِنَ الإيمان» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(١).

□ (البِضْعُ): من ثلاثة إلَى تسعة بكسر الباء وقد تفتح. وَ(الشُّعْبَةُ): القطعة.

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة الثابتة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام كلها تدل على كثرة طرق الخير، وأن الله جلَّ وعلا يسَّر لعباده طرقاً كثيرة من الخير والأعمال الصالحات؛ ليستفيد منها المسلمون ويستكثروا من الأعمال الصالحات، وأنواع الخير وأسباب كثرة الحسنات، وهذا من فضله جلَّ وعلا ومن إحسانه إلى عباده أن نوَّع الطرق التي تُفضي إلى الخير، وأن وعد عليها الخير الكثير حتى قال ﷻ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، مثاقيل الذر من الخير، يجدها العبد في ميزان حسناته كما حذر سبحانه من الشر حتى مثاقيل الذر، فقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٨]، وسبق لكم حديث ذكرناه لكم فيما مضى وهو حديث عظيم يدل على أن الصدقة وإنْ قلَّتَ لها شأن عظيم ولا سيما إذا صادفت فقيراً محتاجاً، فإنه ينفعه قليل وكثير، والحديث الذي سبق وهو حديث عظيم يدل على فضل الصدقة والرحمة للضعيف ولو كانت الصدقة قليلاً.

وفي الصحيح عن عائشة ﵂ (قالت: جاءتني امرأة ومعها ابنتان

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب الحياءُ من الإيمان برقم (٢٤)، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها.... إلخ برقم (٣٥).

لها، تشحذ، تطلب، تسأل فالتمست في البيت شيئاً أعطيها إياه فلم أجد إلا تمرات ثلاث، فأعطيت كل بنت واحدة وأعطيت الأم واحدة فأسرعت البنتان وأكلتا التمرتين وجعلتا تنظران إلى أمهما تريدان الثالثة فشقت الأم التمرة الثالثة بينهما وأعطتهما التمرة الثالثة ولم تأكل شيئاً، قالت عائشة: فأعجبني أمرها، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته بالواقع، فقال: «**إن الله أوجب لها بها الجنة**»، هذه الرحمة للبنتين أوجب الله لأُمهما بها الجنة، في تمرة واحدة شقتها بينهما وحرمت نفسها إياها، فكيف بالذي يرحم بالأموال الكثيرة ويحسن للفقراء والمحاويج ويجود عليهم، يرجو ما عند الله، يكون أجره أعظم، وفضله أكبر، والله سبحانه يقول: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠] ويقول ﷻ: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ﴾ [البقرة: ٢٧١].

وفي هذا الحديث يقول ﷺ: «**مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِد أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ اللهُ لَهُ في الجَنَّةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ**» هذا الفضل العظيم لهذه الصلاة في المسجد ورجوعه مثل ذلك، تُكتب له حسنات وترفع له درجات وتحط عنه خطيئات، ويقول ﷺ: «**يُعدُّ له منزل في الجنة كلما غدا أو راح**»، هذا من فضل الغدو إلى الصلاة والعناية بها أول النهار وآخره، بالليل والنهار، وفيه فضل عظيم، وأجر كبير للمؤمن في قصده وجه الله جلَّ وعلا والدار الآخرة.

وحديث أبي هريرة يقول ﷺ: «**الإيمانُ بِضْعٌ وَسَبعُونَ أَوْ بِضعٌ وسِتُونَ شُعْبَةً: فَأَفْضَلُهَا قَولُ: لا إلـهَ إلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إمَاطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والحياءُ شُعبَةٌ مِنَ الإيمان**» خصال الإيمان بضع وسبعون شعبة خصال الخير، كل شعبة تتفرع عنها شُعب وأنواع من الخير، الصلاة

شعبة وفيها أنواع من الخير فيها القراءة، وفيها الدعاء، وفيها الركوع، وفيها السجود، والحج شعبة، وفيها أنواع من الخير، والجهاد شعبة، وفيها أنواع من الخير، والوضوء شعبة، والغُسل شعبة، وعيادة المريض شعبة، وهكذا، لكن هذه الشعب «**أَفْضَلُهَا قَولُ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، أفضلها شهادة أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، هذه أساس الدين، أساس الملة، شهادة أن لا إلـٰه إلا الله؛ يعني: الشهادة بأنه لا معبود حق إلا الله، هذا معناه، الشهادة بأنه لا معبود حق إلا الله لا في السماء ولا في الأرض ما هناك معبود بحق إلا الله وحده، الملائكة والرسل وسائر الخلق كلهم عبيد لله مخلوقون مربوبون، والعبادة حق الله وحده، كذلك الشهادة بأن محمداً رسول الله إلى الثقلين، الجن والإنس، وهي قرينة الشهادة بأنه لا إلـٰه إلا الله لا بد منهما، ومن لم يأت بهما فليس بمسلم، وإن أتى بهما لفظاً ولم يعتقد معناهما فليس بمسلم، حتى يعتقد وحتى يؤمن بأنه لا معبود بحق إلا الله وحده ﷻ، وأن ما عبده الناس من الأصنام أو الأشجار أو الأنبياء أو الملائكة أو الجن كله باطل، قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، قال سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

ولا بد من الشهادة بأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبك، تؤمن صادقاً بقلبك، وتنطق بلسانك أن محمداً هو عبد الله ورسوله إلى الجن والإنس، فمن لم يُصدق بهذا صار كافراً حلال الدم والمال بإجماع المسلمين، أعوذ بالله من ذلك، لا بد من الإيمان الجازم بأن محمداً رسول الله إلى جميع الثقلين الجن والإنس، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ثم هذه الشهادة تتبعها الأعمال، عليه أن يصدقها بالأعمال التي شرعها الله وأوجبها على

عبده؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**الإيمانُ بِضْعٌ وَسَبعُونَ أَوْ بِضعٌ وسِتُونَ شُعْبَةً: فَأَفْضَلُهَا قَولُ: لا إلـهَ إلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إمَاطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ**»؛ يعني: إزالة الأذى من حجر أو شوك أو عظم أو غير هذا مما يؤذي الناس، يُزيله المؤمن، يرجو ما عند الله حتى لا يتأذى إخوانه المسلمون بذلك، والحياء شعبةٌ من الإيمان، الحياء خُلقٌ كريم قلبي يمنع صاحبها من سفاسف الأخلاق وسيئ الأعمال، ويحمله على مكارم الأخلاق ومحاسنها، هذا الحياء.

الحياء خلق يتعلق بالقلب، خلق باطن كريم يحمل أهله على فعل الخير وترك الشر، على مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، وعلى ترك القبائح، هذا الحياء، أما الحياء الذي يحمل صاحبه على الجُبْن والخور وعدم السؤال عن العلم، وعدم حضور مجالس العلم، وعدم الشجاعة في الخير، ليس بحياء هذا، هذا ضعف، هذا جُبن، هذا خور ليس بحياء، الحياء الذي يمنعك عن طلب العلم وعن السؤال عن العلم، عن التفقه في دينك وعن مشاركة في الخيرات، والجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ونحو ذلك، هذا ليس من الحياء، هذا خور وضُعف وجُبُن ما ينبغي للعاقل أن يتخلق به.

كذلك حديث أبي هريرة أيضاً يقول ﷺ: «**يَا نِسَاءَ المُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا، وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ**»؛ يعني: تصدقوا ولو بالقليل، يحث النساء على الصدقة كالرجال، «**لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا**» الجيران فيما بينهم ينبغي أن يتهادوا فيما يطيب القلوب، ويجمع القلوب على الخير، ويحصل به الإيناس، والتآلف والمحبة، ولو قليل على حسب أحوال الناس، فالهدية بين الفقراء لها شأنها، ومن الكبار لها شأنها، لكن «**وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ**» ولو ظلف عند الحاجة وعند المسغبة، حتى الظلف ينفعه، والتمرة الواحدة تنفع عند الحاجة، والدرهم الواحد ينفع عند الحاجة، والمرقة تنفع عند الحاجة، والخبزة تنفع عند الحاجة، مثل ما سمعتم في

قصة عائشة مع المرأة، تمرتين والثالثة للأم شقتها بين البنتين وصارت من أسباب دخولها الجنة.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

***

١٢٦ ـ العاشر: عَنْهُ: أَنَّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «بَينَما رَجُلٌ يَمشي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيهِ العَطَشُ، فَوَجَدَ بِئراً فَنَزَلَ فِيهَا فَشرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فإذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يأكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الكَلْبُ مِنَ العَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي فَنَزَلَ البِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بفيهِ حَتَّى رَقِيَ، فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ الله لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ» قالوا: يَا رَسُول اللهِ، إنَّ لَنَا في البَهَائِمِ أَجْراً؟ فقَالَ: «في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أجْرٌ» مُتَّفَق عَلَيهِ[١].

وفي رواية للبخاري: «فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ، فأدْخَلَهُ الجَنَّةَ» وفي رواية لهما: «بَيْنَما كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يقتلُهُ العَطَشُ إذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إسْرَائِيل، فَنَزَعَتْ مُوقَها فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ».

□ (المُوقُ): الخف. وَ(يُطِيفُ): يدور حول (رَكِيَّةٍ): وَهِي البئر.

١٢٧ ـ الحادي عشر: عَنْهُ، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «لَقدْ رَأَيْتُ رَجُلاً يَتَقَلَّبُ في الجَنَّةِ في شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَرِيقِ كَانَتْ تُؤذِي المُسْلِمِينَ» رواه مسلم[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء برقم (٢٣٦٣)، ومسلم في كتاب السلام، باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها برقم (٢٢٤٤).

(٢) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق برقم (١٩١٤).

📖 وفي رواية: «مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللهِ لأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ المُسْلِمِينَ لا يُؤذِيهِمْ، فَأُدخِلَ الجَنَّةَ».

📖 وفي رواية لهما: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوكٍ عَلَى الطريقِ فأخَّرَه فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ».

١٢٨ ـ الثاني عشر: عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الجُمعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْن الجُمُعَةِ وَزِيادَةُ ثَلاثَةِ أيَّامٍ، وَمَنْ مَسَّ الحَصَا فَقَدْ لَغَا» رواه مسلم(١).

الشَرح

هذه الأحاديث الثلاثة وما جاء في معناها كالتي قبلها من الأحاديث في بيان كثرة طرق الخير، وأن الله ﷻ نوَّع لعباده طرق الخير وحثهم سبحانه على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام بالمسارعة إليها والأخذ بها؛ لأن في ذلك أخذاً بأسباب النجاة وأسباب المغفرة وأسباب دخول الجنة، وفي ذلك مصالح للعباد ورحمة للعباد وعون لهم على الخير، فالساعي في وجوه الخير نافع لنفسه ونافع للناس أيضاً.

في الحديث الأول والثاني: أن رجلاً وفي رواية امرأة أصابهم عطش شديد فنزل الرجل في بئر فاستقى؛ يعني: شرب فخرج فإذا هو بكلب يلهث من العطش يأكل الثرى، فنزل وحمل له ماءً في خفه وخرج به بفيه حتى سقاه، يقول: إن هذا الكلب قد أصابه من العطش مثل ما أصابني، فلهذا رحمه وعطف عليه ونزل البئر لأجله فأخذ منها الماء وصعد به ماسكاً له بفمه، والخف هو ما يوضع في الرجل من الجلد فسقى الكلب فشكر الله له هذا العمل الجيد، وهذه الرحمة

(١) أخرجه في كتاب الجمعة، باب فضل التهجير يوم الجمعة برقم (٨٥٧).

فغفر له بسبب ذلك، وصارت هذه الرحمة من أسباب مغفرة الله له، وإدخاله إياه الجنة.

وفي اللفظ الآخر: أنها امرأة بغي من بغايا بني إسرائيل؛ يعني: زانية فرأت كلبا يُطيف ببئر قد اشتد به العطش فنزعت موقها؛ والموق؛ هو الخف يقال له: موق ويقال له: خف وهو ما يتخذ من الجلد ويلبس في الرجل، فنزلت وحملت له ماءً في هذا الموق، فسقته رحمة له فغفر الله لها بسبب ذلك. وهذا يدلُّ على أن رحمة الحيوانات أمر مطلوب؛ ولهذا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِم أَجْراً قَالَ «**فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**»؛ يعني: كل كبد حية سواء كلب أوحمار أو غير ذلك مما يحتاج إلى الرحمة، فرحمة الحيوانات والإحسان إليها والرفق بها من أسباب دخول الجنة، وظلمها والعدوان عليها من أسباب دخول النار.

وقد صحَّ في الحديث أن امرأة حبست هرة فلم تطعمها ولم تسقها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض، بل حبستها حتى ماتت جوعاً وعطشاً فأدخلها الله بها النار؛ لأنها ظلمتها، الحاصل أن ظلم الحيوانات من أسباب غضب الله، ومن أسباب دخول النار والإحسان إليها ورحمتها من أسباب دخول الجنة، فينبغي للمؤمن أن يحرص على ذلك وأن يكتسب ما يسبب رضا الله عنه ودخوله الجنة.

وفي **الحديث الثالث**: الدلالة على فضل إزالة الأذى عن الطرق، وأنه ينبغي لأهل الإيمان أن يعنوا بهذا الأمر، سواء كان ذلك شوكاً أو عظاماً أو أحجاراً أو غير ذلك. وفي هذا الحديث أن رجلاً أزال شجرة في الطريق تؤذي الناس، وفي رواية أُخرى غصناً من الشوك كان يؤذي الناس فعزله عن الطريق؛ لئلا يؤذي المسلمين فشكر الله له ذلك وأدخله الجنة، وتقدم حديث عائشة ﵂ أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال:

«**إنَّهُ العبد خُلِقَ كُلُّ إنْسان مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى ثلاثمائة وسِتِّينَ مفْصَلاً، فَمَنْ كَبَّرَ اللهَ، وحَمِدَ الله، وَهَلَّلَ اللهَ، وَسَبَّحَ الله، وَاسْتَغْفَرَ الله، وَعَزَلَ حَجَراً عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ شَوْكَةً، أَوْ عَظماً عَن طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ أَمَرَ بمَعْرُوف، أَوْ نَهى عَنْ منكَر، عَدَدَ السِّتِّينَ والثلاثمائة فَإِنَّهُ يُمْسِي يَومَئِذٍ وقَدْ زَحْزَحَ نَفسَهُ عَنِ النَّارِ**»؛ يعني: صار بسبب أعماله الطيبة التي فعلها قد زحزح نفسه عن النار، فإزالة الأذى عن الطرقات والإحسان إلى الناس فيما ينفعهم فيه خير عظيم وفضل كبير، فينبغي للمؤمن ألّا يحقر نفسه وأن يتوسع في الخير وألّا يزهد في الخير وألا يتساهل، بل يكون عنده همة عالية في طلب المعالي وفي كسب الخيرات، وفي الاستكثار من الحسنات، حتى يفوز بهذا الخير العظيم الذي يحصل لمن رحم الحيوانات، أو نفع الناس بإزالة الأذى عنهم، والشر عنهم من طرقاتهم، أو في غير ذلك مما ينفع المسلمين.

وفي **الحديث الأخير**: يقول ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أَتى الجُمعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ**»؛ يعني: الخطبة «**غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْن الجُمُعَةِ وَزِيادَةُ ثَلاثَةِ أَيَام**»، هذه دلالة على أن ذهاب الإنسان للجمعة بعد الوضوء الشرعي، وأكمل من ذلك أن يغتسل زيادة مع الوضوء ثم يأتي بالسكينة والوقار ثم يصلي ما كتب الله له في المسجد، ثم ينتظر الجمعة فإذا شرع الخطيب أنصت واستمع وتدبر ما يقال له، فإنه بهذا يكون له أجر عظيم، ويغفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام؛ يعني: الحسنة بعشر أمثالها، وفيه دلالة على أن الغسل ليس بواجب، غسل الجمعة مستحب وسُنَّة وليس بواجب؛ ولهذا قال: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ**» فدلَّ ذلك على أن الوضوء كافٍ، لكن إذا اغتسل يوم الجمعة كان أفضل، كما جاءت به الأخبار الصحيحة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وفي آخره يقول ﷺ: «**وَمَنْ مَسَّ الحَصَا فَقَدْ لَغَا**» يبيّن أنه لا ينبغي للمؤمن العبث وقت الخُطبة، فإذا شرع الخطيب فأمسك عن العبث بالحصى، أو باللحية أو بالملابس أو بغير ذلك، حتى تُقبل على الخُطبة، تستمع لها وتُنصت لها وتستفيد منها؛ لأن المقصود أنت فالخطيب لا يخطب للجدران، إنما يخاطب الحاضرين يعظهم ويأمرهم وينهاهم ويذكرهم، فالواجب عليهم حينئذ أن ينصتوا حتى يستفيدوا من هذه الخُطبة التي شرعها الله في كل أسبوع ـ مرة في الجمعة ـ فلا يتشاغل عنها بمس الحصى، أو بالتحدث مع جاره، أو بالهواجيس التي تبعده عن الاستماع، أو بالعبث بلحيته أو بملابسه، أو بالسواك أو بغير ذلك، ينصت ويخشع ويُقبل على الخطيب ويكون ساكن الحركات حتى يستفيد من هذه الخُطبة.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❁ ❁ ❁

١٢٩ ـ الثالث عشر: عَنْهُ: أنَّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «إِذَا تَوَضَّأ العَبْدُ المُسْلِمُ، أَو المُؤمِنُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَينيهِ مَعَ المَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، فَإِذا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيهِ كُلُّ خَطِيئَة كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ المَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مشتها رِجْلاَهُ مَعَ المَاء أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيّاً مِنَ الذُّنُوبِ» رواه مسلم[1].

١٣٠ ـ الرابع عشر: عَنْهُ، عن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّراتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ

---

(١) أخرجه في كتاب الطهارة، باب خروج الخطايا مع ماءِ الوُضوء برقم (٢٤٤).

إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ» رواه مسلم(١).

١٣١ - الخامس عشر: **عَنهُ**، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «ألا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رسولَ اللهِ، قَالَ: «إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ فَذلِكُمُ الرِّبَاطُ» رواه مسلم(٢).

ﷺ الشَرح ﷺ

هذه الأحاديث الثلاثة الثابتة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام كلها كالتي قبلها من الأحاديث تدلُّ على كثرة طرق الخير، وأنه ينبغي للمؤمن أن يساهم في طرق الخير وأن يجتهد في أسباب قبولها وأسباب السلامة من ردِّها، هكذا المؤمن يحرص على العمل الصالح ويجتهد، ومع ذلك يحذر أسباب الرد وعدم القبول، ويحذر أسباب بطلانها، ومن ذلك ما تقدم في شأن الوضوء، الوضوء عبادة عظيمة طهارة مشروعة أخبر النبي ﷺ أن الوضوء من أسباب تكفير السيئات وأن من توضأ فأحسن وضوءه وغسل يديه غسل وجهه وغسل يديه ومسح رأسه وغسل رجليه كان هذا من أسباب تكفير خطاياه فيصبح نقياً من الذنوب، وهذا عند أهل العلم ما لم تغش الكبائر؛ يعني: ما لم يقترف الكبائر من الذنوب، فهذه العبادات يمحو الله بها الصغائر من الذنوب، كما قال ﷻ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١] فإذا وضأ وجهه انحطت خطايا

---

(١) أخرجه في كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة... إلخ برقم (٢٣٣).

(٢) أخرجه في كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره برقم (٢٥١).

وجهه؛ يعني: نظر إليها بعينيه، وإذا غسل يديه كذلك انحطت خطاياه التي مسها بيديه، وهكذا إذا مسح رأسه خرج خطايا رأسه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، وهكذا إذا غسل رجليه خرج خطايا رجليه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، هكذا جاء في حديث عمرو بن عبسة السُلمي وغيره من الصحابة، وهكذا في حديث عثمان رضي الله عنه، والخلاصة: أن الرسول أخبر أن الوضوء الشرعي الذي يتطهر به المؤمن لصلواته من أسباب غفران الذنوب، وإذا شهد أن لا إلـٰه إلا الله بعد ذلك قال: أشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعد الفراغ من الوضوء، فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء، فيستحب أن يقول هذا عند الفراغ.

عند الوضوء يبدأ بالتسمية يقول: بسم الله وعند الفراغ يقول: أشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللَّهُمَّ اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين، فهذا الذكر من أسباب دخوله الجنة ونجاته من النار، وأنه تفتح له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء. هذا فضلٌ من ربنا وتحريض على العمل الصالح، تشجيع وتحريض على هذا العمل الصالح.

ودلَّ حديث أبي هريرة الثاني: أن هذه الأعمال إنما تكفر السيئات عند اجتناب الكبائر؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّراتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ**»؛ يعني: من الخطايا «**إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ**» إذا تجنب العبد كبائر الذنوب.

وفي اللفظ الآخر: «**مَا لَمْ تُغْشَ الكَبَائِرُ**» في اللفظ الآخر: «**مَا لَمْ تُصَبِ المَقْتَلَة**» والكبائر هي المعاصي التي جاء فيها الوعيد بالنار

أو بالغضب أو له فيها حدٌّ في الدنيا أو وعيد في الآخرة، كالزنى والسرقة وعقوق الوالدين أو أحدهما، أو قطيعة الرحم، أكل الربا شهادة الزور، واليمين الفاجرة الغموس، وأشباه ذلك من المعاصي فإن هذه من أسباب حرمان المغفرة، هذه المعاصي إذا أصرَّ عليها العبد ولم يتب صارت من أسباب حرمان المغفرة له بأعماله الأُخرى، فيجب على المؤمن وعلى المؤمنة الحذر كل الحذر من الإصرار على المعاصي، والله يقول سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥ ـ ١٣٦]. هذا جزاؤهم: المغفرة والجنة إذا تابوا ولم يُصروا، والإصرار معناه: الإقامة على المعصية وعدم التوبة منها، هذا المُصر الذي يقيم عليها ولا يتوب منها، فينبغي للمؤمن أن يلاحظ هذه الأمور حتى يحاسب نفسه، حتى يجاهدها لله لعلَّه ينجو، لعلَّه يسلم من الإصرار عن المعصية، فإن الإصرار عليها خطر عظيم، فالواجب عليك يا عبد الله أن تحاسب نفسك، وأن تجاهدها لله في جميع الأحوال، حتى تكون هذه الأعمال الطيبة من وضوءٍ وصيامٍ وصلاة جمعة وغير ذلك من أسباب تكفير الخطايا الأُخرى، وحط السيئات الأخرى.

كذلك حديث: «**أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟**» قَالُوا: بَلَى، يَا رسولَ اللهِ، قَالَ: «**إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ**»، في اللفظ الآخر: «**إِسْبَاغُ الوُضُوءِ فِي السَّبَرَاتِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ فَذلِكُمُ الرِّبَاطُ**» الوضوء أمره عظيم من أسباب محو الخطايا، من أسباب رفع الدرجات، من أسباب

تكثير الحسنات ومضاعفتها، إسباغ الوضوء ولا سيما عند البرد وشدة البرد، إذا لم يتيسَّر له الماء الدافئ لا يمنعه ذلك من إسباغ الوضوء، **«فِي السَّبَرَاتِ»**؛ يعني: في شدة البرد في اللفظ الآخر **«عَلَى المَكَارِهِ»** عند كراهة استعمال الماء لبرودته، ويسبغ الوضوء ويعتني بالوضوء، ولو كان في وقت البرد، ولو كان الماء غير مدفئ، يعتني حتى يُكمل وضوءه، وهكذا **«وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ»** ذهاباً وإياباً في الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، يحتسب ذلك يرجو ما عند الله، هذا شيء واجب عليه ولكنه يفعلها عن نية.

كان بعض الصحابة ﷺ بعيداً عن المسجد ويأتي في الرمضاء والليلة الظلماء على رجليه، وهو بعيد عن مسجد النبي عليه الصلاة والسلام، فقال له بعض الصحابة: لو اشتريت حماراً تركبه في الرمضاء وفي الليلة الظلماء، قال: ما أُحب أن بيتي في جوار مسجد النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأني أُحب بأني أحتسب أن يكتب الله لي خطاياي ذاهباً وراجعاً، فقال له النبي ﷺ: **«إن الله قَدْ جَمَعَ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ»**؛ يعني: أجر خطاه نازلاً إلى المسجد، وأجر خطاه وخطواته راجعاً إلي بيته، فخطواته في ذهابه إلى المسجد تكتب بها حسنات وترفع بها درجات وتحط بها خطيئات، وهكذا آثاره راجعاً إلى بيته، يقول الرسول: **«قَدْ جَمَعَ اللهُ لَكَ ذلِكَ كُلَّهُ»**.

وهكذا انتظار الصلاة بعد الصلاة، إذا صلى العصر على باله المغرب، إذا صلى المغرب على باله العشاء، إذا صلى العشاء على باله الفجر، ما هو بغافل على باله الصلوات، ليس معناه يجلس في المسجد لا يعمل معناه أنه ينتظرها؛ يعني: يهتم منها حتى يؤديها ليس معناه أنه يجلس ليله ونهاره في المساجد، لا يعمل ولا يذهب لبيته، لا، المقصود أنه يعتني بمراقبة الوقت وانتظاره ولو شُغل في بيته أو في مزرعته أو في دكانه، فقلبه مع الصلاة معلق بالصلاة لا ينساها، متى جاء وقتها بادر

وسارع إليها، هكذا المؤمن في متجره في مزرعته في شُغل أهله متى جاء وقت الصلاة وسمع حيَّ على الصلاة بادر وسارع إليها وأداها مع إخوانه، فهو منتظر لها مهتم منها حتى يؤديها دائماً، هكذا أهل الإيمان، عاملين بقوله ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [التوبة: ٧١]، وفي قوله جلَّ وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩]، وفي قوله ﷻ: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فأهل الإيمان والتقوى يعتنون بهذا الأمر، وينفذون معنى هذه الآيات الكريمات.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❊ ❊ ❊

١٣٢ ـ السادس عشر: عن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه، قالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ» متفقٌ عليه[١].

□ (البَرْدَانِ): الصبح والعصر.

١٣٣ ـ السابع عشر: عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إِذَا مَرِضَ العَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيماً صَحِيحاً» رواه البخاري[٢].

١٣٤ ـ الثامن عشر عن جَابرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ» رواه البخاري، ورواه مسلم[٣] مِنْ رواية حُذَيفة رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة الفجر برقم (٥٧٤)، ومسلم في كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما برقم (٦٣٥).

(٢) أخرجه في كتاب الجهاد والسير، باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة برقم (٢٩٩٦).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب كل معروف صدقة برقم (٦٠٢١)، ومسلم =

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة في بيان شيء من طرق الخير التي أوضحها النبي ﷺ ودلَّ عليها وأرشد إليها، سبق في هذا أحاديث كثيرة تدلُّ على أن الله جلَّ وعلا وسع طرق الخير وبيَّنها لعباده ليسلكوها ويستفيدوا منها، كلها طرق توصل إلى مرضاة الله وإلى جنته وكرامته، من صلاة، وصوم، وصدقة، وجهادٍ، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، ودعوة إلى الله، وإحسان إلى عباد الله، وعيادة للمريض، ومشي إلى الصلوات، وتسبيح وتهليل وتكبير، إلى غير هذا من وجوه الخير.

وفي هذا الحديث يقول ﷺ: **«مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ»** البردين العصر والفجر؛ يعني: من حافظ عليهما دخل الجنة؛ لأن هاتين الصلاتين مفتاح لغيرهما، فالفجر هي مفتاح صلاة النهار، والعصر خاتمة ذلك، وهي الصلاة الوسطى، فمن حافظ عليهما حافظ على غيرهما من باب أولى، والمحافظة على الجميع من أسباب دخول الجنة، والنجاة من النار، كما قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٤ ـ ٣٥]، وقال في سورة المؤمنون ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٢]، ثم ذكر صفات عظيمة من صفات المؤمنين قال في خاتمتها ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٩ ـ ١١]، والفردوس أعلى الجنة وأوسطها وأرفعها شأناً، فالصلاة هي عمود الإسلام، والمحافظة عليها من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار، والمحافظة على

= في كتاب الزكاة، باب بيان اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف برقم (١٠٠٥).

البردين العصر والفجر بصفة خاصة من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار، هذا يدل على أن المحافظة على الجميع لازمة وفريضة، وتخصيص البردين بمزيد عناية له فضل آخر، وهما الفجر والعصر؛ يعني: الفجر في أول النهار أول الوقت برودة الوقت، وآخر النهار العصر؛ لأن انكسار الشمس وحصول برد الوقت بعد انكسار الشمس وزوال شدة حرها، فهما فريضتان عظيمتان إحداهما أول صلاة النهار، والثانية الصلاة الوسطى، فلهما فضل خاص.

فينبغي للمؤمن أن يحافظ على الصلوات الخمس، ويعتني بها ويجتهد في ذلك ويخص العصر والفجر بمزيد عناية، وكثير من الناس قد ينام عن الفجر لأنه وقت النوم وقت برودة الليل وطيب النوم في الصيف وشدة البرد في الشتاء، وكثير من الناس يتشبه بالمنافقين ويتأخر عنها، والآخر صلاة العصر وقت انتهاء الأعمال والمجيء من الأعمال والفراغ من الأعمال وكثير من الناس يضعف عنها ويبقى في بيته، والله جلَّ وعلا أوصى عباده بالعناية بهذه الصلوات وحرَّضهم على هذا لما فيه من الخير لهم والسعادة وحسن العاقبة، والعبد متى آثر مرضاة ربه وما يحبه مولاه سبحانه على هوى نفسه صارت له بذلك المنزلة العظيمة عند الله والعاقبة الحميدة والفضل الكبير.

ويقول أيضاً عليه الصلاة والسلام: «**إذا سافر العبد أو مرض كتب الله له ما كان يعمل وهو صحيح مقيم**» هذا من فضله أيضاً جلَّ وعلا وهذا من جوده وكرمه؛ أن العبد إذا كان في السفر أو في المرض وترك بعض الأعمال كتب الله له تلك الأعمال التي يعملها في حال الصحة وفي حال الإقامة فضلاً منه وإحساناً جلَّ وعلا، فإذا كان له صوم الاثنين والخميس وله صلوات ثم سافر أو مرض وترك ذلك من أجل السفر أو المرض كتب الله له أجر تلك الأعمال التي كان

يعملها في حال إقامته وفي حال صحته فضلاً منه وإحسانا، جلَّ وعلا، فالمعذور عن العمل كالفاعل، وفي الصحيح قال الرسول عليه الصلاة والسلام للصحابة ذات يوم وهم في تبوك: «**إِنَّ فِي الْمَدِيْنَةِ أَقْوَاماً مَا سِرْتُمْ مَسِيراً وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِياً إِلَّا وَهُمْ مَعَكُمْ**» وفي لفظ آخر «**إِلَّا شَرَكُوكُمْ فِي الأَجْرِ**»[١] قالوا: يا رسول وهم في المدينة قال: «**وهم في المدينة حبسهم المرض**» في لفظ آخر «**حبسهم العُذر**» فالمحبوس عن أعماله الصالحة يُكتب له أجرها إذا كان معذوراً عن أدائها بمرض أو سفر فضلاً من الله ﷻ.

وهكذا المريض إذا عجز عن الصلاة قائماً صلَّى قاعداً، أو عجز عن الصلاة قاعداً صلى مضطجعاً كتب الله له أجر المصلين قياماً؛ لأنه ترك هذا للعذر. فينبغي للمؤمن أن ينافس في الخيرات وأن يحرص على فعل الخير حتى يكتب له ذلك إذا عجز بالمرض أو شُغل عن ذلك بالسفر.

ويقول أيضاً عليه الصلاة والسلام في حديث جابر وحذيفة: «**كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ**» «**كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ**» كلمة عظيمة من جوامع الكلم تعُم كل معروف، «**كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ**» «**كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ**» قلت لأخيك يا أخي افعل كذا من الخير، هذه صدقة، سلمت عليه صدقة، رددت عليه السلام صدقة، عُدته وهو مريض صدقة، أرشدته إلى خير ينفعه، صدقة، وهكذا كل معروف ينفع أخاك هو صدقة منك عليه تؤجرُ عليها، فينبغي للمؤمن أن يحرص على فعل الخير وتقديم فعل الخير للناس ولا يمل ولا يكسل ولا يضعُف ولا يزهد، «**كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ**» مع زيد، مع عمرو، مع أهلك، مع الفقير، مع الغني، مع الكبير، مع الصغير، كل معروف ترجو

---

(١) سبق تخريجه في باب الإخلاص وإحضار النية حديث رقم (٤) ص(٣٧).

به ما عند الله به من المثوبة يكتبه الله لك صدقة تؤجر عليها منه ﷻ.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

***

١٣٥ ـ التاسع عشر: عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِم يَغْرِسُ غَرْساً إلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً، وَمَا سُرِقَ مِنهُ لَهُ صَدَقَةً، وَلَاَ يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةً» رواه مسلم(١).

وفي رواية لَهُ: «فَلَا يَغرِسُ المُسْلِمُ غَرْساً فَيَأْكُلَ مِنْهُ إنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا طَيْرٌ إلَّا كَانَ لَهُ صَدَقة إلَى يَوم القِيَامةِ». وفي رواية لَهُ: «لَا يَغرِسُ مُسْلِمٌ غرساً، وَلَا يَزرَعُ زَرعاً، فَيَأكُلَ مِنهُ إنْسَانٌ وَلَا دَابةٌ وَلَا شَيءٌ، إلَّا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً». وروياه جميعاً من رواية أنس ﷺ.

▫ قوله: (يَرْزَؤُهُ)؛ أي: ينقصه.

١٣٦ ـ العشرون: عَنْهُ، قَالَ: أراد بنو سَلِمَةَ أَن يَنتقِلوا قرب المسجِدِ فبلغ ذلِكَ رسولَ الله ﷺ، فَقَالَ لهم: «إنَّهُ قَدْ بَلَغَني أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أنْ تَنتَقِلُوا قُربَ المَسجِد؟» فقالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُول اللهِ قَدْ أَرَدْنَا ذلِكَ. فَقَالَ: «بَنِي سَلِمَةَ، دِيَارَكُمْ، تُكْتَبْ آثَارُكُمْ، ديَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ» رواه مسلم(٢).

وفي روايةٍ: «إنَّ بِكُلِّ خَطوَةٍ دَرَجَةً» رواه مسلم.

رواه البخاري أيضاً بِمَعناه مِنْ رواية أنس ﷺ.

▫ وَ(بَنُو سَلِمَةَ) بكسر اللام: قبيلة معروفة مِنَ الأنصار ﷺ، وَ(آثَارُهُمْ): خطاهُم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه برقم (٢٣٢٠)، ومسلم في كتاب المُساقاة، باب فضل الغرس والزرع برقم (١٥٥٢).

(٢) أخرجه البخاري من رواية أنس في كتاب الأذان، باب احتساب الآثار برقم (٦٥٥)، ومسلم في كتاب المساجد، باب فضل كثرة الخُطا إلى المساجد برقم (٦٦٥).

١٣٧ ـ الحادي والعشرون: **عن** أبي المنذِر أُبيِّ بنِ كَعْب ﷺ، **قَالَ: كَانَ رَجُلٌ لا أعْلَمُ رَجلاً أبْعَدَ مِنَ المَسْجِدِ مِنْهُ، وَكَانَ لَا تُخْطِئُهُ صَلاةٌ، فَقيلَ لَهُ أَوْ فَقُلْتُ لَهُ: لَوِ اشْتَرَيْتَ حِمَاراً تَرْكَبُهُ في الظَّلْمَاء وفي الرَّمْضَاء؟ فَقَالَ: مَا يَسُرُّنِي أنَّ مَنْزِلي إِلَى جَنْبِ المَسْجِدِ إنِّي أريدُ أنْ يُكْتَبَ لِي مَمشَايَ إِلَى المَسْجِدِ وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أهْلِي، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «قَدْ جَمَعَ اللهُ لَكَ ذلِكَ كُلَّهُ»** رواه مسلم[١].

وفي رواية: «إنَّ لَكَ مَا احْتَسَبْتَ».

(الرَّمْضَاءُ): الأرْضُ التي أصابها الحر الشديد.

الشَّـرح

هذه الأحاديث الصحيحة الثلاثة كلها تدل على ما دلَّت عليه الأحاديث السابقة من كثرة طرق الخير، وأن الله ﷻ شرع لعباده أنواعاً من الخير وأعمالاً كثيرة من الصالحات يُثيب عليها ويأجر عليها ﷻ، وجعلها ميداناً للعباد يتسابقون في هذه الطاعات إلى مرضاته وإلى جنته وكرامته، ومن ذلك، يقول عليه الصلاة والسلام: **«ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه دابة أو طير أو إنسان إلا كان له صدقة»** وفي اللفظ الآخر: **«ما سُرق منه وما رُزِئ منه وما ذهب منه كل له صدقات»** هذا يدلُّ على أن غرس الأشجار والنخيل والذروع فيها خير كثير للمسلم، وأن المسلم إذا غرس غرساً أو زرع زرعاً فإنما يُصيبه من نقص يكون في ميزان حسناته، وما يأكل منه الدواب أو إنسان أو طيور يكون في ميزانه ميزان حسناته وهكذا ما قد يؤخذ منه سرقة وخيانةً كل ذلك يُكتب له في ميزان حسناته.

---

(١) أخرجه في كتاب المساجد، باب فضل كثرة الخُطا إلى المساجد برقم (٦٦٣).

وهذا يدل على فضل الغراس والزراعة من المسلم؛ لما فيها من التوكل على الله؛ ولما فيها من طلب الرزق، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»، والمزارع والغارس مع كونه أخذ بالأسباب فعنده من التوكل على الله والثقة بما ليس عند غيره، يبذر الحب ويغرس الأشجار وهو يقول: أرجو ما عند الله في هذا الشيء وهو الذي ﷻ يُنبته ويُنميه ويُنمي ثمرته فضلاً منه وإحساناً ﷻ، فينبغي للمؤمن أن تكون له عناية بهذا الأمر لما فيه من المصلحة العامة مع الأجر، فيه مصالح عامة للعباد ينتفعون به بهذه الأشجار وهذه الزروع ويستغنون بها عن الحاجة إلى غيرهم من الناس.

وهكذا الخُطى إلى المساجد والذهاب إلى المساجد فيه خير عظيم، فذلك من الأعمال الصالحات، يقول عليه الصلاة والسلام لبني سَلِمَةَ لما أرادوا أن ينتقلوا إلى قرب المسجد، وبنو سَلِمَةَ بطن من الأنصار كانوا بعيدين من المسجد فأرادوا أن ينتقلوا إلى قرب مسجد النبي عليه الصلاة والسلام فقال لهم: «**بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارَكُمْ**»؛ يعني: الزموا دياركم واثبُتوا فيها تكتب آثاركم؛ يعني: تكتب خطواتكم إلي المسجد ذاهبين وآيبين، هذا من فضل الله ﷻ. العبد إذا ذهب إلى المسجد ورجع إلى بيته كتب الله له أجر خطواته ذاهباً وآيباً، خطوات تكتب بها درجات وحسنات، وخطوات يمحى بها سيئات في ذهابه للمسجد وفي رجوعه منه يبتغي ما عند الله من الأجر ﷻ.

هكذا ما قال أُبَيٌّ عن رجلٍ من الأنصار، يقول أُبَيُّ بن كعب رضي الله عنه: (كان رجُلُ من الأنصار بعيداً من المسجد، قال: لا أعلم أحداً أبعد منه من مسجد النبي عليه الصلاة والسلام وكان يذهب إليه ماشياً ويرجع ماشياً مع بعده)، فقال له أُبَيٌّ أو قال له غيره: (لو أنك اشتريت حماراً

تركبه في الرمضاء)؛ يعني: في القائلة وتركبه في الظلماء في الليل لكان أسهل عليك، قال: (**ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد، إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي، فقال له النبي ﷺ: «إن الله قَدْ جَمَعَ لَكَ ذلِكَ كُلَّهُ»**)؛ يعني: معناه أن لك ذلك كله؛ يعني: أجر خطاه نازلاً إلى المسجد وأجر خطواته راجعاً إلى بيته فخطواته في ذهابه إلى المسجد تكتب بها حسنات وترفع بها درجات وتحط بها خطيئات، وهكذا آثاره راجعاً إلى بيته. يقول ﷺ للرجل: «**إن الله قَدْ جَمَعَ لَكَ ذلِكَ كُلَّهُ**».

وهكذا انتظار الصلاة بعد الصلاة إذا صلى العصر على باله المغرب، إذا صلى المغرب على باله العشاء، إذا صلى العشاء على باله الفجر، ما هو بغافل[1] على باله الصلوات ليس معناه أنه يجلس في المسجد لا يعمل، معناه أنه ينتظرها؛ يعني: يهتم منها حتى يؤديها، ليس معناه أنه يجلس ليله ونهاره في المساجد لا يعمل ولا يذهب إلى بيته لا، المقصود أنه يعتني بمراقبة الوقت وانتظاره ولو شُغل في بيته أو في مزرعته أو في دكانه فقلبه مع الصلاة معلق بالصلاة لا ينساها متى جاء وقتها بادر وسارع إليها، هكذا المؤمن في متجره في مزرعته في شُغل أهله متى جاء وقت الصلاة وسمع حي على الصلاة بادر وسارع إليها وأدّاها مع إخوانه، فهو منتظر لها مهتم منها حتى يؤديها دائماً هكذا أهل الإيمان عاملين بقوله ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [التوبة: ٧١]، وبقوله جلَّ وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩]، وبقوله ﷻ: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فأهل الإيمان

---

(١) ليس بغافل.

والتقوى يعتنون بهذا الأمر وينفذون معنى هذه الآيات الكريمات.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❋ ❋ ❋

١٣٨ ـ الثاني والعشرون: عن أبي محمد عبدِ اللهِ بنِ عمرو بن العاصِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «أَرْبَعُونَ خَصْلَةً: أَعْلَاهَا مَنِيحَةُ العَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا؛ رَجَاءَ ثَوَابِهَا وتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إلَّا أدْخَلَهُ اللهُ بِهَا الجَنَّةَ» رواه البخاري[١].

◻ (المَنيحَةُ): أنْ يُعْطِيَهُ إيَّاهَا لِيَأكُلَ لَبَنَهَا ثُمَّ يَرُدَّهَا إلَيْهِ.

١٣٩ ـ الثالث والعشرون: عن عَدِي بنِ حَاتمٍ ﷺ، قَالَ: سمعت النَّبيّ ﷺ، يقول: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بشقِّ تَمْرَةٍ» متفقٌ عليه[٢].

📖 وفي رواية لهما عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بينَهُ وبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يرى إلَّا مَا قَدَّمَ، وَينظُرُ بَيْنَ يَدَيهِ فَلَا يَرَى إلَّا النَّار تِلقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَو بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ».

١٤٠ ـ الرابع والعشرون: عن أنس ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أنْ يَأكُلَ الأَكْلَةَ، فَيَحمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا» رواه مسلم[٣].

◻ وَ(الأَكْلَةُ) بفتح الهمزة: وَهيَ الغَدْوَةُ أَو العَشْوَةُ.

---

(١) أخرجه في كتاب الهبة، باب فضل المنيحة برقم (٢٦٣١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عُذّبَ برقم (٦٥٣٩)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة... إلخ برقم (١٠١٦).

(٣) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب برقم (٢٧٣٤).

١٤١ ـ الخامس والعشرون: عن أَبي موسى ﷺ، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «عَلَى كلّ مُسْلِم صَدَقَةٌ» قَالَ: أرأيتَ إنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» قَالَ: أرأيتَ إن لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ» قَالَ: أرأيتَ إنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، قَالَ: «يَأمُرُ بِالمعْرُوفِ أوِ الخَيْرِ». قَالَ: أَرَأيْتَ إنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ» متفقٌ عليه[١].

الشَّـرح

هـذه الأحاديث الأربعة الثابتة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام كالتي قبلها في الحث على وجوه الخير وأعمال الخير، وأنه ينبغي للمؤمن أن يكون حريصاً على فعل الخيرات مسارعاً إلى الطاعات يرجو ثواب الله ويخشى عقابه ﷻ، والله جلَّ وعلا كثَّر طرق الخير ووسَّعها ﷻ حتى يتنافس العباد في ذلك، وحتى ينالوا من فضله وكرامته ما هو أهلٌ له ﷻ من الجود والكرم وحتى ينتفعوا جميعاً ويتعاونوا جميعاً على الخير، فأنواع الصلاة وأنواع الصدقات وأنواع الصيام وأنواع الذكر وأنواع المساعدات على الخير إلى غير هذا من وجوه الخير.

في هذا الحديث يقول ﷺ في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ يقول عليه الصلاة والسلام: «**أربعون خصلةً**»؛ يعني: من خصال الخير أعلاها «**مَنِيحَةُ العَنْزِ**» مَنِيحَةٌ، من أتى بخصلةٍ منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة، هذا فضل عظيم

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب كل معروف صدقة برقم (٦٠٢٢)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب بيان اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف برقم (١٠٠٨).

أربعون خصلةً أعلاها «مَنِيحَةُ العَنْزِ» تعطي جاراً لك أو قريباً عنزة يتمنحها أو بقرة يتمنحها أو خلفة يتمنحها ثم يعيدها إليك هذه مَنِيحَةٌ تُعطيها أخاك أو جارك أو قريبك أو بعض الفقراء يمتنحها يأخذ لبنها مدة من الزمن ثم يعيدها إليك فيها هذا الأجر وأنه من أسباب دخول الجنة إذا فعلت ذلك رجاء ثواب الله إخلاصاً لله ومحبة له ﷻ وتصديقاً بما وعد من الجزاء ﷻ فإنه هو القائل: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥]، وهو القائل جلَّ وعلا: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧]، وهو القائل سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، وهو القائل ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

هذا الذي لا تضيع عنده مثاقيل الذر جدير بأن تعمل لأجله وابتغاء مرضاته من عيادة مريض، من مساعدة فقير بما تيسَّر، من كلمة خير تساعد بها أخاك، ردع مظلوم عن ظلمه عن أخيك، إعانة مظلوم ردع ظالم عن ظلم أخيه كلمة معروف كلمة خير تنصحه بها، تأمره بالمعروف تنهاه عن المنكر، تعينه على حاجته إلى غير هذا من وجوه الخير، تصلى ركعتين من الضحى وأكثر، تصلي من الليل ما تيسّر، تقول: سبحان الله والحمد لله ولا إلـه إلا الله والله أكبر، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، أستغفر الله اللَّهُمَّ اغفر لي، وما أشبه ذلك، خصال الخير كثيرة، لكن الشأن كل الشأن أن تكون عن إخلاص، أن يعملها العبد عن إخلاص لله وعن رغبة فيما عند الله لا عن عادة مجرد عادة أو رياء، فيفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله ورجاء ثوابه وتصديق وعده ﷻ.

وهكذا الحديث الثاني: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بشقِّ تَمْرَةٍ**» في الحديث يقول ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ**»؛ يعني: يوم القيامة «**إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَينَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ**»؛ يعني: ليس بينه حائل وبين ربه، ربه يكلمه مباشرة ﷻ يقول: يا عبدي كذا وكذا يخاطب لم فعلت كذا ولم فعلت كذا ولم صار كذا «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَينَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ**»؛ يعني: واسطة «**فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرى إِلَّا مَا قَدَّمَ**» من أعمال خير وشر، «**وَيَنظُرُ بَيْنَ يَدَيهِ فَلا يَرَى إِلَّا النَّار تِلقَاءَ وَجْهِهِ**»، أمامه «**فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَو بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**».

الذي ما يُحصِّل صدقة، كلام طيب يقوله للفقير يرد به الفقير، إما معروف ولو قليل ولو شق تمرة وإما كلام طيب ترد به الفقير هكذا المؤمن يفعل الخير ولو قليلاً ولا يحقر القليل، وسبق أن قلت لكم في حديث سابق ثبت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (جاءتني امرأة ومعها ابنتان لها تشحذ فقيرة فلم أجد إلا ثلاث تمرات تقول عائشة رضي الله عنها: فأعطيتها الثلاث فأعطت تمرتين لبنتيها فرفعت الثالثة لفمها لتأكلها فسبقتها البنتان تطلبانها الثالثة فشقت الثالثة بينهما ولم تأكل شيئاً قالت: فأعجبني شأنها فأخبرت النبي ﷺ بذلك فقال: «**إن الله أوجب لها بها الجنة**») بهذه الرحمة شق تمرة، فينبغي للمؤمن أن يكون عنده لطف ورحمة وإحسان ورقة على الفقير والمسكين، يرجو ثواب الله ويخشى عقابه.

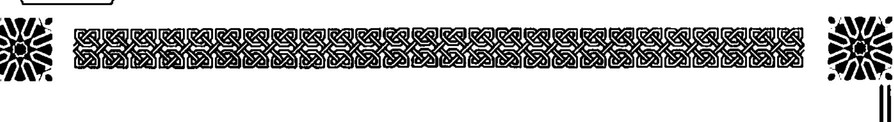
هكذا حديث أبي موسى يقول ﷺ لما سأله بعض الناس عن الصدقة ليس عنده شيء قال: «**عَلَى كلِّ مُسْلِم صَدَقَةٌ**»، قال: إن لم يجد؟ قال: «**يَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ**» الذي ما عنده مال يعمل نجاراً حداداً بناءاً يعمل يطلب الرزق، قال: فإن لم يجد ما عنده شيء، قال

في اللفظ الآخر: «تُعِينُ صَانِعاً أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ» يعين عاملاً أو يصنع لإنسان محتاج، قال: فإن لم يستطع؟ قال: «يُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ»، قال: فإن لم يستطع؟ قال: «يَأْمُرُ بِالمعْرُوفِ والخَيْرِ»؛ يعني: وينهى عن المنكر، قال: فإن لم يستطع؟ قال: «يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ» تنفع نفسه إذا كان ما يستطيع شيئاً من الخير، فأقل شيء يمسك عن الشر، يكف نفسه لا يؤذي الناس، لا بأفعاله ولا بأقواله؛ يعني: صدقة منه على نفسه، هكذا ينبغي المؤمن إما أن ينفع الناس بقوله أو بفعله، وإما أن يمسك عن الشر فلا يؤذي أحداً.

كذلك حديث أنس يقول ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ، فَيَحمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا» هذا أيضاً من آداب الأكل والشرب، الله سبحانه يرضى عن عبده إذا أكل حمد ربه أو شرب حمد ربه هذا من أسباب رضى الله جلَّ وعلا، وهو عمل صالح قليل وخفيف والله يرضى به من عبد، أن تأكل حامداً لربك وتشرب حامداً لربك، وتسمي الله في أوله وتحمد الله في آخره، هذا ممّا يرضيه ﷻ؛ لأنه هو المنعم جلَّ وعلا، وتسمي عند أكلك وشربك وتحمد ربك عند النهاية؛ لأنه هو المنعم المتفضل ﷻ.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.





١٤ - بَابُ في الاقتصاد في العبادة

قال الله تعالى: ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١ ـ ٢]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

١٤٢ ـ **وعن** عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبيّ ﷺ دخل عَلَيْهَا وعِندها امرأةٌ، قَالَ: «مَنْ هذِهِ؟» قَالَتْ: هذِهِ فُلَانَةُ تَذْكُرُ مِنْ صَلاتِهَا. قَالَ: «مهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَواللهِ لَا يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا» وكَانَ أَحَبُّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ صَاحِبُهُ عَلَيهِ.. متفقٌ عليه(١).

□ و(مهْ): كَلِمَةُ نَهْي وَزَجْر. ومَعْنَى (لَا يَمَلُّ اللهُ): لَا يَقْطَعُ ثَوَابَهُ عَنْكُمْ وَجزاء أَعْمَالِكُمْ ويُعَامِلُكُمْ مُعَامَلَةَ المَالِّ حَتَّى تَمَلُّوا فَتَتْرُكُوا، فَيَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَأخُذُوا مَا تُطِيقُونَ الدَّوَامَ عَلَيهِ لِيَدُومَ ثَوابُهُ لَكُمْ وَفَضْلُهُ عَلَيْكُمْ.

١٤٣ ـ **وعن** أنس رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبيّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبيّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِروا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا وَقَالُوا: أَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبيِّ ﷺ وَقدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ أحدُهُم: أَمَّا أنا فَأُصَلِّي اللَّيلَ أبداً. وَقَالَ الآخَرُ: وَأَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ أَبَداً وَلا أُفْطِرُ. وَقَالَ الآخر: وَأَنا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبداً. فجاء رسولُ الله ﷺ إليهم، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا واللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلى الله عزّ وجلّ أدومه برقم (٤٣)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك برقم (٧٨٥).

النِّساءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» متفقٌ عليه[١].

١٤٤ ـ وعن ابن مسعود ﷺ: أنّ النَّبيّ ﷺ، قالَ: «هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ» قالها ثَلاثاً. رواه مسلم[٢].

□ (المُتَنَطِّعونَ): المتعمقون المشددون في غير موضعِ التشديدِ.

الشَّرح

فقد سبق في الآيات السابقات وفي الأحاديث السابقة والآيات المتقدمة الحث على طرق الخير والمنافسة في أعمال الطاعة، وفي هذه الآيات والأحاديث المذكورة هنا الدلالة على الحث على الاقتصاد وعدم المشقة على النفس، حتى تمضي في الخير، وحتى لا تنقطع، فالإنسان يتوسع في الخير ويكثر من الطاعات، لكن مع المراعاة والقدرة وعدم المشقة التي قد تبعده عن العمل، وقد تمنعه من العمل وقد تملله عن العمل يقول جلَّ وعلا: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [طه: ١ ـ ٣] الله، جلَّ وعلا يخاطب نبيه بقوله: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾؛ يعني: ما أنزلناه عليك من أجل إشقائك وتكليفك ما لا تطيق، ولكنه نزل لتعليم الناس وتفقيههم وتوجيههم إلى الخير مع مراعاة الطاقة.

كما قال سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾ [الحج: ٧٨]، الله ﷻ شرع لعباده الطاعات التي يطيقونها ولم يُحملهم ما لا يُطيقون ولم يُكلفهم ما لا يطيقون، بل شرع لهم أن

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح برقم (٥٠٦٣)، ومسلم في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه... إلخ برقم (١٤٠١).

(٢) أخرجه في كتاب العلم، باب هلك المتنطعون برقم (٢٦٧٠).

ينافسوا في الخير ويسارعوا إلى الطاعات مع مراعاة الطاقة وعدم المشقة التي قد تبعد عن العمل وقد تمنع من العمل، وهكذا قوله جلَّ وعلا: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ هذا من شرعه سبحانه هذه الإرادة الشرعية؛ لأن الله جلَّ وعلا شرع لكم تعاطي اليسر وعدم التكلف والتنطع، وما لا ينبغي للمؤمن من إشقائه نفسه فيما يشرع الله له ﷻ؛ بل يعمل ما يطيق ويدع ما لا يطيق.

قال الله جلَّ وعلا: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال الله: «**قد فعلت**» ﷻ، وفي هذه الأحاديث دلالة على ذلك، منها المرأة التي دخلت على عائشة ﵂ فلما جاء النبي ﷺ: قَالَ: «**مَنْ هذِهِ؟**» قالت: فلانة تذكر من صلاتها؛ يعني: أنها كانت تقيم الصلاة بالليل وتتكلف في ذلك فقال النبي: «مهْ» كلمة زجرِ ««**عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَواللهِ لَا يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا**» وكَانَ **أَحَبُّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ صَاحِبُهُ عَلَيهِ**»».

والمقصود من هذا الحث على الاستقامة في الطريق وعدم التكلف الذي قد يعوق الإنسان عن العمل، ويُبعده عن العمل، ثم قال: «**وَإِنَّ أَحَبَّ العَمَلِ إِلَى اللهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ**»؛ يعني: «**وَإِنْ قَلَّ**».

كما في الرواية الأخرى: وإن كان قليلاً كونه يتهجد ثلاث ركعات أو بخمس ركعات في الليل، ويداوم أحسن من كونه تارة يصلي في الليل وتارة ما يصلي في الليل، فالمداومة ولو على قليل خير من الترك في بعض الأحيان وعدم المداومة، ثم كونه يصلي بقدر طاقته لا يطول حتى يشق على نفسه ويمل، ولكن يصلي قدر طاقته ويقرأ قدر طاقته ويركع قدر طاقته ويسجد قدر طاقته حتى لا يمل العبادة، وحتى لا يدعها، قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «**إن الله لا يمل حتى تملوا**» هذا وصف

يليق بالله لا يشابه بخلقه، الملل الذي ينسب إلى الله ليس كالملل الذي ينسب إلى عباده، وهكذا جميع الصفات من المحبة والرضى والغضب وغير ذلك، كلها صفات تليق بالله لا يشابه فيها خلقه ﷻ؛ والمعنى: استقيموا على العمل، استمروا في الخير حتى يحصل لكم من فضل الله وثوابه الخير الدائم والأجر الدائم.

وهكذا قصة الثلاثة الذين جاؤوا ودخلوا على بيوت النبي ﷺ وسألوا أزواج النبي ﷺ عن عمل النبي في السر، فأخبرهم أزواج النبي ﷺ بعمله وكأنهم تقالوا ذلك، وقالوا: (أين نحن من رسول الله، من منَّا مِثْلَهْ لسنا مثله، هو مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وإنّا لسنا كذلك، فقال بعضهم: أما أنا فأصلي ولا أنام أبداً، وقال الآخر: وأما أنا فأصوم ولا أفطر أبداً، وقال الآخر: وأما أنا فأعتزل النساء فلا أتزوج)، في لفظ آخر: (أما أنا فلا أنام على فراش، والآخر قال: أما أنا فلا آكل اللحم)، إلى غير هذا من التكلف، فلما بلغ النبي ﷺ ذلك خطب الناس حمد الله وأثنى عليه وقال «**أَمَا واللهِ إنِّي لأخْشَاكُمْ للهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ**»، يحلف ﷺ وهو الصادق أنه أخشى الناس لله، وأتقاهم لله، ولكنه لا يتكلف ولا يعمل ما لا يطيق، عليه الصلاة والسلام، أما والله إني أخشاكم لله وأتقاكم له، في اللفظ الآخر «**أَمَا واللهِ إنِّي لأخْشَاكُمْ للهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّساءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**» «**وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّساءَ**»، في اللفظ الآخر: «**وآكل اللحم وأنام على الفراش، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني**».

هذا فيه التيسير والتسهيل، الإنسان يصلي إذا تيسر وينام حتى يستطيع العمل في نهاره، في أوقاته الأخرى يصوم ويفطر لا يستمر، يصوم يوماً ويفطر يوماً، يصوم الاثنين والخميس، يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، أما أن يصوم دائماً دائماً لا؛ نهى النبي عليه الصلاة والسلام عنه لما فيه من

المشقة وقال: «**أفضل الصيام صيام داوود**»؛ يعني: التطوع كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، عليه الصلاة والسلام، وكان النبي يصوم يوم الاثنين والخميس، عليه الصلاة والسلام فإذا شُغل عنهما تركهما وأفطر ثم صام في الأيام الأُخرى التي فيها سعة له، عليه الصلاة والسلام هكذا المؤمن يتحرى أوقات الخير يصوم الاثنين والخميس إذا تيسَّر ذلك، وإذا شُغل وأفطر فلا بأس يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، وإذا صام الأيام البيض كان أفضل، وإذا شُغل عن ذلك ترك، ولا حرج؛ لأنها نافلة من النوافل، قال: «**وَأَتَزَوَّجُ النِّساءَ**» كذلك يتزوج مأمور بالزواج الله جلَّ وعلا قال: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣]، وقال: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [النور: ٣٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**»[1] فالله جلَّ وعلا ورسوله أمر بالزواج، فالتبتل وعدم الزواج أمر منكر لا يجوز، ووسيلة إلى الشر والفساد وقلة النسل وفساد المجتمع.

فالواجب على من قدر أن يتزوج وأن يعف نفسه ويغض بصره ويتسبب في وجود الأولاد وتكثير الأُمة؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الثالث: «**هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ**» «**هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ**» «**هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ**» المتنطع المتشدد المبتدع الزائد الذي لا يرضى بما شرع الله له، بل يزيد ويتكلف ويتنطع في شيء ما شرعه الله له، جلَّ وعلا، فالمبتدعون والمتشددون وصفهم النبي أنهم هالكون؛ لكونهم جاوزوا

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم برقم (٥٠٦٦)، ومسلم في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤونة واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم برقم (١٤٠٠).

الحدود، وتعدوا الحدود ولم يقفوا عند الشرع المطهر؛ فلهذا قال فيهم النبي: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**»، «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**» «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**» فدلَّ ذلك على أن الواجب الاقتصاد في العبادة والتقيد بالشرع وعدم الزيادة على الشرع، كما قال ﷻ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١] هذا ذم لهم، وعيب لهم، وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[(١)].

يعني: فهو مردود عليه فعلى المسلمين جميعاً أن يتقيدوا بشرع الله، وأن يقفوا عند شرع الله، وأن يعملوا به من دون زيادة ولا نقص.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❋ ❋ ❋

١٤٥ ـ عن أبي هريرةَ ﵁، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّيْنُ أَحَدٌ إلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ» رواه البخاري[(٢)].

📖 وفي روايةٍ لَهُ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، القَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا».

▫ قوله: (الدِّينُ): هُوَ مرفوع عَلَى مَا لَمْ يسم فاعله. وروي منصوباً وروي لن يشادَّ الدينَ أحدٌ. وقوله ﷺ: (إلا غَلَبَهُ)؛ أي: غَلَبَهُ الدِّينُ وَعَجَزَ ذلِكَ المُشَادُّ عَنْ مُقَاوَمَةِ الدِّينِ لِكَثْرَةِ طُرُقِهِ. وَ(الغَدْوَةُ): سير أولِ النهارِ. وَ(الرَّوْحَةُ): آخِرُ النهارِ. وَ(الدُّلْجَةُ): آخِرُ اللَّيلِ.

▫ وهذا استعارة وتمثيل، ومعناه: اسْتَعِينُوا عَلَى طَاعَةِ اللهِ ﷻ بِالأَعْمَالِ في

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور برقم (١٧١٨).

(٢) أخرجه في كتاب الإيمان، باب الدين يسرٌ برقم (٣٩).

وَقْتِ نَشَاطِكُمْ وَفَرَاغِ قُلُوبِكُمْ بِحَيثُ تَسْتَلِذُّونَ العِبَادَةَ، ولا تَسْأَمُونَ وتبلُغُونَ مَقْصُودَكُمْ، كَمَا أَنَّ المُسَافِرَ الحَاذِقَ يَسيرُ في هذِهِ الأَوْقَاتِ ويستريح هُوَ وَدَابَّتُهُ في غَيرِهَا فَيَصِلُ المَقْصُودَ بِغَيْرِ تَعَب، واللهُ أعلم.

١٤٦ ـ وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: دَخَلَ النَّبيُّ ﷺ المَسْجِدَ فَإذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الحَبْلُ؟» قالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ، فَإذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ بِهِ. فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «حُلُّوهُ، لِيُصلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإذَا فَتَرَ فَلْيَرْقُدْ» متفقٌ عليه(١).

١٤٧ ـ وعن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّومُ، فإنَّ أحدكم إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ» متفقٌ عليه(٢).

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها من الأحاديث فيها الحث والتحريض من النبي عليه الصلاة والسلام على القصد في العبادة وعدم التكلف وعدم التشديد على النفس بما يقطعها عن السير، فالله جعل هذا الدين يُسراً ولم يجعله عُسراً ونفى عن عباده الحرج فقال سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال ﷻ: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، فالواجب على المؤمن أن يحذر ما

(١) أخرجه البخاري في التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة برقم (١١٥٠)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته أو.... إلخ برقم (٧٨٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب الوضوء من النوم... إلخ برقم (٢١٢)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب أمر من نعس في صلاته أو.... إلخ برقم (٧٨٦).

حرم الله عليه وأن يقتصد في العبادة حتى لا يملها وحتى لا يدعها؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا»؛ يعني: عليكم بالقصد في العبادة، تسديد، تحري الحق، وتحري الصواب والمقاربة للخير وعدم البعد عن الخير، فيتحرى الخير ويتحرى القُرب منه ويتحرى فعله حتى يوافق ما شرع اللهُ ﷻ ثم يبشره النبي «وأبشروا»؛ يعني: العبد ما دام يتحرى الخير ويقصده ويُريده ويطلبه جاهداً طالباً للحق مخلصاً لله، فإن الله يُعينه ويُسدده، كما قال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

ثم قال: «وَاغْدُوا وَرُوحُوا»، في اللفظ الآخر «وَاسْتَعِينُوا بِالغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»؛ يعني: تحروا أوقات النشاط وأوقات القوة، وإذا جاء وقت الفتور والضعف، فليترك الإنسان العمل حتى لا يمله وحتى لا ينقطع، فإن المُنبت في السير لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى كالذي يستمر في السير على راحلته ولا يُريحها تنقطع، والنفس مطية الإنسان وهي الوسيلة إلى أداء حق الله وترك ما حرم الله، الواجب أن يرفق بها ويتحرى فيها نشاطها وقوتها في تهجده بالليل وفي سائر أعماله، حتى لا ينقطع عن العبادة وعن الخير.

وهكذا قوله ﷺ: «إذا نعس أحدكم وهو يصلي، فليرقد»، فإنه إذا قام يصلي وهو ناعسٌ وربما يريد أن يستغفر فيسب نفسه؛ لأنه ما يشعر، ما عنده بصيرة، ما عنده عقل، فينبغي له في هذه الحالة أن يرفق بنفسه، وألا يُشدد عليها، بل يرفق بها في عمله وسيره إلى الله ﷻ لعله يصل المطلوب من دون مشقة ومن دون انقطاع عما شرع الله له ﷻ.

كذلك حديث زينب، قصة زينب: كانت تمُدُ حبلاً تتعلق به إذا

فترت بالليل؛ يعني: في التهجد بالليل من شدة حرصها على العبادة رضي الله عنها وهي أُم المؤمنين بنت جحش الأسدية، فأمر بقطع الحبل وقال: «**حُلُّوهُ، لِيُصلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَرْقُدْ**» هكذا في التهجد بالليل، يصلي ما تيسر يتهجد بثلاث بخمس بسبع بأكثر، لكن إذا فتر وضعف ينام يستريح، حتى يقوى على العمل في النهار، ولا يكلف نفسه ما لا يطيق، كان النبي ﷺ ينام ويقوم، عليه الصلاة والسلام، ما يصلي الليل كله، كان الغالب عليه يصلي ما تيسر في آخر الليل، عليه الصلاة والسلام، وهكذا في الصوم، وهكذا في بقية العبادات، يتحرى المؤمن نشاطه، كان يصوم الاثنين والخميس، عليه الصلاة والسلام، وربما ترك ذلك أياماً كثيرة ثم يعود للصيام، عليه الصلاة والسلام، على حسب الفراغ والشغل، وهكذا في بقية الأمور من الصدقات والحج والجهاد وغير ذلك، يتحرى قوته ويتحرى نشاطه ويسره حتى ينفق مع اليُسر، وحتى يقف عند العُسر، يتحرى نشاطه في أنواع العبادة، من الذكرِ والحج والعمرة والجهاد وغير ذلك، حتى يعمل ما يستطيع وحتى يقف عما لا يستطيع؛ لئلا ينقطع.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

***

١٤٨ ـ وعن أَبي عبد الله جابر بن سمرة رضي الله عنهما، **قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الصَّلَوَاتِ، فَكَانَتْ صَلاتُهُ قَصْداً وَخُطْبَتُهُ قَصْداً.** رواه مسلم(١).

□ قوله: (قَصْداً)؛ أي: بين الطولِ والقِصرِ.

١٤٩ ـ وعن أَبي جُحَيْفَة وَهْب بنِ عبد اللهِ رضي الله عنه، **قَالَ: آخَى النَّبيُّ ﷺ**

(١) أخرجه في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة برقم (٨٦٦).

بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبي الدَّرْداءِ، فَزارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرداءِ فَرَأى أُمَّ الدَّرداءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أخُوكَ أَبُو الدَّردَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ في الدُّنْيَا، فَجاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَاماً، فَقَالَ لَهُ: كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أنا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ فأكل، فَلَمَّا كَانَ اللَّيلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرداءِ يَقُومُ فَقَالَ لَهُ: نَمْ، فنام، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ لَهُ: نَمْ. فَلَمَّا كَانَ من آخِرِ اللَّيلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُم الآن، فَصَلَّيَا جَمِيعاً فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيكَ حَقّاً، وَلأَهْلِكَ عَلَيكَ حَقّاً، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذلِكَ لَهُ فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ» رواه البخاري[1].

الشَّرح

هذان الحديثان الصحيحان يدلان على أن المشروع للمؤمن الاقتصاد في العبادة، وألّا يشدد على نفسه فيشدد الله عليه، وأن يؤدي حق ربه، وحق أهله، وحق ضيفه، وحق نفسه، وتقدم قوله ﷺ: **«إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّيْنُ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»** ثم قال: **«القَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا»**؛ يعني: الزموا القصد في العبادة، وتقدم أيضاً قوله ﷺ: **«هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ»**؛ يعني: المتشددون في العبادة المتكلفون، وتقدم قوله ﷺ للذين سألوا عن عمله عليه الصلاة والسلام فلما أُخبروا كأنهم تقالوا ذلك، وقالوا: أين نحن من رسول الله ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ثم قالوا فيما

---

(١) أخرجه في كتاب الأدب، باب صنع الطعام والتكلف للضيف برقم (٦١٣٩)، وفي كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع برقم (١٩٦٩).

بينهم، قال أحدهم: أما أنا فأصلي ولا أنام، قال الآخر: وأما أنا فأصوم ولا أُفطر، وقال الثالث: أما أنا فلا آكل اللحم، وقال الآخر: فلا أنام على فراش، وقال آخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، فلما أُخبر النبي بذلك عليه الصلاة والسلام خطب الناس وحمد الله وأثنى عليه وقال: «**أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ**» «**أَمَا وَاللهِ**» يحلف ﷺ وهو الصادق وإن لم يحلف عليه الصلاة والسلام: «**إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ**»؛ المعنى: ليس تركي بعض العمل من أجل عدم الخشية لله والتقوى، لا، ولكن لما شرع الله من التيسير والتسهيل؛ ولهذا قال: «**لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وآكل اللحم فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**» فحثهم على القصد في العبادة وعدم التكلف.

قال جابر بن سمرة رضي الله عنه: صليت مع النبي ﷺ وسمعت خطبته فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً؛ يعني: كان يقتصد في الصلاة وفي الخطبة ما كان يطيل على الناس إطالة تشق عليهم في صلاته، وما كان يطيل في خطبه إطالة تشق عليهم، بل كان يقتصد في الصلاة ويقتصد في العبادة، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**أَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الحَاجَةِ**»(١).

فتكون صلاته وسطاً كفعل النبي عليه الصلاة والسلام كان يصلي صلاةً وسطاً يطمئنُ فيها ويركدُ فيها عليه الصلاة والسلام، ولكنه لا يطيل إطالة تشقُ على الناس، بل ربما عُدَّ له في الركوع والسجود نحو من عشر تسبيحات، وكان يقول في سجوده وركوعه: «**سبحانك اللَّهُمَّ ربنا وبحمدك اللَّهُمَّ أغفر لي**»، وكان يطمئن بين السجدتين، ويطمئن بعد الركوع إذا

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب تخفيف الإمام في القيام وإتمام الركوع والسجود برقم (٧٠٢)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام برقم (٤٦٦).

اعتدل، ولا يعجل عليه الصلاة والسلام، هذا هو التخفيف الذي شرعه لأمته، تخفيف معه تمام ليس معه نقر، بل تخفيف فيه التمام وفيه الكمال؛ ولهذا قال جابر بن سمرة: صليت مع النبي ﷺ فكانت صلاته قصداً، وخطبته قصدا، وقد يطيل في بعض الأحيان الخطبة لأسباب تعرض، ولكن الغالب أنه كان يختصرها، عليه الصلاة والسلام في الجُمع وفي الأعياد وفي غير ذلك؛ لأن لا يمل الناس، وليعقلوا ويفهموا ما يقال لهم.

وفي حديث أبي الدرداء وسلمان الفارسي أيضاً دلالة على القصد في العبادة، وعدم التكلف، فإن الرسول ﷺ آخى بين سلمان وأبي الدرداء، سلمان من المهاجرين وأبو الدرداء من الأنصار آخى بينهم أخوة الإسلام والتعاون على الخير، فزار سلمان أبا الدرداء ذات يوم فوجد أُم الدرداء زوجة أبي الدرداء متبذلة ليس عندها ما يدل على اكتراثها من الزوج وعنايتها بشؤونه، فقال: ما شأنكِ؟ قالت: إن أبا الدرداء ليس له حاجة في الدنيا؛ يعني: أنه مُقبلُ على العبادة لا يعرف أهله، ولا يلتفت لأهله، بل هو مشغول بالعبادة، والصيام والذكر والقراءة ونحو ذلك، فلما حضر الغداء قدم أبو الدرداء الغداء لسلمان ليأكل، فقال سلمان: كُل أنت فقال: أنا صائم، قال: لا آكل حتى تأكل، فأفطر أبو الدرداء؛ لأنه متنفل والمتنفل له أن يفطر لإكرام ضيفه ولا سيما إذا شدد ضيفه عليه، فالمتطوع أمير نفسه، وإذا رأى المصلحة في الإفطار أفطر، فأفطر أبو الدرداء وأكل معه فلما كان الليل أراد أبو الدرداء أن يقوم من أول الليل على عادته فقال: نم، ثم أراد أن يقوم في وسط الليل فقال: نم، فلما كان آخر الليل قال: قم في الثلث الأخير فقام وصليا جميعاً، وقال سلمان لأبي الدرداء: **(يا أبا الدرداء إن لربك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً**؛ يعني: زوجتك، **فأعط كل ذي حق حقه)**.

فلما أصبحا جاء أبو الدرداء إلى النبي ﷺ وأخبره بما قال سلمان: فقال النبي ﷺ: **«صَدَقَ سَلْمَانُ»**؛ يعني: إن لربك عليك حقاً، وإن لضيفك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً،

وهكذا قال النبي لعبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، كان عبد الله بن عمرو يقوم الليل ويصوم النهار دائماً ويختم كل ليلة القرآن، فقال له النبي ﷺ: **«يا عبد الله فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقّاً وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقّاً وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حقّاً فَصُمْ وأفطر ونم وقم وَاقْرَإِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ»** قال: يا رسول الله إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ من ذلك قال: **«أَفْطِرْ يَوْمَيْنِ وَصُمْ يَوْماً»** قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قال: **«صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةً»** قال: إني أطيق أفضل من ذلك قال: **«صم يوماً وأفطر يوماً»** وهذا صيام داود عليه الصلاة والسلام وهو أفضل الصيام، شطر الدهر نصف الدهر؛ يعني: يصوم يوماً ويوماً يفطر، فالتزم عبد الله بن عمرو بذلك، فلما كبرت سنه وشاخ وضعف قال: يا ليتني قبلت رخصة رسول الله عليه الصلاة والسلام في صيام ثلاثة أيام من كل شهر، لكنه كره أن يترك شيئاً فارق عليه النبي ﷺ فاستمر يصوم يوماً ويفطر يوماً، حتى في شيخوخته وكبر سنه، وكان إذا ضعف صام أياماً متتالية ثم أفطر مثلها أياماً متتالية يتقوى بهذه على هذه.

المقصود أنه ﷺ علَّم أصحابه عدم التكلف؛ لأن الإنسان تعرض له عوارض، يعرض له ضيوف، يعرض له مرض، يعرض له شيخوخة وكبرُ سن، فالمشروع للمؤمن الاقتصاد في العبادة، مع الحرص على الخير والمسارعة إلي الخيرات، لكن مع مراعاة القصد وعدم التكلف الذي يمنع الإنسان من حق ضيفه، أو حق أهله، أو حق قرابته، أو حق المسلمين، يكون متوسطاً في ذلك بعد أداء الفرائض وترك المحارم، يتوسط في التنفلات من صوم وصلاة وقراءة وغير ذلك، حتى يجمع بين المصالح، يجمع بين العبادة وبين حق الضيف وبين حق الأهل وبين كسب الحلال وطلب الحلال، هكذا ينبغي للمؤمن.

وفَّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

١٥٠ ـ **وعن** أبي محمد عبدِ اللهِ بنِ عَمْرو بن العاصِ ﷺ، قَالَ: أُخْبرَ النَّبيُّ ﷺ أنِّي أقُولُ: وَاللهِ لأَصُومَنَّ النَّهارَ، وَلأَقُومَنَّ اللَّيلَ مَا عِشْتُ. فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «أنتَ الَّذِي تَقُولُ ذلِكَ؟» فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتُهُ بأبي أنْتَ وأمِّي يَا رسولَ الله. قَالَ: «فَإنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذلِك فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَنَمْ وَقُمْ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاثَةَ أيَّام، فإنَّ الحَسَنَةَ بِعَشْرِ أمْثَالِهَا وَذَلكَ مِثلُ صِيامِ الدَّهْرِ» قُلْتُ: فَإنِّي أُطيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذلِك، قَالَ: «فَصُمْ يَوماً وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ» قُلْتُ: فَإنِّي أُطِيقُ أفضَلَ مِنْ ذلِك، قَالَ: «فَصُمْ يَوماً وَأفْطِرْ يَوماً فَذلِكَ صِيَامُ دَاوُد ﷺ، وَهُوَ أَعْدَلُ الصيامِ».

📖 وفي رواية: «هُوَ أَفْضَلُ الصِّيامِ» فَقُلْتُ: فَإنِّي أُطيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذلِكَ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «لا أفضَلَ مِنْ ذلِك»، وَلأنْ أكُونَ قَبِلْتُ الثَّلاثَةَ الأيَّامِ الَّتي قَالَ رَسُول الله ﷺ أحَبُّ إليَّ مِنْ أهْلي وَمَالي.

📖 وفي رواية: «أَلَمْ أُخْبَرْ أنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وتَقُومُ اللَّيلَ؟» قُلْتُ: بَلَى، يَا رَسُول الله، قَالَ: «فَلَا تَفْعَلْ: صُمْ وَأَفْطِرْ، وَنَمْ وَقُمْ؛ فإنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإنَّ لِعَيْنَيك عَلَيْك حَقّاً، وَإنَّ لِزَوْجِك عَلَيْك حَقّاً، وَإنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْك حَقّاً، وَإنَّ بِحَسْبِكَ أنْ تَصُومَ في كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أيَّامٍ، فإنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أمْثَالِهَا، فَإنَّ ذلِكَ صِيَامُ الدَّهْر» فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُول الله، إنِّي أجِدُ قُوَّةً، قَالَ: «صُمْ صِيَامَ نَبيِّ الله دَاوُد وَلَا تَزد عَلَيهِ» قُلْتُ: وَمَا كَانَ صِيَامُ دَاوُد؟ قَالَ: «نِصْفُ الدَّهْرِ» فَكَانَ عَبدُ الله يقول بَعدَمَا كَبِرَ: يَا لَيتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَة رَسُول الله ﷺ. وفي رواية: «أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ الدَهرَ، وَتَقْرَأُ القُرآنَ كُلَّ لَيْلَة؟» فقلت: بَلَى، يَا رَسُول الله، وَلَمْ أُرِدْ بذلِك إلَّا الخَيرَ، قَالَ:

«فَصُمْ صَومَ نَبيِّ اللهِ دَاوُد، فَإنَّهُ كَانَ أعْبَدَ النَّاسِ، وَاقْرَأ القُرْآنَ في كُلِّ شَهْر» قُلْتُ: يَا نَبيَّ اللهِ، إنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذلِكَ؟ قَالَ: «فاقرأه في كل عشرين» قُلْتُ: يَا نبي الله، إني أطيق أفضل من ذلِك؟ قَالَ: «فَاقْرَأهُ في كُلِّ عَشْر» قُلْتُ: يَا نبي اللهِ، إنِّي أُطيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذلِكَ؟ قَالَ: «فاقْرَأهُ في كُلِّ سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَى ذلِكَ» فشدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ وَقالَ لي النَّبيّ ﷺ: «إنَّكَ لا تَدرِي لَعَلَّكَ يَطُولُ بِكَ عُمُرٌ» قَالَ: فَصِرْتُ إِلَى الَّذِي قَالَ لي النَّبيُّ ﷺ. فَلَمَّا كَبِرْتُ وَدِدْتُ أنِّي كُنْتُ قَبلتُ رُخْصَة نَبيِّ الله ﷺ.

📖 وفي رواية: «وَإنَّ لِوَلَدِكَ عَلَيْكَ حَقّاً». وفي رواية: «لَا صَامَ مَنْ صَامَ الأَبَدَ» ثلاثاً.

📖 وفي رواية: «أَحَبُّ الصِيَام إلَى اللهِ تَعَالَى صِيَامُ دَاوُد، وَأَحَبُّ الصَّلاةِ إلَى اللهِ تَعَالَى صَلاةُ دَاوُدَ: كَانَ ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وَلَا يَفِرُّ إذَا لاقَى».

📖 وفي رواية قال: أنْكَحَني أَبي امرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَكَانَ يَتَعَاهَدُ كنَّتَهُ؛ أي: ـ امْرَأَةَ وَلَدِهِ ـ فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْلِهَا. فَتقُولُ لَهُ: نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشاً، وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفاً مُنْذُ أَتَيْنَاهُ. فَلَمَّا طَالَ ذلِكَ عَلَيهِ ذَكَرَ ذلك للنَّبيِّ ﷺ، فَقَالَ: «القنِي بِهِ» فَلَقيتُهُ بَعد ذلك، فَقَالَ: «كَيْفَ تَصُومُ؟» قُلْتُ: كُلَّ يوم، قَالَ: «وَكَيْفَ تَخْتِمُ؟» قُلْتُ: كُلَّ لَيْلَةٍ، وَذَكَرَ نَحْوَ مَا سَبَقَ، وَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى بَعْضِ أهْلِهِ السُّبُعَ الَّذِي يَقْرَؤُهُ، يَعْرِضُهُ مِنَ النَّهَارِ لِيَكُونَ أخفّ عَلَيهِ باللَّيلِ، وَإذَا أَرَادَ أَنْ يَتَقَوَّى أفْطَرَ أيَّاماً وَأحصَى وَصَامَ مِثْلَهُنَّ كرَاهِيَةَ أنْ يَترُكَ شَيئاً فَارَقَ عَلَيهِ النَّبيَّ ﷺ كل هذه الروايات

صحيحةٌ معظمها في الصحيحين(١)، وقليل مِنْهَا في أحدِهِما.

الشَّـرْح

فهذه روايات حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﭬ وعبد الله بن عمرو صحابي جليل وأبوه كذلك صاحبي، كلاهما من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، كان عبد الله من أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصياماً وقراءة، وكان زوّجه أبوه فكانت المرأة تشكو حالها معه وتقول له: لم يطأ لنا فراشاً ولم يُفتش لنا كنفاً؛ يعني: شغل بالعبادة ليلاً ونهاراً، في النهار صائم وفي الليل قائم، ما بين صلاة وقراءة، فأخبر والده النبي عليه الصلاة والسلام فقال: **«القني بِهِ»**.

وفي رواية أن النبي زاره عليه الصلاة والسلام في بيته ليكون ذلك أعظم في العظة، فسأله عن حاله وقال له: بلغني أنك تصوم النهار وتقوم الليل وتقرأ القرآن كل ليلة، قال: نعم يا رسول الله وما أردت إلا الخير لم أُرد إلا خيراً، فقال عليه الصلاة والسلام: **«صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ إِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ»** واختم القرآن في كل شهر، فقال: يا رسول الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال: **«صم يوماً وأفطر يومين واختم القرآن في كل عشرين»** قال: إني أطيق أفضل من ذلك قال: **«صم يوماً وأفطر يوماً وذلك صيام داود»** وكان أعبد الناس عليه الصلاة والسلام، داود نبي الله كان ملكاً نبياً عليه الصلاة والسلام، فقال: إني أطيق أفضل من

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﭬ أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب صوم الدهر برقم (١٩٧٦)، ومسلم في كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوَّت به حقاً أو لم يفطر العيدين والتشريق وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم برقم (١١٥٩).

ذلك؛ يعني: أفضل من صوم يوم وإفطار يوم قال: «**لا أفضل من ذلك**»؛ يعني: هذا هو أفضل الصيام في التطوع، أن يصوم يوماً ويفطر يوماً هذا أفضل الصيام في التطوع «**واقرأ القرآن في كل سبع ولا تزد على ذلك**» وفي الرواية الأُخرى أنه ألح عليه الصلاة والسلام وقال: «**اقرأه في ثلاث**».

فاستقر الأمر على ما قاله له النبي ﷺ أنه يصوم يوماً ويفطر يوماً ويقرأ القرآن في كل سبع أو في كل ثلاث، ويقوم وينام في الليل لا يتهجد الليل كله، وأرشده النبي ﷺ وقال له: «**فَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقّاً**» إن لنفسك عليك حقاً ولعينك عليك حقاً وفي اللفظ الآخر: «**إن لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقّاً ولِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقّاً**» وهو الزور زورك؛ يعني: ضيفك، «ولأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقّاً فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ» قال: «**إِنَّكَ لا تَدرِي لَعَلَّكَ يَطُولُ بِكَ عُمُرٌ**»، فطال عمره ومتع رضي الله عنه فكان يتمنى أنه قبل الرخصة ويقول: يا ليتني قبلت رخصة رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ يعني: في صيام ثلاثة أيام من كل شهر وختم كل شهر، قال: ولأن أكون قبلت رخصة رسول الله عليه الصلاة والسلام في أن أصوم ثلاثة أيام أحب إلي من أهلي ومالي، لكنه كره أن يترك شيئاً فارق عليه النبي ﷺ هو تطوع ما هو بلازم، لكن حرصه على الخير ومن محبته إلى أن يستمر على الحالة التي فارق عليه النبي ﷺ كره أن يغير بعد موت النبي عليه الصلاة والسلام، فأحب أن يبقى على ما كان عليه في عهده عليه الصلاة والسلام، وكان يصوم يوماً، ويفطر يوماً ويقوم من نصف الليل ينام النصف ويقوم ثلثه وينام سدسه، ويختم كل أسبوع أو كل ثلاث، كما في الرواية الأخرى.

فلما طال به العمر وضعف جسمه صار يصوم أياماً متعددة ثم يفطر

مثلها حتى يتقوى بدل ما يصوم ويفطر يوماً يصوم أياماً متعددة خمساً أو ستاً أو أكثر ثم يفطر مثلها أياماً حتى يحصل له أنه صام يوماً وأفطر يوماً رضي الله عنه وأرضاه.

ففي هذا الحديث ورواياته الدلالة على أنه ينبغي للمؤمن ألّا يتكلف وألّا يشق على نفسه وأن يختار ما هو الأيسر والأفضل حتى يتمكن من أداء حق الصاحب وحق الزوج وحق الأولاد، وحتى يتمكن من طلب الرزق وطلب الحلال ولا يشق على نفسه. كان النبي ﷺ أفضل الناس وأعبد الناس عليه الصلاة والسلام ومع هذا كان يصوم ثلاثة أيام من الشهر، يصوم الاثنين والخميس، عليه الصلاة والسلام، وإذا عرض له عارض أفطر، ربما جاءته الوفود أو جاءته مشاغل فكان يفطر الأيام الطويلة، حتى قالت عائشة وابن عباس رضي الله عنهما: إنه كان يصوم حتى يقال: لا يفطر، ويفطر حتى يقال: لا يصوم؛ يعني: كان ربما تابع الصوم وربما تابع الإفطار، عليه الصلاة والسلام على حسب الفراغ والمشاغل.

وفي هذا الدلالة على أن أفضل الصيام الذي يطوع به الإنسان أفضله أن يصوم يوماً ويفطر يوماً، اذا قدر على ذلك، هذا أفضل الصيام، وأفضل الصلاة أن ينام النصف الأول من الليل؛ يعني: بعد العشاء ينام النصف ويقوم الثلث الذي بعد النصف ثم ينام السدس الأخير، حتى يتقوى به على أعمال النهار، فإن قام الثلث الأخير واكتفى به ونام الثلثين الأولين كان ذلك أيضاً حسناً؛ لأن الثلث الأخير فيه التنزل الإلٰهي كما في الحديث الصحيح يقول ﷺ: **«يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»** وفي اللفظ الآخر يقول: **«هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ»**.

هذا وقت التهجد إما الثلث الرابع والخامس وإما الثلث الأخير، الثلثان الأخيران، هذا أفضل التهجد في الليل، والإنسان يقوم ما تيسر له ولو ساعة قليلة ولو ثلاث ركعات ولو ركعة في آخر الليل يطوع بها وتراً، فاتقوا الله ما استطعتم، ينبغي للمؤمن أن يتحرى نشاطه ويتحرى قوته فيفعل ما يستطيع من التطوعات في الليل والنهار، مع القيام بالواجب من حق الأهل ونفقة الأهل وحق الضيف وطلب الرزق، حتى لا يتعطل عن طلب الرزق الحلال، وحتى لا يُعطل أهله ويُعطل حقوقهم، وحتى لا يُعطل ضيفه، فالضيف له حق والزوجة لها حق والأولاد وبقية الأهل لهم حق أن يجلس معهم ويتحدث معهم يقوم بحقوقهم، وهكذا نفسه تحتاج إلى حق تحتاج إلى راحة إلى نوم حتى تستطيع القيام بالأعمال التي فرضها الله عليها، والمُنبت الذي ليس له راحة، لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، ينتهي به الأمر إلى أن يتعطل فيجلس ويقعد به بسبب التعب الكثير وعدم الراحة.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

***

١٥١ ـ وعن أبي رِبعِي حنظلة بنِ الربيعِ الأُسَيدِيِّ الكاتب أحدِ كتّاب رَسُول الله ﷺ، قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكر رضي الله عنه، فَقَالَ: كَيْفَ أنْتَ يَا حنْظَلَةُ؟ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ! قَالَ: سُبْحَانَ الله مَا تَقُولُ؟! قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُول الله ﷺ يُذَكِّرُنَا بالجَنَّةِ وَالنَّارِ كأنَّا رَأيَ عَيْنٍ فإذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُول الله ﷺ عَافَسْنَا الأَزْواجَ وَالأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسينَا كَثِيراً، قَالَ أَبُو بكر رضي الله عنه: فَوَالله إنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فانْطَلَقْتُ أَنَا وأَبُو بَكر حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُول الله ﷺ فقُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُول اللهِ! فَقَالَ رَسُول الله ﷺ:

«وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُول اللهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ والجَنَّةِ كأنَّا رَأيَ العَيْن فإذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسينَا كَثِيراً. فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسي بِيَدِهِ، لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونونَ عِنْدِي، وَفي الذِّكْر، لصَافَحَتْكُمُ الملائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفي طُرُقِكُمْ، لَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَات. رواه مسلم(١).

▫ قولُهُ: (رِبْعِيّ) بِكسر الراء. وَ(الأُسَيِّدِي) بضم الهمزة وفتح السين وبعدها ياء مكسورة مشددة. وقوله: (عَافَسْنَا) هُوَ بِالعينِ والسينِ المهملتين أي: عالجنا ولاعبنا. وَ(الضَّيْعاتُ): المعايش.

١٥٢ ـ وعن ابن عباس ﷺ، قَالَ: بينما النَّبيُّ ﷺ يخطب إِذَا هُوَ برجلٍ قائم فسأل عَنْهُ، فقالوا: أَبُو إسْرَائيلَ نَذَرَ أنْ يَقُومَ في الشَّمْسِ وَلَا يَقْعُدَ، وَلَا يَسْتَظِل، وَلَا يَتَكَلَّمَ، وَيَصُومَ، فَقَالَ النَّبيّ ﷺ: «مُرُوهُ، فَلْيَتَكَلَّمْ، وَلْيَسْتَظِلَّ، وَلْيَقْعُدْ، وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ» رواه البخاري(٢).

﴿ الشـَرح ﴾

فهذان الحديثان كالأحاديث السابقة الثابتة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام التي فيها الحث والتحريض على الاقتصاد في العبادة وعدم التكلف وعدم التنطع وعدم التشديد، الله ﷻ يسَّر لعباده وسهَّل عليهم ولم يكلفهم ما لا يطيقون، قال ﷻ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، قال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال ﷻ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]،

---

(١) أخرجه في كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا برقم (٢٧٥٠).

(٢) أخرجه في كتاب الأيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية برقم (٦٠٧٤).

وسبق في الأحاديث قوله عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّيْنُ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا**» هذا توجيهه عليه الصلاة والسلام في هذا الأمر، وهو التسديد والمقاربة والعناية بالعبادة في أوقات النشاط ولزوم القصد فليلزم القصد في العبادة وعدم التكلف.

تقدم حديث سلمان حين قال لأبي الدرداء: (إن **لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقّاً وَلِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقّاً ولأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقّاً فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ**) فلما أُخبر النبي بهذا قال: «**صدق سلمان صدق سلمان**» تقدم قوله لعبد الله بن عمر يا عبد الله «إن **لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقّاً وَلِجَسَدِكَ عليك حقاً وَلِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقّاً ولأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقّاً فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ**» فكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يصوم النهار ويقوم الليل ويختم في كل ليلة فأخبره النبي ﷺ أنه لا يطيق هذا الأمر وأن عليه القصد في العبادة وأمره أن يصوم ثلاثة أيام كل شهر ويكفيه ذلك، فالحسنة بعشر أمثالها وقال له: «**صم وأفطر ونم وقم**» فلما شدد قال له عليه الصلاة والسلام: «**اختم في كل شهر**» فلم يزل حتى قال: «**فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ**» ثم قال: «**فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ ثَلَاثٍ**» وقال: «**فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ** عليه السلام **كَانَ يَصُومُ يَوْماً وَيُفْطِرُ يَوْماً، وَلَا يَفِرُّ إِذَا لَاقَى**» عليه الصلاة والسلام، وهذا أفضل الصيام في التطوع فيصوم يوماً ويفطر يوماً وكان نبي الله داود عليه الصلاة والسلام يصوم يوماً ويفطر يوماً وكان لا يفرُ إذا لاقى فكان شجاعاً مقداماً إذا لاقى العدو لا يفر؛ لما أعطاه الله من القوة والإقدام عليه الصلاة والسلام، وهذا أفضل الصيام وأفضل الصلاة بالليل صلاة داود ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام ثلثه كما تقدم في الحديث.

وفي هذا أن حنظلة كاتب النبي ﷺ أخبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله نافق حنظلة بعدما أخبر الصديق بذلك وتوجه الجميع إلي النبي ﷺ وأخبراه فقال: «**وما ذاك**» قال: نكون عندك يا رسول الله تذكرنا بالجنة والنار حتى كأنا رأي عينٍ؛ يعني: حتى نراها رأي عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا النساء والأولاد والضيعات ونسينا كثيراً. فقال النبي ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسي بِيَدِهِ، لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونونَ عِنْدِي، وَفي الذِّكْر، لصَافَحَتْكُمُ الملائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفي طُرُقِكُمْ، لَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وسَاعَةً**»؛ يعني: ساعة للعبادة والصلاة وغيرها من العبادات، وساعة لأهل البيت وحاجات البيت، وحاجات الضيف، ونحو ذلك، فالمسلم يقسم وقته، بعض الوقت لما أوجب الله عليه، ولما شرع الله له، وبعضه يكون لحاجاته، من كسب الحلال وإكرام الأهل، والتحدث مع الأهل، والتحدث مع الضيف، إلى غير هذا من شؤون الإنسان وحاجاته التي هو في أمسِّ الحاجة إليها، هذا من لطف الله وتيسيره ﷻ أن المؤمن لا يشدد على نفسه، ولكن يقسم أوقاته فبعضها لأداء ما أوجب الله عليه، وبعضها لما شرع الله من التطوعات، وبعضها لحاجات البيت، وحاجات الأهل، وبعضها لكسب الحلال ولقاء الضيف ونحو ذلك من الحاجات، هكذا ينبغي للمؤمن أن يكون حافظاً لوقته موزعاً له بين الحاجات التي يحتاجها غير أمور الدين مع أمور الدين يقوم بأمور الدين ويعطي حاجاته الأخرى نصيبها التي أباح الله ﷻ.

كذلك حديث أبي إسرائيل، قصة حديث أبي إسرائيل: كان رجل يقال له: أبو إسرائيل نذر أنه يقوم في الشمس، ولا يستظل ولا يتكلم، ولا يقعد وهو صائم أيضاً، نذر هذا النذر الشديد أنه يقوم في الشمس ولا يستظل ولا يقعد ولا يتكلم، ويكون صائماً، فأخبر النبي ﷺ بذلك فَقَالَ النَّبيّ ﷺ: «**مُرُوهُ، فَلْيَتَكَلَّمْ، وَلْيَسْتَظِلَّ، وَلْيَقْعُدْ، وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ**»؛ لأن هذه الأمور لا حاجة إليها. تشديد لم يشرعه الله فليس له أن يقف في

الشمس حتى يتعذب بالشمس ولا يستظل، وكذلك الوقوف قائماً، وكذلك لا يتكلم، ليس من الدين الصمت إلا عما حرم الله وعما يشق، أما يصمت عن حاجته مع أهله وعن السلام على إخوانه ونحو ذلك لا؟ يصمت عما حرم الله عن الشيء الذي لا فائدة فيه كما قال النبي ﷺ: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ»**. أمّا أن يصمت دائماً لا يتكلم يتعبد بهذا هذا منكر وبدعة؛ فلهذا أنكره النبي ﷺ على أبي إسرائيل وأمره أن يستظل وأن يقعد وأن يتكلم وأن يُتم صومه الذي شرعه الله له.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.






١٥ - بَابُ في المحافظة على الأعمال

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]، ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾ [النحل: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

وَأَمَّا الأَحاديث فمنها:

📖 حديث عائشة: وَكَانَ أَحَبُّ الدِّين إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ صَاحِبُهُ عَلَيهِ. وَقَدْ سَبَقَ في البَاب قَبْلَهُ.

١٥٣ ـ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ مِنَ اللَّيلِ، أَوْ عَنْ شَيءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ مَا بَيْنَ صَلاةِ الفَجْرِ وَصَلاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيلِ» رواه مسلم[١].

١٥٤ ـ وعن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «يَا عبدَ اللهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلان، كَانَ يَقُومُ اللَّيلَ فَتَرَكَ قِيَامَ

---

(١) أخرجه في كتاب الصلاة، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل وأن الوتر ركعة وأن الركعة صلاة صحيحة برقم (٧٤٧).

اللَّيلِ» متفقٌ عليه(١).

١٥٥ ـ **وعن عائشة** ﵂، قَالَتْ: «كَانَ رَسُول الله ﷺ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلاةُ مِنَ اللَّيلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيرِهِ، صَلَّى مِنَ النَّهارِ ثِنْتَيْ عَشرَةَ رَكْعَةً» رواه مسلم(٢).

الشَّـرح

فهذه الآيات الكريمات من كتاب الله ﷻ والأحاديث الصحيحة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام فيها الحث على المحافظة على طاعة الله والاستقامة عليها والثبات عليها والحذر من أسباب إفسادها ونقضها، فالمؤمن من صفته العظيمة ومن أسباب نجاته المحافظة على ما يسَّر الله له من طاعته والثبات على ذلك والاستقامة على ذلك حتى يلقى ربه. قد حذر الله من الانحراف عن الطاعة والهدى، فقال جلَّ وعلا: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦]، ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾؛ يعني: ألم يحن ويحضر، فالمعنى أنه ينبغي للمؤمن أن لا يتشبه بأعداء الله من اليهود الذين طال عليهم الأمد إذ طال عليهم الأجل ـ المدة ـ فقست قلوبهم، لما مُتِعُوا اشتغلوا باللذات وما تهوى الأنفس حتى قست قلوبهم وضعفوا عن طاعة الله ﷻ.

فالمؤمن هكذا يراقب الله ويستعين بنعم الله على طاعة الله ويحذر أن يقسو قلبه بسبب ما أعطاه الله من النعم والخيرات التي

(١) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه برقم (١١٥٢)، ومسلم في كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوَّت به حقاً. . . إلخ برقم (١١٥٩)، ١٨٥.

(٢) أخرجه في كتاب الصلاة، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل وأن الوتر ركعة وأن الركعة صلاة صحيحة برقم (٧٤٦).

يتمتع بها، والله يحذرنا أن نكون مثل أهل الكتاب الذين طال عليهم الأمد؛ يعني: مُتعوا فقست قلوبهم، ويحذرنا من مشابهة المرأة الضعيفة العقل التي قال فيها جلَّ وعلا: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا﴾ [النحل: ٩٢] جعلها كامرأة ضعيفة العقل، تفتل ثم تنقض، فلا ينبغي للمؤمن أن يكون كذلك يعمل ثم يحبط أعماله، يعمل الصالحات ثم يحبطها بأعماله السيئة، بل يجب أن يحافظ على طاعة الله ويستقيم عليها ويحذر أسباب بطلانها، وهكذا ذم أهل الكتاب النصارى حيث قال جلَّ وعلا: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَـٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧] ذمهم على عدم الرعاية لما شرع الله لهم فابتدعوا، ولم يرعوا ما شرع الله لهم من طاعته، وعبادته.

فالواجب على المؤمن أن يرعى العبادة التي شرعها الله ويحذر البدعة ويستقيم على الحق حتى يلقى ربه، يكفيه الحق لا يبتدع ولا يحدث ولا يضعف ولا يكسل، وقال ﷻ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، هذا خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٨ - ٩٩]؛ يعني: لا يضرك عصيان الكفرة وإعراضهم، لا تبالي بهم إنما على الرسل الدعوة إلى الله وبيان الحق، وهكذا أتباعهم عليهم الدعوة وبيان الحق ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِى لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَا﴾ [يونس: ١٠٨]، يقول جلَّ وعلا: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٩٧ - ٩٨]، يضيق صدره عليه الصلاة والسلام من كفرهم وإعراضهم وعنادهم، لكن الأمر بيد الله لو شاء لهداهم، ﷻ ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَـٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥]، ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأَتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣]، فالرسول والداعية إلى الله إنما عليه البلاغ والبيان، أما الهداية بيد الله جل وعلا؛

ولهذا قال جلَّ وعلا، ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]؛ يعني: استقم أنت على طاعة الله ولا تبالي بمن خالف وأعرض، فإنما ضرره على نفسه وشره عليها، وقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢]، هذا جزاء أهل الاستقامة أهل الثبات على الحق، وفي الآية الأُخرى يقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣ ـ ١٤]

فالواجب الاستقامة على الحق والثبات عليه وعدم الذوبان أو الذبذبة أو الإعراض والغفلة لا، كن ثابتاً على الحق، وقد ذم الله المنافقين بقوله: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾؛ يعني: ليس لهم استقامة على الحق، بل تارة مع الكفرة، وتارة مع أهل الإيمان؛ لمرض قلوبهم وقسوتها، وما فيها من الشك والريب، فهم ليسوا على ثبات بل تارة مع الكفرة، وتارة مع المؤمنين مذبذبين، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٢ ـ ١٤٣] لمرض قلوبهم وشكهم وريبهم نسأل الله العافية.

يقول النبي ﷺ: **«أَحَبُّ العَمَلِ إِلَى اللهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ وَإِنْ قَلَّ»** أحب الأعمال إلى الله ما دمت عليه وثبت عليه من الطاعات؛ من صلاة الليل، صلاة النهار، الأذكار، الصدقات، ولو قليل بعد أداء الواجب، أد الواجب واترك المحرم، وما زاد على ذلك من الخير من صلاة الضحى، من التهجد بالليل، من قراءة القرآن، من الأذكار ما استطعت من ذلك فاثبت عليه ولو قليلاً، فإن أحب العمل

إلى الله ما دام عليه صاحبه وإن قلَّ، كونه يتهجد من الليل بثلاث أو بخمس ويدوم على هذا خير من كونه تارة وتارة، تارة يتهجد بالليل وتارة لا يتهجد، وهكذا صلاة الضحى، وهكذا الأذكار، وهكذا الصدقات، كونه يتصدق ولو بالقليل ويستمر على ذلك خير من ترك الصدقة إلا في بعض الأحيان ولو كثرها.

ويقول ﷺ في الحديث الآخر: «**مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ مِنَ اللَّيلِ، أَوْ عَنْ شَيءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ مَا بَيْنَ صَلاةِ الفَجْرِ وَصَلاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيلِ**» هذا من فضل الله جلَّ وعلا حتى يستمر الخير، فإذا كان له في الليل عادة يقرأ جزء أو أكثر أو أقل ثم نام عنه أو شُغل عنه وقرأه في النهار بعد صلاة الفجر وقبل الظهر، كان كما لو قرأه بالليل في الفضل والأجر، فينبغي للمؤمن أن يكون حريصاً على الخير ويستقيم عليه حتى يلقى ربه على الخير وإن كان قليلاً، بعد أداء الفرائض وتركه المحارم.

وقال النبي في حق عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «**يا عبد الله بن عمرو عليك بقيام الليل**» وفي اللفظ الآخر: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ**» وفي عبد الله بن عمر بن الخطاب: إنه رجل صالح لو كان يقوم من الليل، هذا فيه الحث والتحريض على التهجد بالليل، وأنه ينبغي للمؤمن أن يكون له نصيب من الليل بعد العشاء، في وسط الليل، في آخر الليل، بعد العشاء مباشرة، يكون له نصيب من التهجد والوتر، هكذا المؤمن لا يدعُ هذه العبادة العظيمة التي شرعها الله وحث عليها حتى قال سبحانه في أهلها: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٤]، هؤلاء عباد الرحمن الخُلص، وقال في حقهم: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧ ـ ١٨]، وقال عنهم سبحانه: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦ ـ ١٧]، وقال

للنبي ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل: ١ ـ ٤].

المؤمن يكون له نصيب من الليل، طاعة لله وامتثالاً لأمره وحرصاً على ما رغب فيه سبحانه وتأسياً بالنبي ﷺ وبعباد الرحمٰن الذين أثنى الله عليهم ومدحهم بالتهجد من الليل.

وقالت عائشة ﵂: كان عليه الصلاة والسلام إذا شغله عن عمله بالليل مرض أو نوم صلَّى من النهار عليه الصلاة والسلام كان في الليل يصلي إحدى عشرة، وربما صلَّى ثلاث عشرة وربما نقص عن ذلك فصلَّى سبعاً وتسعاً وخمساً عليه الصلاة والسلام وربما صلّى ثلاثاً على حسب التيسير، فإذا فاته ورده من الليل صلَّى بدلاً منه في النهار وكمله ولم يوتره، بل كمله شفعاً فيصلي من النهار اثنتي عشرة ركعةً بدل إحدى عشرة ركعة يزيد واحدة فهكذا السُّنَّة، إذا كان عادتك ثلاثاً تصلي أربعاً في النهار إذا فاتك في الليل عادتك خمس تصلي في النهار ستاً ثلاث تسليمات، عادتك سبع تصلي من النهار ثمانية، إذا فاتك في الليل أربع تسليمات عادتك تسع تصلي عشر ركعات، تسلم من كل ثنتين، عادتك إحدى عشرة تصلي ست تسليمات، تسلم من كل اثنتين، تأسياً بالنبي عليه الصلاة والسلام واستدراكاً لهذا الفضل حتى لا يفوت، فالإنسان قد يشغل في الليل، قد ينام قد يمرض قد يكون له شواغل تشغله عن راتبه في الليل فالسُّنَّة له أن يستدركه بالنهار، وأن يفعله بالنهار حتى لا يفوته هذا الخير.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.





١٦ - بَابُ في الأمر بالمحافظة على السُنَّة وآدابها

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ ـ ٤]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]. قال العلماء: معناه إلى الكتاب والسُّنَّة. وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، والآيات في الباب كثيرةٌ.

وأما الأحاديث:

١٥٦ ـ فالأول: **عن** أبي هريرةَ ﷺ، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا أهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَثْرَةُ سُؤالِهِمْ واخْتِلافُهُمْ عَلَى أنْبيَائِهِمْ، فَإذَا نَهَيْتُكُم عَنْ شَيْء فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أمَرْتُكُمْ بأمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» متفقٌ عليه[1].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول ﷺ برقم (٧٢٨٨)، =

١٥٧ ـ الثاني: عن أَبي نَجيحٍ العِرباضِ بنِ سَاريةَ ﷺ، قَالَ: وَعَظَنَا رسولُ اللهِ ﷺ مَوعظةً بَليغَةً وَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رسولَ اللهِ؛ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا، قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّر عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اختِلافاً كَثيراً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّواجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فإنَّ كلَّ بدعة ضلالة» رواه أَبُو داود والترمذي[1]، وَقالَ: حديث حسن صحيح.

□ **(النَّواجذُ): بالذال المعجمةِ: الأنيَابُ، وَقِيلَ: الأضْراسُ.**

الشَّرح

فهذه الآيات الكريمات والحديثان الشريفان كلها تتعلق بوجوب تعظيم سُنَّة الرسول عليه الصلاة والسلام وإتباعها والاستقامة عليها، وسنته هي ما ثبت عنه من أحاديثه عليه الصلاة والسلام من أقواله وأفعاله عليه الصلاة والسلام لأن الرسول ﷺ هو المبلغ عن الله هو المفسر لكلام الله ومبين لمعنى القرآن الكريم.

الواجب على أهل الإسلام أن يعظموا سنته وأن ينقادوا لها وأن يتبعوها ويستقيموا عليها؛ لأن الله بعثه بالقرآن وبعثه بالسُّنَّة كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إنّي أُوتيتُ القرآن ومثله معه**» وهو ما أوحى الله إليه من الأحاديث في سائر أمور الدين؛ ولهذا قال الله ﷻ في كتابه العظيم:

= ومسلم في كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر برقم (١٣٣٧).

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السُّنَّة، باب في لزوم السُّنَّة برقم (٤٦٠٧)، والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسُّنَّة واجتناب البدع برقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه في كتاب السُّنَّة، باب اتباع سُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين برقم (٤٢).

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، فما جاء به ﷺ من قول وعمل هو يفسر به كتاب الله ويبيِّن به شرعه ﷺ وقال ﷻ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ١ ـ ٢]؛ يعني: محمداً عليه الصلاة والسلام ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ الضال الجاهل، والغاوي الفاهم العلم يعلم ويخالف علمه، فليس بغاوٍ ولا جاهل، عليه الصلاة والسلام بل إنما يتحدث عن علم مما شرع الله له جلَّ وعلا؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ ـ ٤]؛ يعني: أوحى الله إليه جلَّ وعلا.

قال ﷺ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]؛ يعني: النبي عليه الصلاة والسلام ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، فلا بد من تحكيمه واتباع ما جاء به، والرضى بذلك والتسليم له، وقال جلَّ وعلا: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ويقول سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، فمن كان صادقاً في محبة الله فعليه اتباع الرسول ﷺ والسير على منهاجه قال ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، فالذي يخالف أمر الله ورسوله على خطر عظيم من زيغ القلب، فالواجب الحذر من ذلك، وأن يستقيم على ما قاله الله ورسوله، وأن ينقاد لذلك وأن يثبت على ذلك، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] ردوه إلى الله؛ يعني: إلى

القرآن وإلى الرسول؛ يعني: إليه في حياته وإلى سنته بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، هذا هو الواجب على أهل الإسلام.

فعلى كل مسلم أن ينقاد لشرع الله، وأن يستقيم على أمر الله وأن يحافظ على حدود الله، وأن يفسر كلام الله بما ثبت عن رسوله عليه الصلاة والسلام؛ ولهذا يقول جلَّ وعلا: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] ففيه الأسوة عليه الصلاة والسلام الحسنة لجميع المسلمين؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَثْرَةُ سُؤَالِهِمْ واخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ**»، هلاك الناس بالاختلاف على الأنبياء وعدم القيام بما قاله الأنبياء، فدل ذلك على وجوب اتباع ما قاله النبي عليه الصلاة والسلام والاستقامة على هديه وشريعته، كما قال ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]؛ يعني: تُرشد الناس وتدُلهم على صراط مستقيم، وهو الإسلام وهو دين الله؛ ولهذا قال بعده: «**فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**» وما نهى عنه الرسول ﷺ وجب اجتنابه والحذر منه، وما أمر به وجب أن نأتي منه ما استطعنا، فاتقوا الله ما استطعتم، من عجز أن يصلي قائماً صلى قاعداً، ومن عجز أن يصلي قاعداً صلى على جنبه، من عجز عن الماء تيمم، وهكذا، فاتقوا الله ما استطعتم.

وخطبهم ذات يوم عليه الصلاة والسلام وقالوا له: (**يا رسول الله كأنها موعظة مودع**)؛ لأنه عليه الصلاة والسلام أظهر لهم فيها العناية الكاملة بهم وتوجيههم وترقيق قلوبهم حتى ذرفت العيون ووجلت القلوب؛ لأنه بالغ في الخطبة عليه الصلاة والسلام بالموعظة فقالوا: يا رسول الله كأنها موعظة، هذه الموعظة كأنها موعظة إنسان مودع لأهله

وجماعته وقومه فأوصنا، قال: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة**»؛ يعني: لولاة الأمور، فأوصاهم بتقوى الله في أداء حقه امتثال أوامره وترك نواهيه ﷻ ثم قال: «**والسمع والطاعة**» لولاة الأمور؛ لأن السمع والطاعة لولاة الأمور فيها اجتماع الكلمة وفيها الأمن وفيها الطمأنينة وفيها ظهور الحق وفيها نصر الحق، وفيها دحض الباطل. أما الاختلاف والمنازعات ففيها الهلاك. «**وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ**»، في الرواية الأخرى: «**مُجَدَّعِ الأَطْرَافِ**»؛ يعني: عليكم السمع والطاعة لأميركم في طاعة الله ورسوله في المعروف كما في الرواية الأخرى (في المعروف).

ثم قال: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اختِلافاً كَثيراً**»؛ يعني: من يطول عمره «**مِنْكُمْ فَسَيَرَى اختِلافاً كَثيراً**»، قد وقع ذلك، وقع الخلاف ووقع النزاع، فأرشد عليه الصلاة والسلام إلى سنته: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي**»؛ يعني: طريقتي وما أنا عليه من العلم والعمل، وهكذا سُنَّة الخلفاء الراشدين من بعده ﷺ: الصديق أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ هؤلاء هم الخلفاء الراشدون: «**تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»؛ يعني: عضوا عليها بالأضراس؛ يعني: تمسَّكوا بها جداً والزموها، هذا هو الواجب على أهل الإسلام أن يتمسكوا بطريقته عليه الصلاة والسلام وطريقة أصحابه ويسيروا عليها ويلزموها وألا يلتفتوا إلى من خالفها، هكذا المؤمن يلزم الحق ويستقيم عليه ولو خالفه من خالف.

ولهذا قال بعده: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُور**»؛ يعني: احذروا المحدثات، احذروا البدع التي يأتي بها الناس بعد ذلك، حتى يخالفوا السُّنَّة ويخالفوا الشريعة «**فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

وكان يقول هذا في خطبته ﷺ في الجمعة، يقول في خطبته يوم الجمعة: «**فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَخَيْرُ الهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ**

وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» فلا يجوز لمؤمن أن يحدث في الدين ما لم يأذن به الله، كما قال سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى: ٢١]، الواجب علوم الشريعة التي جاء بها نبينا عليه الصلاة والسلام والاستقامة عليها، والحذر من كل ما يخالفها، هذا هو الواجب على جميع المسلمين، وهذا هو طريق النجاة، وهذا هو الصراط المستقيم الذي قال الله فيه: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] وقال فيه سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] فصراط الله هو الإسلام، هو دين الله الذي بعث به محمد عليه الصلاة والسلام، وهو طاعة الأوامر وترك النواهي، والوقوف عند حدود الله، وما خالف ذلك هو السبل التي تدعو إليها الشياطين، ما خالف طريق النبي ﷺ ودينه الذي جاء به من طاعة الله ورسوله والوقوف عند حدود الله والسير على منهاج الله الذي رسمه لعباده، من خالف ذلك وحاد عن ذلك فقد تابع السبل التي هي طرق الشياطين، وهي البدع التي أحدثها من خالف الشرع، ولا سيما في هذه العصور الأخيرة التي اشتدت فيها غربة الإسلام، وكثر فيها من خالف الدين واتبع الهوى، فإن الواجب على المؤمن في هذا أكثر من غيره في هذا العصر وما مضى من العصور، الواجب عليه أن يتمسك بالشريعة غاية التمسك، وأن يلزم كتاب الله القرآن وسُنَّة الرسول ﷺ بكل ما يستطيع حتى لا يأخذه أعداء الله، حتى لا يجره أعداء الله إلى اتباع الهوى وطاعة الشيطان فيهلك مع من هلك.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❋ ❋ ❋

١٥٨ ـ الثَّالثُ: عَنْ أَبي هريرةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدخُلُونَ الجَنَّةَ إلَّا مَنْ أبى». قيلَ: وَمَنْ يَأبَى يَا رَسُول الله؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أبَى» رواه البخاري(١).

١٥٩ ـ الرابع: عن أَبي مسلم، وقيل: أَبي إياس سَلمة بنِ عمرو بنِ الأكوع رضي الله عنه: أنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رَسُول الله ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ» قَالَ: لا أَسْتَطِيعُ. قَالَ: «لا استَطَعْتَ» مَا مَنَعَهُ إلَّا الكِبْرُ فَمَا رَفَعَهَا إلَى فِيهِ.. رواه مسلم(٢).

١٦٠ ـ الخامس: عن أَبي عبدِ الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قَالَ: سمعت رَسُول الله ﷺ، يقول: «لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(٣).

وفي رواية لمسلم: كَانَ رَسُول الله ﷺ يُسَوِّي صُفُوفَنَا حتى كأنَّما يُسَوِّي بِهَا القِدَاحَ حَتَّى إِذَا رَأَى أَنَّا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ. ثُمَّ خَرَجَ يَوماً فقامَ حَتَّى كَادَ أنْ يُكَبِّرَ فرأى رَجلاً بَادياً صَدْرُهُ، فَقَالَ: «عِبَادَ الله، لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ».

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في الحث على طاعة الله

---

(١) أخرجه في كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ برقم (٧٢٨٠).

(٢) أخرجه في كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها برقم (٢٠٢١).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأذان؛ باب تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها برقم (٧١٧)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول والازدحام على الصف برقم (٤٣٦).

ورسوله، والتمسك بشريعة الله والحذر من مخالفة أمر الله سبحانه والتكبر عن طاعته ﷻ، وأن الواجب على المكلفين أن يطيعوا الله ورسوله وأن ينقادوا لأمر الله ورسوله وأن يحذروا مغبة المخالفة، فإن المخالفة لأمر الله ورسوله من أسباب الفرقة والاختلاف، ومن أسباب انحراف القلوب، وأن يكون كل طائفة لها وجهة غير الوجهة الأخرى، فالتفرق في الطاعة من أسباب التفرق في الوجهات والاختلاف والانحراف عن سواء السبيل، يقول عليه الصلاة والسلام: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدخُلُونَ الجَنَّةَ إلَّا مَنْ أَبى**». قيل: يا رسول الله من يأبى؛ يعني: كل يرغب الجنة ما أحد يريد عدم الجنة قال: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبى**»، من عصى الله ورسوله وتابع الهوى، معناه أنه أبى الجنة، ما يريدها، «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبى**» قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧ ـ ٤١] فمن تابع الهدى واستقام على الطريق فمصيره الجنة والكرامة في جوار الله، سبحانه، ومن أبى إلا متابعة الهوى وإيثار الدنيا فالمصير إلى الجحيم، أعوذ بالله من ذلك.

وهكذا حديث سلمة بن الأكوع ﷺ أن رجلاً كان عند النبي ﷺ يأكل فأكل بشماله فقال له النبي ﷺ: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**» قال: لا أستطيع فقال له النبي: «**لا استَطَعْتَ**» فما رفعها إلى فيه بعد ذلك، قال: «**مَا مَنَعَهُ إلَّا الكِبْرُ فمَا رَفَعَهَا إلَى فِيهِ**» تكبَّر أن يأكل بيمينه وزعم أنه لا يستطيع كذباً وإنما حمله الكبر؛ فلهذا دعا عليه النبي أنه لا يستطيع، فأجاب الله الدعوة في الحال، فشلَّت يمينه حتى لم يرفعها بعد ذلك؛ يعني: أصيب بعقوبة عاجلة، نسأل الله العافية، وهذا قد يعجل، قد تعجل العقوبات وقد تؤخر، إن ربك حكيم عليم ﷻ، قد يعاجل العقوبة وقد يؤخرها ﷻ، فالبغي والظلم والتكبر من أسباب تعجيل العقوبات، وقد يؤخر الله العقوبة إلى يوم القيامة، كما قال

جلَّ وعلا: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

فلو أن الناس عوقبوا جميعاً ما بقي أحد على وجه الأرض، ولكنه يُملي ﷻ ويمهل لكثير من عباده لعلهم يرجعون، لعلهم ينتبهون؛ ولهذا يقول سبحانه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر: ٤٥] في الآية الأخرى يقول جلَّ وعلا: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [النحل: ٦١]. ويقول للنبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» ثم تلا قوله سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] فقد أخذ قوم نوح بالغرق، وأخذ قوم هود بالريح العقيم، وأخذ قوم صالح بالصيحة والرجفة، وأخذ قوم شعيب بالرجفة أيضاً والنار، وأخذ قوم لوط بالخسف والرجم، إلى غير هذا من العقوبات، وأخذ فرعون وجماعته بالغرق في البحر، فربك قد يُملي للعباد وقد يعجل العقوبة - ﷻ - ويقول سبحانه: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٥]، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤ - ٤٥].

فلا ينبغي للعاقل أن يغتر بإمهال الله له وهو على المعاصي والمخالفات، لا يغتر بالإمهال فإنه أشدُّ في عقوبته، الذي يؤخذ على المعصية ويعاقب لعله ينتهي، لعله ينتبه لكن من أُملي وأُمهل حتى يتمادى في المعاصي هذا على خطر من سوء العاقبة، وعلى خطر من سوء الخاتمة، وعلى خطر من خروجه من المعصية إلى الكفر، نعوذ بالله من ذلك فإن المعاصي بريد الكفر، المعاصي بريد ومقدمة للكفر بالله، نعوذ بالله من ذلك، كما أن الأمراض بريد للموت، فينبغي للعاقل أن يحذر وألا يغتر بإمهال الله وستره وإنظاره، لعله ينتبه لنفسه فيتوب إلى ربه

جل وعلا ويستقيم قبل أن يؤخذ قبل أن تحل به العقوبة فلا يستطيع بعد هذا التوبة والرجعة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهكذا حديث النعمان بن بشير أبي سعد الأنصاري رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه كان يقول للناس: «**لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ**» ويقول أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه: كان النبي ﷺ يمسح مناكبنا ويقول: «**اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ**» فالواجب في الصفوف التسوية والاستقامة في الصف ويكون معتدلاً مع التراص وسد الفرج، هكذا أمر النبي عليه الصلاة والسلام ولما رأى في بعض صلواته هو وقبل أن يكبر رأى رجلاً بادياً صدره متقدماً على من حوله قال: «**عِبَادَ الله، لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ**» والمخالفة بين الوجوه معناه تفرق القلوب، إذا تفرقت القلوب صار كل واحد له وجهة، كل واحد له وجهة غير وجهة الآخر، فيفترقوا ويتمزقوا نسأل الله العافية، وأما الاتحاد على طاعة الله ورسوله والاستقامة على طاعة الله ورسوله فهي من أسباب جمع الكلمة، من أسباب اتحاد الصف، من أسباب التعاون على الخير.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

* * *

١٦١ ـ السادس: عن أبي موسى رضي الله عنه، قَالَ: احْتَرَقَ بَيْتٌ بالمَدِينَةِ عَلَى أهْلِهِ مِنَ اللَّيلِ، فَلَمَّا حُدِّثَ رسولُ الله ﷺ بشَأنِهِمْ، قَالَ: «إنَّ هذِهِ النَّارَ عَدُوٌّ لَكُمْ، فَإذَا نِمْتُمْ، فَأطْفِئُوهَا عَنْكُمْ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١].

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، برقم (٦٢٩٤)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها برقم (٢٠١٦).

١٦٢ ـ السابع: **عنه**، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَني الله بِهِ مِنَ الهُدَى والعِلْم كَمَثَلِ غَيثٍ أَصَابَ أَرْضاً فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أمسَكَتِ المَاء فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَربُوا مِنْهَا وَسَقوا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ طَائفةً مِنْهَا أخْرَى إنَّمَا هِيَ قيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ في دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ بمَا بَعَثَنِي الله بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأساً وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(١).

□ (فَقُهَ) بضم القافِ عَلَى المشهور وقيل بكسرِها؛ أي: صار فقيهاً.

١٦٣ ـ الثامن: **عن** جابر ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أوْقَدَ نَاراً فَجَعَلَ الجَنَادِبُ والفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخذٌ بحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأنْتُمْ تَفَلَّتونَ مِنْ يَدَيَّ» رواه مسلم(٢).

□ (الجَنَادِبُ): نَحوُ الجرادِ وَالفَرَاشِ، هَذَا هُوَ المَعْرُوف الَّذِي يَقَعُ في النَّارِ. وَ(الحُجَزُ): جَمْعُ حُجْزَة وَهِيَ مَعْقدُ الإزَار وَالسَّراويل.

ﷺ الشَّرح ﷺ

هذه الأحاديث الثلاثة الثابتة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام كلها يتعلق بالمحافظة على ما شرعه الله وما دعا إليه نبيه عليه الصلاة والسلام كالأحاديث السابقة؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وقال جلَّ وعلا في كتابه

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب فضل من علم وعلّم برقم (٧٩)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم برقم (٢٢٨٢).
(٢) أخرجه في كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم برقم (٢٢٨٥).

العظيم: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، قال سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤] عليه الصلاة والسلام، وسبق قوله ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدخُلُونَ الجَنَّةَ إلَّا مَنْ أَبى**». قيلَ: وَمَنْ يَأبَى يَا رَسُول الله؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أبَى».

فالواجب على أهل الإسلام طاعته ﷺ واتباع ما جاء به كما يجب طاعة القرآن والتمسك بما جاء في القرآن فهكذا التمسك بما جاء به رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ لأن الله أمر بطاعته وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ فالواجب على أهل الإيمان على المكلفين جميعاً توحيد الله والإخلاص له واتباع شريعته وتصديق نبيه عليه الصلاة والسلام، واتباع ما جاء به وامتثال أوامره وترك نواهيه عليه الصلاة والسلام، ومن ذلك أنه بلغه أن أهل بيت احترق عليهم بيتهم في المدينة، فقال عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ هذِهِ النَّارَ عَدُوٌّ لَكُمْ، فَإِذَا نِمْتُمْ، فَأطْفِئُوهَا عَنْكُمْ**».

هذا يدل على أن المشروع لأهل البيت ألّا يدعوا ناراً في البيت وقت النوم، بل تُطفى حتى لا يقع منها شر على أهل البيت، فإنها ربما طار منها شرر، ربما مرت عليها دابة، ربما حركها صبي، ربما حصل منها شيء ثم تشتعل النار في البيت كله.

فالواجب العنايةُ بها وإطفاؤها عند النوم حذراً من شرها، وهكذا إطفاء الأنوار التي لا ضرورة إليها، كل ذلك ممّا ينبغي عند النوم؛ لما فيه من الحيطة ولما فيه من الاقتصاد أيضاً، وعدم صرف الأموال في غير طائل.

والحديث الثاني: يقول ﷺ: «إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ مِنَ الهُدَى والعِلْم كَمَثَلِ غيثٍ أَصَابَ أَرْضاً فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ»؛ يعني: أرض منخفضة «أمسَكَتِ المَاء فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقوا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ طَائفةً مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قيعَانٌ» مثلة ماء «لا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلأً»، فهكذا القلوب التي لا تعي ولا تنتفع ولا تقبل الحق ولا تصغي إليه، مثل القيعان التي لا تمسك ماءً ولا تنبت كَلأ، «فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ في دِينِ اللهِ» صار فقيهاً في دين الله «وَنَفَعَهُ بمَا بَعَثَنِي الله بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأساً وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» فالنبي ﷺ قسم الناس بالنسبة إلى ما جاء به من العلم والهدى والوحي عليه الصلاة والسلام إلى أقسام ثلاث، الناس أقسام ثلاثة بالنسبة إلي الوحي والهدى والشرع.

أحدهم: من علَّم وتفقَّه في الدين ونفع الناس بتعليمه وتوجيهه وإرشاده وعمله بشرع الله، فهذا كالأرض الطيبة الذي أنبتت الكلأ والعُشب الكثير، حصل لها من الماء خير كثير فانتفعت بالماء وأنبتت.

والقسم الثاني: حفظوا العلم ونقلوه إلى الناس لكن ليس عندهم الفقه الكامل فيه والتعليم والإرشاد، ولكنهم حفظوه ونقلوه عن النبي ﷺ وعن الصحابة ومن بعدهم حتى بلَّغوه إلى غيرهم، فهؤلاء مثل الأرض التي أمسكت الماء حتى شرب منه الناس وسقوا وزرعوا.

وقسم ثالث: شرٌّ لا خير فيهم كالقيعان التي لا تمسك ماءً ولا تُنبتُ كلأً، فقلوبهم ميتة وفيها صُلب وشدة وقسوة لا تستمع ولا تستفيد، كالقيعان التي لا تمسك ماءً ولا تُنبتُ كلأً لصلابتها وقسوتها ومزلتها، فهكذا بعض القلوب لا يستقر فيها علم ولا خير ولا تُصغي إلى خير ولا تقبل الحق بل مشغولة بهواها ودنياها العاجلة، نسأل الله السلامة والعافية.

والحديث الثالث يقول ﷺ: «**مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أوْقَدَ ناراً فَجَعَلَ الجَنَادِبُ والفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا**» إذا شب الناس النار في البر جاءت دواب صغيرة وطيور صغيرة تقع فيها تسمى الجنادب تُسمى الفراش تُدِبُ نفسها في النار إذا رأت النور فأكثر الناس مثل هذا الفراش، أكثر الناس مثل هذا الفراش الذي يدب نفسه في النار لعدم عقله، فهكذا أكثر الناس يقعون في النار بأعمالهم السيئة وخبائثهم وتمسكهم بأخلاقهم الذميمة من الزنى والفواحش والشرك والكفر والعقوق وغير ذلك، أخلاقهم ذميمة، وهم بأعمالهم في الحقيقة يسوقون أنفسهم إلى النار ويذبونها إلى النار، كالفراش الذي يدب نفسه في النار، قال: «**وَأَنَا آخذٌ بحُجَزِكُمْ عَنِ النَّار**»، يقول النبي ﷺ: «**وَأَنَا آخذٌ بحُجَزكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفَلَّتونَ مِنْ يَدَيَّ**» [بمعنى:] وَأَنَا آخذٌ بحُجَزكُمْ هَلُمَّ إليَّ هَلُمَّ إليَّ وَأَنْتُمْ تَفَلَّتونَ علي إلى النار. هذا غالب الخلق، الرسل يدعونهم إلى الهدى ويأخذون بحجزهم ويقولون: هلمَّ إلينا هلمَّ إلينا، أطيعوا الله ورسوله فيطيع القليل ويأبى الكثير ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠]؛ فأكثر الخلق مع أهوائهم ومع شهواتهم يتفلتون على الرسل، ويتفلتون على دعاة الحق، ويتفلتون على الخير إلى أهوائهم، والى ما يشتهون من أعمالهم السيئة التي تقحمهم في النار، وتدخلهم النار كالفراش الذي يتفلت ويصبُ نفسه ويوقع نفسه في النار التي يراها في البر ونحوه.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❊ ❊ ❊

١٦٤ ـ التاسع: عنه: أنَّ رَسُول الله ﷺ أَمَرَ بِلَعْقِ الأَصَابِعِ وَالصَّحْفَةِ، وَقَالَ: «إنَّكُمْ لا تَدْرونَ في أَيِّها البَرَكَةُ» رواه مسلم(١).

📖 وفي رواية لَهُ: «إذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيَأخُذْهَا، فَليُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أذىً، وَلْيَأكُلْهَا وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيطَانِ، وَلا يَمْسَحْ يَدَهُ بالمنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ فَإنَّهُ لَا يَدْرِي في أيِّ طَعَامِهِ البَرَكَةُ» وفي رواية لَهُ: «إنَّ الشَّيطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيءٍ مِنْ شَأنِهِ، حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ، فَإذَ سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمْ اللُّقْمَةُ فَليُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أذىً، فَلْيَأكُلْهَا وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيطَانِ».

١٦٥ ـ العاشر: عن ابن عباس ﷺ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُول الله ﷺ بِمَوعِظَةٍ، فَقَالَ: «يَا أيُّهَا النَّاسُ، إنَّكُمْ مَحْشُورونَ إلَى الله تَعَالَى حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ألا وَإنَّ أوَّلَ الخَلائِقِ يُكْسى يَومَ القِيَامَةِ إبراهيمُ ﷺ، ألا وَإنَّهُ سَيُجَاءُ بِرجالٍ مِنْ أُمَّتي فَيُؤخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمالِ، فَأقُولُ: يَا رَبِّ أصْحَابِي. فَيُقَالُ: إنَّكَ لَا تَدرِي مَا أحْدَثُوا بَعْدَكَ. فَأقُولُ كَما قَالَ العَبدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧ ـ ١١٨] فَيُقَالُ لِي: إنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(٢).

□ (غُرْلاً)؛ أي: غَيرَ مَخْتُونِينَ.

---

(١) أخرجه في كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع والقصعة وأكل اللُّقمة الساقطة بعد مسح ما يُصيبها من أذى برقم (٢٠٣٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب كيف الحشر برقم (٦٥٢٧)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٥٩).

١٦٦ ـ الحادي عشر: عن أبي سعيد عبد الله بن مُغَفَّلٍ ﷺ، قالَ: نَهَى رَسُول الله ﷺ عَنِ الخَذْفِ، وقالَ: «إنَّهُ لَا يَقْتُلُ الصَّيْدَ، وَلَا يَنْكَأُ العَدُوَّ، وإنَّهُ يَفْقَأُ العَيْنَ، وَيَكْسِرُ السِّنَّ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

وفي رواية: أنَّ قَرِيباً لابْنِ مُغَفَّل خَذَفَ فَنَهَاهُ، وَقالَ: إنَّ رَسُول الله ﷺ نَهَى عَن الخَذْفِ، وَقَالَ: «إنَّهَا لَا تَصِيدُ صَيداً» ثُمَّ عادَ، فَقَالَ: أُحَدِّثُكَ أنَّ رسولَ الله ﷺ نَهَى عَنْهُ، ثُمَّ عُدْتَ تَخذفُ!؟ لا أُكَلِّمُكَ أبَداً.

الشَّرْح

فهذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها فيها الحث على تعظيم السُّنَّة والتمسك بها والحذر مما يخالفها قد دلَّ كتاب الله على ذلك، حيث قال جلَّ وعلا: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]، حيث قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] الآية، ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، ويقول ﷻ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠]، في الآية الأخرى ﴿وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٧] فطاعة الرسول ﷺ من طاعة الله ﷻ.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب الخذف والبُنْدُقَة برقم (٥٤٧٩)، ومسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة ما يُستعانُ به على الاصطياد والعدو وكراهة الخذف برقم (١٩٥٤).

الواجب تعظيم سنته واتّباع شريعته والمحافظة على ذلك، والتواصي بذلك، ومن ذلك ما جاء عنه ﷺ أنه كان يلحس أصابعه بعد فراغه من الطعام إذا كان الطعام له أثر في الأصابع لعقها، عليه الصلاة والسلام وأمر بلعق الأصابع ولعق الصحفة؛ يعني: سلت الصحفة وما يكون فيها من آثار فيما يلي أكل الإنسان، هذا من السُّنَّة الإنسان يلعق أصابعه فلا يغسلها ولا يمسحها بالمنديل حتى يلعقها فيزيل ما فيها من بقية الطعام الذي له بقية، بخلاف الخبز وأشباهه الذي لا يبقى له أثر، لكن إذا كان الطعام له أثر وله بقية في الأصابع، فإنه يزيله باللعق ونحو ذلك حتى يغسله بعد ذلك، يغسل اليد أو يمسح بالمنديل بعد ذلك؛ ولهذا أمر ﷺ بلعق الأصابع والصحفة، وقال: «**إِنَّكُمْ لا تَدْرونَ في أَيِّها البَرَكَةُ**» وأمر بسلت الصحفة؛ حتى لا يكون محل أكل الإنسان مبعثراً هكذا، بل يكون قد اعتنى بطريقه في الأكل وسلت ما يبقى في طريقه؛ حتى يأكل ما هناك أو يضيفه إلى بقية ما في القصعة، فإنه يؤكل من جوانبها ولا يؤكل من ذروتها يأكل الناس من الجوانب؛ حتى يأتوا إلى الذروة فيأكلوها إذا احتاجوا إلى ذلك، كذلك إذا سقطت اللقمة أمر بأخذها وأن يميط ما بها من الأذى ثم يأكلها ولا يدعها للشيطان إذا سقطت ولحقها عود أو شيء أزال ذلك وأكل السليم إرغاماً للشيطان.

فالمقصود من هذا أن السُّنَّة ومراعاة ما ندب إليه النبي ﷺ وما شرعه لأمته وما حثهم عليه؛ لأنه إنما يدعو إلى الخير عليه الصلاة والسلام، وإنما يأمر بالخير، وسنته فيها الخير والهدى، كما قال الله ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وفي حديث ابن عباس يقول ﷺ: «**إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَاماً فَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ حَتَّى يَلْعَقَهَا أَوْ يُلْعِقَهَا**». حتى يلعقها بنفسه أو يلعقها غيره كولده أو زوجته أو خادمه ونحو ذلك، ثم يمسح بعد ذلك بالمنديل أو

يغسلها بالماء بعد ذلك. في حديث ابن عباس يقول ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مَحْشُورونَ إِلَى الله تَعَالَى حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً**» إن الناس يحشرون يوم القيامة إذا قاموا من قبورهم «**حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً**» إذا قاموا من قبورهم «**حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً**» ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾، كما قال جلَّ وعلا: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، كما بدأهم عُراة يحشرهم عُراة، الرجال والنساء لا ثياب عليهم يحشرون «**حُفَاةً عُرَاةً**» لا نعال عليهم «**غُرْلاً**» غير مختونين، عادت الغُلفة إلى حالها للرجال والنساء كما بدأهم الله ﷻ قالت عائشة: يا رسول الله الرجال والنساء قال: «**يا عائشة: الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ**» الأمر أشد من ذلك، ليس الناس في اهتمام بأن ينظر هذا إلى هذا، الناس في هم عظيم وخطب كبير، قال: «**ألا وَإِنَّ أَوَّلَ الخَلائِقِ يُكْسى يَومَ القِيَامَةِ إبراهيمُ ﷺ**»، وأول من يكسى إبراهيم عليه الصلاة والسلام أول من يكسى من الأمة إبراهيم الخليل في الموقف عليه الصلاة والسلام، هذه منقبة لإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، منقبة له عظيمة وهو أفضل الرسل وخيرهم بعد نبينا عليه الصلاة والسلام.

وأفضلهم محمد ﷺ ثم إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، قال: «**أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي يوم القيامة فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ـ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي. أَصْحَابِي ـ فَيُقَالُ لِي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنذُ فَارَقْتَهُمْ**» هذا يدل على أن من ضيع سنته وحاد عن طريقه يؤخذ به ذات الشمال يوم القيامة إلى النار، قال: «**فأقول كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ**»؛ يعني: عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧ ـ ١١٨] هذا نزلت في عيسى في سورة المائدة في آخرها؛

لأن الله يـــقـــول: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦ ـ ١١٧] وفي اللفظ الآخر قال: «**فَأَقُولُ سُحْقاً سُحْقاً لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي**»؛ يعني: بُعداً بُعداً لمن بدل بعدي؛ يعني: بعد النبي عليه الصلاة والسلام.

وهذا أخبر به النبي ﷺ قبل أن يقع وقد وقع، فإنه لما توفي عليه الصلاة والسلام ارتد ناس من العرب كانوا قد رأوه وآمنوا به ثم ارتدوا، نعوذ بالله من ذلك وخرجوا عن دين الله، فيوم القيامة يُزادون عن حوضه يوم القيامة يُطردون؛ لأنهم غيروا وبدلوا فدل ذلك على أن من حاد عن طريق النبي ﷺ ولم يبق على اتباعه فإنه يُزاد عن حوضه يوم القيامة إلى النار، نعوذ بالله من ذلك، ففي هذا الحذر من اتّباع الهوى والعدول عن طريق الحق، وأن عاقبة ذلك النار يوم القيامة والطرد عن حوضه، عليه الصلاة والسلام بسبب الحيد عن السُّنَّة وعدم اتباع الحق الذي شرعه الله لعباده، وبعث به نبيه عليه الصلاة والسلام، وهذا لازم لجميع المكلفين، جميع الأمة المحمدية يلزمها اتّباع الرسول ﷺ ويلزمها الدخول في الإسلام أينما كانوا من العرب والعجم، من اليهود والنصارى والبوذية وغير ذلك، جميع أنواع العباد جميع أنواع المكلفين جميع أنواع بني آدم والجن، كلهم يلزمهم الدخول في الإسلام، كلهم يلزمهم طاعة الرسول ﷺ واتباع شريعته، كما قال ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبا: ٢٨]، ولكن عصى أكثرهم واتبع الهوى وصار إلى النار، أعوذ بالله من ذلك، أكثر الخلق تابع الهوى وحاد عن السبيل فصارت عاقبته النار يوم القيامة، نعوذ بالله من ذلك.

كذلك حديث عبد الله بن مغفل المُزني رضي الله عنه يقول: «**نَهَى رَسُول الله ﷺ عَنِ الخَذْفِ**»، والخذف الرمي بأطراف الأصابع بالحجارة الصغيرة، نهى عنها عليه الصلاة والسلام وقال: «**إِنَّهُ لَا يَقْتُلُ الصَّيْدَ، وَلَا يَنْكَأُ العَدُوَّ، وإِنَّهُ يَفْقَأُ العَيْنَ، وَيَكْسِرُ السِّنَّ**» يرمي هكذا بالحجارة، نهى النبي عن الرمي بمثل هذا؛ لأن هذا قد يفرط منه ويصيب عين إنسان أو ضرس إنسان، نهى عنها عليه الصلاة والسلام وقال: إنها «**إِنَّهُ لَا يَقْتُلُ الصَّيْدَ، وَلَا يَنْكَأُ العَدُوَّ، وإِنَّهُ يَفْقَأُ العَيْنَ، وَيَكْسِرُ السِّنَّ**» فرأى عبد الله بن مغفل وهو من الصحابة، عبد الله بن مغفل من الصحابة من مُزينة رأى بعض أقربائه يخذف بعد ما نهاه عبد الله وقال: إن الرسول نهى عن هذا ثم رآه يخذف بعد ذلك فقال: أخبرك أن الرسول نهى عن هذا ثم تعود؟! لا كلمتك أبداً؛ يعني: هجره على هذه المعصية القليلة فكيف بمن يأتي معاصي أكبر من ذلك من الزنى والفواحش والعقوق وإضاعة الصلوات وركوب المحارم الأخرى من خمر وغيره، كيف تكون حاله؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فالمقصود والواجب المحافظة على ما أمر به ﷺ قليلاً أو كثيراً والبعد عمّا نهى عنه عليه الصلاة والسلام. ومن ذلك ما ذكر عبد الله بن مغفل الخذف؛ يعني: الرمي بالحجارة بأطراف الأصابع وهذا يدل على عظم شأن الصحابة وأنهم رضي الله عنهم يحافظون على أوامره ﷺ وينتهون عن نواهيه ويتواصون بذلك، رضي الله عنهم وأرضاهم فالواجب على جميع الأمة بعدهم كذلك أن يتبعوا ما جاء به وينقادوا لشرعه وأن يقفوا عند الحدود التي حدها الله ورسوله حتى يفوزوا بالسعادة.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❊ ❊ ❊

١٦٧ ـ **وعن** عابس بن رَبيعة، قَالَ: رَأيْتُ عُمَرَ بن الخطاب ﷺ يُقَبِّلُ الحَجَرَ ـ يَعْنِي: الأسْوَدَ ـ وَيَقُولُ: إني أَعْلَمُ أنَّكَ حَجَرٌ مَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، وَلَولا أنِّي رَأيْتُ رسولَ الله ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب ما ذُكر في الحجر الأسود برقم (١٥٩٧)، ومسلم في كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف برقم (١٢٧٠).



١٧ ـ بَابٌ في وجوب الانقياد لحكم الله وما يقوله من دعي إلى ذلك، وأمر بمعروف أو نهي عن منكر

قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

وفيه من الأحاديث حديث أبي هريرة المذكور في أول الباب قبله، وغيره من الأحاديث فيه.

١٦٨ ـ عَن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُول الله ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] قال فاشْتَدَّ ذلِكَ عَلَى أصْحَابِ رَسُول الله ﷺ، فَأَتَوا رَسُول الله ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أيْ رسولَ الله، كُلِّفْنَا مِنَ الأعمَالِ مَا نُطِيقُ: الصَّلاةَ والصِّيامَ والجِهَادَ والصَّدَقَةَ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هذِهِ الآيَةُ وَلا نُطيقُها. قَالَ رَسُول الله ﷺ: «أتُرِيدُونَ أنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الكتَابَينِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا سَمِعنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ» قالوا سمعنا ربنا واليك المصير فلما اقترأها القومُ، وَذَلَّتْ بِهَا ألْسنَتُهُمْ أنْزَلَ اللهُ تَعَالَى في إثْرِهَا: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] **فَلَمَّا فَعَلُوا ذلِك نَسَخَهَا اللهُ تَعالَى، فَأنزَلَ الله** ﷻ: **﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾** [البقرة: ٢٨٦]، **قَالَ: نَعَمْ ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾، قَالَ: نَعَمْ ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾، قَالَ: نَعَمْ ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، قَالَ: نَعَمْ.** رواه مسلم(١).

الشَّرْح

فهذه الأحاديث والآيات الكريمات كلها تتعلق بوجوب الانقياد لشرع الله والتعظيم لحرمات الله والوقوف عند حدود الله، وأن الواجب على أهل الإيمان أن يتمسكوا بشرع الله وأن ينقادوا له وأن يقولوا: سمعنا وأطعنا فيما أمرهم الله به ورسوله، وألّا يقولوا كما قال من قبلهم من أهل الكتاب الذين ضلُّوا عن السبيل سمعنا وعصينا.

وفيما تقدم من الأحاديث مع حديث عمر رضي الله عنه لما قبَّل الحجر الدلالة على وجوب العناية بالسُّنَّة والتمسك بها والسير على منهاجها، عملاً بقوله جلَّ وعلا: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] وقوله ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقوله ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]. فعمر رضي الله عنه لما قبل الحجر الأسود حين طوافه قال رضي الله عنه: **(إني أعلم أنك حجرٌ ما تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ، يقبلك ما قبلتك)**. المقصود إني قبَّلتك اتباعاً للنبي ﷺ وتأسياً به، لا عن

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب بيان أنه ﷻ لم يكلف إلا ما يطاق برقم (١٢٥).

اعتقاد الجاهلية في الأشجار والأحجار والأصنام لا، ولكني قبّلتك تأسياً بالنبي ﷺ واتباعاً لشرعه؛ لأنه استلمك وقبلك لما طاف عليه الصلاة والسلام فكانت السُّنَّة للمسلمين إذا طافوا أن يقبلوا الحجر الأسود ويستلموه ويستلموا الركن اليماني تأسياً برسول الله عليه الصلاة والسلام؛ لأنه قال: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»[(١)] عليه الصلاة والسلام.

فهكذا بقية الأمور كلها يجب أن يؤخذ فيها بقول الله ورسوله في الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبر الوالدين، وسائر الأمور من المعاملات، والدعاوى، والخصومات، والأنكحة، والطلاق، وغير ذلك، يجب على أهل الإسلام أن يتمسكوا بما شرع الله في ذلك وأن ينقادوا له وأن يعظموه ويحكموه؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ [النساء: ٦٥]؛ يعني: لا يؤمنوا الناس ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]؛ يعني: فيما جرى فيه التنازع ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]؛ يعني: حتى ينقادوا لحكم الله ويسلموا عن طيب نفس وعن رغبة وعن إيمان وعن انشراح، وهكذا قوله جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١] هذا قول المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله، إذا دعوا إلى حكم الله إلى طاعة الله قالوا: سمعنا وأطعنا لا يتكبرون؛ ولهذا ذم الله من تكبر فقال عن بعض المجرمين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦] نعوذ بالله.

الواجب على المؤمن إذا دعي إلى الله يقول: سمعنا وأطعنا وألّا يتكبر ولا يأنف من طاعة الله ورسوله والخضوع لحكم الله، ولما نزل

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر ﷺ في كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً وبيان قوله ﷺ: «لتأخذوا مناسككم» برقم (١٢٩٧).

قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤] عظم الأمر على الصحابة وخافوا من هذا الأمر؛ لأن الإنسان يقع في نفسه أشياء وفي قلبه أشياء وخطرات، والله قال: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾.

فخافوا من هذا الأمر أنهم محاسبون على ما كان في الصدور وما تخفيه الضمائر خافوا من هذا، وجاؤوا إلى النبي ﷺ وقالوا: يا رسول الله نزلت هذه الآية ولا نُطيقها، وقال عليه الصلاة والسلام: «**أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الكتَابَينِ مِنْ قَبْلِكُمْ**» من اليهود والنصارى: «**سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا سَمِعنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ**»، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا القومُ، وَذَلَّتْ بِهَا أَلْسنَتُهُمْ وانقادوا لذلك أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي إثرِهَا ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] فلما قالوا هذا وخضعوا لأمر الله وحكمه والإيمان به، أنزل الله بعدها ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وهكذا قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] فالله لا يكلف الناس إلا ما استطاعوا ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦] لها ما كسبت من الخير والعمل الصالح وعليها ما اكتسبت من الإثم ثم قال سبحانه: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال سبحانه: **نعم**، في الرواية الأخرى: **قد فعلت**: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال الله: **نعم**؛ يعني: **قد فعلت** ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال الله نعم؛ يعني: قد فعلت ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال الله نعم؛ يعني: **قد فعلت**؛ يعني: قد أجبتك فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

بين أنه قد أجابهم في عدم المؤاخذة في النسيان والخطأ، في عدم تحميلهم ما لا يطيقون، في عدم تحميلهم الآصار، بوعدهم المغفرة والرحمة والنصر على أعداء الله.

هذا كله من فضله ووعده ﷻ فالمؤمن ينقادُ لأمر الله ويخضع لشرع الله ويسأله من فضله التوفيق والإعانة، وسبق في الحديث الصحيح يقول ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى**»[(١)]. قيلَ: وَمَنْ يَأْبَى يَا رَسُول الله؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**» فمن أطاع الله في أمره ونهيه وأطاع رسوله فله الجنة والكرامة، ومن أبى إلا اتباع الهوى فله الخيبة والندامة والنار، هكذا أوصى النبي ﷺ المؤمنين وحرضهم على اتباع الشريعة وأوصاهم بالخضوع لأمر الله والوقوف عند حدود الله، وبيَّن لهم أن لهم في هذا السعادة والعاقبة الحميدة، وأن الله سبحانه لا يكلفهم إلا وسعهم، والخطرات التي تقع في القلوب يُعفى عنها ما لم تترجم إلى العمل.

ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتي مَا حَدَّثتْ بِهِ أنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أو تَكَلَّمْ**»[(٢)] فإذا خطر بقلب الإنسان كذا وكذا من الأمور القبيحة ثم ترك ذلك وابتعد عن ذلك وحارب ذلك وجاهد ذلك ولم ينطق بها ولم يعمل عفا الله عنه ﷻ فالإنسان يخطُر له خطرات يخطر له أنه يضرب فلاناً، يقتل فلاناً، يزني، يشرب الخمر يخطر خطرات له ثم يمُن الله عليه بالسلامة من ذلك وعدم العزم وعدم الاستمرار في هذا الشيء فيعفو عن هذه الخطرات التي تقع في القلوب ولا تنفذ، لا يُنفذها صاحبها لا بقول ولا بعمل ولكنه تخطر ممّا يُلقيه

---

(١) سبق تخريجه برقم (١٥٨) (ص٣٣٦).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره برقم (٥٢٦٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر برقم (١٢٧).

الشيطان ثم يحاربها المؤمن ويجاهدها حتى تذهب وحتى تزول، ومن هذا قوله ﷺ للصحابة لما قالوا: يا رسول الله إن أحدنا ليقع في قلبه ما لأن يخرَّ من السماء أهون عليه من أن ينطق به فقال ﷺ: **«ذَلِكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ؛ لأَنَّ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ»** قَالَ: **«ذَلِكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ»**[١].

في اللفظ الآخر تلك الوسوسة، الإنسان قد يعرض له وساوس، لما رأى الشيطان قوة إيمانه وصلابة إيمانه قد يُلقي عليه بعض الوساوس فيحاربها المؤمن، ولأن يخر من السماء أهون عليه أن ينطق بها لخبثها تارة تكون في الله، في الشك في الله، في قدرته، في الإيمان به، وتارة تكون في المعاصي والمخالفات، تارة في أشياء أُخرى تتعلق بالناس وإيذائهم وظلمهم، فإذا حاربها المؤمن وجاهدها لله كفاه الله شرها وسلمه منها وجعل له بعد ذلك العاقبة الحميدة والأجر الكثير في جهاد نفسه ومحاربة خطراته الخبيثة التي يُلقيها الشيطان طاعة لله وإيماناً به وحذراً من غضبه وعقابه ﷻ.

وفَّق الله الجميع لما يرضيه ورزقنا وإياكم العافية والسلامة من طاعة الهوى والشيطان.



---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسند أبي هريرة ﷺ ٢/٤٤١.




١٨ ـ بَابُ في النهي عن البدع ومحدثات الأمور

قال الله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]؛ أي: الكتاب والسُّنَّة، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، والآيات في الباب كثيرةٌ معلومةٌ.

وأما الأحاديث فكثيرةٌ جداً، وهي مشهورةٌ، فنقتصر على طرفٍ منها:

١٦٩ ـ **عن** عائشة ﵂، قَالَتْ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ في أمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(١).

وفي رواية لمسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيسَ عَلَيهِ أمرُنا فَهُوَ رَدٌّ».

١٧٠ ـ **وعن** جابر ﵁، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَينَاهُ، وَعَلا صَوتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيشٍ، يَقُولُ: «صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ» وَيَقُولُ: «بُعِثْتُ أنَا والسَّاعَةُ كَهَاتَينِ» وَيَقْرِنُ بَيْنَ أُصبُعَيهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَيَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَة ضَلالَةٌ» ثُمَّ يَقُولُ: «أنَا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود برقم (٢٦٩٦)، ومسلم في كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور برقم (١٧١٨)، وأحمد ٦/ ٢٧٠.

أَوْلَى بِكُلِّ مُؤمِنٍ مِنْ نَفسِهِ، مَنْ تَرَكَ مَالاً فَلأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْناً أَوْ ضَيَاعاً فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ» رواه مسلم(١).

وعن العرباض بن سَارية رضي الله عنه حديثه السابق في بابِ المحافظةِ عَلَى السُّنَّةِ.

الشَّرح

فهذه الآيات الكريمات والأحاديث النبوية عن رسول الله عليه الصلاة والسلام كلها تتعلق بالتحذير من البدع وبيان سوء عاقبتها، وأنها جُرأة على الله وزيادة في شرعه لا يجوز من أحد فعل ذلك؛ ولهذا قال جلَّ وعلا في كتابه العظيم: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢] فالحق هو ما شرعه الله وبيَّنه لعباده، ومن ابتدع شيئاً يشرعه للناس لم ينزل به سلطان فهو قد أتى بالضلال، وقال جلَّ وعلا: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]؛ يعني: كل شيء بينه الله لعباده مما يحتاجون إليه، قال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، قد بيَّن الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ كل شيء يحتاجه الناس في أمر دينهم، وفيما يقربهم إلى ربهم ويباعدهم من غضبه، ﷺ وقال ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

فالسعادة كله في اتّباع شريعة الله واتّباع ما جاء به نبيه عليه الصلاة والسلام، والبدع والمحدثات خلاف ذلك، قال ﷻ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]؛ يعني: إلى الله، إلى كتاب الله القرآن، وإلى الرسول في حياته، وإلى سنته بعد وفاته، عليه

(١) أخرجه في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة برقم (٨٦٧).

الصلاة والسلام وقال ﷻ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١] يعيب عليهم وينكر عليهم، سبحانه ويقول ﷻ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]، الله أمر نبيه أن يلزم الشريعة التي جاء بها عن ربه ﷻ وأن يستقيم عليها ويحذر ما يخالفها، هكذا أوجب الله على نبيه عليه الصلاة والسلام وعلى الأمة، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وسبيل الله هو صراطه المستقيم، الذي قال فيه: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦ ـ ٧] وقال فيه سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢ ـ ٥٣]، وصراط الله هو دينه، وهو الإسلام الذي بعث الله به نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام، وهو طاعة الأوامر وترك النواهي، هذا هو الإسلام، الإيمان بالله ورسوله وإخلاص العبادة لله وحده وطاعة الأوامر التي أمر الله بها ورسوله وترك النواهي، هذا هو دين الله وهذا هو صراطه المستقيم.

أما السبل التي نهى عنها فهي البدع والشهوات المحرمة والشبهات التي يشبه بها أعداء الله، هذه السُبل الباطلة التي يدعو إليها الشياطين؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣] تبعد بكم عن سبيله، وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه: «**خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطّاً ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللهِ ثُمَّ خَطَّ خُطُوطاً عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ قوله تعالى:** ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا

فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[١].

وقد كان يخطب ﷺ في الجمعة ويقول في خطبته: «**إن خير الحديث كتاب الله**»؛ يعني: القرآن وخير الهدي هديُ محمد ﷺ؛ يعني: خير السيرة سيرته عليه الصلاة والسلام وما جاء به، وشرَّ الأمور مُحدثاتها وكل بدعة ضلالة، وشرُّ الأمور ما أحدثه الناس في الدين وابتدعوه بين الناس، هذا مما حرمه الله ﷻ، وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا**»؛ يعني: في ديننا «**مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**» في اللفظ الآخر «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيهِ أمرُنا فَهُوَ رَدٌّ**»؛ يعني: فهو مردود على صاحبه، قال في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ المَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

وكان إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيشٍ يقول: «**صبَّحكم ومسَّاكم**»؛ لأن هذا أبلغ في قلوب المستمعين وأقرب إلى تأثرهم وخوفهم من غضب الله وعقابه، وعنايتهم بأمر الله ﷻ.

والبدع هي الزيادة في الدين الذي يُحدثها الناس؛ يعني: عبادات ما شرعها الله يقال لها: بدعة؛ يعني: الشيء المُبتدع الجديد الذي ليس لها أساس يقال: بئرُ بديعة؛ يعني: لتوها محدثة جديدة ليست عادية، يقال: ابتدع كذا؛ يعني: أحدثه وأتى به من جديد، فالبدع في الدين هي التي أحدثها الناس وزادوها في دين الله مثل الأعياد بالموالد؛ الاحتفال بمولد النبي ﷺ يعدونها عيداً، والاحتفال بموالد الأولياء أو الأنبياء الآخرين أو الملوك أو الرؤساء، هذه الاحتفالات بالموالد التي اعتبروها

(١) أخرجه أحمد ١/ ٤٣٥.

ديناً واعتبروها عبادة صارت بدعة، وإذا اعتبروها تأسياً بالكفرة صارت من التأسي بالكفرة والتشبه بهم، فالاحتفال بالموالد ما بين بدعة وبين تشبه بأعداء الله من اليهود والنصارى، وهكذا ما ابتدعه بعض الناس من التعبد ليلة سبع وعشرين من رجب، ويقولون: إن هذه ليلة الإسراء يتعبدون فيها بصلاة وخطب وغير هذا، وهكذا ما ابتدعه بعض الناس من التعبد ليلة النصف من شعبان، والاحتفال من ليلة النصف من شعبان وإقامة العبادات أو الاحتفالات بها، وهكذا بعضهم ابتدع بدعة في أول رجب في أول ليلة جمعة من رجب صلوات معدودة، وهكذا ما أشبه ذلك كل عبادة يحدثها الناس ما لها أصل في دين الله يقال لها: بدعة، ويقال لها: محدثة، وهي منكرة؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**كل بدعة ضلالة**» لأن الناس إذا أحدثوا في الدين ضيعوا ما شرع الله لهم واختلط عليهم الأمر واشتبهت عليهم الأمور، هكذا فعل اليهود والنصارى أحدثوا فاشتبهت عليهم الأمور وضيعوا دينهم، أعوذ بالله، الواجب على أهل الإسلام التمسك بما دلَّ عليه كتاب الله وبما جاء به رسوله عليه الصلاة والسلام في العبادات والأحكام وفي كل شيء وألا يخرجوا عن ذلك لا قليلاً ولا كثيراً، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] هكذا الواجب اتّباع ما جاء به الشرع والحذر ممّا خالف ذلك.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.






١٩ ـ بَابُ في من سنّ سنةً حسنةً أو سيئة

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣].

١٧١ ـ **عن** أَبي عمرو جرير بن عبد الله رضي الله عنه، قَالَ: كنا في صَدْرِ النَّهَارِ عِنْدَ رَسُول الله ﷺ فَجَاءهُ قَومٌ عُرَاةٌ مُجْتَابي النِّمَار أَوْ العَبَاء، مُتَقَلِّدِي السُّيُوف، عَامَّتُهُمْ من مضر بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُول الله ﷺ لما رَأَى بِهِمْ مِنَ الفَاقَة، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلالاً فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فصَلَّى ثُمَّ خطَبَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، والآية الأُخْرَى التي في آخر الحَشْر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨] تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرهمِهِ، مِنْ ثَوبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ» حَتَّى قَالَ: «وَلَوْ بِشقِّ تَمرَةٍ» فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعجزُ عَنهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأيْتُ كَومَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُول الله ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ. فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أجْرُهَا، وَأجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيرِ أنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورهِمْ شَيءٌ، وَمَنْ سَنَّ في الإسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيهِ وِزْرُهَا، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ

غَيرِ أنْ يَنْقُصَ مِنْ أوْزَارِهِمْ شَيءٌ» رواه مسلم(١).

□ قَولُهُ: (مُجْتَابِي النِّمَارِ) هُوَ بالجيم وبعد الألِف باءٌ مُوَحَّدَةٌ، والنِّمَارِ جَمْعُ نَمِرَةٍ وَهِيَ كِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ مُخَطَّطٌ. وَمَعْنَى (مُجْتَابِيهَا)؛ أي: لَابِسيهَا قَدْ خَرَقُوهَا في رُؤوسِهِم. وَ(الجَوْبُ) القَطْعُ، ومِنْهُ قَولُهُ تعالى: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾؛ أي: نَحتُوهُ وَقَطَعُوهُ. وَقَولُهُ: (تَمعَّرَ) هُوَ بالعين المهملة؛ أيْ: تَغَيَّرَ. وَقَولُهُ: (رَأَيْتُ كَوْمَينِ) بفتح الكافِ وَضَمِّهَا؛ أي: صُبْرَتَيْنِ. وَقَولُهُ: (كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ) هُوَ بالذال المُعْجَمَةِ وفتح الهاءِ والباءِ الموحَّدةِ قالَهُ القاضي عِيَاضٌ وَغيرُهُ وَصَحَّفَهُ بَعْضُهُمْ، فَقَالَ: (مُدْهُنَةٌ) بدَال مهملة وَضَمِّ الهاءِ وبالنونِ وكذا ضبطه الحميدي. والصحيح المشهور هُوَ الأول. والمراد بِهِ عَلَى الوجهين: الصفاءُ والاستنارة.

١٧٢ ـ **وعن** ابنِ مسعود رضي الله عنه: أن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «لَيْسَ مِنْ نَفْس تُقْتَلُ ظُلْماً إلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأوْلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا؛ لأنَّهُ كَانَ أوَّلَ مَنْ سَنَّ القَتلَ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(٢).

الشَّرح

هذه الآيات والحديثان فيما يتعلق بالسُّنَّة على المسلمين وإحيائِها وإظهارها والدعوة إليها وأن المؤمن متى دعا إلى السُّنَّة وأحياها وأظهرها كان له أجرها وأجر من عمل من بعده؛ يعني: كان له أجره كاملاً ومثل أجور من هداه الله على يديه وعمل بها من بعده والعكس بالعكس، متى سنَّ سُنَّة سيئة ودعا إلى باطل كان عليه إثم ذلك ومثل آثام من تابعه في ذلك، نسأل الله العافية يقول الله ﷻ في كتابه العظيم: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً

(١) أخرجه في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار برقم (١٠١٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته برقم (٣٣٣٥)، ومسلم في كتاب القسامة والمحاربين، باب بيان إثم من سن القتل برقم (١٦٧٧)، وأحمد ١/ ٣٨٣، ٤٣٠، ٤٣٣.

يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣] في الآية الأخرى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] قال جل وعلا: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

هذه من دعوات عباد الرحمٰن أن يكونوا أئمة في الخير والهدى، وبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، فمن صبر على طاعة الله عن إيمان وعن يقين وسارع على الخيرات صار إماماً يُقتدى به. فينبغي للمؤمن أن يتحرى هذا الخير ويكون إماماً في الخير يدعو إلى الخير ويسابق إليه، كالصدقات على الفقراء والمحاويج والدعوة إلى ذلك كالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتشجيع في ذلك، تعليم العلم تفقيه الناس إرشاد الضال، إلى غير هذا من وجوه الخير يكون إماماً في ذلك، ولا سيما السنن التي تموت بين الناس ويجهلها الناس في القرى أو في القبائل أو في المدن، فالذي يحييها ويظهرها يكون له مثل أجور من تابعه على ذلك، أما البدع تقدم أن صاحب البدعة قد ضلَّ عن السبيل، وهي أن يخترع بدعة ليس لها أصل، يخترع عبادة ليس لها أصل، فهذا هو الذي جاءت به الأحاديث السابقة.

يقول عليه الصلاة والسلام: **«فَإِنَّ خَيْرَ الهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»**(١) كان يخطب الناس بذلك فيقول: **«إِنَّ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»**، ويقول عليه الصلاة والسلام: **«مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيهِ أمرُنا فَهُوَ رَدٌّ»** هذا في الأشياء المحدثة التي يبتدعها الناس وينسبونها إلى الدين، هذه هي الضلالة المنكرة التي على صاحبها إثمها وإثم من عمل من بعده. أما كونه سن في الإسلام سُنَّة حسنة معنى

(١) سبق تخريجه برقم (١٧٠) (ص٣٥٧) من هذا المجلد.

ذلك يحييها ويظهرها ويدعو إليها وهي ثابتة في الإسلام، لكنه دعا إليها وأظهرها وبيَّنها للناس فتابعوه على ذلك وتأسوا به في ذلك وحصل لهم بذلك الأجر العظيم في إحياء السُّنَّة، وحصل له مثل أجور أتباعه في ذلك؛ ولهذا لما جاء قوم من مُضر مجتابي النمار؛ يعني: قد شقوا نمارهم عليهم ولبسوها فقراء محاويج، لما رآهم النبي ﷺ تغير وجهه فأمر بالصلاة فأقيمت ثم صلَّى ثم خطب الناس وتلا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، فأخبر ﷻ أنه رقيب على العباد، وأمر بتقواه جلَّ وعلا وقال في آخر سورة الحشر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

في آيات كثيرات يأمر سبحانه بالتقوى، ومن التقوى: مساعدة الفقير وجبر مصيبته وإعانته على ما يسُدُّ رمقه، كل هذا من التقوى، ثم قال بعد هذا بعد ما تلا الآيات عليه الصلاة والسلام: «تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ»، من الذهب «مِنْ دِرهمِهِ» من الفضة، «مِنْ ثَوبِهِ»؛ يعني: من الملابس «مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ حَتَّى قَالَ: وَلَوْ بِشِقِّ تَمرَةٍ» فقام رجل من الصحابة فجاء بصُرة من فضة كادت كفه تعجز عنها، ثم تتابع الناس، هذا يأتي بثوب، هذا يأتي بكذا، وهذا يأتي بكذا، هذا يأتي بتمر هذا يأتي بشعير، هذا يأتي بقمح إلى غير ذلك، حتى تجمع عنده كومان صُرتان من الثياب والطعام، فلما رأى مسارعة الناس إلي الخير تهلَّل وجهه عليه الصلاة والسلام كأنه مذهبة كقطعة ذهب، لها بريق من سروره بعمل الناس ومسارعتهم إلى الخير ﷺ.

فهكذا ينبغي لولاة الأمور وأئمة المساجد وأهل الخير إذا رأوا المحاويج والمنكوبين سارعوا إلى مساعدتهم وإلى حث الناس على

جمعهم والإحسان إليهم وسدّ فاقتهم، كما فعله المصطفى عليه الصلاة والسلام، فالله جلّ وعلا لا يضيع على عامل عمله، يقول سبحانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧] ويقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، ويقول سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

فالمؤمن يصدق ويحسن ولو بالقليل لا يحقر ولو بشق تمرة، كما قال النبي ﷺ، لا يحقر عمله بالدرهم بالدرهمين بالثوب الملبوس بالثوب الجديد بغير هذا مما يستطيع، فالشيء القليل مع القليل يكثر وينفع الفقير، ثم في ذلك التأسي إذا قام هذا وقام هذا وقام هذا تأسى الناس وتنشطوا وتشجعوا على المساعدة والمساهمة.

وهكذا **الحديث الثاني**: يقول ﷺ: «**لَيْسَ مِنْ نَفْس تُقْتَلُ ظُلْماً إلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأوْلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا**»؛ يعني: قابيل حين قتل أخاه هابيل، «**كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا لأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ القَتلَ**» فهذا يبيِّن معنى قوله ﷺ: «**ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص من آثامهم شيء**» فهذا ابن آدم قابيل قتل هابيل عند شحناء وقعت في نفس قابيل على أخيه؛ لأن هابيل تقبَّل الله قُربانه ولم يُتقبل من قابيل، فحقد عليه وقتله ظلماً وعدواناً. وكان ذلك أول قتل وقع في بني آدم قال النبي ﷺ: «**كل من قُتل ظلماً كان على ابن آدم كفل من دمه**»؛ يعني: قسط من دمه؛ لأنه أول من بدأ القتل الظلم والعدوان، هذا يبيِّن لنا أنه ينبغي للمؤمن أن يحذر أن يكون إماماً في الشر، وقدوة في الشر، ويحرص على أن يكون قدوة في الخير.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.



٢٠ ـ بَابُ في الدلالة على خير والدعاء إلى هدى أو ضلالة

قال تعالى: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾ [القصص: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

١٧٣ ـ **وعن** أبي مسعود عُقبةَ بنِ عمرو الأنصاري البدري رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أجْرِ فَاعِلِهِ» رواه مسلم(١).

١٧٤ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدىً، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَه، لَا يَنْقُصُ ذلِك مِنْ أُجُورِهِمْ شَيئاً، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيهِ مِنَ الإثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذلِك مِنْ آثَامِهِمْ شَيئاً» رواه مسلم(٢).

١٧٥ ـ **وعن** أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: أنَّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ يوم خَيبَر: «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رجلاً يَفْتَحُ الله عَلَى يَدَيهِ، يُحبُّ اللهَ وَرَسولَهُ، ويُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ»، فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أيُّهُمْ يُعْطَاهَا. فَلَمَّا أصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رسولِ الله ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أنْ

(١) أخرجه في كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله برقم (١٨٩٣).

(٢) أخرجه في كتاب العلم، باب من سن سُنَّة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة برقم (٢٦٧٤).

يُعْطَاهَا. فَقَالَ: «أينَ عَلِيُّ بنُ أَبي طالب؟» فقيلَ: يَا رسولَ الله، هُوَ يَشْتَكي عَيْنَيهِ. قَالَ: «فَأَرْسِلُوا إِلَيْه» فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رسولُ الله ﷺ في عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرِئَ حَتَّى كأنْ لَمْ يكُن بِهِ وَجَعٌ، فأعْطاهُ الرَّايَةَ. فقالَ عَليٌّ رضي الله عنه: يَا رَسُول اللهِ، أقاتِلُهم حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنا؟ فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِل بسَاحَتهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإسْلاَمِ، وَأخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ تَعَالَى فِيهِ، فَوَالله لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَم» مُتَّفَقٌ عَلَيه[1].

□ قوله: (يَدُوكُونَ)؛ أي: يَخُوضُونَ وَيَتَحَدَّثُونَ. وقوله: (رِسْلِكَ) بكسر الراءِ وبفتحها لغتانِ، والكسر أفصح.

١٧٦ ـ **وعن** أنس رضي الله عنه: أن فتىً مِنْ أسلم، قَالَ: يَا رَسُول الله، إنِّي أُرِيدُ الغَزْوَ وَلَيْسَ معي مَا أتَجَهَّز بِهِ، قَالَ: «ائتِ فُلاَناً فإنَّهُ قَدْ كَانَ تَجَهَّزَ فَمَرِضَ» فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إنَّ رسولَ الله ﷺ يُقْرِئُكَ السَّلامَ، وَيَقُولُ: أعْطني الَّذِي تَجَهَّزْتَ بِهِ، فَقَالَ: يَا فُلاَنَةُ، أعْطِيهِ الَّذِي تَجَهَّزْتُ بِهِ، وَلا تَحْبِسي مِنْهُ شَيئاً، فَوَاللهِ لَا تَحْبِسِين مِنْهُ شَيئاً فَيُبَارِكَ لَكِ فِيهِ. رواه مسلم[2].

الشَّـرح

هذه الآيات الكريمات والأحاديث النبوية عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، كلها تدلُّ على شرعية الدعوة إلى الخير والترشيد والهداية إلى الخير والإعانة على الخير، وهكذا المسلمون يجب أن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ برقم (٢٩٤٢)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب برقم (٢٤٠٦)، وأحمد ٥/ ٣٣٣.

(٢) أخرجه في كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله برقم (١٨٩٤).

يكونوا متعاونين على البر والتقوى متناصحين متواصين بالحق أدلاء على الخير دعاة للهدى، هكذا يجب عليهم وهكذا يجب أن يكونوا، قال جلَّ وعلا: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾ [القصص: ٨٧]؛ يعني: إلى دينه وإلى سبيله قال سبحانه: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨] فهو وأتباعه عليه الصلاة والسلام يدعون إلى الله على بصيرة؛ يعني: على علم يرشدون الناس إلى الخير ويدلونهم عليه؛ لأن الله خلق الخلق ليعبدوه ويطيعوا أمره وأمر الرسول عليه الصلاة والسلام، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتعاون والدلالة على الخير، هذا عنده علم وهذا ما عنده علم، هذا جاهل وهذا عالم، لا بد من التعاون والدلالة، كل على قدر حاله، حتى ينتشر الخير وحتى يعم العلم وحتى تحصل الهداية للجميع.

ولهذا يقول سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]، الناس خاسرون إلا من تخلَّق بهذه الأخلاق الأربعة واتصف بها وصدق في ذلك، وهي الإيمان الصادق بالله ورسوله، والعمل الصالح وهو طاعة الله ورسوله بأداء فرائض الله وترك مناهي الله، والثالث: التواصي بالحق والتعاون على الخير، والرابع: التواصي بالصبر، هذه أسباب النجاة والربح، هذه طرق السعادة ووسائل النجاة في الدنيا والآخرة، ويقول سبحانه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، هكذا يقول الله لنبيه ﷺ ليدعوا الناس بالحكمة وهي العلم، قال الله قال رسوله هذه الحكمة، ثم العلم حكمة؛ لأنه يمنع الناس عن الشر ويقودهم إلى الخير، فالحكمة التي تتفرس به الرجال تُقاد بها والعلم

يمنع الناس بتوفيق الله عما لا ينبغي ويقودهم إلى ما ينبغي، وهكذا بالموعظة الحسنة بالتوجيه والوعظ والتذكير والترغيب والترهيب؛ لأن بعض الناس قد لا تكفيه الأدلة الدالة على وجوب كذا تحريم كذا، يحتاج إلى ترغيب يحتاج إلى موعظة يحتاج إلى نصيحة حتى يرق قلبه حتى يخضع حتى يرغب، وهكذا بالجدال بالتي هي أحسن، قد يكون عند بعض الناس شبهة وتوقف، ويجادل بالتي هي أحسن حتى يوضح له الأمر حتى تُزاح شبهته حتى ينشرح صدره في الخير ويزول ما عنده من لبس.

ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] هؤلاء هم أهل الفلاح الدعاة إلى الخير الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر، هم أهل الفلاح على الكمال، هم أهل السعادة على الكمال ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾، ما في أحسن قولاً من هؤلاء ومنهم المؤذنون ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

فأحسن الناس قولاً هم الدعاة إلى الله وعلى رأسهم الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ لأنهم أفضل الدعاة وخير الدعاة وأئمة الدعاة إلى الخير، ومنهم المؤذنون الدعاة إلى هذه الصلاة العظيمة، من أخلص لله نيته فهو داخل في هذه الآية العظيمة، وهكذا الدعاة إلى الله يوجهون الناس، المرشدون المعلمون الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر، ما في أحد أحسن قولاً من هؤلاء؛ لأنهم دعاة للخير، أُمَّار بالمعروف ناهون عن المنكر سالكون مسلك الرسل عليهم الصلاة والسلام، إذا وفقهم الله وصدقوا وأخلصوا وصاروا على علم وعلى بصيرة ويقول النبي ﷺ: «**مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**»، هذا خير عظيم وفضل

كبير إذا أرشدت إنساناً جاهلاً إلى الصلاة والمحافظة عليها في الجماعة وأجاب دعوتك وانتفع بكلامك صار لك مثل أجره إلى يوم القيامة، إن كان عاقاً لوالديه أرشدته ونصحته حتى يبرَّ والديه حتى يقوم بحق والديه فأجاب إلى دعوتك وانتفع بقولك وقبل نصيحتك، يكون لك مثل أجره إلى يوم القيامة، إنساناً يشرب الخمر يتعاطى الدخان يتعاطى محرمات أُخرى فتنصحه وتوجهه إلى الخير ثم يستجيب لك وينتفع بكلامك يكون لك مثل أجره إلى يوم القيامة، وهكذا، من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله، إنساناً يشهد بالزور يتعاطى الكذب وتنصحه وترشده إلى الخير فيجيب دعوتك ويقبل نصيحتك فيكون لك مثل أجره، هكذا أنواع الخير.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**من دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالةٍ ـ نعوذ بالله ـ كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**». الذي يدعو إلى قطيعة الرحم أو إلى العقوق أو إلى شرب المسكرات أو إلى التدخين أو إلى شهادة الزور أو إلى أكل أموال الناس بالباطل أو إلى الخيانة أو الغش في المعاملات أو إلى غير هذا من أنواع الشر، فمن دعا إلى هذه الشرور كان عليه مثل آثام من تبعه، أعوذ بالله ومثل أوزارهم إلى يوم القيامة، وأعظم من هذا من يدعو إلى الشرك والكفر بالله نعوذ بالله يكون عليه مثل آثام من تبعه للكفر، أعوذ بالله.

وهكذا لما بعث النبي ﷺ علياً إلى خيبر إلى اليهود، النبي حاصر اليهود سنة سبع من الهجرة حاصرهم وطال حصارهم، ففي بعض الأيام في آخر أيامه قال: «**لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ**»؛ يعني: البيرق «**غداً**»؛ يعني: صباحاً «**رَجُلاً يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**».

فسُر بها الصحابة كلهم يقول: لعله يحصل له هذا الخير العظيم «**يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**»؛ يعني: البُشرى، كل مؤمن

يحب الله ورسوله، وكل مؤمن يحبه الله ورسوله، لكن كونه يشهد له النبي بهذا عليه الصلاة والسلام منقبة عظيمة؛ فلهذا تشوَّف لها الناس حتى قال عمر رضي الله عنه: ما تطاولت للإمارة إلا يومئذ من أجل هذا الفضل فلما أصبحوا وغدوا على النبي ﷺ كلهم يرجو أن يعطى هذه الراية من أجل هذا الثناء العظيم فقال: «**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ**» رضي الله عنه قيل: هو «**يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ**»، قال: «**فأرسلوا إليه**»، فجيء به فبصق في عينيه، ودعا له، عليه الصلاة والسلام، فبرأ كأن لم يكن به وجعٌ، أبرأه الله في الحال.

هذه من آيات الله ومن الدلائل على قدرة الله تعالى كما قال عز وجل: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، هذه من الدلائل على عظمة الله وقدرته العظيمة وأنه إذا شاء شفاء المرض شُفي في الحال، وفيها المعجزة للنبي ﷺ ودلالة على كرامته على ربه أن الله أجاب دعوته في الحال حتى شفى الله علياً في الحال فأعطاه الراية البيرق فقال علي: ماذا أفعل به أُقاتل حتى يكونوا مثلنا؟ قال: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ**»؛ يعني: على مهلك «**حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ**»؛ يعني: بقربهم لا تنزل بعيداً منهم هذا هو الذي ينبغي، أمير الجيش ينزل قريباً حتى تكون أشجع للجيش وأوهن لقلوب العدو، «**ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ**».

هذا يدلُّ على أن القتال يكون بعد الدعوة، لا يقاتل الكفار إلا بعد أن يدعوا إلى الله ويعلموا ويرشدوا، فإن أجابوا وإلا قوتلوا إلا إذا سلموا الجزية وهم من أهلها، كان اليهود قد دعوا قبل ذلك، قبل ذلك اليوم ولكن أراد النبي التأكيد عليهم حتى لا تبقى لهم حجة وأن يدعوهم مرة أُخرى مبالغة في الدعوة، ثم قال عليه الصلاة والسلام: «**فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**» فيه الدلالة أن المقصود من الجهاد ليس قتل الناس، المقصود من الجهاد هدايتهم إلى

الحق وإرشادهم، فإن أجابوا هذا هو المطلوب، وإن لم يجيبوا قوتلوا، فالقتال بعد ذلك إذا أبو وعاندوا الدعوة ولم يستجيبوا ولم يؤدوا الجزية إذا كانوا من أهلها، والجزية أهلها اليهود والنصارى، والمجوس عُباد النار إذا أدوا الجزية وهي المال الذي يضرب عليهم على نظر ولي الأمر كل سنة، هذا يقال له: جزية، إذا أدوها كُفَّ عنهم وحُمُوا وصاروا في رعاية المسلمين حتى يسلموا أو يبقوا على حالهم تحت قيود المسلمين وشروطهم، وعلى بذل هذا المال كل سنة ليستعين به المسلمون على شؤونهم وعلى حاجاتهم وعلى جهاد العدو الآخر.

أما غيرهم كعباد الأوثان وعباد الأصنام والملحدين وسائر الكفرة هؤلاء إما الإسلام وإما السيف لا تقبل منهم الجزية، الجزية لثلاثة طوائف: اليهود والنصارى وهم أهل الكتاب، ويلحق بهم المجوس وهم عُباد النار الفرس وأشباههم، فالحاصل أن الرسول ﷺ أمر علياً أن يدعوهم إلى الدخول في الإسلام، وكانت الجزية لم تفرض ذاك الوقت حين حاصر خيبر كانت الجزية لم تُشرع؛ ولهذا أمرهم أن يقاتلهم اذا لم يستجيبوا للإسلام، ثم شرع الله الجزية بعد ذلك بقوله جلَّ وعلا: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]. هذا كان نزل بعد ذلك، فإذا أدوا الجزية عن صغار وعن ذُل والتزام بالشروط كُف عنهم ما داموا ملتزمين بالشروط وبأداء الجزية.

وفي هذا من الدلالة على فضل الدعوة إلى الله وأن المؤمن يجتهد في الدعوة إلى الله قبل القتال لعلَّ الله يهديهم بأسبابه، فيكون له مثل أجورهم، وهذا من نعم الله العظيمة أن المسلمين لا يبدؤون بالقتال وليس قصدهم القتال، وإنما يبدؤون بالدعوة والتوجيه إلى الخير، فإذا أجاب العدو ورغب في الإسلام ودخل في دين الله فالحمد لله، وإلا فالقتال بعد ذلك إلا أن يكون من أهل الجزية فيطلب الجزية، فإن أبى

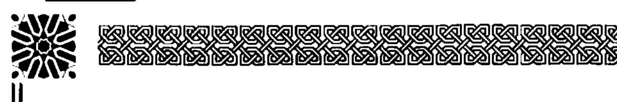
فالسيف، أولاً بالإسلام فإن أبى فالجزية وإن أبى السيف: القتال.

وفي **الحديث الآخر** يقول ﷺ إن إنساناً جاءه يستأذن في الجهاد وليس عنده قدرة قال: «**ائت فلاناً فإنه قد كان تجهز فمرض**» حتى يعطيك جهازه فذهب إليه فأخبر بقول النبي ﷺ فأمر زوجته أن تسلم له ما تجهز به وقال: لا تحبسي منه شيئاً وهذا لأن من جهز غازياً فقد غزا يقول النبي ﷺ: «**مَنْ جَهَّزَ غَازِياً فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِياً فِي سَبِيلِ اللهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا**»[1] الإنسان يجهز الغزاة ويعطيهم حاجاتهم من الزاد والسلاح يكون له أجر الغازي في سبيل الله.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.



(١) متفق عليه من حديث زيد بن خالد رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب فضل من جهَّز غازياً أو خلفه بخير برقم (٢٨٤٣)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله برقم (١٨٩٥).




٢١ ـ بَابٌ في التعاون على البر والتقوى

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]، قَالَ الإمام الشافعي رَحِمَهُ الله كلاماً معناه: إنَّ النَّاسَ أَوْ أكثرَهم في غفلة عن تدبر هذِهِ السورة.

١٧٧ ـ **وعن** أبي عبد الرحمٰن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِياً في سَبيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِياً في أَهْلِهِ بِخَيرٍ فَقَدْ غَزَا» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[(١)].

١٧٨ ـ **وعن** أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رَسُول الله ﷺ بعث بعثاً إِلَى بني لِحْيَان مِنْ هُذَيْلٍ، فَقَالَ: «لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا وَالأجْرُ بَيْنَهُمَا» رواه مسلم[(٢)].

١٧٩ ـ **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُول الله ﷺ لَقِيَ رَكْباً بالرَّوْحَاءِ، فَقَالَ: «مَنِ القَوْمُ؟» قالوا: المسلمون، فقالوا: من أنتَ؟ قَالَ: «رَسُول الله»، فرفعت إِلَيْه امرأةٌ صبياً، فَقَالَتْ: أَلِهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِ أجْرٌ» رواه مسلم[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب فضل من جهَّز غازياً أو خلفه بخير برقم (٢٨٤٣)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله برقم (١٨٩٥).

(٢) أخرجه في كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله برقم (١٨٩٦).

(٣) أخرجه في كتاب الحج، باب صحة حج الصبي وأجرِ من حج به برقم (١٣٣٦).

١٨٠ ـ **وعن** أَبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ، أنَّه قَالَ: «الخَازِنُ المُسْلِمُ الأمِينُ الَّذِي يُنفِذُ مَا أُمِرَ بِهِ فيُعْطيهِ كَامِلاً مُوَفَّراً طَيِّبَةً بِهِ نَفْسُهُ فَيَدْفَعُهُ إِلَى الَّذِي أُمِرَ لَهُ بِهِ، أَحَدُ المُتَصَدِّقين» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

وفي رواية: «الَّذِي يُعْطِي مَا أُمِرَ بِهِ» وضبطوا المُتَصَدِّقَينِ: بفتح القاف مَعَ كسر النون عَلَى التثنية، وعكسه عَلَى الجمعِ وكلاهما صحيح.

الشَّـرح

هذه الآيات والأحاديث فيها الدلالة على شرعية التعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق وقضاء المسلم لحاجة أخيه إلى ما أباح الله وما شرع ﷻ، يقول الله ﷻ في كتابه العظيم: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢]، ويقول ﷻ ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]، فهذه السورة العظيمة مع قصرها اشتملت على أسباب الربح وعلى عوامل السعادة وأن الناس في خسران ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾؛ يعني: إلا الذين استقاموا على هذه الخصال الأربع على الإيمان الصادق بالله ورسوله، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب أجر الخادم إذا تصدق بأمر صاحبه غير مفسد برقم (١٤٣٨)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب أجر الخازن الأمين والمرأة إذا تصدقت من بيت زوجها غير مفسدة بإذنه الصريح أو العُرفي برقم (١٠٢٣) (١٤٣٨).

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ وهو أحد العلماء المشهورين في القرن الثاني يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الناس أو أكثرهم في غفلةٍ عن تدبر هذه السورة. وقال بعضهم: لو فكر الناس في هذه السورة لكفتهم، وما ذاك إلا لما اشتملت عليه من المعاني العظيمة، فإنها اشتملت على أصول السعادة وعلى أسباب الربح كله، فلو أخذ المسلمون بهذه السورة العظيمة واستقاموا عليها علماً وعملاً لأفلحوا وفازوا بالسعادة في الدنيا والآخرة، وهو الإيمان بالله ورسوله صدقاً، ثم آداب مقتضى الإيمان من العمل الصالح في أداءِ فرائض الله وترك محارم الله والوقوف عند حدود الله، ثم التواصي بالحق والتواصي بالصبر.

التواصي بالحق من الإيمان ومن العمل الصالح، وهكذا التواصي بالصبر، لكن الله نبَّهَ عنه لعظم شأنه، وإلا فالتواصي بالحق والتواصي بالصبر داخل في الإيمان وداخل في العمل الصالح، ولكن لما كان أمرهما عظيماً نبه الله عليه جلَّ وعلا، وهكذا التعاون على البر والتقوى وهو داخل في الإيمان، الواجب على أهل الإيمان أن يمتثلوا أمر الله سبحانه وأن يأخذوا بما أوصى به ﷻ وأمر به؛ لما فيه من سعادتهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة، فالتعاون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على قضاء حاجة الفقير، على نصر المظلوم على ردع الظالم، على مواساة المحتاج، على أداء الصيام، على أداء الصلاة، على أداء الزكاة، على الجهاد، على أداء الحج، إلى غير هذا من شؤون الإسلام، التعاون في ذلك مما يحبه الله ورسوله، وضد ذلك التعاون على الإثم والعدوان كونه يعين على شرب المسكرات، على ظهور المنكرات، على الميسر والخمر، على الربا، على غير هذا، هذا من التعاون على الإثم والعدوان، نعوذ بالله وهو مما يغضب الله ويباعد من رحمته، نسأل الله العافية.

ويقول النبي ﷺ: **«وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيه»**

«مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ» المؤمن هكذا يعين أخاه في الخير وعلى ترك الشر، ويقول عليه الصلاة والسلام **«مَنْ جَهَّزَ غَازِياً في سَبيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِياً في أهْلِهِ بِخَيرٍ فَقَدْ غَزَا»** الذي يعين المجاهدين أن يجهزهم للجهاد يعتبر مجاهداً أيضاً بماله، وهكذا من خلفهم في أهليهم بالمواساة والإحسان والنفقة حتى يرجع المجاهد فهو مجاهد أيضاً؛ لأنه قام بحاجة المجاهد وكفاه مؤونة أهله فيكون مجاهداً وهذا كله من التعاون على البر والتقوى ومن التواصي بالحق.

وفي **الحديث الثاني** يقول ﷺ لما بعث سرية قال: **«لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا وَالأجْرُ بَيْنَهُمَا»**؛ يعني: واحد يذهب للجهاد وواحد يبقى في البيت في حاجات البيت وحاجات العائلة ينوب أحدهما عن الآخر والأجر بينهما، الأجر الذي يعطاه للمجاهد يعطاه لصاحب البيت الذي يقيم لمصلحة العائلة، يكون الأجر مشتركاً هذا بقيامه لكونه خلفه في أهله في حاجاتهم، وهذا في جهاده وتقديمه نفسه ابتغاء ما عند الله ﷻ، فهذا كله من التعاون على الخير، وهكذا إن كانوا ثلاثة فذهب واحد وبقي اثنان أو ذهب اثنان وبقي واحد يتعاون على البر والتقوى، وهكذا إذا كان واحد يذهب يطلب العلم ويتبصر ويتفقه في الدين، والآخر يطلب الرزق للعائلة ويلتمس الرزق، فهما شريكان في الأجر، فهذا يعين هذا، ومن هذا الباب ما جاء في الحديث الصحيح أن رجلين كان أحدهما يحضر مجالس النبي ﷺ، والآخر يعمل يطلب الرزق، فاشتكى العامل أخاه الذي يحضر المجالس مجالس العلم إلى النبي ﷺ فقال له عليه الصلاة والسلام: **«لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ»** لعلك ترزق بهذا الذي يطلب العلم ويتفقه في الدين، أنت تعمل في طلب الرزق، وهذا يعمل في طلب العلم، فلعلَّ الله يسهل الرزق لك بأسباب هذا الرجل الذي كفاك مؤونة طلب العلم، يتفقه لك وللمسلمين وأنت تعمل لمصلحته ومصلحة أهل بيتك، فهذا من باب التعاون، فمثلاً إذا جماعة في البيت ثلاثة أو

أربعة بعضهم يطلب العلم يتفقه في الدين وبعضهم يطلب الرزق فيعمل فهما يتعاونان هذا في طلب الآخرة وهذا في طلب الرزق الحلال فالأجر بينهما بالسواء.

هكذا **الحديث الثالث**: يقول ﷺ: أن **(رفعت امرأةٌ صبياً)** في الحج في طريق الحج لاقى ركباً وفيهم امرأة فسألهم قال من أنتم: «**مَنِ الْقَوْمُ؟**» قالوا: المسلمون فقالوا: وأنت؟ قال: «**رَسُول الله**» عليه الصلاة والسلام، فرفعت إِلَيْه امرأةٌ صبياً، فَقَالَتْ: أَلِهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَلَكِ أَجْرٌ**» فجعل لها أجراً لأنها تعين الصبي تطوف به تسعى به يتعلمه، إلى غير هذا من شؤون الإحرام وشؤون الحج، الصبيان تحج بهم أمهم أو أبوهم ويكون له أجر في ذلك، الصبي له أجر، وأبوه أو أمه لهما أجر؛ لأنها أعانته على الحج وإن كان نافلة لكنها أعانته على خير، فينبغي للمؤمن أن يعين على الخير ومع الصبيان ومع الكبار، فالمؤمن يعلِّم أولاده ويعلِّم أيتامه وجيرانه ويرشدهم وينصحهم ويفقههم في الدين له أجر عظيم في عمله الطيب، وينبغي ألا يحرم الإنسان نفسه الخير وينبغي ألا يحتقر شيئاً من عمل الخير ولو قليلاً يشارك به في الخير مع جيرانه ومع قراباته ومع أصدقائه في الخير يعينهم ويرشدهم ويصبر على ما قد يحصل من تعب في ذلك، يرجو ما عند الله ﷻ.

وهكذا **الحديث الرابع**: يقول ﷺ: «**الخَازِنُ الْمُسْلِمُ الأمِينُ الَّذِي يُنفِذُ مَا أُمِرَ بِهِ فيُعْطيهِ كَامِلاً مُوَفَّراً طَيِّبَةً بِهِ نَفْسُهُ فَيَدْفَعُهُ إِلَى الَّذِي أُمِرَ لَهُ بِهِ، أَحَدُ الْمُتَصَدِّقين**»؛ يعني: شريك للمتصدق؛ الرجل المسلم الذي عنده مال وله وكيل يعمده بإخراج الصدقات والمساعدات، فهذا الوكيل الذي عمده هذا التاجر أو هذا الأمين أو هذا الملك أو غيرهم عمده أن يدفع كذا وكذا، مالاً في عمارة مسجد، لمواساة فقير، لمواساة أيتام في قضاء دين، في غير ذلك. فقام هذا الوكيل وسلَّم هذا المال عن طيب نفس وعن مسارعة كاملاً موفراً، ما عذب صاحب الحاجة ولا آذاه بل

بادر بالعطية التي أُمر بها وسلمها لمستحقها كاملة وافرة بغير تعب ولا إيذاء ولا ترداد، يكون مثل أجر المتصدق يكون شريكا له في الأجر، إذا أُعطي ذاك مائة حسنة أو ثمانمائة حسنة أو ألف حسنة فيعطى هذا مثلها لأنه شارك في الخير وساعد على الخير ولم يؤذ المعطى ولم يعطله.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.






٢٢ ـ بَابُ في النصيحة

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وَقَالَ تَعَالَى: عن نوحٍ ﷺ: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٢]، وعن هودٍ ﷺ: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨].

وأما الأحاديث: فالأول:

١٨١ ـ **عن** أَبي رُقَيَّةَ تَمِيم بن أوس الداريِّ رضي الله عنه: أنَّ النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحةُ» قلنا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» رواه مسلم(١).

١٨٢ ـ **عن** جرير بن عبد الله رضي الله عنه، قَالَ: بَايَعْتُ رسولَ الله ﷺ عَلَى إقَامِ الصَّلاةِ، وَإيتَاءِ الزَّكَاةِ، والنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(٢).

١٨٣ ـ **عن** أنس رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «لا يُؤمِنُ أحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحبُّ لِنَفْسِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(٣).

﴾ الشَّرح ﴿

فهذه الآيات الكريمات والأحاديث الثلاثة عن رسول الله عليه

---

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة برقم (٥٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «**الدين النصيحة**» برقم (٥٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة برقم (٥٦).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه برقم (١٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير برقم (٤٥).

الصلاة والسلام كلها تدل على وجوب النصيحة لله ولعباده، وأن ذلك من أسباب صلاح المجتمع وسعادته وحسن عاقبته، وقد قام الرسل عليهم الصلاة والسلام بهذا الأمر العظيم أكمل قيام، وكانت الرسل عليهم الصلاة والسلام، أنصح الناس وأنفع الناس للناس وأقومهم بحق الله من أولهم الي آخرهم محمد عليه الصلاة والسلام؛ ولهذا قال الله عن نوح: إنه قال لقومه: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٢]، وقال عن هود: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقّاً عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضاً وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ فَيَقُولُ المُؤْمِنُ هَذِهِ مُهْلِكَتِي. ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ فَيَقُولُ المُؤْمِنُ هَذِهِ هَذِهِ. فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ وَمَنْ بَايَعَ إِمَاماً فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ**». فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ لَهُ: أَنْشُدُكَ اللهَ آنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَهْوَى إِلَى أُذُنَيْهِ وَقَلْبِهِ بِيَدَيْهِ وَقَالَ: سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي. فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مُعَاوِيَةُ يَأْمُرُنَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالبَاطِلِ وَنَقْتُلَ أَنْفُسَنَا وَاللهُ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ قَالَ: فَسَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «**أَطِعْهُ فِي طَاعَةِ اللهِ وَاعْصِهِ فِي**

مَعْصِيَةِ اللهِ»(١). قد بيَّن الله في كتابه العظيم أن المؤمنين إخوة حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]. وقوله جلَّ وعلا في حق المؤمنين: إنهم إخوة يقتضي التناصح بينهم والتعاون على الخير والتواصي به هكذا شأن الأخ مع أخيه؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يُؤمِنُ أحدُكم حتى يحبَّ لأخيهِ ما يحبُّ لنفسِهِ**».

وقال عليه الصلاة والسلام: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ**». وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ**»؛ يعني: لا يخذله «**مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ**»(٢) وقال عليه الصلاة والسلام: «**وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»(٣)، هكذا ينبغي لأهل الإيمان التناصح والتعاون فيما بينهم في أمر الدين والدنيا جميعاً، وهكذا التناصح في ترك ما حرم الله والبعد عمَّا حرم الله كما تقدم في قوله جلَّ وعلا: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» كررها ثلاثاً (**قلنا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»**) النصيحة الشيء الخالص يقال: ذهب ناصح؛ يعني: خالص ويقال: عسل ناصح؛ يعني: خالص ما فيه خلط ولا شمع فالنصيحة؛ يعني: الإخلاص في

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص في كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الأول فالأول برقم (١٨٤٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٨٠).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر برقم (٢٦٩٩).

الأمور كلها والصدق في الأمور كلها واجب متعين في كل شيء؛ ولهذا قال: «**الدين النصيحة**»؛ يعني: الدين كله النصيحة في جميع أعمالك في صلاتك في صومك، في حجك، في جهادك، في برك لوالديك، في صلة الرحم، في إكرام الضيف، في ترك المحارم في كل شيء يجب أن تنصح بأن تؤدي العمل كاملاً تاماً خالصاً صادقاً فيه، ليس فيه شائبة من الرياء أو شائبة من النقص وعدم القيام بالواجب، فالنصيحة لله الإخلاص له والقيام بحقه ﷻ والاستقامة على دينه من جميع الوجوه، ووصفه بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى وترك الإشراك به وترك معصيته، كل هذا من النصيحة في الله ﷻ.

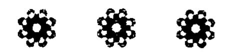
والإيمان بأنه ربك وإلـٰهك الحق ومعبودك الحق وأنه الخلاق الرزاق ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى ﷻ وأنه لا شبيه له ولا كفو له ولا ند له جلَّ وعلا، فهو الكامل في كل شيء ﷻ وهو المستحق لأن تعبده بصلاتك بصومك ودعائك وخوفك ورجائك وجهادك وحجك وغير ذلك. وهكذا النصيحة لكتاب الله القرآن؛ بالعمل بما فيه الإيمان بأنه كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، هو كلام الله، النصيحة له؛ أن تعمل به وأن تؤمن بأنه كلام الله وأنه حق وأن تعمل بأوامره وتنتهي عن نواهيه وأن تصدق أخباره، هذه النصيحة لكتاب الله ﷷ.

والنصيحة للرسول ﷺ بالإيمان بأنه رسول الله والتصديق بأنه رسول الله إلى الثقلين الجن والإنس، والعمل بما جاء به من فعل الأوامر وترك النواهي وتصديق أخباره، عليه الصلاة والسلام، كل هذا من النصيحة للرسول ﷺ، والنصيحة لأئمة المسلمين وأُمرائهم بالدعاء لهم بظهر الغيب بالتوفيق والهداية وصلاح البطانة وإعانتهم على الخير والنصح للوظائف التي تعين فيها من قبلهم حتى تؤدي الأمانة وحتى تبتعد

عن الخيانة مع الدعاء لهم بظهر الغيب مع مناصحتهم بالكلام الطيب والمكاتبة وغير هذا من وجوه الخير، هكذا يكون النصح لولاة الأمور من العلماء والأعيان ومن كل مسلم حسب طاقته بوظيفته وبعمله والدعاء لهم بظهر الغيب بالتوفيق والهداية وصلاح البطانة والإعانة على جمع الكلمة وعدم شق العصا والسمع والطاعة في المعروف، كل هذا من النصيحة لولاة الأمور، والنصيحة لعامة المسلمين؛ بالدعاء لهم أن الله يهديهم ويوفقهم، وعدم خيانتهم في المعاملة وعدم الغش في المعاملة وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وتعليمهم ما ينفعهم وإرشادهم إلى ما ينفعهم وتحذيرهم عما يضرهم، كل هذا من النصيحة لعامة المسلمين.

يقول جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه (**بَايَعْتُ النبي ﷺ: عَلَى إِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، والنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**). بيعة عاهده على هذا، عليه الصلاة والسلام أخذ العهد عليه أن ينصحَ لكل مسلم وما ذاك إلا لعظم الأمر؛ لأن الغش خطره عظيم وعاقبته وخيمة؛ فالواجب على كل مسلم أن ينصح لله ولعباده في كل معاملاته.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.





٢٣ ـ بَابٌ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٧٩]، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥] والآيات في الباب كثيرةٌ معلومةٌ.

وأما الأحاديث:

١٨٤ ـ فالأول: **عن** أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعت رَسُول الله ﷺ، يقول: «مَنْ رَأى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإيمان» رواه مسلم(١).

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان برقم (٤٩).

١٨٥ ـ الثاني: عن ابن مسعود ﷺ: أن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «مَا مِنْ نَبيٍّ بَعَثَهُ اللهُ في أمَّة قَبْلِي إلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأصْحَابٌ يَأخُذُونَ بِسنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لا يُؤْمَرونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلبِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلسَانِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَلَيسَ وَرَاءَ ذلِكَ مِنَ الإيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَل» رواه مسلم(١).

الشَّرح

فهذه الآيات الكريمات والحديثان الشريفان الصحيحان عن رسول الله عليه الصلاة والسلام كلها تتعلق بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما ذاك إلا لأن هذا الواجب به صلاح الأمة وسلامتها وبعدها عن أسباب الخطر، فإن الناس إذا استقاموا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صلح مجتمعهم وساد فيهم الحق واختفى فيهم الباطل واستحقوا من الله الخير الكثير والعاقبة الحميدة فضلاً منه وإحساناً، ومتى ضاع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع وعُطل ظهرت المنكرات والشرور وانتشرت الرذائل واختفت الفضائل وصار ذلك من أعظم الأسباب في حلول العقوبات والنقمات، يقول الله ﷻ في كتابه العظيم: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

يعني: من قام بهذا الواجب هو المفلح حقاً بالدعوة إلى الخير،

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان برقم (٥٠).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من قام بهذا الواجب فقد أفلح لما فيه من صلاح الأمة صلاح المجتمع وإقامة أمر الله ومحاربة ما يغضب الله ﷻ، وقال ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ يخاطب أُمة محمد عليه الصلاة والسلام المستجيبة المستقيمة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فدل ذلك على أن صفاتها ومن أسباب خيرّتها أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وقال جلَّ وعلا: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١] فجعل هذا من صفات أهل الإيمان ذكورهم وإناثهم، من صفاتهم العظيمة ذكوراً وإناثاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمعروف ما أمر الله به ورسوله والمنكر ما نهى الله عنه ورسوله.

فالواجب على المؤمنين جميعاً ذكوراً وإناثاً أن يكونوا آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر في مجتمعهم في بيوتهم في أسواقهم في جميع أحوالهم وأماكنهم، وبيَّن ﷻ في آية المائدة أنَّه لعن من ضيع هذا الواجب فقال سبحانه: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٧٩] فأخبر أنه لعنهم على هذا المنكر على هذه الإضاعة ضيعوا أمر الله ﷻ ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾؛ يعني: تساكتوا وأعرض بعضهم عن بعض حتى زاد المنكر واتضح المنكر وانتشر واختفى الحق بسبب التساكت والإعراض والغفلة وعدم الأمر والنهي حتى استحقوا اللعنة، نعوذ بالله من ذلك.

وقال في سورة الأعراف: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ

يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ [الأعراف: ١٦٥] فدل ذلك على أن النجاة إنما هي لمن نهى عن السُوء وأنكر المنكر، أما من أعرض وغفل فهو على خطر من الهلاك، ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ من طاعة الله وأداء الواجب وترك محارمه لما نسوا ذلك وأعرضوا أخذ الله أؤلئك القوم، إلا الذين ينهون عن السوء فقد أنجاهم.

فيجب على كل مؤمن وعلى كل مؤمنة أن ينتبه لهذا الأمر وأن يحرص عليه في بيته وفي الطريق وفي كل مكان عملاً بقول النبي ﷺ: **«مَنْ رَأى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإيمان»** فالأول باليد إذا استطاع كصاحب البيت وأهل الحسبة، وأهل الحسبة الذين عينوا لهذا الأمر والأمراء ونحو ذلك ممن له سلطة عليهم أن ينكروا المنكر باليد بأن يتلفوا الخمور إذا وجدوها، ينكروا على من ضيع الصلاة بإلزامه بالصلاة وتأديبه على تخلفه بغير هذا مما يستطيعون من إزالة المنكر، فمن عجز فباللسان يقول له: يا أخي اتق الله هذا لا يجوز هذا منكر، إذا رأى من أخيه ينكر عليه يقول: يا أخي هذا ما يجوز الواجب عليك تقوى الله. الواجب عليك كذا وكذا إذا رأى منه تخلفاً عن الصلوات أنكر عليه رآه يشتم ويلعن أنكر عليه، رآه يعق والديه يقطع أرحامه أنكر عليه بالحكمة والكلام الطيب والتوجيه إلى الخير، يتعامل بالربا أنكر عليه وحذره، يُسبل ملابسه يجرها أنكر عليه، يحلق لحيته أنكر عليه، وهكذا كلُّ ما رآه منكراً حاسب صاحبه وأنكر عليه بالحكمة والكلام الطيب والتوجيه الحسن يرجو ثواب الله ويخشى عقاب الله.

والواجب على المُنكر عليه السمع والطاعة والدعاء لمن أنكر عليه

وشكره على تنبيهه والدعاء له بالخير ولا يأنف ولا يتكبر، قال الله جلّ وعلا في وصف المتكبرين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، أعوذ بالله ويقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الآخر: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ في أمَّة قَبْلِي إلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ**»؛ يعني: أنصار «**وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لا يُؤْمَرونَ**» هؤلاء خُلُوفٌ بعد الأنبياء، قال: «**فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلبِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلسَانِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَلَيسَ وَرَاءَ ذلِكَ مِنَ الإيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَل**»؛ يعني: إما اليد، وإما اللسان، وإما القلب يكره بقلبه ويفارق المنكر إذا عجز عن اليد، واللسان، يكره بقلبه يتغير وجهه، ويقوم ما يجلس معهم على المنكر، يقوم عنه إذا عجز عن الإنكار باليد واللسان.

وثبت عن الصديق ﷺ أبو بكر عن النبي عليه الصلاة والسلام؛ أنه قال: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا المُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ**».

فيجب الحذر من هذه العقوبات، ويجب التواصي والتعاون في إنكار المنكر، والأمر بالمعروف في كل قرية وفي كل مدينة وفي كل قبيلة، ومتى تواصى الناس بهذا الخير وتعاونوا عليه قلَّ الشر في بلادهم وانتشر الخير وصلح المجتمع وصار ذلك من أعظم الأسباب في السلامة من عقوبة الله ﷻ.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❋ ❋ ❋

١٨٦ ـ **عن** أبي الولِيدِ عبادة بن الصامِت رضي الله عنه، قَالَ: بَايَعْنَا رَسُول الله ﷺ عَلَى السَّمْعِ والطَّاعَةِ في العُسْرِ واليُسْرِ، والمَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَلَّا نُنازِعَ الأمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ تَعَالَى فِيهِ بُرْهَانٌ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بالحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا لَا نَخَافُ في اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(١).

□ (المَنْشَطُ وَالمَكْرَهُ): بفتح ميمَيْهما؛ أي: في السهل والصعب. (وَالأَثَرَةُ): الاختِصاص بالمشترَكِ وقد سبق بيانها. (بَوَاحاً): بفتح الباءِ الموحدة بعدها واو ثُمَّ ألف ثُمَّ حاءٌ مهملة؛ أي: ظاهِراً لا يحتمل تأويلاً.

١٨٧ ـ الرابع: **عن** النعمان بن بشير رضي الله عنهما، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «مَثَلُ القَائِمِ في حُدُودِ اللهِ وَالوَاقعِ فِيهَا؛ كَمَثَلِ قَومٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَصَارَ بَعْضُهُمْ أعْلاها وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، وَكَانَ الَّذِينَ في أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا في نَصِيبِنَا خَرْقاً وَلَمْ نُؤذِ مَنْ فَوقَنَا، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَميعاً، وَإنْ أَخَذُوا عَلَى أَيدِيهِمْ نَجَوا وَنَجَوْا جَميعاً» رواه البخاري(٢).

□ (القَائِمُ في حُدُودِ اللهِ تَعَالَى): معناه: المنكر لَهَا، القائم في دفعِها وإزالتِها، وَالمُرادُ بالحُدُودِ: مَا نَهَى الله عَنْهُ. (اسْتَهَمُوا): اقْتَرَعُوا.

١٨٨ ـ الخامس: **عن** أُمِّ المؤمنين أم سلمة هند بنت أَبي أمية حذيفة رضي الله عنها، عن النَّبيّ ﷺ، أنه قَالَ: «إنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ فَتَعرِفُونَ وتُنْكِرُونَ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ»

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار برقم (١٨)، ومسلم كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها برقم (١٧٠٩).

(٢) أخرجه في كتاب الشركة، باب هل يُقْرَعُ في القسمة والاستهام فيه برقم (٢٤٩٣).

قَالوا: يَا رَسُول اللهِ، ألا نُقَاتِلهم؟ قَالَ: «لا، مَا أَقَامُوا فيكُمُ الصَّلاةَ» رواه مسلم(١).

□ معناه: **مَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ وَلَمْ يَسْتَطِعْ إنْكَاراً بِيَدٍ وَلا لِسَانٍ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الإِثْمِ، وَأَدَّى وَظِيفَتَهُ، وَمَنْ أَنْكَرَ بحَسَبِ طَاقَتِهِ فَقَدْ سَلِمَ مِنْ هذِهِ المَعْصِيَةِ وَمَنْ رَضِيَ بِفِعْلِهِمْ وَتَابَعَهُمْ فَهُوَ العَاصِي.**

الشَّرْح

هذه الأحاديث الثلاثة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، كلها تدل على عظم شأن التواصي بالحق والدعوة إليه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة لله ولعباده وعدم المزايلة في ذلك، والمزاحمة في ذلك وأن الواجب القول بالحق والصدع بالحق طاعة لله وطلباً لمرضاته ونصحاً له ولعباده، وألا يخاف العبد في الله لومة لائم.

ولهذا في **الحديث الأول**: يقول عبادة بن الصامت الخزرجي الأنصاري ﷺ قال: (**بَايَعْنَا رَسُول الله ﷺ عَلَى السَّمْعِ والطَّاعَةِ في العُسْرِ واليُسْرِ، والمَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَى ألَا نُنازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ إلَّا أنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ تَعَالَى فِيهِ بُرْهَانٌ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بالحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا لَا نَخَافُ في اللهِ لَوْمَةَ لَائِم**)، هذا يدل على أن الواجب على المؤمنين هو هذا (**السَّمْعِ والطَّاعَةِ**) لولاة الأمور في المعروف (**السَّمْعِ والطَّاعَةِ**) في المعروف في (**المَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ، والعُسْرِ واليُسْرِ وَعَلَى أَثَرَةٍ**) على الإنسان أن يسمع ويطيع ولا ينازع الأمر أهله قال: (**إلَّا أنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً عِنْدَكُم مِنَ اللهِ تَعَالَى فِيهِ بُرْهَانٌ**) وبايعوه ﷺ على أنهم يقولون بالحق وينطقون بالحق أينما

(١) أخرجه في كتاب الإمارة، باب إذا بُويع خليفتين برقم (١٨٥٤).

كانوا، ولا يخافون في الله لومة لائم؛ يعني: يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويدعون إلى الله ويرشدون الناس إلى الخير لا تمنعهم مخافة زيد وعمرو، ولكنهم يصدعون بالحق ويقولون به نصحاً لله ولعباده وطلباً للسلامة من التبعة.

وقد أوفوا ﷺ وقاموا بهذا الواجب في البلاد التي فتحها الله عليهم، فأظهروا دين الله في كل مكان في بلاد الروم بلاد فارس، وفي غيرها من البلدان، وحكموا شريعة الله ودعوا إلى دين الله وعرفوا الحق وقمعوا الباطل وظهر دين الله بينهم في الأقاليم والأمصار التي فتحها الله عليهم، وهكذا ينبغي للمؤمنين أينما كانوا أن يكونوا صادقين ناصحين لله ولعباده يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أينما كانوا؛ لأن الناس متى تساهلوا ظهر الباطل وخفي الحق وظهرت المنكرات، وخُشي من ذلك حلول العقوبات، ولكن متى تكاتفوا وتناصحوا ودعوا إلى الله وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وأخذوا على يد السفيه صلحت المجتمعات وظهر الحق واختفى الباطل. ونقُمع السفيه وانتشر الخير بين الناس وصار ذلك من أعظم الأسباب في سعادة العبد ونجاته في الدنيا والآخرة وانتصار المسلمين على أعدائهم.

في **الحديث الثاني**: حديث النعمان بن بشير الأنصاري أيضاً رضي الله عنه وعن أبيه يقول قال الرسول ﷺ: «**مَثَلُ القَائِمِ في حُدُودِ اللهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا**»؛ يعني: على محارمه قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧]؛ يعني: محارمه التي حرمها على عباده ويطلق في الحدود على الفرائض ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩] والمراد هنا المحارم المعاصي؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾؛ يعني: محارمه التي حرمها عليكم لا تقربوها.

مثَّل النبي ﷺ للقائم عليها والمحافظين عليها والمحذر منها والذين

يقعون فيها، ضرب لهم النبي مثلاً عظيماً وهو أصحاب سفينة قد اقترعوا عليها وهناك طابقان فأصاب بعضهم أسفلها وبعضهم أعلاها، جماعة مرتحلين في البحر فاقترعوا على سفينة منهم من يكون في الأعلى ومنهم من يكون في الأسفل فصارت القرعة لقوم على أنهم في الأسفل، الطابق الأسفل وقوم صاروا في الطابق الأعلى فصار الذين في الأسفل إذا أرادوا يستقوا الماء مروا على من فوقهم صعدوا إلى من فوقهم حتى يدلوا دلاءهم ليأخذوا الماء فقالوا: **(لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا في نَصِيبِنَا خَرْقاً)** واستقينا من أسفل ولم نؤذ من فوقنا قال عليه الصلاة والسلام: «**فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا**»؛ يعني: أن تركوهم يخرقون السفينة «**هَلَكُوا جَميعاً**»؛ يعني: يدخل الماء عليهم فتثقُل السفينة فتغرق «**وَإِنْ أخَذُوا عَلَى أيدِيهِمْ**» منعوهم من خرق السفينة «**نَجَوا وَنَجَوْا جَميعاً**».

هكذا الناس في هذه الدنيا، إذا تركوا العابثين والعصاة يعبثون ويعملون ما يشتهون من المنكرات ولم ينكروا عليهم هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم وأقاموا عليهم حدود الله، ومنعوهم من محارم الله نجوا جميعاً، فالناس في الدنيا مثل أصحاب السفينة إذا تساهلوا الولاة والأعيان والكُبراء والعلماء تساهلوا في هذه الأمور حتى ظهرت المنكرات وعمَّت المعاصي هلك الناس جميعاً وعمَّت العقوبات، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا المُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ**» والله يقول سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] بل تعم الجميع؛ فالساكت شريك المُسيء إذا لم ينهه شارك في البلاء يقول عليه الصلاة والسلام: «**يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ**» في آخر الزمان «**فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ**». **قَالَتْ** عائشة: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ. قَالَ: «**يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ**» لأن الجيوش إذا جاءت الطرقات جاءهم

الناس هذا يبيع كذا وهذا يبيع عليهم كذا وهذا يبيع كذا وهذا كذا في الأسواق ليسوا بقصدهم قال عليه الصلاة والسلام: **«يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ»**(١).

هذا يدل على أن ظهور الفساد في الأرض وانتشار الفساد في الأرض من أسباب حلول العقوبات **«إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ»** وقال ﷻ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٧٩] لُعنوا لهذا، نسأل الله العافية.

الحديث الثالث: حديث أم سلمة ﵂ أم المؤمنين سمعت النبي ﷺ يقول للناس: **«إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ فَتعرِفُونَ وتُنْكِرُونَ»**؛ يعني: سوف يستعمل في المستقبل أمراء فتعرفون وتنكرون وقد وقع هذا كما أخبر به النبي ﷺ: **«يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ فَتعرِفُونَ وتُنْكِرُونَ»** ـ تعرفون أشياء طيبة وتنكرون أشياء غير طيبة ـ؛ يعني: يخلطون السيئ والطيب والرديئ **«يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ فَتعرِفُونَ وتُنْكِرُونَ»** يكون فيهم خبث ويكون فيهم خير تجتمع هذا وهذا **«فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ»** من رضي بالإفساد وتابع عليه هلك، ومن أنكر كما أمره الله وكره بقلبه كما أمره الله فهذا هو الذي يَسْلَمَ ويبرأ، إذا أنكر بيده أو لسانه أو قلبه عند العجز وكره المعصية ولم يرض بها نجا، وإن قدر أنها تعُم العقوبة بظهور المنكرات لكنه ينجو يبعث على نيته وقصده.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب ما ذُكر في الأسواق برقم (٢١١٨)، وهذا لفظه: **«يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ»** قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ قَالَ: **«يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ»**.

«وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ» من رضي بظهور المنكرات أو رضي بفعل المنكرات وتابع أهلها فإنه يهلك معهم؛ لأنه شاركهم برضاه ومتابعته لهم، نسأل الله العافية، هذا يبيِّن لنا على أن الواجب على أهل الإسلام ألا يرضوا بظهور المنكرات وألا يتابعوا عليها، وأن ينكروها حسب الطاقة باليد ثم اللسان ثم القلب، معنى إنكار القلب كراهة المنكر وبغضه وعدم مجالسة أهله، إذا رآه ولم يستطع إنكاره قام عنهم لا يجلس مع الخمارين ومع أهل الفساد لا ينكر عليهم إن استطاع فإن لم يستطع فليفارق وليكره بقلبه، هكذا لا يجلس مع تراك الصلاة مع أصحاب العقوق للوالدين مع أصحاب الربا مع أشباه ذلك، لا يكون جليساً لأهل المنكرات المعروفة الظاهرة، لا يكون جليساً لهم فينكر عليهم فإن أبوا غادرهم وتركهم ولا يجلس معهم.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❊ ❊ ❊

١٨٩ ـ السادس: عن أم المؤمنين أم الحكم زينب بنتِ جحش رضي الله عنها: أن النَّبيّ ﷺ دخل عَلَيْهَا فَزِعاً، يقول: «لا إلـهَ إلّا الله، وَيلٌ للْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ مِثلَ هذِهِ»، وحلّق بأُصبُعيهِ الإبهامِ والتي تليها، فقلتُ: يَا رَسُول الله، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

١٩٠ ـ السابع: عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه، قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج برقم (٣٣٤٦)، ومسلم في كتاب الفتن، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج برقم (٢٨٨٠).

في الطُّرُقَاتِ!» فقالوا: يَا رَسُول الله، مَا لنا مِنْ مجالِسِنا بُدٌّ، نتحدث فِيهَا. فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ». قالوا: وما حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رسولَ الله؟ قَالَ: «غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلامِ، وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ، والنَّهيُ عن المُنْكَرِ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(١).

١٩١ ـ الثامن: **عن** ابن عباس رضي الله عنهما: أن رَسُول الله ﷺ رأى خاتَماً مِنْ ذهبٍ في يدِ رجلٍ فنَزعه فطرحه، وَقالَ: «يَعْمدُ أحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا في يَدِهِ!» ـ فقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَمَا ذهب رَسُول اللهِ ﷺ: خُذْ خَاتَمَكَ انْتَفِعْ بِهِ. قَالَ: لا واللهِ لا آخُذُهُ أبداً وَقَدْ طَرَحَهُ رسولُ الله ﷺ. رواه مسلم(٢).

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة الصحيحة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام كلها تتعلق بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن الناس إذا أهملوا وضيعوا عمت العقوبات ونزلت النقمات ولهذا في حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها أم المؤمنين؛ أن الرسول عليه الصلاة والسلام خرج عليهم ذات يوم (يقول: «لا إلهَ إلّا الله، وَيلٌ للْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ مِثلَ هذِهِ»، وحلّق

(١) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب أفنية الدور والجلوس فيها برقم (٢٤٦٥)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه برقم (٢١٢١).

(٢) أخرجه في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم خاتم الذهب على الرجال ونسخ ما كان من إباحته في أول الإسلام برقم (٢٠٩٠).

بأُصبُعيهِ الإبهامِ والتي تليها)، فقالت زينب: (**يَا رَسُول الله، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟**) قَالَ: «**نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ**».

هذا يدل على أن الخبث إذا كثر وفشا في الناس كان سبباً لهلاكهم، والهلاك تارة يكون بالعقوبات العامة من خسف أو غرق أو تسليط أعداء أو غير ذلك، وقد يكون الهلاك بموت القلوب الطبع عليها وعدم التفاتها إلى الحق وجهدها فيه وإقبالها على الباطل فتهلك الهلاك السرمدي. نعوذ بالله، وهذا أعظم العقوبات كون الإنسان يصاب بمرض أو قتل وهو على دينه وعلى استقامته هذا عاقبته حميدة، لكن أعظم العقوبات والنقمات أن تصاب في قلبك بالطبع عليه والموت حتى لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً هذه العقوبة العظيمة، كما قال ﷻ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

فإذا طبع على القلب استمر العبد في طغيانه وضلاله لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً كالبهائم بل أردى من البهائم كما قال ﷻ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤] نسأل الله العافية، ففي هذا الحث على التعاون على المعروف والتناهي عن المنكر والتواصي بالحق حتى لا يكثر الخبث حتى لا يفشو حتى يدفن حتى يقضى عليه، وقال: العرب؛ لأن العرب هم قادة الناس، وإن العرب معهم رئيس المؤمنين؛ لأن العرب في وقته عليه الصلاة والسلام هم المتحملون للرسالة تحملوا الأمر والنهي وأجابوا الرسول ﷺ ودخلوا في دين الله أفواجاً ثم نقلوه إلى ما وراءهم من الروم وفارس وغير ذلك.

وفي **الحديث الثاني**: يقول ﷺ لما نهاهم عن الجلوس في

الطرقات، الجلوس في الطرقات فيه أخطار من الجالس والمار عليه فقالوا: (يا رسول الله، مَا لنا مِنْ مجالِسِنا بُدٌّ، نتحدث فِيهَا. **فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ»**. قالوا: وما حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رسولَ الله؟ قَالَ: **«غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلامِ، وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ، والنَّهيُ عن المُنْكَرِ»**) تقدم هذا الحديث في درس مضى وهو يدل على من جلس في الطريق أو مر في الطريق لا بد أن يتعاطى هذه الأمور التي بيَّنها النبي ﷺ، وأن يأخذ بها وهي: غض البصر عن محارم الله وعما يؤذي الناس، كف الأذى عن الناس لا يؤذيهم لا بأقواله ولا بأفعاله، رد السلام على من سلم عليه وإفشاء السلام منه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. هذا حق من جلس في الطريق أو سار في الطريق: أن يغض بصره عن محارم الله، ويكُف أذاه لا يؤذي الناس لا بكلام ولا بأفعال، وأن يرد السلام على من سلم عليه وإن بدأ كان له فضل، أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام والرابع والخامس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هذا الشاهد من المهمات والواجبات على المؤمن في الطريق في بيته وأينما كان، الواجب عليه أن ينفذ هذا الواجب وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيده إن استطاع، ثم بلسانه، ثم قلبه، هكذا رتبه النبي عليه الصلاة والسلام: **«مَنْ رَأى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإيمان»** فباليد إزالة المنكر، باليد يكسر كالصورة يريق الخمر، يفرق المجتمعين على الباطل بالقوة يلزمهم بالصلاة بالقوة إذا كان قادراً كأولاده وخدمه ونحو ذلك، إذا عجز باليد فاللسان، يا أخي اتق الله هذا ما يجوز هذا منكر يا ناس اتقوا الله يا عباد الله اتقوا الله يتكلم بلسانه حسب ما يرى من منكر أُذيع أو منكر نفذ أو معروف أضيع، فإن عجز فالقلب يكره بقلبه ويفارق ولا يشهد

المنكر لا يدخل معهم ولا يحضرهم ولا يجالسهم، بل يفارقهم حتى يعلم أُولئك أنه أنكر عليهم، ويعلم الله من قلبك كراهة ذلك.

وفي **الحديث الثالث: يقول ﷺ لما رأى إنساناً عليه خاتم من ذهب وقال: «يَعْمدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ!»** فألقاه، طرحه من يده قد أنكر عليه بالفعل، فقيل للرجل خذ خاتمك، فقال: لا آخذه وقد طرحه النبي عليه الصلاة والسلام، لو أخذه وأعطاه النساء أو باعه لا بأس، لكن لما رأى النبي طرحه وأنكر كره بالكلية وتركه من شدة امتثالهم لأمر الله وحرصهم على طاعة الله ورسوله، كره الخاتم بالكلية وتركه في الأرض من شدة كراهته للشيء الذي كرهه الرسول عليه الصلاة والسلام، وما ذاك إلا لأن الرسول نهى عن التختم بالذهب للرجال، الخاتم من الذهب للنساء، خاص بالنساء لا بالرجال، أما الفضة فلا بأس يتختم بها الرجل والمرأة وأما الذهب فلا؛ ولهذا ثبت عن الرسول ﷺ النهي عن التختم بالذهب فطرحه لما رآه في يد الرجل، وقال: **«يَعْمدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ!»**.

هذا معنى إنكار المنكر يقام عليه وإزالته باليد إن قدر، فإن عجز فاللسان، فإن عجز فالقلب. وبهذا تقل المنكرات في الأسواق والمتاجر والبيوت وغير هذا، أما إذا سكت هذا وسكت هذا، وكل واحد يقول: أنا غير مسؤول معناه ظهور المنكرات وحلول العقوبات.

نسأل الله العافية، الواجب الحذر أنت مسؤول والآخر مسؤول كل واحد مسؤول لا يضع على غيره يبرئ نفسه، كل واحد مسؤول حسب طاقته. في أهله في بيته وفي مسجده وفي طريقه وفي السوق وفي كل مكان، الأمر عام؛ ولهذا يقول سبحانه في كتابه العظيم: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، هذا عام للجميع للمؤمنين والمؤمنات، قال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]،

فهذا عام للأمة كلها، لكن إذا كان الانسان في مكان ما فيه إلا هو، رأى المنكر وجب عليه هو بعينه، إذا كان في حارة مر رأى منكراً فيها ما عنده إلا هو وجب عليه، أما إذا كانوا جماعة فرأى واحد منهم فأزاله حصل المقصود، لكن إذا كان ما فيه إلا هو يتعين عليه حسب طاقته، أو في قبيلة ما فيها إلا هو في إزالة هذا المنكر أو في قرية ما عنده أحد يقوم بالواجب يتعين عليه يقوم بالواجب هو، فإذا وُجد من يساعده وحصل به المطلوب فالحمد لله.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❋ ❋ ❋

١٩٢ ـ التاسع: عن أبي سعيد الحسن البصري: أن عائِذَ بن عمرو رضي الله عنه دخل عَلَى عُبَيْدِ اللهِ بنِ زياد، فَقَالَ: أي بُنَيَّ، إني سمعت رَسُول الله ﷺ يقول: «إنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الحُطَمَةُ» فَإيَّاكَ أنْ تَكُونَ مِنْهُمْ، فَقَالَ لَهُ: اجلِسْ فَإنَّمَا أنْتَ مِنْ نُخَالَةِ أصْحَابِ مُحَمَّد ﷺ، فَقَالَ: وهل كَانَتْ لَهُم نُخَالَةٌ إنَّمَا كَانَتِ النُّخَالَةُ بَعْدَهُمْ وَفي غَيْرِهِمْ. رواه مسلم[1].

١٩٣ ـ العاشر: عن حذيفة رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ أوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُوْنَهُ فَلا يُسْتَجَابُ لَكُمْ» رواه الترمذي[2] وَقالَ: حديث حسن.

(١) أخرجه في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم برقم (١٨٣٠).
(٢) أخرجه في كتاب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برقم (٢١٦٩).

١٩٤ ـ الحادي عشر: عن أَبي سعيد الخدري ﷺ، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «أَفْضَلُ الجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائرٍ» رواه أبُو داود والترمذي[1]، وَقالَ: حديث حسن.

١٩٥ ـ الثاني عشر: عن أَبي عبدِ الله طارِقِ بن شِهاب البَجَليِّ الأَحْمَسِيِّ ﷺ: أنَّ رجلاً سأل النَّبيّ ﷺ وقد وضع رِجله في الغَرْزِ: أيُّ الجِهادِ أفضلُ؟ قَالَ: «كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائرٍ» رواه النسائي[2] بإسناد صحيح.

□ (الغرز): بغين معجمة مفتوحة ثُمَّ راء ساكنة ثُمَّ زاي: وَهُوَ ركاب كَوْرِ الجملِ إِذَا كَانَ من جلد أَوْ خشب، وقيل: لا يختص بجلد وخشب.

الشَّرح

هذه الأحاديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، فيها الحثُّ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن الواجب على ولاة الأمور أن يعتنوا بالرعية ويحسنوا إليها وأن يُلزموها بالحق ويمنعوها من الباطل، وإن أفضل الجهاد كلمة حق وكلمة عدل عند سلطان جائر، عسى أن ينفعه الله بها فيرتدع ويمتنع لما فيه من الباطل.

في الحديث الأول: أن أحد الصحابة ﷺ وهو عائذ بن عمرو المزني دخل على عبيد الله بن زياد أمير العراق فقال له: **(أي بُنَيَّ، إني سمعت رَسُول الله ﷺ، يقول: «إنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الحُطَمَةُ» فَإِيَّاكَ أنْ تَكُونَ مِنْهُمْ)** فاحذر أن تكون منهم يوصيه عائذ ﷺ يوصي الأمير بأن

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم، باب في الأمر والنهي برقم (٤٣٤٤)، والترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر برقم (٢١٧٤)، وابن ماجه في كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برقم (٤٠١١).

(٢) أخرجه في كتاب البيعة، باب فضل من تكلم بالحق عند إمام جائر برقم (٤٢٠٩).

يعتني بالرعية ويرفق بالرعية ويحسن إليها ويدفع الظلم عنها وينصفها ويقول إنه سمع النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الحُطَمَةُ» الرِّعَاءِ، ويقال لهم: الرُعاة رُعاة الإبل والغنم والبقر يقال لهم رعاء ويقال لهم الرعاة فشرهم «الحُطَمَةُ» الحُطَمَةُ مثل الهُمزة؛ يعني: الذي يحكم الرعية ولا يبالي بها، ولا يرفق بها، ولو كانت إبلاً أو بقراً أو غنماً؛ يعني: يسير بها للطرق الوعرة، الطرق التي لا توصلها إلى الخصب والمرعى الطيب، أو يسلك لها مسالك ليس فيها ماء حتى يعرضها للظمأ والهلاك، هذا الراعي يسمى الحُطمة؛ يعني: لأنه يحطمها صيغة مبالغة من الحطم وهو إيذاءُها وكسرها وظُلمها والسير بها في طرق الهلكة، فكما أن الراعي للغنم أو البقر أو الإبل يلزمه أن يرفق بها وأن يعتني بها ويتحرى مواضع الخصب ومواضع الماء والطرق السهلة اللينة هذا واجب عليه حتى يؤدي الأمانة، فإذا كان هذا في الغنم والإبل والبقر في البهائم، فكيف بالذي يرعى الناس المكلفين، الواجب عليه أن يكون فوق ذلك؛ وأعظم من ذلك؛ لأن المكلفين مسلمون يلزمه أن يرعاهم رعاية كاملة من جهة الرحمة والعطف والإحسان والنصح وردع الظالم وإنصاف المظلوم وإيصال الحقوق إلى أهلها، كف الأذى، إلى غير هذا مما يجب على الأمير وعلى من يساعده.

على الأمير وأعوانه كالعمد وشيوخ القبائل وأشباه ذلك يجب عليهم أن يتعاونوا في إيصال الحق للرعية، ودفع الأذى عن الرعية أعظم مما جاء في رعاة الغنم ونحوهم، ولكن عبيد الله بن زياد كان رجلاً جاهلاً وظالماً وسفيهاً؛ فلهذا أجاب عائذاً بجواب غير طيب، فقال: (اجلِسْ فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ نُخَالَةِ أَصْحَابِ مُحَمَّد ﷺ) هذا جوابه لما نصحه، هذا يدل على السفه والجهل وقلة البصيرة وقلة الحياء؛ فلهذا قال له عائذ: (وهل كَانَتْ لَهُم نُخَالَةٌ)؟ صحابة وهم ما فيهم

نخالة كلهم صفوة (**إِنَّمَا كَانَتِ النُّخَالَةُ بَعْدَهُمْ وَفي غَيْرِهِمْ**)، أما أصحاب النبي ﷺ كانوا صفوة خياراً اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، رضي الله عنهم وأرضاهم، لكن هذا الأمير ما وفِّق للجواب الصحيح، ما قال أسأل الله الهداية وجزاك الله خيراً، أسأل الله أن يعينني على ذلك لجهله وظلمه وسفهه أجاب بهذا الجواب الذي بقي عليه سُبة إلى يوم القيامة، نسأل الله السلامة.

الحديث الثاني حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**وَالَّذِي نَفْسي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ المُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُم عِقَاباً مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُوْنَهُ فَلا يُسْتَجَابُ لَكُمْ**»؛ يعني: أيها الناس يخاطبهم النبي ﷺ: «**لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ المُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُم عِقَاباً مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُوْنَهُ فَلا يُسْتَجَابُ لَكُمْ**»؛ يعني: بسبب إعراضكم عن الأمر والنهي وتساهلكم مع عدم القيام بالواجب، وفي اللفظ الآخر أنه خطب الناس على المنبر: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ: مُرُوا بِالمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ المُنْكَرِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْعُونِي فَلَا أُجِيبُكُمْ وَتَسْأَلُونِي فَلَا أُعْطِيكُمْ وَتَسْتَنْصِرُونِي فَلَا أَنْصُرُكُمْ**»[(١)].

يعني: بادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تقع بكم الكارثة، الواجب على أهل الإسلام أمراء وعلماء وأعياناً وعامة، الواجب التعاون في هذا الأمر والحرص على إزالة المنكر والقضاء عليه بين الناس بما أقدرهم الله عليه، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ رَأى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإيمان**» وثبت

---

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برقم (٤٠٠٤).

عن الصديق أبي بكر ﷺ عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: **«إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا المُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ»** أَوْشَكَ؛ يعني: قرب **«أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ»**. فهذا يوجب على المسلمين حكومات وشعوباً أعياناً وعامة رؤساء ومرؤوسين أن يتعاونوا في هذا الأمر، وأن يكونوا شيئاً واحداً في إنكار المنكر والدعوة إلى الخير والأخذ على يد السفيه قبل أن تحل العقوبة العامة، وأعظمها وأقبحها وأشدها وأخطرها ما يكون في موت القلوب، إذا أُصيب قلب العبد بالموت والقسوة هذه هي العقوبة الشديدة، نسأل الله العافية إذا مات على خير بعقوبة عامة من غرق أو حرق أو تسليط عدو، لكن من مات على الإيمان والهدى فهذا على خير، لكن إذا عوقب في قلبه بالقسوة والمرض أو بالطبع عليه والموت هذه العقوبة العظيمة، نسأل الله العافية بسبب معاصيه وتساهله وغفلته وعدم مبالاته بأمر الله ﷻ فقد يصاب في قلبه.

في الحديث الثالث والرابع يقول ﷺ: «أفضلُ الجِهادِ: كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائرٍ» كلمة الحق من أعظم الجهاد ومن أعظم الدعوة إلى الله أن يقولها الإنسان لسلطان جائرٍ متعدي الحدود فينصحه، ويقول له: اتق الله افعل كذا ودع كذا، يُذكره بالله لعله ينتبه، لعله يُنيب، لعله يرجع إلى الصواب، بسبب وعظه وتذكيره.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❋ ❋ ❋

١٩٦ ـ الثالث عشر: عن ابن مسعود ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا، اتَّقِ الله ودَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الغَدِ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ، فَلا يَمْنَعُهُ ذلِكَ أنْ يَكُونَ أكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا

ذلِكَ ضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ» ثُمَّ قَالَ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٨١]، ثُمَّ قَالَ: «كَلَّا، وَاللهِ لَتَأْمُرُنَّ بالمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ، وَلَتَأطِرُنَّهُ عَلَى الحَقِّ أطْراً، وَلَتَقْصُرُنَّه عَلَى الحَقِّ قَصْراً، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللهُ بقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ» رواه أبو داود والترمذي[1]، وَقالَ: حديث حسن.

📖 هَذَا لفظ أَبي داود، ولفظ الترمذي، قَالَ رَسُول الله ﷺ: «لَمَّا وَقَعَتْ بَنُو إسْرَائِيلَ في المَعَاصي نَهَتْهُمْ عُلَمَاؤهُمْ فَلَمْ يَنْتَهُوا، فَجَالَسُوهُمْ في مَجَالِسِهمْ، وَوَاكَلُوهُمْ وَشَارَبُوهُمْ، فَضَربَ اللهُ قُلُوبَ بَعضِهِمْ بِبعْضٍ، وَلَعَنَهُمْ عَلَى لِسانِ دَاوُد وعِيسَى ابنِ مَرْيَمَ ذلِكَ بما عَصَوا وَكَانُوا يَعتَدُونَ» فَجَلَسَ رَسُول الله ﷺ وكان مُتَّكِئاً، فَقَالَ: «لا، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى تَأطِرُوهُمْ عَلَى الحَقِّ أطْراً».

▫ قوله: (تَأطِرُوهم)؛ أي: تعطفوهم. (ولتقْصُرُنَّهُ)؛ أي: لتحبِسُنَّه.

١٩٧ ـ الرابع عشر: **عن** أَبي بكر الصديق ﵁، قَالَ: يَا أيّها النَّاس، إنّكم لتَقرؤُون هذِهِ الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم، باب في الأمر والنهي برقم (٤٣٣٦)، والترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة المائدة برقم (٣٠٤٨)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برقم (٤٠٠٦).

مَن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] وإني سمعت رَسُول الله ﷺ، يقول: «إنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يأخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أوشَكَ أنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ» رواه أبُو داود والترمذي والنسائي(١) بأسانيد صحيحة.

الشَّرح

هذان الحديثان حديث ابن مسعود حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فيما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تقدمت أحاديث كثيرة في ذلك وآيات كريمات فيما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسبق أن هذا من أهم واجبات الإسلام ومن أعظم فرائض الإسلام أن يقوم المسلمون ولا سيما ولاة الأمر بهذا الواجب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يعم ذلك جميعهم فلا يدعه أحد منهم، وكل واحد يقوم بما يستطيع من هذا الواجب؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، فجعله وصفاً للمؤمنين والمؤمنات جميعاً، وجعله من واجب إيمانهم جميعاً ذكورهم وإناثهم أن يقوموا بهذا الواجب أمراً بالمعروف ونهياً عن المُنكر.

وفي حديث ابن مسعود عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «إنَّ أوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إسْرَائِيلَ»؛ يعني: اليهود في وصف أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام: «أنَّهُ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا، اتَّقِ الله ودَعْ مَا تَصْنَعُ فَإنَّهُ لا يَحِلُّ لَكَ»، إذا رآه على معصية (يَا هَذَا،

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم، باب في الأمر والنهي، برقم (٤٣٣٨)، والترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة المائدة، برقم (٣٠٥٧)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برقم (٤٠٠٥).

اتَّقِ الله ودَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الغَدِ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ، فَلا يَمْنَعُهُ ذلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ)، كأنه ما رأى شيئاً وكأنه ما قال له شيئاً: «فَلَمَّا فَعَلُوا ذلِكَ ضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ»، ثم لعنهم على لسان أنبيائهم داوود وعيسى ابن مريم وأنزل في هذا ﷺ من صفاتهم في القرآن تحذيراً لنا قوله سبحانه: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٨١].

المعنى: أنه جرهم تساهلهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جرهم ذلك إلى أن والوا الكفار واتخذوهم أصحاباً وبطانة فحل بهم من أمر الله ما حل بهم من العقاب، هذا يدل على أن التساهل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجر إلى بلاوي كثيرة ويجر إلى أخطار عظيمة، حتى إنه يجر إلى الكفر بالله وترك الدين بالكلية فيقتدي بعضهم ببعض، ويضرب الله قلوب بعضهم ببعض، فكل واحد يشبه الآخر في ظلمة قلبه وقسوته بسبب تعاونهم على المعاصي وتساكتهم وعدم إنكار بعضهم على بعض، وفي اللفظ الآخر: «لَمَّا وَقَعَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي المَعَاصِي نَهَتْهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ فَلَمْ يَنْتَهُوا فَجَالَسُوهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ وَوَاكَلُوهُمْ وَشَارَبُوهُمْ فَضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ وَلَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ». قَالَ فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَكَانَ مُتَّكِئاً فَقَالَ: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى تَأْطِرُوهُمْ

عَلَى الحَقِّ أَطْراً»[١]. في لفظ: «كَلَّا وَاللهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الحَقِّ أَطْراً وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الحَقِّ قَصْراً. أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ»[٢]، في اللفظ الآخر: «وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ» السفيه «الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الحَقِّ أَطْراً»[٣].

هذا يدل على عظم الخطر وأن التهاون بهذا الواجب وسيلة إلى أن يلعن الله العباد ويحل بهم نقمته العامة، ولهذا في حديث الصديق أبي بكر رضي الله عنه لما خطب الناس بعدما تولى الخلافة رضي الله عنه خطب الناس فقال يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: وهي قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: ١٠٥] وإنكم تضعونها في غير موضعها، وقد سمعت الرسول يقول: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يأخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أوشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ» في اللفظ الآخر: «فلم يأخذوا على يدي الظَّالِم أوشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ».

هذا يدل على أن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه ولم يأخذوا على يد الظالم، فهم قد أحلوا بأنفسهم نقمة الله وغضباً لعقابه، فليس هذا خاصاً بزيد دون عمرو بل هو واجب الجميع، واجب الجميع، لكنه في حق ولاة الأمور وفي حق أهل الحسبة وفي حق العلماء وفي حق من له القدرة أشد، وعلى كل واحد نصيبه من ذلك حسب طاقته في بيته وفي سوقه وفي أي مكان كان، على كل واحد أن ينكر حسب طاقته، كقوله ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ١/٣٩١.
(٢) أخرجه أبوداود في كتاب الملاحم، باب في الأمر والنهي برقم (٤٣٣٦).
(٣) رواه الطحاوي في مشكل الآثار ٣/١٦٧.

فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإيمان» فكل واحد عليه نصيبه في دائرة قدرته بيته وطريقه ومسجده وجماعته وقبيلته وغير ذلك على حسب المستطاع، باليد ثم اللسان ثم القلب، وعلى ولاة الأمور وعلى من عُين لهذا الأمر وعلى أهل العلم من ذلك الواجب الأكبر حتى تزول المنكرات وحتى يحل محلها أداء الفرائض وترك المحارم.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.



٢٤ ـ بَابُ تغليظ عقوبة من أمر بمعروفٍ أو نهى عن منكر وخالف قوله فعله

قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

وقال تعالى إخباراً عن شعيب ﷺ: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨].

١٩٨ ـ **وعن** أبي زيد أسامة بن حارثة رضي الله عنهما، قَالَ: سمعت رَسُول الله ﷺ، يقول: «يُؤْتَى بالرَّجُلِ يَوْمَ القيَامَةِ فَيُلْقَى في النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أقْتَابُ بَطْنِهِ فَيدُورُ بِهَا كَمَا يدُورُ الحِمَارُ في الرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْه أهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلانُ، مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُ تَأمُرُ بالمعْرُوفِ وَتنهَى عَنِ المُنْكَرِ؟ فيقُولُ: بَلَى، كُنْتُ آمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَلا آتِيهِ، وأنْهَى عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(١).

□ قوله: (تَنْدلِقُ): هُوَ بالدالِ المهملةِ، ومعناه تَخرُجُ. (وَالأَقْتَابُ): **الأمعاءُ، واحدها قِتْبٌ.**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، برقم (٣٢٦٧)، ومسلم في كتاب الزهد والرقاق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله، برقم (٢٩٨٩).

الشَرح

هذه الآيات الكريمات والحديث الشريف فيها التحذير والترهيب من كون المؤمن يقول ما لا يفعل ويفعل ما لا يقول، يجب على المؤمن أن تطابق أقواله أعماله في الحق، وألا يقول قولاً ثم يخالف بأفعاله كفعل من غضب الله عليهم من اليهود وغيرهم، الواجب على المؤمن أن يكون قوالاً فعالاً يقول الحق ويفعله، وينهى عن الباطل ويجتنبه، هكذا يكون المؤمن، ولهذا حذَّر الله عباده من صفات الضالين الذين يقولون ما لا يفعلون، قال ﷻ راداً على أهل الكتاب ومنكراً عليهم من اليهود: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، يلومهم ويعيبهم بهذا ويوبخهم على عملهم السيئ، أن يأمروا الناس بالحق ثم يخالفوا ويتركوا الحق ويستجيبوا لداعي الهوى والشيطان، ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَۚ﴾؛ يعني: أنتم تقرؤون كتاب الله الذي يأمركم بالحق واتباعه ولزومه وترك الباطل واجتنابه؛ ولهذا قال: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

يعني: إذا كان ما هناك وازع إيماني فأين العقل الذي يحجز أصحابه عما يكون فيه سُبة وشناعة على صاحبه؛ لأن الإنسان إذا فعل خلاف قوله كانت شناعة يُسب عليه، أن ينهى الناس عن الزنى والفواحش، ثم يرتكب ذلك، ويأمرهم بالصلاة والزكاة ويتجنب ذلك هذه شناعة ومنكر عظيم؛ ولهذا عابهم الله في ذلك، وهكذا قوله جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣] هذا يدل على أن الله يُبغض هذا من عباده ولا يرضاه منهم، وأنه كبير عنده أن يقول

الإنسان الحق ثم يحيد عنه، فيأمر الناس بما أوجب الله عليهم ويتخلف، وينهى الناس عما نهى الله عنه وما حرم عليهم ثم يرتكب ذلك، نسأل الله السلامة والعافية وهذا ما ذكر سبحانه عن شعيب النبي عليه الصلاة والسلام لما قال لقومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨] ليس من صفة الأنبياء ولا من شيم الأنبياء أن يخالفوا أقوامهم فيما ينهونهم عنه ولا فيما أمروهم به، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]. هكذا يقول لهم شعيب عليه الصلاة والسلام، والمقصود من هذا حثهم على أن يمتثلوا وأن يستقيموا وأنه إنما دعاهم لما فيه نجاتهم، وأنه ليس يقصد خلافهم، وإنما يُريد نجاتهم وسعادتهم، وهو معهم في هذا الشيء، معهم فيما أمرهم به، ومعهم في ترك ما نهاهم عنه.

وفي الصحيحين عن أُسامة بن زيد بن حارثة ﵄ وعن أبيه أنه سمع النبي يقول عليه الصلاة والسلام: «**يُؤْتَى بالرَّجُلِ يَوْمَ القيَامَةِ فَيُلْقَى في النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ**»؛ يعني: أمعاءه، تظهر بين الناس في النار بين أهل النار «**فَيدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ في الرَّحَى**»، يسحب أمعاءه، «**فَيَجْتَمِعُ إِلَيْه أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلانُ، مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُ تَأْمُرُ بالمعْرُوفِ وَتنهَى عَنِ المُنْكَرِ؟**»؛ يعني: في الدنيا، (**فَيقُولُ: بَلَى، كُنْتُ آمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَلا آتِيهِ، وأَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ**) هذه الفضيحة من أهل النار، أعوذ بالله مع ما هو فيه من العذاب، فضيحة بين الناس، الذي كان يأمرهم وينهاهم، فهذه رؤية من الرسول ﷺ للأمة ليحذروا هذا الخُلق الذميم، ويكون المؤمن داعياً للخير، آمراً بالخير، مسارعاً إليه، محذراً من الشر ناهياً عنه، مُتباعداً عنه، هكذا ينبغي للمؤمن والمؤمنة كل من دعا إلى الخير المشروع له أن يبادر ويُسارع إلى ما دعا إليه، فإذا كان واجباً بادر

إليه، وأن ينهى عن الشر ويبادر إلى تركه، حتى يكون قدوة صالحة في قوله وعمله.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية






٢٥ ـ بَابُ الأمر بأداء الأمانة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

١٩٩ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه: أن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «آيةُ المُنافقِ ثلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعدَ أخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

📖 وفي رواية: «وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ».

٢٠٠ ـ **وعن** حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، قَالَ: حدثنا رَسُول الله ﷺ حدِيثَينِ قَدْ رأيْتُ أحَدَهُمَا وأنا أنتظرُ الآخر: حدثنا أن الأمانة نَزلت في جَذرِ قلوبِ الرجال، ثُمَّ نزل القرآن فعلموا مِنَ القرآن، وعلِموا من السُّنَّةِ، ثُمَّ حدّثنا عن رفع الأمانة، فَقَالَ: «يَنامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أثرُهَا مِثلَ الوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّومَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أثرُهَا مِثل أَثَرِ المَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبراً وَلَيسَ فِيهِ شَيءٌ» ثُمَّ أخَذَ حَصَاةً فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ «فَيُصْبحُ النَّاسُ يَتَبَايعُونَ، فَلا يَكَادُ أحدٌ يُؤَدّي الأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ: إنَّ في بَني فُلان رَجُلاً أميناً، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أجْلَدَهُ! مَا أَظْرَفَهُ! مَا أعْقَلَهُ! وَمَا في قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّة مِن خَرْدَل مِنْ إيمَان». وَلَقدْ أتى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أيُّكُمْ بَايَعْتُ: لَئن كَانَ مُسْلِماً لَيَرُدَّنَّهُ عليَّ دِينهُ، وَإنْ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق برقم (٣٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق برقم (٥٩).

كَانَ نَصْرانِيّاً أَوْ يَهُودِياً لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، وَأَمَّا اليَوْمَ فَمَا كُنْتُ أُبَايِعُ مِنْكُمْ إلَّا فُلاناً وَفُلاناً. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

▫ قوله: (جَذْرُ) بفتح الجيم وإسكان الذال المعجمة: وَهُوَ أصل الشيء وَالوكت بالتاء المثناة من فوق: الأثر اليسير. وَالمَجْلُ بفتح الميم وإسكان الجيم: وَهُوَ تَنَفُّطٌ في اليدِ ونحوها من أثرِ عمل وغيرِهِ.

▫ قوله: (مُنْتَبراً): مرتفِعاً. قوله: (ساعِيهِ): الوالي عَلَيهِ.

الشَرح

هاتان الآيتان والحديثان الشريفان كلها تتعلق بالأمانة وعظم شأنها وعظم خطرها، يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] بيَّن سبحانه أنه أمر أن تؤدى الأمانات إلى أهلها، وهذا أمر إيجاب وافتراض، يجب أن تؤدى الأمانة إلى أهلها، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، قال ﷻ في وصف المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المعارج: ٣٢]؛ فالمؤمن يرعى الأمانة ويعتني بها ولا يخونها، بل يؤديها كما أمر الله، والأمانات هي الفرائض التي يؤتمن عليها العبد؛ فالفرائض التي من جهة الله والودائع التي من جهة العباد والحقوق التي من جهة العباد يقال لها: أمانات، وما فرضه الله عليك فهو أمانة يجب أن تؤديه كما شرع الله من صلاة وصوم، ووضوءٍ، وغسلِ جنابة، وزكاة وغير هذا، كلها

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة برقم (٦٤٩٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب برقم (١٤٣).

فرائض أنت مؤتمن عليها، عليك أن تؤديها إلى أهلها كما شرع الله وكما أوجب ﷻ، وهكذا كل ما حرم الله عليك تركه والحذر منه أمانة بينك وبين الله، وفرض عليك أن تبتعد عنه وأن تحذره، تخاف الله وترجو ثوابه ﷻ، ومن الأمانة أن تؤدي الفريضة كما شرعت، تؤدي الصلاة كما أمر الله بفرائضها وحقوقها، تؤدي الزكاة كما أمر الله تامة كاملة، هكذا الصوم، هكذا الحج، هكذا الجهاد، هكذا الإخلاص في العبادات، وأن تكون خالصة لله وحده من صلاة وغيرها، وهكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بر الوالدين، صلة الرحم، حفظ الحديث، حفظ الجوارح عما حرم الله، كل ذلك أمانة لازمة يجب أن تؤديها كما أمر الله ﷻ، ويحرم عليك خيانتها؛ ولهذا قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

وقال في حق المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المعارج: ٣٢] يرعون الأمانات ويرعون العهود فلا يغدرون ولا ينقضون العهود ولا يخونون الأمانات، ومن عظم شأن الأمانة أن الله عرضها على السمٰوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، جعل الله فيها شعوراً فخافت من ذلك فأبت إذا كان باختيارها إلا أن يحملها ربها، كل ذلك خوفاً من معرةِ الخيانة وعدم أداء الأمانة، وهذه المخلوقات لها شعور ولها إحساس إذا حملها الله شيئاً وأمرها بشيء فهو سبحانه يقول للشيء كن فيكون، فالذي علم الآدمي، علم الجني، وعلم الطير، وعلم الحيوانات وعلمهم، هكذا هذه الجمادات يجعل الله فيها ما يشاء ﷻ، كما قال في حق الجبال: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]، وقال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، لو كُلف به جعل الله له شعوراً يعتني بهذا، ويقوم بما يجب عليه مما حُمل،

ويقول ﷺ: «**آيةُ المُنافِقِ ثلاثٌ**»؛ يعني: علامته أعوذ بالله، علامة المنافق ثلاث «**إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ**» من صفته الكذب أعوذ بالله، «**وَإِذَا وَعدَ أخْلَفَ**»، ومن صفته الخيانة، «**وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**» فلا يرضى المؤمن لنفسه بهذه الأخلاق، يجب أن يبتعد عن هذه الأخلاق الذميمة التي ذم الله بها المنافق.

والمنافق هو الذي يتظاهر بالإسلام وهو في الباطن مع الكافرين، في الباطن مُكذبٌ كافرٌ في الباطن لكنه في الظاهر يتظاهر بالإسلام ومن علاماته أنه: «**إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعدَ أخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ**» كل هذه من صفات الخبيث، الله قال في حقهم في حق المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ١٤٢، ١٤٣]، هذه من أخلاقهم التي ذكرها الله في القرآن، وقال في أخلاقهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾؛ يعني: شكٌّ وريب ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ٨ ـ ١٠]. نسأل الله العافية، إلى أن ذكر صفاتهم الأخرى ـ المنافق ـ من خُبثه يتظاهر بأنه معك وهو عدو لك ،ومن صفاته أنه كسول عن الصلوات، متثاقل عن الصلوات، غافل عن ذكر الله، مخادع مكار في المعاملة، كذاب في الحديث، غدارٌ في العهود، خوانٌ للأمانة، مراءٍ في الأعمال، كل هذه من صفاته الخبيثة، نسأل الله العافية.

وفي **الحديث الثاني** يقول ﷺ: يقول حُذيفة: إن الرسول حدثهم عن الأمانة حديثين، أحدهما قال ﷺ: «**إن الأمانة نَزلت في جَذرِ قلوبِ الرجال**»؛ يعني: خلقها الله في القلوب، هذه الأمانات منهم من يوفق للاستقامة على أخذ الأمانة، ومنهم من يخذل، فهي نزلت «**في جَذرِ قلوبِ الرجال**» ـ في أصل القلوب، «**ثُمَّ نزل القرآن**»، بعد ما بعث نبيه ﷺ

بالإسلام، **«فعلموا مِنَ القرآن، وعلِموا من السنةِ»** ونزلت السُّنَّة، وجاء الوحي بهذا وهذا، **«فعلم الناس من القرآن، وعلِموا من السنةِ»**.

ثم حدثهم **الحديث الثاني**: عن نزع الأمانة، الأمانة أصلها في قلوب الرجال؛ يعني: والنساء جنس الحكم واحد، لكن من الناس من يثبت على هذه الأمانة ويبقى عليها، ويتعلم ويتبصر ويثبت، ومنهم من يحيد عنها بعد ذلك ويخون ويتغير؛ فلهذا قال ثم حدثنا عن نزع الأمانة من القلوب فقال: **«يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ»**، بمعاصيه ومخالفاته وانحرافه، **«فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الوَكْتِ»**، والوكت الأثار الخفيفة والوسوخ القليلة في البدن **«ثُمَّ يَنَامُ النَّومَةَ»** الأخرى؛ يعني: فيما بين وقت وآخر **«فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ المَجْلِ»** والمَجْل ما يكون من أثر العمل على المسحاة والحديد، تكون شخوط في الأيدي وقد تجلّى إذا اشتدت ويحصل لها جروح بينة من العمل، يبقى أثرها في قلبه خدوش واضحة خدوش واضحة في قلبه بسبب أعماله الخبيثة، وانحرافه عن الحق، وتساهله في الأوامر، حتى يتعامل الناس وليس فيهم من يؤدي الأمانة؛ يعني: تنتشر الخيانة وتكثرُ في الناس بسبب قلة علمهم، وقلة إيمانهم، وقُرب الساعة وهو كثرة الخيانة فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة.

يقلُّ من يؤديها؛ لضعف الإيمان وقلة البصيرة، وقلة الخوف من الله ﷻ في آخر الزمان، كما هو الحال في غالب الزمان اليوم وفي غالب البُلدان اليوم إلا من عصم ربك ورحمه ﷻ، حتى يقال: إن في بني فلانٍ أميناً، حق أمين يتحدث الناس في بلدهم وفي قريتهم: إن في بني فلانٍ أمينا، حق أمين حتى يقال للرجل: **«ما أجلده ما أظرفه، ما أعقله»**، يمدحونه **«وليس في قلبه مثقال حبةٍ من خردلٍ من إيمانٍ»** ما عنده خير لكنه يتظاهر بالنفاق، يتظاهر عند الناس أنه أمين وليس بأمين، هذا يدل على تغير الأحوال، وأن الناس في آخر الزمان تتغير أحوالهم، وتقلُّ أماناتهم، ويضعُف إيمانهم، فالواجب على المؤمن أن يتحرى الخير

ويجاهد نفسه، ويسأل الله التوفيق والهداية، وأن يحذر من ظاهره الشر، عليه أن يحذر حتى لا تقع عليه كارثة ممن يتظاهر بالإسلام وهو منافق.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

***

٢٠١ ـ **وعن** حُذَيفَة وأبي هريرة رضي الله عنهما، قالا: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «يَجمَعُ اللهُ تبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ فَيَقُومُ المُؤمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ صَلَواتُ اللهِ عَلَيهِ، فَيقُولُونَ: يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الجَنَّةَ، فَيقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الجَنَّةِ إلَّا خَطيئَةُ أبيكُمْ! لَسْتُ بِصَاحِبِ ذلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْراهيمَ خَلِيل اللهِ. قَالَ: فَيَأْتُونَ إبرَاهِيمَ فَيَقُولُ إبراهيم: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذلِك إنَّمَا كُنْتُ خليلاً مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، اعْمَدُوا إِلَى مُوسَى الَّذِي كَلَّمَهُ الله تكليماً. فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: لستُ بِصَاحِبِ ذلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسى كلمةِ اللهِ ورُوحه، فيقول عيسى: لستُ بصَاحبِ ذلِكَ، فَيأْتونَ مُحَمَّداً ﷺ فَيَقُومُ فَيُؤذَنُ لَهُ، وتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَيَقُومانِ جَنْبَتَي الصِّرَاطِ يَمِيناً وَشِمَالاً فَيَمُرُّ أَوَّلُكُم كَالبَرْقِ» قُلْتُ: بأبي وَأمِّي، أيُّ شَيءٍ كَمَرِّ البَرقِ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوا كَيْفَ يمُرُّ وَيَرْجِعُ في طَرْفَةِ عَيْن، ثُمَّ كَمَرّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَال تَجْري بهِمْ أعْمَالُهُمْ، وَنَبيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّراطِ، يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أعْمَالُ العِبَادِ، حَتَّى يَجِيء الرَّجُلُ لا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إلَّا زَحْفاً، وَفي حَافَتي الصِّراطِ كَلالِيبُ معَلَّقَةٌ مَأمُورَةٌ بِأخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمُكَرْدَسٌ في النَّارِ» وَالَّذِي نَفْسُ أبي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، إنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفاً. رواه مسلم[(١)].

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها برقم (١٩٥).

□ قوله: (وراء وراء) هُوَ بالفتح فيهما. وقيل: بالضم بلا تنوين ومعناه: لست بتلك الدرجة الرفيعة، وهي كلمة تذكر عَلَى سبيل التواضع. وقد بسطت معناها في شرح صحيح مسلم، والله أعلم.

الشَّـرح

هذا الحديث الجليل العظيم فيما يتعلق في حال الناس يوم القيامة وشدة حاجتهم إلى من يشفع لهم في القضاء بينهم وإراحتهم من هول ذلك اليوم، وفي الشفاعة لأهل الإيمان في دخول الجنة، وأن الناس يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غُرلاً كما ولدتهم أمهاتهم، والشمس منهم على قدر ميل قد دنت الشمس في ذلك اليوم العظيم الطويل حتى يعرق الناس وحتى يذهب العرق في الأرض سبعين ذراعاً من شدة الأهوال، لكن الله يُسهله على عباده المؤمنين فهو عسير على الكافرين، ميسَّر لأهل الإيمان والتقوى، في يوم الناس فيما بينهم يتراجعون. وهم المؤمنين ينظر من يشفع لهم في إراحتهم من هول الموقف والقضاء بينهم، وينظر من يشفع لهم في دخول الجنة، ويأتون آدم يطلبونه الشفاعة في القضاء إلى الله أن يقضي بينهم وأن يريحهم من هول ذلك اليوم، ويأتونه أيضاً بعدما ينتهي الحساب ليشفع في دخول المؤمن الجنة وتُزلف لهم الجنة، وتُظهر، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١] تُقرب لهم، وتُدنى ولكنهم لا يدخلونها إلا بشفاعة محمد عليه الصلاة والسلام، فالمؤمنون فيما بينهم يتراوضون ماذا يفعلون لشدة الهول وعظم الكرب، فيأتون آدم أبانا عليه الصلاة والسلام ويقولون: يا أبانا آدم أنت خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يُريحنا من شرِ الموقف، وهكذا يطلبون الشفاعة في دخول الجنة، فيقول: «**وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أبيكُمْ!**» يعني: هو السبب؛ يعني: أنا السبب فيقول: «**لَسْتُ بِصَاحِبِ ذلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى**

ابْنِي إِبْراهيمَ خَلِيل اللهِ» فيقول: لستُ لذلك «نَفْسِي نَفْسِي» اذهبوا إلي غيري فيحيلهم كما في الرواية الأُخرى إلى نوح وهو أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض.

فيأتون نوحاً ويقولون: أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض وقد سمَّاك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربك فيما يتعلق بالقضاء وفيما يتعلق بدخول الجنة فيعتذر، ويقول: «نَفْسِي نَفْسِي» اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم خليل الرحمٰن، فيقول: «لَسْتُ بِصَاحِبِ ذلِكَ»، فيعتذر ويقول: «نَفْسِي نَفْسِي» اذهبوا إلي غيري اذهبوا إلى موسى كليم الرحمٰن، وكل واحد من هؤلاء الأنبياء يقول: «إِنَّ رَبِّي غَضِبَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ» فيقول: «نَفْسِي نَفْسِي» فيأتون موسى عليه الصلاة والسلام يطلبون منه الشفاعة فيقول: «نَفْسِي نَفْسِي» «اذْهَبُوا إِلَى عِيسى كلمةِ اللهِ ورُوحه»، خلقه الله بكلمته ونفخه من روحه، فيأتون «عِيسى» عليه الصلاة والسلام وهو آخر أنبياء بني إسرائيل ليس بينه وبين محمد ﷺ أحد من الأنبياء، فيأتون «عِيسى» عليه الصلاة والسلام: فيقول: «نفسي نفسي» اذهبوا إلى عبد قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، اذهبوا إلى محمد فيأتونه، عليه الصلاة والسلام فيقول: «أنا لها أنا لها» ثم يتقدم فيسجد بين يدي الله ويحمده بمحامد عظيمة عليه الصلاة والسلام حتى يقال له: ارفع رأسك وقل يُسمع، وأسأل تعطى، واشفع تُشفع، وتُرسل الأمانة والرحم حتى تقومان جنبتي الصراط ينصب الصراط بعد انتهاء الحساب، فينصب الصراط بين الجنة والنار من الأرض إلى فوق إلى الجنة فوق يمر الناس عليه، وهو صراط دحض مجلى لا يمر عليه إلا بالأعمال، لا بالأقدام ولا بالحس ولكنه بقوة الأعمال، أو ضعفها، والأمانة والرحم على جنبتيه، من أدى الأمانة ووصل الرحم فهو على سبيل نجاة، ومن خان الأمانة وقطع الرحم فهو على سبيل هلاك.

هذا معناه الحث على أداء الأمانة، والصدق في الأمانة ورعاية الأمانة، ورعاية الرحم، وعدم القطيعة، قال: «**فيمر أولكم كالبرق**» فقيل له عليه الصلاة والسلام: كيف كالبرق قال: «**ألم تروا كيف يأتي ويذهب في لمح البصر؟**» ثم كالريح الشديدة، ثم كأجاود الخيل، والركاب وأشد ما في عدْوه، كل على حسب أعماله، كالبرق وكالريح، وكحوافر الخيل، والركاب وشدِّ الرجال؛ يعني: في السرعة كل على قدر أعماله، من كان لله أتقى وكان لله أقوى بالحق كان أسرع جوازاً على الصراط، وأسلم من أسباب الهلكة، ومن تأخرت به أعماله الصالحة وتأخر به تعاطيه المعاصي فهو على سبيل هلكة، فناجٍ مُكلب ومَخْدُوشٌ ناجٍ، «**وَمُكَرْدَسٌ**» مكردس في النار نعوذ بالله منهم، من يُخدش ويسلم وينجو ويمشي، ومنهم من لا يستطيع بل يُجر بتلك الكلاليب إلى النار؛ لأن الصراط عليه كلاليب عظيمة لا يعلم قدرها إلا الله ﷻ تأخذ من أُمرت بأخذه، هذا مخدوش ناجٍ، وهذا يزحف، وهذا كذا، وهذا كذا، وهذا يسقط، نسأل الله العافية.

ومن سقط فهو في النار؛ لأن الصراط على النار، من سقط سقط فيها، نسال الله العافية. هذا فيه تحذير الأمة من التساهل بهذا اليوم العظيم، وأن الواجب الإعداد له بالتقوى والعمل الصالح، لا بالأموال ولا بالأنساب، ولا بالوظائف، ولكن العدة طاعة الله ورسوله، تقوى الله والاستقامة على أمره، الحذر من أسباب غضبه، حتى تلقى ربك وأنت على إعداد لهذا اللقاء، وعلى حذر من تفريط، وعلى استقامة على الطريق، ومن استقام على هذا الطريق في الدنيا نجا يوم القيامة على الصراط، ومن أخل بهذا الطريق وتابع الهوى والشيطان فهو على خطر من عدم الجواز يوم القيامة.

أما الكفار فهم يساقون إلى النار سوقاً، نسأل الله العافية لا يمرون

على الصراط؛ لأنه ليس لهم أعمال صالحة، أعمالهم حابطة ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الانعام: ٨٨]، فالكفار يُساقون إلى النار ويدفعون إليها دفعاً حتى يلجُوها نسأل الله العافية، وإنما هذا الصراط لأهل الإيمان وأهل التقوى من هذه الأمة ومن قبلها من الأُمم، فعلى حسب تقواهم لله وعلى حسب أعمالهم الصالحة يكون مرورهم على هذا الصراط، وهم متفاوتون تفاوتاً عظيماً على حسب تفاوتهم في أعمالهم الصالحة.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

***

٢٠٢ ـ وعن أبي خُبيب بضم الخاء المعجمة عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا وَقَفَ الزُّبَيْرُ يَوْمَ الجَمَلِ دَعَانِي فَقُمْتُ إِلَى جَنْبه، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، إِنَّهُ لَا يُقْتَلُ اليومَ إِلَّا ظَالِمٌ أَوْ مَظْلُومٌ، وَإِنِّي لا أراني إِلَّا سَأُقْتَلُ اليوم مظلوماً، وإنَّ مِنْ أكبر هَمِّي لدَيْنِي، أَفَتَرَى دَيْننا يُبقي من مالِنا شَيئاً؟ ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ، بِعْ مَا لَنَا وَاقْضِ دَيْنِي، وَأَوْصَى بِالثُّلُثِ وَثُلُثِهِ لِبَنِيهِ؛ يعني: لبني عبد الله بن الزبير ثُلُثُ الثُّلُث. قَالَ: فَإِنْ فَضَلَ مِنْ مَالِنَا بَعْدَ قَضَاءِ الدَّيْنِ شَيء فَثُلُثُه لِبَنِيكَ. قَالَ هِشَام: وَكَانَ بَعْضُ وَلَدِ عَبْدِ اللهِ قَدْ وَازَى بَعْضَ بَنِي الزُّبَيْرِ خُبيبٍ وَعَبَّادٍ، وَلَهُ يَوْمَئِذٍ تِسْعَةُ بَنِينَ وَتِسْعُ بَنَات. قَالَ عَبدُ الله: فَجَعلَ يُوصِينِي بدَيْنِهِ وَيَقُولُ: يَا بُنَيَّ، إنْ عَجَزْتَ عَن شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِنْ عَلَيهِ بِمَوْلَايَ. قَالَ: فَوَاللهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ: يَا أَبَتِ مَنْ مَوْلَاكَ؟ قَالَ: الله. قَالَ: فَوَاللهِ مَا وَقَعْتُ في كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ إِلَّا قُلْتُ: يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ اقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ فَيَقْضِيَهُ. قَالَ: فَقُتِلَ الزُّبَيْرُ وَلَم يَدَعْ دِيناراً وَلا دِرْهماً إِلَّا أَرَضِينَ، مِنْهَا الغَابَةُ وإحْدَى عَشْرَةَ دَاراً بالمَدِينَةِ، وَدَارَيْنِ

بالبَصْرَةِ، ودَاراً بالكُوفَةِ، ودَاراً بمِصْرَ. قَالَ: وَإِنَّمَا كَانَ دَيْنُهُ الَّذِي كَانَ عَلَيهِ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَأْتِيهِ بالمال، فَيَسْتَودِعُهُ إِيَّاهُ، فَيَقُولُ الزُّبَيْرُ: لا، وَلَكِنْ هُوَ سَلَفٌ إنِّي أخْشَى عَلَيهِ الضَّيْعَةَ. وَمَا وَلِيَ إمَارَةً قَطُّ وَلا جِبَايَةً ولا خراجاً وَلَا شَيئاً إلَّا أنْ يَكُونَ في غَزْوٍ مَعَ رسولِ الله ﷺ أَوْ مَعَ أَبي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ رضي الله عنهم.

قَالَ عَبدُ الله: فَحَسَبْتُ مَا كَانَ عَلَيهِ مِن الدَّيْنِ فَوَجَدْتُهُ أَلْفيْ أَلْفٍ وَمِئَتي أَلْف! فَلَقِيَ حَكِيمُ بنُ حِزَام عَبْدَ الله بْنَ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أخِي، كَمْ عَلَى أخي مِنَ الدَّيْنِ؟ فَكَتَمْتُهُ وَقُلْتُ: مِئَةُ ألْف. فَقَالَ حَكيمٌ: واللهِ مَا أرَى أمْوَالَكُمْ تَسَعُ هذِهِ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: أرَأيْتُكَ إنْ كَانَتْ ألْفَي ألف وَمِئَتَيْ ألْف؟ قَالَ: مَا أرَاكُمْ تُطيقُونَ هَذَا، فَإنْ عَجَزْتُمْ عَنْ شَيءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِينُوا بي، قَالَ: وَكَانَ الزُّبَيرُ قَد اشْتَرَى الغَابَةَ بِسَبْعِينَ ومئة ألف، فَبَاعَهَا عَبدُ اللهِ بِألْفِ ألْف وَسِتّمِئَةِ ألْف، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ: مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيرِ شَيْء فَلْيُوافِنَا بِالغَابَةِ، فَأتَاهُ عَبدُ اللهِ بنُ جعفر، وَكَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيرِ أرْبعمئةِ ألْف، فَقَالَ لعَبدِ الله: إنْ شِئْتُمْ تَرَكْتُهَا لَكمْ؟ قَالَ عَبدُ الله: لا، قَالَ: فَإنْ شِئتُمْ جَعَلْتُمُوهَا فِيمَا تُؤَخِّرُونَ إنْ أخَّرْتُمْ، فَقَالَ عَبدُ الله: لا، قَالَ: فَاقْطَعُوا لِي قطْعَةً، قَالَ عَبدُ الله: لَكَ مِنْ هاهُنَا إِلَى هَاهُنَا. فَبَاعَ عَبدُ اللهِ مِنهَا فَقَضَى عَنْهُ دَينَه وَأوْفَاهُ، وَبَقِيَ مِنْهَا أرْبَعَةُ أسْهُم وَنِصْفٌ.

فَقَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَة وَعِنْدَهُ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، وَالمُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَابْنُ زَمْعَةَ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: كَمْ قُوِّمَتِ الغَابَةُ؟ قَالَ: كُلُّ سَهْم بمئَة ألف، قَالَ: كَمْ بَقِيَ مِنْهَا؟ قَالَ: أرْبَعَةُ أسْهُم وَنصْفٌ، فَقَالَ المُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيرِ: قَدْ أخَذْتُ مِنْهَا سَهماً بِمئَةِ ألف، قَالَ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ: قَدْ أخَذْتُ مِنهَا سَهْماً بمئَةِ ألْف. وَقالَ ابْنُ زَمْعَةَ: قَدْ أخَذْتُ سَهْماً بِمئَةِ ألْف، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: كَمْ

بَقِيَ مِنْهَا؟ قَالَ: سَهْمٌ ونصْفُ سَهْم، قَالَ: قَدْ أَخَذْتُهُ بخَمْسِينَ وَمئَةِ أَلْف. قَالَ: وَبَاعَ عَبدُ الله بْنُ جَعفَر نَصيبهُ مِنْ مَعَاوِيَةَ بستِّمِئَةِ أَلْف، فَلَمَّا فَرَغَ ابْنُ الزُّبَيرِ مِنْ قَضَاءِ دَيْنِهِ، قَالَ بَنُو الزُّبَيرِ: اقسمْ بَينَنَا ميراثَنا، قَالَ: وَاللهِ لا أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ حَتَّى أنَادِيَ بالمَوْسم أَرْبَعَ سنينَ: ألا مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيرِ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا فَلْنَقْضِهِ. فَجَعَلَ كُلّ سَنَةٍ يُنَادِي في المَوْسِمِ، فَلَمَّا مَضَى أَرْبَعُ سنينَ قَسَمَ بيْنَهُمْ وَدفَعَ الثُّلُثَ. وَكَانَ للزُّبَيْرِ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ، فَأَصَابَ كُلَّ امرأةٍ أَلْفُ ألف وَمِئَتَا أَلْف، فَجَميعُ مَالِه خَمْسُونَ ألف أَلْف وَمِئَتَا أَلْف. رواه البخاري[(١)].

الشَّرح

هذا الحديث في قصة الزبير بن العوام رضي الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام وهو حواري النبي عليه الصلاة والسلام يقول ﷺ: «**إنَّ لِكُلِّ نَبيٍّ حَوارِيّاً، وَإنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّام**»[(٢)] الحواري هو الناصر، وهو ابن عمة رسول الله عليه الصلاة والسلام صفية، وكان حضر وقعة الجمل وقتل فيها مظلوماً بعد ما انصرف من القتال، وكان أوصى ابنه عبد الله أن يوفي عنه ما عليه من الديون، وكان عليه ديون رضي الله عنه فأوصى ابنه عند حضور الوقعة أن يهتم بدينه وأن يقضي دينه، وكانت ديونه هذه نشأت عن أمانات أخذها من الناس، وحريصاً على أن يوفي أهلها وكان رضي الله عنه

(١) أخرجه في كتاب فرض الخُمُس، باب بركة الغازي في ماله حياً وميتاً مع النبي ﷺ وولاة الأمر برقم (٣١٢٩).

(٢) متفق عليه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب فضل الطّليعة وحده برقم (٢٨٤٦ و٢٨٤٧)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب مِنْ فضائل طلحة والزّبير رضي الله عنهما برقم (٢٤١٥).

يأتيه الناس بالأمانات ويقول: أرى أن تجعلوها قرضاً عليَّ لأني أخشى عليها الضيعة؛ يعني: يخشى عليها إذا جعلها في أكياس أو في كذا أو في صناديق أن يأتيها شيء من أسباب الهلكة، فقال: اجعلوه عليَّ قرضاً حتى متى أردتموها أعطيتكموها إياه وكان يأخذ الأمانات باسم القرض باسم السلف وتبقى عليه، فإذا جاء أهلها أعطاهم حاجاتهم وأعطاهم ديونهم.

وكان عنده حين قُتل أمانات كثيرة فأمر ولده عبد الله بن الزبير وهو صحابي جليل رضي الله عنه وأرضاه، وهو ابن أسماء بنت أبي بكر، خالته عائشة رضي الله عنها وجده الصديق أبو بكر من جهة الأم، أوصاه أن يبيع مما وراءه من الدور والأراضي ويوفي الدين، وكان الزبير رضي الله عنه ما عنده دراهم ولا عنده دنانير ما عنده إلا عقار، وكان لم يتول إمارة ولا جباية وإنما كانت أمواله من طريق غزواته مع النبي ﷺ، والغنائم التي كانت تحصل له من طريق غزواته في خلافة الصديق، وخلافة عمر، رضي الله تعالى عنهما وخلافة عثمان رضي الله عنه، فجمعوا ما حصل عليه من الأمانات، فإذا هي مليونان ومئتا ألف، وكان هذا سنة خمس وثلاثين من الهجرة بعد مقتل عثمان، رضي الله عنه وأرضاه في السنة الخامسة والثلاثين بل في السادسة والثلاثين من الهجرة؛ لأن وقعة الجمل كانت في السادسة والثلاثين، فجمع رضي الله عنه عبد الله بن الزبير الديون التي على أبيه من الأمانات وكان وراء الزبير أرض بالمدينة يقال لها: الغابة، شراها بمائة ألف وسبعين ألفاً وجعلها عبد الله ستة عشر سهماً، وقدَّر كل سهم بمائة ألف؛ لأن الأراضي ذاك الوقت كانت فيها غلاء وارتفاع، فصار وقدروها بمليون وستمائة ألف، وهي كانت على الزبير بمائة وسبعين ألفاً.

وكذلك له داران في البصرة ودار في الكوفة في العراق ودار في

مصر وإحدى عشرة داراً في المدينة، الجميع خمس عشرة داراً في هذه الأماكن، فباع عبد الله بن الزبير من الغابة، باع الغابة بما ذكر وهي بمليون وستمائة ألف وسدَّد بها أكثر الديون، وباع من هذه الدور ما تسدد به بقية الديون ثم باع بقية العقار، وقسم بقية التركة بين الورثة؛ بين أربع زوجات وبين أولاده من الذكور والإناث، فأنزل الله البركة في هذه الدور في هذه الأراضي صار نصيب الأربع زوجات من هذا المال خمسة ملايين إلا خُمس مليون؛ يعني: أربعة ملايين وثمانمائة ألف كل واحدة جاء نصيبها مليون ومئتا ألف، وهذه مما جعل الله من البركة في هذه الدور حتى بيعت ببيع مناسب والأرض كذلك.

وأوفى الله عنه الدين قضى عنه الديون رضي الله عنه وأرضاه، ويسَّر الله لورثته ما نفعهم، فهذا يدلُّ على أن العناية بالأمانات والحرص على تسديدها والاهتمام بها من أسباب الوفاء، من أسباب الوفاء والبركة، قال الله جلَّ وعلا في حق المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المعارج: ٣٢]؛ فالزبير رضي الله عنه إنما حمل هذه الأمانات خوفاً عليها من التلف ولو شاء لاعتذر، وقال: ما لي حاجة في الأمانات، ولو شاء لجعلها عنده في صندوق أو غيره، لكنه خاف عليها وجعلها ديناً في ذمته حتى لا يقع عليها خطرٌ من كذا أو كذا، فلما أراد الله عليه ما أراد من قتله رضي الله عنه مظلوماً أراد الله له التيسير والتسديد وسددها ولده في غاية من الراحة والحمد لله، فهذا يدلُّ على أن من اعتنى بالأمانات ورعاها وأدَّى حقها فالله يوفي عنه، وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «**مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ**»[1] فمن أخذ الديون والأموال بنية سيئة أتلفه الله، وصار

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستقراض، باب من أخذ أموال الناس يُريد أداءها أو إتلافها برقم (٢٣٨٧).

عليه وباله، نعوذ بالله، ومن أخذها بنية الوفاء ونية أداء الحقوق والحرص على ذلك فالله يوفي عنه ﷻ.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.






٢٦ـ بَابُ تحريم الظلم والأمر برد المظالم

قال الله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [الحج: ٧١].

وأمّا الأحاديث فمنها:

حديث أبي ذر ﷺ المتقدم في آخر باب المجاهدة.

٢٠٣ ـ **وعن** جابر ﷺ: أن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ. وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. حَمَلَهُمْ عَلَى أنْ سَفَكُوا دِمَاءهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ» رواه مسلم(١).

٢٠٤ ـ **وعن** أَبي هريرة ﷺ: أن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «لَتُؤَدُّنَّ الحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَومَ القِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ للشَّاةِ الجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ القَرْنَاءِ» رواه مسلم(٢).

٢٠٥ ـ **وعن** ابن عمر ﷺ، قال: كُنَّا نَتَحَدَّثُ عَنْ حَجَّةِ الوَدَاعِ، والنَّبيُّ ﷺ بَيْنَ أظْهُرِنَا، وَلا نَدْرِي مَا حَجَّةُ الوَدَاعِ حَتَّى حَمِدَ اللهَ رَسُول الله ﷺ وَأثْنَى عَلَيهِ ثُمَّ ذَكَرَ المَسيحَ الدَّجَّال فَأطْنَبَ في ذِكْرِهِ، وَقَالَ: «مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبيٍّ إلَّا أنْذَرَهُ أُمَّتَهُ أنْذَرَهُ نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ، وَإنَّهُ إنْ يَخْرُجْ فِيكُمْ فَما خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأنِه فَلَيسَ يَخْفَى عَلَيْكُم أنَّ رَبَّكُمْ لَيسَ بأعْوَرَ وإنَّهُ أعْوَرُ عَيْنِ اليُمْنَى، كَأنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ. ألا إنَّ الله حَرَّمَ عَلَيْكُمْ

(١) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٧٨).
(٢) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٨٢).

دِمَاءكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ كحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، في بلدكم هذا، في شَهْرِكُمْ هَذَا، ألا هَلْ بَلَغْتُ؟» قالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» ثلاثاً «وَيْلَكُمْ أَوْ وَيْحَكُمْ، انْظُروا: لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» رواه البخاري، وروى مسلم بعضه[١].

٢٠٦ ـ **وعن** عائشة رضي الله عنها: أن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «مَنْ ظَلَمَ قيدَ شِبْرٍ مِنَ الأرْضِ، طُوِّقَهُ مِنْ سبْعِ أرَضينَ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٢].

الشَّرح

هذه الآيات الكريمات والأحاديث الصحيحة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام كلها تتعلق ببيان تحريم الظلم وسوء عاقبته، وأن الله جلَّ وعلا حرمه على نفسه وحرمه على عباده، قال تعالى: ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٨] قال ﷻ: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]» من حميم؛ يعني: من قريب لا قريب ولا شفيع يطاع؛ لظلمهم وعدوانهم على الله وعلى عباده، وأعظم الظلم الشرك بالله ﷻ هو أعظم الظلم، ثم ظلم المعاصي، ثم ظلم الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩] فهذا فيه الوعيد الشديد، وقال عليه الصلاة والسلام «**الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ**»، وقال جلَّ وعلا فيما رواه عنه نبيه عليه الصلاة والسلام يقول سبحانه: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلَا تَظَالَمُوا**».

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب حجة الوداع برقم (٤٤٠٢ ـ ٤٤٠٣)، ومسلم في كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد برقم (٩٥) (١٦٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين برقم (٣١٩٥)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها برقم (١٦١٢).

الواجب على العباد أن يبتعدوا عن الظلم، وأن يتواصوا فيما بينهم بذلك، فلا يظلم أحدٌ أحداً لا في نفسه، ولا في مالٍ، ولا في عرض، ولا في بشرته، «**كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**»[١].

وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**» شُحَّهم؛ يعني: حرصهم على المال وبخلهم بالمال جرهم إلى الظلم والتعدي على الناس وعلى سفك الدماء، واستحلال المحارم، ففي هذا الحذر من جشع النفس وحرصها على المال، فإنه قد يؤدي بصاحبه إلى السرقات والخيانات والظلم في الدماء والأموال والأعراض بسبب حب المال، والحرص على المال بكل طريق، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي حجة الوداع خطب الناس عليه الصلاة والسلام قال: «**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ. أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ**» وبيَّن لهم عن الدجال وأنه سوف يخرج فيهم وأن الأنبياء أنذروا قومهم ذلك حتى نوح أنذره قومه، والمسيح الدجال يخرج في آخر الزمان وليس زمنه ببعيد، والله أعلم لأننا في آخر الزمان الآن في القرن الخامس عشر، قد غلب على الدنيا الكفر بالله والمخالفة لأمره، وقلَّ فيها المستقيمون على دينه، فالدجال والله أعلم ليس ببعيد خروجه، ويخرج من جهة الشرق من جهة منطقة سوريا وما حولها، ويتبعه أمم كثيرة على دعواه الباطلة، يخرج ويدعي أنه نبي ثم يدعي أنه رب العالمين، ومعه خوارق وأشياء تُضلل الناس إلا من رحم الله.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله برقم (٢٥٦٤).

ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**أَمْرٌ أَعْظَمُ مِنَ الدَّجَّالِ**»[١].

في لفظ آخر: «**مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ فِتْنَةٌ أَكْبَرُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ**» وشرع الله لنا أن نتعوذ من فتنته في آخر كل صلاة، شرع لنا أن نقول أعوذ بالله من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال، أمرنا أن نتعوذ بهذه الأربعة في كل صلاة، في آخر الصلاة وكان يتعوذ منها عليه الصلاة والسلام في آخر كل صلاة، عليه الصلاة والسلام ويقول ﷺ: «**إِنَّ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ عين اليمنى كأنها عنبةٌ طافيةٌ وإن ربكم ليس بأعور**» فدلَّ ذلك على أن من صفاته وأماراته أنه أعور عينه اليمنى، خافتة كأنها عنبةٌ طافيةٌ مكتوب بين عينيه كافر كاءٌ وفاءٌ وراء كافر، يقرأُ ذلك كل مؤمن، وفي أحاديث خطبة الوداع في يوم عرفة وفي يوم النحر الدلالة على تحذير الناس من أمور الجاهلية، من ربا الجاهلية، وظُلم الجاهلية، والتعدي على الناس على النساء وعلى الحرمات؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**ألا إنَّ الله حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ كحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، في بلدكم هذا، في شَهْرِكُمْ هَذَا**» وقَالَ: «**وَيْلَكُمْ أَوْ وَيْحَكُمْ، انْظُروا: لا تَرْجعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**» وفي اللفظ الآخر: «**إنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، وَأَبْشَارَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**».

والأبشار هي الجلود الدم والمال والجلد لا يضرب ولا يخدش وهكذا العرض، فالمؤمن يتباعد عما حرم الله عليه ويحرص على كل ما شرع الله لعله ينجو، لعله يسلم، ولكننا في آخر الزمان الذي نحن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ٢١ من مسند هشام بن عامر الأنصاري ﷺ.

فيه فإن الجهل عظيم والخطر كبير، ولا طريق إلى النجاة إلا بالله سبحانه ثم بالتمسك بدينه وتدبر كتابه العظيم، واتباع سُنَّة رسوله الأمين، عليه الصلاة والسلام، والتواصي بذلك والتعاون في ذلك، هذا هو طريق النجاة، كما قال ﷻ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ ـ ٧].

هذا الصراط المستقيم دين الله، وهو الإسلام الذي بعث الله نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام وهو طاعة الله بأوامره وترك نواهيه، قال جلَّ وعلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. وقال في حق نبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣]؛ فالرسول بعثه الله يهدي إلى الصراط المستقيم يهدي إلى طاعة الله ورسوله، وينهى عن طاعة النفس والشيطان والهوى، يأمر باتباع الأوامر وترك النواهي، يأمر بالوقوف عند الحدود التي حدها الله ورسوله، هذا هو طريق النجاة، وهذا هو الصراط المستقيم.

كذلك حديث عائشة، يقول النبي ﷺ: **«مَنْ ظَلَمَ قيدَ شِبْرٍ مِنَ الأرْضِ، طُوِّقَهُ مِنْ سبْعِ أرضينَ»** في حديث سعيد بن زيد قال: **«مَنْ أَخَذَ شِبْراً مِنَ الأَرْضِ ظُلْماً، فَإِنَّهُ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»**.

في لفظ: **«مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»** هذا فيه التحذير من ظلم الأراضي، ظلم العقارات والأراضي، وأن الظالم يطوق ما ظلمه يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، هذا من العذاب الشديد؛ أن يطوق ما ظلمه وأخذه، هذا من نوع العذاب الذي يحمل إياه، نسأل الله العافية.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❊ ❊ ❊

٢٠٧ ـ **وعن** أَبي موسى رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إنَّ الله لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[(١)].

٢٠٨ ـ **وعن** معاذ رضي الله عنه، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُول الله ﷺ، فَقَالَ: «إنَّكَ تَأتِي قَوْماً مِنْ أهلِ الكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أنْ لا إلَهَ إلَّا الله، وَأنِّي رسولُ الله، فَإنْ هُمْ أطَاعُوا لِذلِكَ، فَأعْلِمْهُمْ أنَّ اللهَ قَدِ افْتَرضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَواتٍ في كُلِّ يَوْمٍ وَلَيلَةٍ، فَإنْ هُمْ أطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأعْلِمْهُمْ أنَّ اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإنْ هُمْ أطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإيَّاكَ وَكَرَائِمَ أمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فَإنَّهُ لَيْسَ بَيْنَها وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[(٢)].

٢٠٩ ـ **وعن** أبي حُمَيدٍ عبد الرحمٰن بن سعد السَّاعِدِي رضي الله عنه، قَالَ: اسْتَعْمَلَ النَّبيُّ ﷺ رَجُلاً مِنَ الأزْد يُقَالُ لَهُ: ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ، قَالَ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ إِلَيَّ، فَقَامَ رسولُ الله ﷺ عَلَى المِنْبَرِ فَحَمِدَ الله وَأثْنَى عَلَيهِ، ثُمَّ قَالَ: «أمَّا بعدُ، فَإنِّي أسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى العَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي اللهُ، فَيَأتِي فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ وَهَذا هَدِيَّةٌ أُهْدِيتْ إلَيَّ، أفَلا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] برقم (٤٦٨٦)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٨٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة برقم (١٣٩٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدُّعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام برقم (١٩).

جَلَسَ في بيت أَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ حَتَّى تَأتِيَهُ هَدِيَّتُهُ إنْ كَانَ صَادِقاً، واللهِ لا يَأخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيئاً بِغَيرِ حَقِّهِ إلَّا لَقِيَ الله تَعَالَى، يَحْمِلُهُ يَوْمَ القِيامَةِ، فَلا أعْرِفَنَّ أحَداً مِنْكُمْ لَقِيَ اللهَ يَحْمِلُ بَعيراً لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ» ثُمَّ رفع يديهِ حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إبْطَيْهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ» ثلاثاً مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(١).

ﷺ الشَّرح ﷺ

فهذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها فيها التحذير من الظلم ووجوب تحري العدل في الأمور كلها، وأن الواجب على المسلم ألا يغتر بإمهال الله وإنظار الله ﷻ، فإنه ﷻ قد يملي للظالم قد يمهله ثم يأخذه على غرة، فالواجب الحذر. قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣]. فقد يملى للظالم قد تؤجل عقوبته فيغتر ثم تنزل به العقوبة على غرة، والله يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩]، ولهذا تقدم قوله ﷺ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيامَةِ».

وفي هذا الحديث: حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه يقول عليه الصلاة والسلام: «إنَّ الله لَيُمْلِي لِلظَّالِم، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]».

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحيل، باب احتيال العامل ليُهدى له برقم (٦٩٧٩)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال برقم (١٨٣٢).

الظالم قد يملى له ثم يؤخذ على غرة فيندم غاية الندامة، والظلم يكون في النفوس، يكون في الأموال يكون في الأبشار، ويكون في الأعراض، فالواجب الحذر من أنواعه كلها وأن يقف المؤمن عند حده فلا يتعدى على أحد من إخوانه، لا في نفس، ولا في مال، ولا في بشرة، كالضرب ونحوه ولا في العرض، فإن هذا الظلم سوف لا يضيع ولا يهمل لصاحبه يوم القيامة وإن أُملي له وإن تأخر إلى الموت، فالموعد يوم القيامة أكبر قد يعاجل بالعقوبة في هذه الدار، وقد يؤجل ويؤخذ بها يوم القيامة وهو أشد، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]؛ يعني: يوم القيامة وقال: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢] قد يُملي للظالم ويؤجل؛ ولهذا يقول ﷺ: «**إِنَّ الله لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**»؛ يعني: حتى إذا أخذه عاقبه العقوبة التي تقتضي حكمته ﷻ، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]» كما جرى لقوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم شعيب، وقوم لوط، وغيرهم، من العقوبات العظيمة لما استمروا في الباطل والكفر.

وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ لما بعثه لليمن، الرسول بعث معاذ بن جبل الأنصاري إلى اليمن بعثه أميراً وقاضياً ومُعلماً ومرشداً وداعياً إلى الله ﷻ فقال له: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أهلِ الكِتَابِ**»، وكان اليمن فيه نصارى وفيه يهود في ذاك الوقت، وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى، تأتي ناساً عندهم علوم وعندهم كتب ماضية وعندهم اعتراضات؛ يعني: فأعد لهم العُدة «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أهلِ الكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنِّي رسولُ الله**»؛ يعني: ادعهم إلى توحيد الله والإخلاص له، والإيمان برسوله محمد، عليه الصلاة والسلام

ولهذا في اللفظ الآخر: «**فادعهم إلى أنْ يُوَحِّدُوا اللهَ ويشهدوا أنِّي رسولُ الله**»، وكانت النصرانية فاشية في اليمن في ذاك الوقت، وفي اليمن أيضاً يهودية، وفيها وثنية من عبادة الأشجار والأحجار والأصنام والقبور، فأمره ﷺ أن يبلغهم دعوة التوحيد ودعوة الإيمان بالرسول ﷺ فيشهدوا أن لا إلٰه إلا الله ويتركوا عبادة الأوثان والأصنام، ويؤمنوا بأن عيسى عبد الله ورسوله وليس ولداً لله، بل هو عبد الله ورسوله، وهكذا العُزير الذي اتخذته اليهود ابناً لله، يُعلمهم بأن هذا باطل، وأن الله سبحانه ليس له صاحبة ولا ولد ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤].

فليس العُزير ولا المسيح ابن مريم أولاداً لله، تعالى الله عن ذلك عُلواً كبيراً ﷻ، ثم قال: «**فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَواتٍ في كُلِّ يَوْمٍ وَلَيلَةٍ**»، ثم ادعهم إلى الصلوات الخمس؛ يعني: إن استجابوا فآمنوا بالله ووحدوه وآمنوا برسوله محمد عليه الصلاة والسلام، بعد هذه يُدعون إلى الصلاة، الصلاة بعد ذلك، الكفار يدعون أولاً إلى توحيد الله والإخلاص له وترك الإشراك به والى الإيمان برسوله محمد عليه الصلاة والسلام، فإذا آمنوا ودخلوا في الإسلام بعد ذلك يدعون إلى الصلاة الصلوات الخمس.

«**فَإِنْ هُمْ أطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أنَّ اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ**»، فإذا أجابوا إليها دُعوا إلى الزكاة؛ لأنها الفرض الثالث والركن الثالث من أركان الإسلام، ثم قال: «**فَإِنْ هُمْ أطَاعُوا لِذَلِكَ**»، «**فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ**»؛ يعني: إذا وحدوا الله وصدقوا رسوله ﷺ وصلوا الصلوات الخمس وأدوا الزكاة «**فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ**» لا تظلمهم، خذ الزكاة من وسط المال لا من أكرم المال الزكاة من الوسط؛ ولهذا قال: «**فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ**»؛ يعني: لا تظلمهم

تأخذ كريمة المال من الإبل والبقر والغنم والحبوب وغير ذلك، بل تُؤخذ الزكاة من الوسط إلا إذا طابت نفس المُزكي، إذا طابت نفسه وقدم الأعلى والأطيب عن طيب نفس يقبل منه، وله أجر ذلك، «**فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ**» هذا الشاهد حذره من دعوة المظلوم، فإن الإنسان إذا أُخذ منه الشيء بغير حقه قد يدعو على الآخذ، قد يضرعُ إلى الله أن ينتقم منه، وأن يعطيه حقه منه ودعوة المظلوم مُستجابة، «**وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَها وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**» بل تُرفعُ إليه ﷻ.

فالواجب على كل من تهمه نفسه وكل من تعز عليه نفسه وكل من يخاف العقاب عليها، أن يحذر الظلم في جميع الأحوال، فالظلم عاقبته وخيمة وشرّه عظيم، ثم ذكر الحديث الثالث، من حديث ابْن اللُّتْبِيَّةِ لما بعثه ﷺ يجلب الزكاة، يقول أبو حميد رضي الله عنه لما بعث رجلاً؛ يعني: الرسول ﷺ بعث رجلاً من الأزد يُقالُ له: ابْنُ اللُّتْبِيَّة عامل يقبل الزكوات وكان الناس يهدون إليه أرباب الأموال، فلما قدم قال: هذا لكم، وهذا أهدي إلي، فخطب النبي ﷺ الناس حمد الله وأثنى عليه وقال: «**أَمَّا بَعدُ، فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ منْكُمْ عَلَى العَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي اللهُ، فَيَأتِي فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ وَهَذا هَدِيَّةٌ أُهْدِيتْ إلَيَّ، أفَلا جَلَسَ في بيت أَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ**»؛ المعنى: أن الهدايا التي تُدفع للعمال لأُمراء الزكاة ليست لهم، بل لبيت المال، فإنهم يعطونها إما أن يتقى شرهم، وإما أن يخففوا عن أهل الزكاة ويُقصروا في الأمانة، وإما لأسباب أخرى.

فالواجب على العامل إما أن يرُدها ولا يقبل الهدية من الناس، وإلا فليجعلها في مال الزكاة لبيت المال، ويحذر الخيانة، عليه أن يأخذ الحق من أهله ولا يقبل رشوة ولا هدية تجعله يحيف في الحق فيدع الزكاة أو بعضها من أجل الهدية، الواجب عليه أن يتقي الله وأن يأخذ الزكاة من أربابها على الوجه الذي شرعه الله لا يزيد ولا ينقص، أما هداياهم فإليهم لا يقبلها، فإن قبلها أو لزموا عليه يقبلها فلتكن في بيت

المال ولتكون مع الزكاة يسلمها لولي الأمر، فإذا أعطاه شيئاً ولي الأمر قبل، وإلا كفته أجرته المعتادة، الهدايا التي تبذل في الغالب للعمال من الأمراء، للقضاة إنما تُبذل رشوة، إما لاتقاء شره حتى لا يزيد عليهم، وإما ليطمعوا فيه حتى يدع لهم بعض الزكاة، فالغالب عليها الشر، فإما أن يدعها بالكلية وهو خير له، حماية لدينه وعرضه، لا يقبل ماله حاجة في هداياهم، يأخذ الواجب ويكفي، فإذا لزموا في الهدية وأصروا عليها ولا بد منها فليجعلها في بيت المال، ولا يقبلها ولا يأخذها لنفسه، بل متى قدم يقول هذه الزكوات وهذه الهدايا كلها يسلمها لولي الأمر أو نائبه، حتى يسلم من عهدتها ومن عاقبتها الوخيمة، ومن سُمعتها السيئة.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❊ ❊ ❊

٢١٠ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «**مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيه، مِنْ عِرضِهِ أَوْ مِنْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ قَبْلَ أَلّا يَكُونَ دِينَار وَلَا دِرْهَمٌ؛ إنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيهِ**» رواه البخاري[(١)].

٢١١ ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «**المُسْلِمُ منْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[(٢)].

---

(١) أخرجه في كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة برقم (٦٥٣٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلم من لسانه ويده برقم (١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي الأمور أفضل برقم (٤٠).

٢١٢ ـ وعنه رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ عَلَى ثَقَلِ النَّبيِّ ﷺ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ كِرْكِرَةُ، فَمَاتَ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «هُوَ في النَّارِ» فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْه، فَوَجَدُوا عَبَاءةً قَدْ غَلَّهَا. رواه البخاري(١).

الشَّرح

فهذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها من الأحاديث، فيها الدلالة على عظم خطر الظلم وأن عاقبته وخيمة، وأن أهله على خطر من دخول النار، وتحمل سيئات المظلومين مع سيئاتهم؛ ولهذا يقول الله في كتابه الكريم: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩]، وهذا وعيد عظيم، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٨] وتقدم قوله ﷺ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ»، وقوله ﷺ: يقول الله عز وجل: «إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلَا تَظَالَمُوا» والظلم من أقبح الخصال التي يتخلق بها العبد، وهو متعرض بذلك إلى غضب الله، وإلى بُغض العباد له ومسبتهم له، فالجدير بالمؤمن والجدير بالعاقل أن يحذر الظلم أينما كان، ولا ينبغي أن يغتر بقوته أو جاهه أو سلطانه أو غير ذلك، فإن الله جلَّ وعلا يُملي ولا يغفل سبحانه وتعالى.

وفي الحديث: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ ـ مِثْلُ البَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»(٢). البغي: هو الظلم.

---

(١) أخرجه في كتاب الجهاد والسير، باب القليل من الغلول برقم (٣٠٧٤).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب النهي عن البغي برقم (٤٩٠٢)، والترمذي في كتاب =

خطب النبي ﷺ في حجة الوداع في يوم النحر يوم العيد في محضر الناس، ومجمع الناس العظيم، يقول في خطبته: **«إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عليْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا»**؛ يعني: يوم النحر **«فِي شَهْرِكُمْ هَذَا»**؛ يعني: ذي الحجة **«فِي بَلَدِكُمْ هَذَا»**؛ يعني: مكة، وقال: **«كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»** وفي هذه الأحاديث الثلاثة تأكيد لذلك، يقول ﷺ: **«مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ في عرضه أو شيء»**؛ يعني: من مال أو دم أو بشرة، **«فَلْيَتَحَلَّلْهُ اليوم»**؛ يعني: يبادر بتحلل أخيه من مظلمته، **«قبل يوم القيامة قبل أن يكون دينار ولا درهم اليوم يتحلـله مِنْهَا»**، إما بالسماح وإلّا ما يُرضيه بما يسر الله من الدراهم والدنانير وأنواع العروض، يتخلص منه في الدنيا، لكن يوم القيامة ما فيه دراهم ولا دنانير، الوفاء بالأعمال، بالحسنات والسيئات، فإما الجنة وإما النار، فالمظلوم يطلب حقه يوم القيامة ويحرص ويفرح أن تكون له حسنة عند زيد أو عمرو تنفعه، والظالم على خطر من أن تُوخذ حسناته وأعماله الصالحة لغيره، هذا المظلوم يُعطى من حسنات الظالم حتى يستوفي حقه، فإن كانت حسنات الظالم ما تكفي لأن المظلمة كبيرة، أُخذ من سيئات المظلوم وطُرحت على الظالم زيادة على سيئاته ثم يطرح في النار ـ أعوذ بالله ـ لعمله السيئ، فالجدير بالمؤمن أن يحذر الظلم كله، دقيقه وجليله؛ لئلا يؤخذ به فيندم غاية الندامة.

في الحديث الآخر: يقول ﷺ: **«المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»** المسلم المُعافى **«مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»**، من ظلمه باللسان، ومن ظلمه باليد، لم يتعد على الناس لا بلسانه ولا بيده،

= صفة القيامة، باب، برقم (٢٥١١)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب البغي برقم (٤٢١١).

هذا هو المسلم الكامل الحقيقي، فليتباعد عن ظلم الناس وعن إيذاء الناس، لا بلسانه ولا بأفعاله **«وَالمُهَاجِرُ»** على الحقيقة **«مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ»**. والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم؛ فالواجب الحذر من ظلم إخوانك في أي شيء، لعلك تنجو لعلك تسلم.

كذلك حديث الغلام الذي (**كَانَ عَلَى ثَقَل النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: كِرْكِرَةُ**) كان مع المجاهدين أغلَّ عباءة بشت «عَبَاءَةً قَدْ غَلَّهَا» من المغنم لم تدخلها المقاسم، فأخبر النبي ﷺ أنها تشتعل عليه ناراً، هذا هو من المغنم، كيف إذا ظلم واحداً معيناً وأخذ منه عباءةً أو نقوداً أو طعاماً أو أرضاً أو غير ذلك، وتقدم قوله ﷺ **«مَنْ ظَلَمَ قيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ، طُوِّقَهُ مِنْ سبْعِ أَرَضِينَ»** وتقدم تحذيره ﷺ من الظلم في الإبل والغنم والبقر، وأن الظالم يأتي يوم القيامة يحمل هذه الموالد إما **«بَعِيراً لَهُ رُغَاءٌ أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ أَوْ شَاةً تَيْعَرُ»** صياح، وإما رِقَاعٌ تَخْفِقُ، وإما صامت من الذهب والفضة يحمله؛ يعني: يشهر به على رؤوس الأشهاد يفضح به، نسأل الله العافية.

وفي الحديث: «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»؛ يعني: على مقعدته ينادى عليه **«هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ»**(١). لواء، لواء بيرق يوضح للناس أن هذا فعل كذا وكذا وكذا، نسأل الله العافية. هذا يفيد أن الواجب الحذر والبعد عن أسباب الشر، لا من الغدر ولا من الظلم الجهري، ولا من الظلم السري، والخيانات والغش كل ذلك ممنوع، كمجاهرة ومكابرة ومصادرة، أو من طريق الخيانة والغش والسرقة، ونحو ذلك.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة، باب إثم الغادر للبر والفاجر برقم (٣١٨٨)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الغدر برقم (١٧٣٥).

رزق الله الجميع العافية والسلامة.

***

٢١٣ ـ **وعن** أبي بكْرة نُفَيْع بن الحارث رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ قَالَ: «إنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَته يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضَ: السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً، مِنْهَا أرْبَعَةٌ حُرُمٌ: ثَلاثٌ مُتَوالِياتٌ: ذُو القَعْدَة، وذُو الحِجَّةِ، وَالمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشعْبَانَ، أيُّ شَهْر هَذَا؟» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «ألَيْسَ ذَا الحِجَّةِ؟» قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «فَأيُّ بَلَد هَذَا؟» قُلْنَا: اللهُ ورَسُولُهُ أعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيرِ اسْمِهِ. قَالَ: «ألَيْسَ البَلْدَةَ؟» قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «فَأيُّ يَوْم هَذَا؟» قُلْنَا: اللهُ ورَسُولُهُ أعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بغَيرِ اسْمِهِ. قَالَ: «ألَيسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟» قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «فإنَّ دِمَاءكُمْ وَأمْوَالَكُمْ وَأعْرَاضَكُمْ عليكم حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا في بَلَدِكُمْ هَذَا في شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْألُكُمْ عَنْ أعْمَالِكُمْ، ألا فَلا تَرْجعوا بعدي كُفَاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْض، ألا لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَبْلُغُهُ أنْ يَكُونَ أوْعَى لَهُ مِنْ بَعْض مَنْ سَمِعَهُ»، ثُمَّ قَالَ: «ألا هَلْ بَلَّغْتُ، ألَا هَل بَلَّغْتُ؟» قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

٢١٤ ـ **وعن** أَبي أمامة إياس بن ثعلبة الحارثي رضي الله عنه: أنَّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «مَن اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئ مُسْلِم بيَمينه، فَقدْ أوْجَبَ اللهُ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب حجة الوداع برقم (٤٤٠٦)، ومسلم في كتاب القسامة باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال برقم (١٦٧٩).

لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيهِ الجَنَّةَ» فَقَالَ رَجُلٌ: وإنْ كَانَ شَيْئاً يَسيراً يَا رَسُول الله؟ فَقَالَ: «وإنْ قَضيباً مِنْ أَرَاك» رواه مسلم(١).

٢١٥ ـ وعن عَدِيّ بن عميْرَةَ ﷺ، قَالَ: سمعت رَسُول الله ﷺ، يقول: «مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَل، فَكَتَمَنَا مِخْيطاً فَمَا فَوْقَهُ، كَانَ غُلُولاً يَأتِي به يَومَ القِيَامَةِ» فَقَامَ إليه رَجُلٌ أسْوَدُ مِنَ الأنْصَارِ، كَأنِّي أنْظُرُ إلَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، اقْبَلْ عَنِّي عَمَلَكَ، قَالَ: «وَمَا لَكَ؟» قَالَ: سَمِعْتكَ تَقُولُ كَذَا وكَذَا، قَالَ: «وَأَنَا أقُولُه الآنَ: مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَلْيَجِيءْ بقَليله وَكَثيره، فَمَا أُوتِيَ مِنْهُ أخَذَ، وَمَا نُهِيَ عَنْهُ انْتَهَى» رواه مسلم(٢).

الشَّرح

فهذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها من الأحاديث، فيها التحذير من الظلم وأخذ المال بغير حقه، والعدوان على الناس في دمائهم أو أبشارهم أو أعراضهم، وأن الله جلَّ وعلا حرم ذلك كله، وأخبر النبي ﷺ في حجة الوداع في مجمع الناس يوم النحر، خطب الناس يوم العيد في منى عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع، في آخر حياته، عليه الصلاة والسلام وقال: «إنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَته يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضَ» كانت العرب وقريش قد تغير في الشهور، فيجعل بعض الشهور قبل بعض، وربما غيرت فجعلت شوال محل ذي القعدة، وذا القعدة محل ذي الحجة، وذا الحجة محل المحرم، والمحرم محل صفر، وقد

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرةٍ بالنارِ برقم (١٣٧).

(٢) أخرجه في كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال برقم (١٨٣٣).

تُغيِّر وتقدم صفر وتؤخر المحرم، وكان في الزمن الذي حج فيها عليه الصلاة والسلام قد استدار الزمان فيأتي كما خلق الله لم يكن فيه تغير من العرب، بل على حاله السنة اثنا عشر شهراً، «**مِنْهَا ثلاثة حُرُمٌ: ذُو القَعْدَة، وذُو الحِجَّةِ، وَالمُحَرَّمُ**، متوالية والرابع منفرد وهو **رَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشعْبَانَ**»، شهر حرام فأربعة أشهر يقال لها: الأشهر الحُرم، والبقية ليست كذلك، ثم قَالَ: «**فَأَيُّ يَوْم هَذَا؟**» يسألهم فظنوا أنه سيُسميه بغير اسمه، والمقصود من هذه المبالغة حتى ينتبهوا لما سيقول لهم بعد ذلك، قَالَ: «**أَلَيس يَوْمَ النَّحْرِ؟**» قالوا: بلى، قَالَ: «**أيُّ شَهْر هَذَا؟**» قالوا الله ورسوله أعلم قَالَ: «**أَلَيْسَ ذَا الحِجَّةِ؟**» قالوا: نعم قَالَ: «**فَأيُّ بَلَد هَذَا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم: قَالَ: «**أَلَيْسَ البَلْدَةَ**» مكة قالوا: نعم قال: «**فَإِنَّ دِمَاءكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عليكم حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا**»؛ يعني: يوم النحر «**في شَهْرِكُمْ هَذَا**»؛ يعني: شهر ذي الحجة «**في بَلَدِكُمْ هَذَا**»؛ يعني: مكة، والمقصود التشديد في تحريم أموالهم وأعراضهم ودمائهم عليهم، ثم قال: «**ألا فَلا تَرْجعوا بعدي كُفّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْض**»؛ يعني: احذروا كونوا إخوةً في الله، كونوا متحابين في الله، لا يتعدى بعضكم على بعض، وقال: «**وَسَتَلْقُونَ رَبَّكُمْ فَيَسْألُكُمْ عَنْ أعْمَالِكُمْ**»، كل العباد سوف يلقون الله جل وعلا وسوف يجازيهم بأعمالهم، وسوف يسألهم عنها، كما قال ﷻ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]، وقال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦، ٧].

هو يسألهم سبحانه عن أعمالهم، فالواجب أن تُعدَّ لهذا السؤال جواباً، وإذا كنت قد فعلت ما حرَّم الله فكيف يكون الجواب؟ يكون الجواب خطيراً، لا بد أن تُعد جواباً هل أديت ما أوجب الله عليك؟ هل تركت ما حرم الله عليك؟ إن كان الجواب هكذا فأنت مع المفلحين،

ومع السعداء، فإن كان الجواب غير ذلك قد ركبت ما حرم الله وضيعت ما أوجب الله فالخطر عظيم.

ولهذا حذرهم عليه الصلاة والسلام من ذلك وقال: «**ألا لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الغَائِبَ**»؛ يعني: بلغوا هذه الخُطبة بلغوا ما أقول لكم؛ يعني: بلغوا عني من وراءكم حتى ينتبهوا، حتى يستفيدوا، حتى يتعلموا، فرُبَّ من يبلغه أوعى له ممن سمعه؛ يعني: رُب مبلغ أوعى من سامع، قد يسمع بعض الناس ولا يستفيدون، ولكم يبلغه من وراءه سمعت وسمعت كذا ينتفع الشخص الآخر، وهذا الناقل قد لا ينتفع؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الغَائِبَ**» «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**» ثم قال: «**ألَا هَل بَلَّغْتُ؟**» قالوا: نعم. قَالَ: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ**» قَالَ: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ**» قَالَ: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ**» يستشهد ربه عليهم أنه بلغهم ما بعثه به إليهم ﷺ، وفي اللفظ الآخر من حديث جابر لما خطبهم قال: «**وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللهِ**»؛ يعني: القرآن في اللفظ الآخر «**وسُنَّتي**». فالناس إذا اعتصموا بالقرآن والسُّنَّة واستقاموا عليهما لن يضلوا، وإنما الضلال يأتي من إعراضهم عن كتاب الله وعن سُنَّة الرسول عليه الصلاة والسلام واتباع الهوى، ثم قال: «**وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُم قَائِلُونَ**»؛ يعني: يوم القيامة يسألكم الله ماذا قال لكم محمد هل بلغكم؟ «**فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ**» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: «**اللَّهُمَّ اشْهَدِ اللَّهُمَّ اشْهَدْ**».

يستشهد الله عليهم من فوق سبع سماوات فوق العرش، يقول: «**اللَّهُمَّ اشهد**» أني بلغتهم ما أرسلتني به إليهم، عليه الصلاة والسلام، ونحن نشهد الآن أنه بلغ عليه الصلاة والسلام، نشهد كما قال الصحابة كما بلغونا، نشهد أنه قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، عليه الصلاة والسلام، ونشهد أيضاً

أن الصحابة بلغوا رضي الله عنهم وأرضاهم، الصحابة بلغوا ما سمعوا من نبيهم عليه الصلاة والسلام، وهكذا التابعون لهم بلغوا حتى وصل إلينا في القرن الخامس عشر الآن، وصل البلاغ إلينا بواسطة القرآن والسُّنَّة.

فالواجب على المسلم أن ينتبه وأن يستفيد من هذا البلاغ، ويبلغ من وراءه حتى تقوم الحجة على الناس، وحتى ينتشر العلم، «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرامٌ**» ما معنى هذا الكلام؟ معناه: لا تطرد أخاك ولا تقتل أخاك ولا تهتك عرضه، بالغيبة والنميمة، ولا تأكل ماله بغير حق، لا بالخيانة ولا بالسرقة ولا بغير ذلك، «**كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**».

وفي حديث أبي أُمامة «**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَبْشَارَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ**» الأبشار الجلد؛ يعني: ما يضرب الجلد ولا يجرحه، الدم حرام، والجلد كون يضرب بشرته أو يجرحها كذلك محرم، يأخذ ماله سراً أو علانية لا يجوز، يهتك عرضه كذلك لا يجوز، ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]، فالمسلمون دماؤهم وأموالهم وأبشارهم وأعراضهم عليهم حرام، كل واحد عليه أن يلتزم بهذا، أن يحذر أن يؤذي أخاه في مال، أو في دم، أو في جلد في بشرة، أو في عرض، يحفظ لسانه، يحفظ جوارحه؛ إلا من طريق الحق؛ ولهذا في حديث أبي أُمامة يقول عليه الصلاة والسلام: («**مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ**» **فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئاً يَسِيراً يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ:** «**وَإِنْ قَضِيباً مِنْ أَرَاكٍ**»)، وإن عوداً من أراك، هذا السواك من باب التحذير، من باب التحذير من الشيء القليل والكثير، في اللفظ الآخر يقول ﷺ: «**مَنِ اقْتَطَعَ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ كَاذِبَةٍ، لَقِيَ اللهَ وَهْوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**»(١).

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] برقم (٧٤٤٥).

فالواجب الحذر، لا تحلف وأنت كاذب، إنسان باع عليك أو سلفك أقرضك ولا شهد عليك، تساهل ما كتب عليك، جاءك يقول: أعطني حقي، القرض ـ جزاك الله خيراً ـ هات القرض هات الثمن، أنا ما اشتريت منك ولا أقرضت منك، وايش يسوي ما عنده بينة، ما عنده إلا اليمين ما عندي شيء، ما شهد عليه، باع عليك السيارة بعشرين ألفاً، بأربعين ألفاً، بخمسين ألفاً، على أنك أخوه، وصاحبه، ما شهد عليك أنكر، سلفه عشرة آلاف ألفاً، ألفين، أنكر ما سلفتني هو مسلفك ولكن ما أشهد عليك تساهل، فإذا قلت: والله ما سلفتني. هذه اليمين الغموس والله ما سلفتني، والله ما اشتريت منك، وأنت كاذب، والله ما عندي لك أمانة، حاط عندك أمانة، قال له يا أخي خلي عندك هذا الألف الريال أمانة لما أجي أمر عليك، يوم جاء قال أبداً ما عندي لك، أمانة ولا أعطيتني شيئاً، يا أخي ليه ما عندي لك شيء، تحلف؟

أبحلف، يحلف بالله إني ما عندي لك أمانة، هذا اليمين الذي يقوله النبي ﷺ هذه اليمين الغموس، الذي يلقى صاحبه ربه وهو عليه غضبان، يلقى ربه وهو مستحق للنار، نعوذ بالله.

وفي **الحديث الثالث**: حديث عدي بن عميرة الكندي خطبهم النبي ﷺ وقال: (**«مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَل، فَكَتَمَنَا مِخْيَطاً فَمَا فَوْقَهُ، كَانَ غُلُولاً يَأْتِي به يَومَ القِيَامَةِ» فَقَامَ إليه رَجُلٌ أَسْوَدُ مِنَ الأنْصَارِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، اقْبَلْ عَنِّي عَمَلَك، قَالَ: «وَمَا لَكَ؟» قَالَ: سَمِعْتك تَقُولُ كَذَا وكَذَا، قَالَ: «وَأَنَا أَقُولُه الآنَ: مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَلْيَجِيءْ بقَليله وَكَثيره، فَمَا أُوتِيَ مِنْهُ أَخَذَ، وَمَا نُهِيَ عَنْهُ انْتَهَى»**) لا يتجحد شيئاً، هكذا أوصى النبي عماله أن يؤدوا، إذا استعملوا على زكاة، أو على إمارة، أو على أي شيء، أو على بيت المال، أو على أي شيء، الواجب أن يكونوا أمناء، وأن يودوا كل شيء، ولا يجحدوا شيئاً فما أُعطوا؛

يعني: هذا لكم هذه مساعدة لكم، هذا راتب لكم كل شهر يأخذونه وما سواه لا، هذا الواجب على المسلم أن يأخذ ما أعطي، ويدع ما لم يعط، ولي الأمر يرتب له رواتب. لك كل شهر كذا، كل سنة كذا، والباقي يحفظها لمصالح المسلمين، أما الذي يغل يجحد، هذا هو المُصيبة، والله يقول: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١]. فالرسول يحذرهم من هذا، يقول لهم: أدوا الذي عندكم من الأمانات، أدوه قليل ولا كثير أدوه فما أُعطي أحدكم قيل: هذا لك يأخذ، وما لا فلا.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❖ ❖ ❖

٢١٦ ـ وعن عمر بن الخطاب ﷺ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيبَر أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ، فقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، وفُلانٌ شَهِيدٌ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ، فقالوا: فُلانٌ شَهِيدٌ. فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «كَلَّا، إنِّي رَأَيْتُهُ في النَّار في بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءة» رواه مسلم[١].

٢١٧ ـ وعن أَبي قتادة الحارث بن ربعي ﷺ، عن رَسُول الله ﷺ: أَنَّهُ قَامَ فيهم، فَذَكَرَ لَهُمْ أنَّ الجِهَادَ في سبيلِ الله، وَالإيمَانَ بالله أَفْضَلُ الأعْمَالِ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أرَأيْتَ إنْ قُتِلْتُ في سبيلِ الله، تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُول الله ﷺ: «نَعَمْ، إنْ قُتِلْتَ في سبيلِ اللهِ، وَأنْتَ صَابرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيرُ مُدْبر» ثُمَّ قَالَ رَسُول الله ﷺ: «كَيْفَ قُلْتَ؟» قَالَ: أرَأيْتَ إنْ قُتِلْتُ في سبيلِ الله، أتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُول الله ﷺ: «نَعَمْ، وَأنْتَ صَابرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيرُ مُدْبِرٍ، إلَّا الدَّيْنَ؛

---

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون برقم (١١٤).

فإنَّ جِبريلَ عليه السلام قَالَ لي ذلِكَ» رواه مسلم[١].

٢١٨ ـ **وعن** أبي هُريرةَ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: «أتدرونَ مَنِ المُفْلِسُ؟» قالوا: المفْلسُ فِينَا مَنْ لا دِرهَمَ لَهُ ولا مَتَاع، فَقَالَ: «إنَّ المُفْلسَ مِنْ أُمَّتي مَنْ يأتي يَومَ القيامَةِ بصلاةٍ وصيام وزَكاةٍ، ويأتي وقَدْ شَتَمَ هَذَا، وقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مالَ هَذَا، وسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وهَذَا مِنْ حَسناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُه قَبْلَ أنْ يُقضى مَا عَلَيهِ، أُخِذَ منْ خَطَاياهُم فَطُرِحَتْ عَلَيهِ، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ» رواه مُسلم[٢].

الشَّرح

فهذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها من أحاديثه عليه الصلاة والسلام التي يحذر فيها من الظلم وما يؤدي إليه، وما ذاك إلا لأن الظلم ظلمات يوم القيامة، ولأن الظلم يتضمن مفاسد كثيرة من أخذ أموال الناس أو خيانتهم، أو غشهم أو العدوان على دمائهم، أو أبشارهم، أو غير ذلك مما يضر المسلمين، أو يضر غيرهم من أهل الأجر والذمة، والظلم له عواقب وخيمة متنوعة، وعاقبة أهله إلى هلاك ودمار؛ ولهذا حذر النبي من الظلم، عليه الصلاة والسلام، وحذر مما يفضي الى الظلم، والله يقول جلَّ وعلا في كتابه العظيم: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩] ويقول ﷺ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ»[٣] والله يقول سبحانه فيما روى عنه نبيه عليه الصلاة والسلام: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى

(١) أخرجه في كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كُفرت خطاياه إلا الدَّين برقم (١٨٨٥).

(٢) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٨١).

(٣) سبق تخريجه برقم (٢٠٣).

نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلَا تَظَالَمُوا»(١).

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**»(٢).

والواجب الحذر وعدم التساهل، سواء كان في ظلم الصغير ولا الكبير ولا الغني ولا الفقير ولا غيرهم، كثير من الناس عندهم شهوة طبعية إلى الظلم تارة بظلم زوجته، وتارة بظلم والديه، تارة بظلم أولاده، تارة بظلم جيرانه، تارة بظلم البهائم، لا ينفك من الظلم والعدوان؛ لأن سمته وطبيعته العدوان والتشبه بالسباع من هذه الحيوانات، والواجب على المؤمن أن يحذر ذلك مع زوجته لا يضربها إلا بحق، ومع أولاده إلا بحق، ومع جيرانه وأهله، لا يؤذيهم ومع جميع الناس، ليكون نافعاً غير ضار، يحب الخير ويكره الشر، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(٣).

ويقول: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ**».

وفي هذا الحديث، حديث عمر ﷺ أنه كان مع النبي ﷺ في بعض الغزوات فلما انصرفوا من غزوهم صاروا يتحدثون فلانٌ شهيدٌ، وفلانٌ شهيدٌ، فلانٌ شهيدٌ؛ لأن من قُتل في سبيل الله فله حكم الشهادة، وأمره إلى الله فيما بينه وبين الله ﷻ، من قُتل في سبيل الله يسمى شهيداً، ولا يغسل ولا يصلى عليه إذا مات في المعركة ويُدفن في ثيابه، كما فعل النبي ﷺ يوم أُحد، فإن كان سالماً في نفس الأمر مخلصاً في نفس الأمر فله أيضاً الفضل العظيم يوم القيامة، وإن كان هناك مانع والله الذي يعلم حاله ﷻ، فلهذا إنهم لما ذكروا فلانٌ شهيدٌ، وفلانٌ شهيدٌ،

---

(١) يأتي تخريجه في حديث رقم (٢٣٥).

(٢) أخرجه من حديث أبي ذر ﷺ مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٧٧).

(٣) أخرجه من حديث أنس ﷺ البخاري في كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه برقم (١٣).

فلانٌ شهيدٌ، قال ﷺ: **«كَلَّا، إنِّي رَأَيْتُهُ في النَّار في بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءة أو شملة»** غلها في سبيل الله؛ يعني: يمنع هذا الغلول يمنع كونه تحصل له الشهادة؛ يعني: يحال بينه وبين فضل الشهادة التي هي موعود بالجنة والكرامة، هذا غلَّ عباءةً أو شبهها من الغنائم لم ترجع إليها المقاسم فصار بسببها إلى النار، فالغلول عاقبته وخيمة وشره عظيم، ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١]، حتى ولو كان شهيداً ولو قتل في سبيل الله يحذر لا يتساهل.

وهكذا حديث أبي قتادة عن النبي ﷺ أن رجلاً قال: **يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله، تكفر عني خطاياي؟ قال: «نَعَمْ، إنْ قُتِلْتَ في سبيلِ اللهِ، وَأَنْتَ صَابرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غيرُ مُدْبر»** ثم قال له: **«أعد» أرأيت إن قتلت في سبيل الله، تكفر عني خطاياي؟ قال: «نَعَمْ، إنْ قُتِلْتَ في سبيلِ اللهِ، وَأَنْتَ صَابرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيرُ مُدْبر إلَّا الدَّيْنَ؛ فإنَّ جِبريلَ** عليه السلام **أخبرني به الآن»** يعني: الدين ما يغفر للشهيد يبقى عليه فالمعنى، ينبغي للمؤمن إذا أراد الجهاد في سبيل الله أن يحرص على قضاء الدين حتى لا يموت وعليه دين، أو يوصي من يقضيه أو يعطي رهناً بهذا المال، فإن إضاعته لحق أخيه فيه خطر عظيم وإن كان شهيداً، فمن يُضيع حق أهل الدين وأهل الغرامة ويتساهل في حقهم، هذا نوع من الظلم، أو يفضي إلي الظلم، فينبغي الحذر.

فإذا كان الشهيد يطالب بالدين فكيف بغير الشهيد، والله يقول في حق الشهداء ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠] فالشهداء على خير، والجهاد في سبيل الله والإيمان بالله هذه أفضل الأعمال، قيل: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قَالَ: **«إيمَانٌ باللهِ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ»** فعليك أيها المجاهد في سبيل الله أن تتحرى السلامة من ظلم الناس، وأن تتحرى إيفاء الدين، إن كان عليك دين قبل أن تجاهد، قبل

أن تشتغل بالجهاد، أو توثق به رهناً أو ضميناً مليئاً، حتى تسلم من خطر ضياع حق أخيك، وكثير من الناس لا يُبالي بالديون، ولا يسلم منها يستدين ويستدين ولا يبالي، وما ذاك إلا لضعف الإيمان، وقلة الخوف من الله ﷻ.

فالواجب الحرص على إعطاء الحقوق، وإيفاء الحقوق، وإذا علم الله منك الصدق يسر أمرك، وإن مت على ذلك فأنت سليم بالنية الصالحة، بالجد في قضاء الدين والحرص، كما قال عليه الصلاة والسلام: **«مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عَنْهُ»** من يُريد الأداء ويحرص يُؤدى عنه، ولو فرض أنه عجز فهو معذور.

وفي **الحديث الثالث**: يقول ﷺ لما سُئل عليه الصلاة والسلام سألهم، هو الذي سألهم، سأل الصحابة، قال: **«أتدرونَ مَنِ المُفْلِسُ؟»**؛ يعني: ما هو المفلس عندكم يسأل الصحابة، لإيضاح الحكم، لبيان ما يتعلق بهذا الأمر العظيم، كثيراً ما يسأل أصحابه حتى يستعدوا للجواب، حتى ينتبهوا لما يقال لهم: ما تعُدون المفلس فيكم؟ قالوا: **(يا رسول الله: المفْلسُ فِينَا مَنْ لا دِرهَمَ لَهُ ولا مَتَاع)**، هذا المفلس الذي ما عنده شيء لا دراهم لا نقود ولا متاع، بيته خالي، ما عنده نقود ولا أمتعة فقير خالص، لا أمتعة يستطيع يبيع بها أو يبيع منها، ولا نقود ينفق بها على نفسه، هذا هو المفلس من جهة لغة العرب، قال عليه الصلاة والسلام ينبههم على إفلاس أعظم يوم القيامة من هذا الإفلاس، فَقَالَ: **«إنَّ المُفْلسَ مِنْ أُمَّتي مَنْ يأتي يَومَ القيامَةِ بصلاةٍ وصيام وزَكاةٍ»**؛ يعني: وأعمال أُخرى صالحة يأتي بأعمال، لكن **«ويأتي وقَدْ شَتَمَ هَذَا، وقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مالَ هَذَا، وسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا»**، يأتي محملاً بأنواع من الظلم، إما سفك دماء، وإما شتم وسب للناس، وإما أخذ المال بغير حق، وإما قذف بالفاحشة لأخيه أو أُخته المسلمة، وإما أكل مال بغير حق لأخيه وأُخته المسلمة، أو غير هذا من أنواع الظلم هذا هو المفلس،

فإنه تُنزع أعماله لغيره تعطى أعماله لغيره بسبب إفلاسه من الحسنات؛ لأنها أخذها المظلومون فيعطى هذا من حسناته، ويعطى هذا من حسناته، ما في دراهم يوم القيامة، القضاء من الأعمال، العطاء والوفاء من الأعمال، فإن فنيت حسناته على الظالم، ولم يوف ما عليه أُخذ من سيئات المظلومين فطُرح عليه، ثم طرح في النار؛ يعني: صار عليه مظالم، استوفى أهلها حسناته ما بقي له شيء فماذا؟ يُحمل عليه من سيئاتهم مع سيئاته ثم يطرح في النار بسبب ظلمه، وتساهله وعدم مبالاته بحقوق الناس، هذا يُفيد الحذر من التعدي على الناس بأي نوع، بكلام، أو فعالٍ، أو ضرب، أو أخذ مال، أو خيانة، أو غير هذا.

يجب أن يحاسب المسلم نفسه ويتحرى الوقوف عند الحدود، وحفظ الجوارح عما لا ينبغي، والحذر من ظلمه للمعصومين، حتى ولو للدواب حتى الدابة لا يظلمها بغير حق، يضربها بغير حق، يُقصر في علفها وهو يستعملها قد حبسها عنده، مضى في بعض الدروس أن امرأة عُذبت في هرة حبستها، هرة حبستها لم تطعمها ولم تسقها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض، حتى ماتت جوعاً، قال النبي ﷺ: رأيتها في النار تُعذب بها في يوم القيامة» بسبب أنها ظلمتها وهي هرة، فكيف بمن ظلم البعير والبقرة والشاة وما هو أكبر من الهرة وأنفع من الهرة، كيف بمن ظلم الناس، ظلم المسلمين، المسلم أعظم من الحيوان وأكبر شأناً، وأعظم حرمة من الحيوان، فإذا كان يُعذب من حبس هرة فكيف يكون عذاب من حبس المسلم بغير حق، وظلمهم بغير حق، أخذ أموالهم وسبهم وشتمهم وضربهم بغير حق؛ لأجل رئاسته وكثرة ماله أو كثرة أعوانه أو ما أشبه ذلك مما يعينه على الظلم والطغيان.

نسأل الله للجميع العافية والسلامة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

❋ ❋ ❋

٢١٩ ـ وعن أم سلمة ﵂: أَنَّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «إنَّمَا أنا بَشَرٌ، وَإنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أنْ يَكُونَ ألْحَنَ بِحُجّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فأَقْضِيَ لَهُ بِنَحْوِ مَا أسْمعُ، فَمَنْ قَضَيتُ لَهُ بِحَقِّ أخِيهِ فَإنَّما أقطَعُ لَهُ قِطعةً مِنَ النَّارِ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(١).

▫ (ألْحَن): أي: أعلم.

٢٢٠ ـ وعن ابن عمر ﵄، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «لَنْ يَزَالَ المُؤْمِنُ في فُسْحَةٍ مِنْ دِينهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَماً حَرَاماً» رواه البخاري(٢).

٢٢١ ـ وعن خولة بنتِ عامر الأنصارية، وهي امرأة حمزة ﵁ وعنها، قَالَتْ: سمعت رَسُول الله ﷺ، يقول: «إنَّ رِجَالاً يَتَخَوَّضُون في مَالِ الله بغَيرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَومَ القِيَامَةِ» رواه البخاري(٣).

الشَرح

فهذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها من الأحاديث في التحذير من الظلم وأخذ المال بالباطل، وأن الواجب على المؤمن أن يتقي الله ويراقبه في جميع أعماله، حتى لا يظلم أحداً، لا في نفس ولا في مال ولا في عرض، يقول المصطفى عليه الصلاة والسلام: «إنَّمَا أنا بَشَرٌ، وَإنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أنْ يَكُونَ ألْحَنَ بِحُجّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فأَقْضِيَ لَهُ بِنَحْوِ مَا أسْمعُ، فَمَنْ قَضَيتُ لَهُ بِحَقِّ أخِيهِ فَإنَّما أقطَعُ لَهُ قِطعةً

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب من أقام البينة بعد اليمين برقم (٢٦٨٠)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحُجَّةِ برقم (١٧١٣).

(٢) أخرجه في كتاب الديات، باب: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣] برقم (٦٨٦٢).

(٣) أخرجه في كتاب فرض الخُمس، باب قول الله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١] برقم (٣١١٨).

مِنَ النَّارِ فَلْيَحْمِلْهَا أَوْ يَذَرْهَا»؛ المعنى: أن الحاكم يقضي على ما نحو ما يسمع من البينات والأيمان وغير هذا مما يعينه على فهم الحق، فقد يُصيب وقد يُخطيء، فمن علم أن الحكم ليس في صالحه وأنه ظالم في ذلك فليتقِ الله ولا يقبل هذا الحكم، وليتق الله في بيان الحق حتى لا يكون استحل مال أخيه بغير حق، وليس حكم الحاكم أن يجعل الحرام حلالاً، لا بل حكم الحاكم على ما ظهر من البينات والأيمان فقد تكون البينة كاذبة، قد يكون الحالف كاذباً ويكون أكل حراماً، وظلم أخاه بغير حق، والقاضي والحاكم مأجور على اجتهاده إذا تحرى الحق وطلب الحق ولم يقصر فهو مأجور، إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر؛ لكن من يعلم أنه ظالم، وأن بينته ظالمة، وأن يمينه فاجرة، فليحذر مغبة ذلك؛ ليحذر مغبة من حُكم له به من حكم لم يوافق الحق لا عن تعمد من الحاكم، ولكن الأمر قد خفي عليه، فإذا جاء المُدعي بشاهدين يشهدان له لأنه أقرض فُلاناً كذا وأنه باع عليه كذا وما أشبه ذلك، والحاكم زُكي عندها البينة زُكي عنده الشاهدان ولا يعلم في المُزكين بأساً فحكم والشهود في أنفسهم كاذبون ظالمون، فالإثم على المُدعي الذي استحل المال بغير حق.

وهكذا إذا ادعي على إنسان بمالٍ وليس مع المُدعي بينة وهو صادق ولكن ليس عنده بينة، فمعلوم أنه ليس له إلا اليمين، فإذا حلف على ماله بغير حق وهو الفاجر وهو الظالم ويمينه كاذبة فاجرة فما أخذه باليمين الفاجرة أو البينة الفاسدة فهو حرام، قطعة من النار فيأخذها أو يدعها، وكل إنسان في الحقيقة عنده أدنى بصيرة، يعلم أن بينته كاذبة، وأن يمينه الفاجرة لا تحل له الحرام، ولكن الطمع وحب المال وتزيين الشيطان يجعله يقبل ذلك، نسأل الله العافية.

وفي حديث ابن عمر يقول عليه الصلاة والسلام: «**لَنْ يَزَالَ المُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَماً حَرَاماً**» الإنسان ما دام في سلامة من الدماء هو في فسحة من دِينِه وهو أبعد من الخطر، فإذا وقع في سفك الدماء بغير حق كان خطره عظيماً، قال تعالى: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٩٣]، وقال النبي ﷺ: «**مَنْ قَتَلَ مُعَاهَداً لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ**»[١].

فسفك الدماء من أخطر المعاصي والكبائر؛ لأن فيه ظلم المقتول وظلم أقاربه والعدوان عليه بغير حق، ففيه غضب الله، قد جمع بين أنواع الشر، نسأل الله العافية، فالواجب على المؤمن أن يحذر الظلم بجميع أنواعه، ولكن إذا كان في الدماء صار الأمر أشد، فليس بعد الشرك أعظم من سفك الدماء بغير حق، فعلى المؤمن أن يحذر ذلك ويتباعد عن ظلم إخوانه، في مالٍ أو نفسٍ أو عِرض.

كذلك **حديث**: خولة رضي الله عنها يقول عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ رِجَالاً يَتَخَوَّضُون فِي مَالِ الله بغَيرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَومَ القِيَامَةِ**» هذا يدل على أن التصرف في الأموال بغير وجه شرعي يلحق بالظلم وبالوعيد الشديد في ذلك، «**إنَّ رِجَالاً يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ الله بغَيرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَومَ القِيَامَةِ**»، يتصرفون فيها على غير ما شرع الله بالإسراف والتبذير، والتوصل بها إلى الحرام من الخمور والقمار والزنى وغير هذا، فهذه الأموال التي يخوضون فيها بغير حق تكون سبباً لدخولهم النار يوم القيامة؛ لأنهم صرفوها في وجوه محرَّمة واستعانوا بها على أعمال محرَّمة، فلهم النار

---

(١) أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من قتل معاهداً بغير حق برقم (٣١٦٦).

يوم القيامة على هذا التصرف الذي خالف شرع الله، وأوقعهم في محارم الله.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.






٢٧ ـ بَابُ تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم والشفقة عليهم ورحمتهم

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

٢٢٢ ـ **عن** أبي موسى رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً» وشبَّكَ بَيْنَ أصَابِعِهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١].

٢٢٣ ـ **وعنه**، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَنْ مَرَّ في شَيْءٍ مِنْ مَسَاجِدِنا، أَوْ أَسْوَاقِنَا، وَمَعَهُ نَبْلٌ فَلْيُمْسِكْ، أَوْ لِيَقْبِضْ عَلَى نِصَالِهَا بكَفِّه؛ أنْ يُصِيبَ أحَداً مِنَ المُسْلِمِينَ مِنْهَا بِشَيْءٍ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٢].

٢٢٤ ـ **وعن** النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَثَلُ المُؤْمِنينَ في تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمهمْ وَتَعَاطُفِهمْ، مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، برقم (٤٨١)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم برقم (٢٥٨٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب المرور في المسجد برقم (٤٥٢)، وبرقم (٧٠٧٥)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب أمر من مرَّ بسلاح في مسجد أو سوق أو غيرهما من المواضع الجامعة للناس أن يمسك بنصالها برقم (٢٦١٥).

عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ والحُمَّى» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١].

الشَّرح

فهذه الآيات الكريمات والأحاديث الثلاثة الثابتة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام تدلُّ على وجوب احترام المسلمين، والعناية بحقوقهم، والحذر من ظلمهم وأذاهم؛ فالمسلم له حق على أخيه عظيم ووجب عليه أن يحذر إيذاءه وظلمه، ووجب عليه أن يحترمه حتى يؤدي حقه ويدع أذاه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠] وحرمة المؤمن من حرمات الله، وعدم إيذائه مما يحبه الله، وإيذاءه مما يغضب الله. قال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] وتعظيم ما عظمه الله واحترام ما احترمه الله من الشعائر.

ولا ريب أن المؤمن حرمته عند الله عظيمة، الواجب على كل مؤمن أن يحترم أخاه وأن يحذر ظلمه في نفس أو مال أو عرض طاعة لله ورسوله، وحذراً من غضبه ﷻ، وهكذا قوله جلّ وعلا: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، فالمؤمن يلاحظ حق إخوانه أينما كان، في مال وفي عرض وفي نفس، من جيران ومن أقارب ومن غيرهم، حتى يكون نافعاً لإخوانه تاركاً لأذاهم، ومن هذا قوله جلّ وعلا: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨] فأمر الله نبيه أن يخفض الجناح للمؤمنين في الآية الأخرى:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم برقم (٦٠١١)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم برقم (٢٥٨٦).

﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥] خفض الجناح لين الجانب والتواضع وعدم التكبر.

وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «**المُؤْمِنُ للْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً وشبَّكَ بَيْنَ أصَابِعِهِ**». فكما أن البنيان يمسك بعضه بعضا لبنة مع لبنة وهكذا، فهكذا المؤمنون يتماسكون ويتعاضدون ويتعاونون لا يضر بعضهم بعضاً، ولا يؤذي بعضهم بعضاً، بل يشُدُ بعضهم بعضاً ويحترم بعضهم بعضاً، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢] قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ مَرَّ في شَيْءٍ مِنْ مَسَاجِدِنا، أَوْ أَسْوَاقِنَا، وَمَعَهُ نَبْلٌ فَلْيُمْسِكْ، أَوْ لِيَقْبِضْ عَلَى نِصَالِهَا بكَفِّه؛ أَنْ يُصِيبَ أحَداً مِنَ المُسْلِمِينَ مِنْهَا بِشَيْءٍ**»؛ يعني: لِئلا يصيبه بأذى؛ لأن النبل لها سهام لها أطراف قد تؤذي، قد تجرح، فيمسك بها حتى لا يجرح أحداً، وهكذا من مرَّ في الأسواق بحطب أو أبواب أو مواسير أو غير هذا مما قد يجرح، يجب عليه أن يحذر وأن يرفق وأن يتحرى الطريق السليم البعيد عن الأذى، حتى لا يخدش أحداً بحطب أو عودٍ أو ماسورة أو باب أو غير هذا مما قد يؤذي الناس، ليمشي بهون ورفق في أسواق الناس حتى لا يؤذيهم بما يحمل.

وهكذا قوله ﷺ: «**مَثَلُ المُؤْمِنينَ في تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمِهمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ والحُمَّى**» فالمؤمن هكذا كأنه جسد واحد يتأذى بعضهم ببعض، ويُسرُّ بعضهم ببعض، وكما أن الجسد إذا أُصيب في رأسه أو في يده أو في رجله تأذى كله، فهكذا المؤمنون يجب أن يتألموا لألم إخوانهم ويسروا لسرور

إخوانهم حتى يحملهم هذا على المواساة والمساعدة والإعانة والدفع عن إخوانهم فيما يضرهم، وإيصال الخير إليهم أينما كانوا حسب الطاقة، كما قال ﷻ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. فإذا علم المؤمن وتحقق المؤمن أن حق أخيه مثل حق الجسد فيما بين أطرافه، إذا تألم هذا تألم هذا وكما أنه يعالج ما أصابه حتى يزول الأذى، فليحرص على علاج ما يصيب إخوانه من الأذى، حتى تعم النعمة وتعم العافية.

وفَّق الله الجميع.

***

٢٢٥ ـ وعن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَبَّلَ النَّبيُّ ﷺ الحَسَنَ بْنَ عَليٍّ ﷺ، وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِس، فَقَالَ الأقْرَعُ: إن لِي عَشرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنهُمْ أحَداً. فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُول الله ﷺ، فَقَالَ: «مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ!» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

٢٢٦ ـ وعن عائشة ﷺ، قَالَتْ: قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ عَلَى رسولِ الله ﷺ، فقالوا: أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ» قالوا: لَكِنَّا والله مَا نُقَبِّلُ! فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «أَوَ أَمْلِكُ إنْ كَانَ اللهُ نَزَعَ مِنْ قُلُوبِكُم الرَّحْمَةَ!» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، برقم (٥٩٩٧)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، برقم (٢٣١٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته برقم (٥٩٩٨)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك برقم (٢٣١٧).

٢٢٧ ـ **وعن** جرير بن عبد الله ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحَم النَّاسَ لَا يَرْحَمْهُ الله» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(١).

٢٢٨ ـ **وعن** أبي هريرة ﷺ: أنّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «إذَا صَلَّى أحَدُكُمْ للنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإن فيهِم الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالكَبيرَ، وَإذَا صَلَّى أحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّل مَا شَاءَ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(٢).

وفي رواية: «وذَا الحَاجَةِ».

الشَرح

فهذه الأحاديث الأربعة كلها تتعلق بحرمة المسلمين ورحمتهم والإحسان إليهم والرأفة بهم، تقدم قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] الله، جلَّ وعلا حرَّم الحرمات وأوجب تعظيم أمره ونهيه، ومن تعظيم الحرمات رحمة المسلم والإحسان إليه، ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠] ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾، وتعظيم الحرمات وتعظيم حرمات المسلمين وتعظيم أوامر الله ونواهيه كل ذلك داخل في تعظيم حرمات الله، وفي تعظيم شعائر الله، وهكذا رحمة الأولاد والإحسان إليهم وتعليمهم وتوجيههم وإرشادهم إلى الخير، والأخذ على أيديهم إذا سفهوا، كل هذا من تعظيم حرمات الله؛ ولهذا لما قدم الأقرع بن حابس على النبي ﷺ لما رآه يقبل الحسن بن علي، (**قال: إن لي عشرةً من**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم برقم (٦٠١٣)، وبرقم (٧٣٧٦)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك برقم (٢٣١٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء، برقم (٧٠٣)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، برقم (٤٦٧).

الولد ما قبلت منهم أحداً) قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ لا يَرْحَم لَا يُرْحَم!**» تقبيل الأولاد ومداعبتهم وتوجيههم إلى الخير والتلطف بهم والإحسان إليهم من الرحمة التي يحبها الله ﷻ، وهكذا لما قدم بعض الأعراب على النبي عليه الصلاة والسلام والأعراب هم سكان البادية ويغلب عليهم الجفاء وعدم العلم، قالوا: أتقبلون أولادكم؟ قال النبي: «**نعم**» قالوا: لكنا والله ما نقبل! فقال عليه الصلاة والسلام: «**أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ**»! يعني: لا يملك هذا إلا الله، من نُزع من قلبه الرحمة لا يعطف على فقير ولا صبي، نسأل الله السلامة. فالعطف على الصغار من الذكور والإناث وتعليمهم والإحسان إليهم والرأفة بهم وعلاج مريضهم إلى غير هذا كل هذا مما يحبه الله ﷻ، ومن الرحمة التي شرعها الله لعباده، وهو القائل جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وفي **حديث** جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**مَنْ لَا يَرْحَم النَّاسَ لَا يَرْحَمْهُ الله**»؛ يعني: الذي لا يرحم الناس لا يرحمه الله، فالجزاء من جنس العمل، فمن رحم رُحم ومن ظلم قُصم، فكما تَدين تُدان، فمن رحم الناس وأحسن إليهم يرجو ما عند الله رحمه الله، ومن ظلمهم وتعدى عليهم استحق غضب الله وعقابه.

وهكذا شرع الله للناس أن يرأفوا ويلطفوا بالمأمومين؛ لأن فيهم الضعيف، فيهم السقيم، فيهم الكبير، فيهم ذو الحاجة: ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ للنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِن فيهِم الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالكَبيرَ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّل مَا شَاءَ**» إذا كان يصلي لنفسه يتهجد من الليل يصلي الضحى لنفسه، هذا إليه إذا طوّل لا بأس لكن ما دام يصلي بالناس فالواجب أن يرفق بهم، وأن يرحمهم وأن يراعي حاجاتهم، في الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والفجر،

وفي الجمعة، وفي الأعياد، عليه أن يُراعي حال المأمومين، والميزان في هذا التأسي بالنبي عليه الصلاة والسلام، الميزان هو فعله عليه الصلاة والسلام، كما قال الله ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب ٢١] وقال عليه الصلاة والسلام: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»(١).

فالتاسي به في صلاته ﷺ هذا هو الميزان، فلا يطول تطويلاً يضرُ الناس، ولا يخفف تخفيفاً يُخل بالصلاة، ويُخلُ بالطمأنينة، ولكن بين ذلك. قال أنس ﷺ: ما صليت خلف أحدٍ أتم صلاة ولا أخف صلاة من النبي عليه الصلاة والسلام، كانت صلاته تخفيفاً في تمام، يُراعي التخفيف ويُراعي التمام، كان يقرأُ قراءة مُطمئنة مُرتبة خاشعة، ويركع ركوعاً مُطمئناً، ويعتدل اعتدالاً مُطمئناً، ويسجد سجوداً مُطمئناً، لكن من غير إطالة تشق على الناس، لا في قراءته، ولا في ركوعه، ولا في سجوده، ولا في اعتداله، ولا بين السجدتين، بل هو وسط في ذلك عليه الصلاة والسلام، وهكذا ينبغي للأئمة أن يكونوا وسطاً في كل شؤون صلاتهم، وهكذا بقية أمور الدين، فالله جلَّ وعلا يحب من عباده التوسط في الأمور، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

فلا إفراط وغلو وزيادة، ولا تفريط وجفاء وإهمال، ولكن بين ذلك في الصلاة، والصيام، والحج، والجهاد، وغير ذلك، فالتنطع والتكلف والغلو والزيادة والإفراط هذا هو الممنوع، والجفاء والتقصير وعدم القيام بالواجب ممنوع، ولكن بين ذلك.

وفَّق الله الجميع.

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه البخاري من حديث مالك بن الحويرث ﷺ في كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة، برقم (٦٣١).

٢٢٩ ـ **وعن** عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: إنْ كَانَ رَسُول الله ﷺ لَيَدَعُ العَمَلَ، وَهُوَ يُحبُّ أنْ يَعْمَلَ بِهِ؛ خَشْيَةَ أنْ يعمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ علَيْهِمْ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

٢٣٠ ـ **وَعَنْهَا** رضي الله عنها، قَالَتْ: نَهَاهُمُ النَّبيُّ ﷺ عنِ الوِصَال رَحمَةً لَهُمْ، فَقَالُوا: إنَّكَ تُوَاصِلُ؟ قَالَ: «إنّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إنِّي أبيتُ يُطْعمُني رَبِّي وَيَسقِيني» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

مَعنَاهُ: يَجْعَلُ فِيَّ قُوَّةَ مَنْ أَكَلَ وَشَرِبَ.

٢٣١ ـ **وعن** أبي قَتَادةَ الحارثِ بن رِبعِي رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إنّي لأَقُومُ إِلَى الصَّلاة، وَأُرِيدُ أنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَع بُكَاءَ الصَّبيِّ فَأَتَجَوَّزَ في صَلاتي كَرَاهية أنْ أشُقَّ عَلَى أُمِّهِ» رواه البخاري[3].

۞ الشَّرح ۞

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها، فيها الحث على رحمة الناس والإحسان إليهم وترك المشقة عليهم، الله جلَّ وعلا أوجب على عباده

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب، برقم (١١٢٨)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان وأكملها ثمان ركعات وأوسطها أربع ركعات أو ست والحث على المحافظة عليها، برقم (٧١٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب الوصال ومن قال: ليس في الليل صيام، برقم (١٩٦٤)، ومسلم في كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم، برقم (١١٠٥).

(٣) أخرجه في كتاب الأذان، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، برقم (٧٠٧) وفي باب انتظار الناس قيام الإمام العالم، برقم (٨٦٨).

التراحم والتعاطف والإحسان وترك الظلم والأذى؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]، وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنينَ في تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ والحُمَّى**»، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: «**المُؤْمِنُ للْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً وشبَّكَ بَيْنَ أصَابِعِهِ**»، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»، فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يؤذيه ولا يحقره ولا يخونه ولا يشق عليه، بل يتحرى رحمته والإحسان إليه.

في هذا الحديث: تقول عائشة ﵂ إنه كان عليه الصلاة والسلام: «**لَيَدَعُ العَمَلَ، وَهُوَ يُحبُّ أنْ يَعْمَلَ بِهِ؛ خَشْيَةَ أنْ يَعمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ علَيْهِمْ**» في اللفظ الآخر مخافة أن يعمله الناس فيشق عليهم؛ لحرصهم على متابعته عليه الصلاة والسلام، هذا فيه دلالة على أنه حريص على رحمة الأمة والإحسان إليها وترك المشقة عليها عليه الصلاة والسلام وقد قال الله في حقه جلَّ وعلا: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فهو ﷺ رؤوف بالمؤمنين رحيم بهم، عليه الصلاة والسلام، فهو عليه الصلاة والسلام حريص على كل ما فيه هداية الأمة، وترك المشقة عليها، والعطف عليها، وكل ذلك في أمره ونهيه وأعماله كلها، عليه الصلاة والسلام، وهكذا «نَهَاهُمُ النَّبيُّ ﷺ عنِ الوِصَال رَحمَةً لَهُمْ»، وحرصاً على عدم المشقة عليهم، فلما أبوا أن ينتهوا واصل بهم ثم واصل بهم، ثم قال: «**لَوْ تَأَخَّرَ الهِلَالُ لَزِدْتُكُمْ. كَالمُنَكِّلِ لَهُمْ**» حين أبوا

أن ينتهوا[١]، كما تقدم.

ولما قالوا إنك تواصل؟ قال: «**إِنّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنِّي أبيتُ يُطْعِمُني رَبِّي وَيَسقِيني**» فأراد بذلك ألا يشقوا على أنفسهم، والوصال معناه: متابعة الصيام يومين أو ثلاثة أو أكثر من دون أكل ولا شرب، لا في الليل ولا في النهار، وكان عليه الصلاة والسلام يقوى على ذلك ويواصل عليه الصلاة والسلام؛ لأن الله أعطاه قوة على ذلك قوة من أكل وشرب؛ يعني: قواه الله بما يهبه من أنواع الذكر، وأنواع الطاعة، وقوة الطاعة وما ينزل على قلبه من أنواع الذكر، وأنواع الطاعة والتلذذ بالمناجاة، حتى يقوم ذلك مقام الأكل والشرب، فيقويه الله على ذلك بهذا، والأمة لا تحتمل ذلك؛ فلهذا نهاهم عن الوصال؛ لئلا يشقوا على أنفسهم.

فينبغي للمؤمن أن يلاحظ عدم المشقة على إخوانه أينما كان، ولا سيما إذا كان أميراً أو قاضياً أو مسؤولاً عن شيء يتعلق بالأمة، فينبغي أن يتحرى رحمتهم ويتحرى دفع الأذى عنهم، مهما أمكن.

وهكذا **الحديث الثالث**: يقول عليه الصلاة والسلام: «**إِنِّي لأَقُومُ إِلَى الصَّلاة، وَأُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَع بُكَاءَ الصَّبيِّ فَأَتَجَوَّزَ في صَلاتي كَرَاهية أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ**» عليه الصلاة والسلام وكان النساء يُصلين معه عليه الصلاة والسلام، يصلي معه كثير منهن، وربما صلَّت ومعها الطفل، فإذا سمع بُكاءه خفف بعض الشيء؛ لئلا يشق على أُمه، من أجل مُراعاة هذا الطفل وصياحه، فهذا كله من مراعاة عدم المشقة على الأمة، عليه الصلاة والسلام، وهذا خلقه عليه الصلاة والسلام.

خُلقه ﷺ مراعاة الأُمة والعناية بمصالحها، والحرص على دفع

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب كم التعزير والأدب برقم (٦٨٥١)، ومسلم في كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم برقم (١١٠٣).

الأذى عنها في كل الوجوه، عليه الصلاة والسلام، فينبغي للمؤمن أن يتحرى هذا في أعماله تأسياً بالرسول ﷺ، واقتداءً به في ذلك، فلا يعمل شيئاً يشق على الأمة، لا بقوله ولا بفعله ولا في ولايته، إذا كان أميراً أو قاضياً، أو شيخ قبيلة، أو عمدة حارة، أو ما أشبه ذلك، يتحرى الرفق بالأمة، والإحسان إلى الأمة، وعدم الأذى والمشقة على الأمة.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❊ ❊ ❊

٢٣٢ ـ وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه، **قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ في ذِمَّةِ الله فَلَا يَطْلُبَنَّكُمُ الله مِنْ ذِمَّته بشَيءٍ، فَإنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ منْ ذمَّته بشَيءٍ يُدْركْهُ، ثُمَّ يَكُبُّهُ عَلَى وَجْهِهِ في نَارِ جَهَنَّمَ»** رواه مسلم(١).

٢٣٣ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما: **أنَّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِم، لا يَظْلِمهُ، وَلَا يُسْلمُهُ. مَنْ كَانَ في حَاجَة أخيه، كَانَ اللهُ في حَاجَته، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِم كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بها كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ يَومَ القِيامَةِ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ**(٢).

٢٣٤ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، **قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمُ، لَا يَخُونُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِم حَرَامٌ عِرْضُهُ وَمَالهُ وَدَمُهُ، التَّقْوى هاهُنَا، بحَسْب امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ**

---

(١) أخرجه في كتاب المساجد، باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة، برقم (٦٥٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب لايظلم المسلم ولا يُسْلِمُهُ، برقم (٢٤٤٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٨٠).

أَخَاهُ المُسْلِم» رواه الترمذي[١]، وَقالَ: حديث حسن.

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها من الأحاديث والآيات في الحث على احترام المسلمين، وكف الأذى عنهم وعدم ظلمهم، وهذا من الواجبات التي أجمع عليها المسلمون، أجمع علماء الإسلام قاطبة على أنه يجب على كل مسلم أن يعرف قدر أخيه، ويحترم أخاه، وألّا يظلمه لا في نفس، ولا في مال، ولا في عرض، وألّا يؤذيه بل عليه أن يكف الأذى عن أخيه المسلم من كل الوجوه، كما قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]، وتقدمت الآيات في ذلك، يقول جلَّ وعلا: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠] ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩] ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٨].

فالظلم شره عظيم، وعواقبه وخيمة، سواء كان في نفس، أو في مال، أو في بشرة، أو في عرض، فيجب على المؤمن أن يتباعد عن كل أنواع الظلم، وأن يحرص على احترام أخيه وإسداء الخير إليه، وكف الأذى عنه حسب الطاقة والإمكان، والله جلَّ وعلا يقول ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢] ويقول النبي ﷺ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ» فلا بد من كون المؤمن يتحرى الخير لأخيه، ويبتعد عن إيجاد الشر إليه، ويقول ﷺ: «المُسْلِمُ

(١) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم برقم (١٩٢٧).

أَخُو المُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ» معنى لا يظلمه: لا يتعدى عليه لا في نفس، ولا في مال، ولا في عرض، ولا في بشرة، ولا يُسلمه؛ يعني: لا يخذله لا يُسلمه لمن يظلمه ويتعدى عليه، بل يصونه ويُعينه ويحوطه ويدفع عنه حسب طاقته، **«وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ»** هذا كلام عام من جوامع الكلم، مشى في حاجته في قضاء دين، في قرض، في صدقة، في زواج، في أي معروف، كان الله في حاجته، ويقول ﷺ: **«والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»**. وفي اللفظ الآخر **«من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله له في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة»**.

في الحديث الثاني: يقول ﷺ: **«المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لَا يَخُونُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ»** في اللفظ الآخر: **«المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لَا يَخُونُهُ وَلَا يَكْذِبُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا»** وأشار لصدره ثلاث مرات، **«بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْتَقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ»** هكذا يجب على المؤمن أن يكون بعيداً عن احتقار أخيه، حريصاً على إيصال الخير إليه، من كل الوجوه.

كذلك حديث جندب: **«مَنْ صَلَّى صَلاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ الله فَلَا يَطْلُبَنَّكُمُ الله مِنْ ذِمَّته بشَيءٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ منْ ذمَّته بشَيءٍ يُدْركْهُ، ثُمَّ يَكُبُّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»** نسأل الله العافية في اللفظ الآخر: **«مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ»**، فصلاة الصبح لها شأن عظيم؛ ولهذا يضعف عنها المنافقون، ويتكاسل عنها المنافقون، وهكذا صلاة العشاء يكسل عنها المنافقون، وأشباه المنافقين؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: **«أَثْقَلَ الصَّلَاةِ عَلَى المُنَافِقِينَ صَلَاةُ العِشَاءِ وَصَلَاةُ الفَجْرِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا**

لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً»[١].

وكثير من الناس أيضاً قد يكسل عن العصر؛ لأنها بعد أعماله ولا يبالي بها، وقد قال عليه الصلاة والسلام: **«مَنْ فَاتَتْهُ العَصْرُ فَكَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ»**؛ يعني: سلب أهله وماله، وقال عليه الصلاة والسلام: **«مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ»** فالأمر عظيم، الواجب على المؤمن أن يكون له عناية كاملة بالصلاة، وأن يحرص على أدائها مع إخوانه في الجماعة، كثير من الناس ـ والعياذ بالله ـ يسمع الأذان وهو من جوار المسجد ولا يعرف المسجد، أين هذا من الدين؟ أين هذا من الإسلام؟ وهو يسمع قول الله جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

المنافق يقوم وهو كسلان، وهذا ما يقوم يصلي في بيته أردى من المنافق ـ نسأل الله العافية ـ بعمله قد يأتي المنافق كسلان ولكن يصلي مع الجماعة مراءاة لئلّا يقال: ما صلى، وهذا لا يُبالي ولا يهمه ذمه الناس، أو عابه الناس، أو أنكروا عليه لا يهمه، لا يبالي بالصلاة ربما صلى في بيته، ربما ضيعها، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وكثير منهم لا يعرف الفجر إلا بعد ما يقوم لعمله، إذا قام لعمله صلَّى بعد طلوع الشمس أين الإيمان؟ أين الإسلام؟ أين التقوى؟ أين خوف الله؟ الصلاة لها أوقات، لا بد أن تؤدى في أوقاتها، فمن صلَّى الصبح في وقتها فهو في ذمة الله إذا صلاها في الجماعة كان هذا هو الواجب؛ ولهذا في اللفظ الآخر: **«مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ»**[٢].

الواجب أن تؤدى في وقتها في الجماعة، كما أمر الله، وكما حذر

---

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب المساجد والجماعة، باب صلاة العشاء والفجر في جماعة برقم (٧٩٦).

(٢) أخرجه مسلم من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه في كتاب المساجد، باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة برقم (٦٥٦).

الرسول ﷺ من التخلق بأخلاق المنافقين، قد ذهب جمع من أهل العلم إلى أن من ضيعها حتى ذهب وقتها عمداً كفر، نسأل الله العافية، إذا أخرها حتى طلع الشمس عمداً متساهلاً كفر عند جمع من أهل العلم، وقولهم قوي، ودل عليه الحديث وهو أصح أقوال العلماء في ذلك؛ لقوله ﷺ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ**». خرجه مسلم في صحيحه[(١)].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»[(٢)].

في حديث بريدة: «**مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ العَصْرِ حَبِطَ عَمَلُهُ**»[(٣)].

هذا نموذج الصلوات كذلك الأخرى، الواجب على المؤمن أن يحذر شرَّ جُلساء السوء، ونزغات الشيطان، والنفس الأمارة بالسوء، «**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِهِ فَلَا صَلَاةَ لَهُ إِلَّا مِنْ عُذْرٍ**»[(٤)].

والعذر مرض أو خوف كما قال ابن عباس، وفي حديث أبي هريرة في قصة الأعمى قال: يا رسول ليس لي قائد يُلائمني إلى المسجد فهل لي من رخصة أن أُصلي في بيتي، قال: «**هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ**». فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «**فَأَجِبْ**»[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر ﷺ في كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة برقم (٨٢).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث بريدة ﷺ في كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة برقم (٢٦٢١)، وابن ماجه في كتاب الصلاة، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة برقم (١٠٧٩).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب إثم من ترك العصر، برقم (٥٥٣)، وفي باب التبكير بالصلاة في يوم غيم، برقم (٥٩٤).

(٤) أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عباس ﷺ في كتاب المساجد والجماعة، باب التغليظ في التخلف عن الجماعة برقم (٧٩٣).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب يجب إتيان المسجد على من سمع النداء برقم (٦٥٣).

في اللفظ الآخر قَالَ: «لَا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً»[1].

فإذا كان ما يجد الرخصة لأعمى بعيد الدار ليس له قائد يلائمه فما حال الصحيح القريب الذي يسمع النداء وهو معافى في بدنه، معافى في بصره، الأمر عظيم وخطير. فالواجب التواصي بهذا الأمر ونصيحة من يعرف بالتخلف والكسل؛ لأن هذا ظلم أفضى به إلى أن يكون من أهل النار، كما قال ﷻ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٤٢، ٤٣] هذا جوابهم لما سُئلوا لماذا دخلتم النار؟ وهي سقر، ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝٤٦ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ [المدثر: ٤٣ ـ ٤٧]، فلا ينبغي للعاقل بل يحرم عليه أن يتخلق بأخلاق هؤلاء ويتشبه بهم، بل يجب أن يحذر غاية الحذر من مشابهة أعداء الله المنافقين والكافرين، ويجاهد نفسه لا بد من جهاد، هذه دار الجهاد الدار هذه دار العمل ليس دار الجزاء، دار العمل لا بد من جهاد، والله يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] ويقول سبحانه: ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ [العنكبوت: ٦].

فهذا معالي الأمور ولا درجات عالية ولا منازل رفيعة إلا بالله، ثم بالمجاهدة والصبر والمصابرة، ومن آثر النوم وآثر الهوى وآثر الجلوس مع أهله وآثر لعب الورق والجلوس عند التلفاز وعند الأغاني والملاهي، فإذا جاء الفجر فهو جيفة، هذا والعياذ بالله خطير بأن يموت على حال الجاهلية، ويموت على حال أهل النار، نسأل الله العافية، فليتق الله المؤمن، وليحذر ويحذِّر أهله وأولاد وجيرانه وقراباته؛ لئلا يقال له يوم القيامة: لماذا ما نصحتهم؟ يتعلق الجار بالجار يوم القيامة، يقول: هذا وجدني على معصية ولم ينهني، فالأمر عظيم، والجار له حق، يقول

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب في التشديد في ترك الجماعة برقم (٥٥٢).

النبي ﷺ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»[١].

فالجار له حق عظيم، ويقول عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ»[٢].

في اللفظ الآخر: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ»[٣].

ومن أعظم الإحسان ومن أكمل الإحسان أن تأمره بالمعروف، وأن تنهاه عن المنكر، وأن تعينه على نفسه وشيطانه.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

٢٣٥ ـ وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «لا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْع بَعْض، وَكُونُوا عِبَادَ الله إخْوَاناً، المُسْلِمُ أخُو المُسْلم: لَا يَظْلِمُهُ، وَلا يَحْقِرُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، التَّقْوَى هاهُنَا ويشير إِلَى صدره ثلاث مرات بحَسْب امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحقِرَ أخَاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلم عَلَى المُسْلم حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وعِرْضُهُ» رواه مسلم[٤].

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار، برقم (٦٠١٥)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب الوصية بالجار والإحسان إليه، برقم (٢٦٢٥).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا من الخير، وكون ذلك كله من الإيمان، برقم (٤٧)، ومن حديث أبي شريح، برقم (٤٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، برقم (٥١٨٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف. . .، برقم (٤٧).

(٤) أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، برقم (٢٥٦٤).

▫ (النَّجْشُ): أنْ يزيدَ في ثَمَنِ سلْعَة يُنَادَى عَلَيْهَا في السُّوقِ وَنَحْوه، وَلَا رَغْبَةَ لَهُ في شرَائهَا بَلْ يَقْصدُ أنْ يَغُرَّ غَيْرَهُ، وهَذَا حَرَامٌ.

▫ (وَالتَّدَابُرُ): أنْ يُعْرِضَ عَنِ الإنْسَان ويَهْجُرَهُ وَيَجْعَلهُ كَالشَيءِ الَّذِي وَرَاء الظَّهْر وَالدُّبُر.

٢٣٦ ـ وعن أنس رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «لَا يُؤمِنُ أحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ مَا يُحِبُّ لنَفْسِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(١).

٢٣٧ ـ وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «انْصُرْ أخَاكَ ظَالماً أَوْ مَظْلُوماً» فَقَالَ رجل: يَا رَسُول اللهِ، أنْصُرُهُ إذَا كَانَ مَظْلُوماً، أرَأيْتَ إنْ كَانَ ظَالِماً كَيْفَ أنْصُرُهُ؟ قَالَ: «تحْجُزُهُ أوْ تمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإنَّ ذلِكَ نَصرُهُ» رواه البخاري(٢).

الشَّرح

فهذه الأحاديث الثلاثة الثابتة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام كلها تتعلق بحق المسلم على أخيه، وسبقت آيات كريمات وأحاديث صحيحة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام في هذا الشأن، في بيان وجوب احترام المسلم لأخيه وابتعاده عن ظلمه وأذاه، وأن الواجب على المسلمين أن يكونوا جسداً واحداً ويداً واحدة ضد عدوهم، ومتعاونين فيما بينهم، هكذا يجب كما قال جلَّ وعلا في كتابه العظيم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠] وقال:

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه برقم (١٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير برقم (٤٥).

(٢) أخرجه في كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً برقم (٢٤٤٣، ٢٤٤٤).

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] وقال: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]. هكذا المؤمنون إخوة متعاونون متناصرون في الحق، متواصون بالحق، يتعاونون على الخير، ينصح بعضهم بعضاً، ويعين بعضهم بعضاً على الخير، ويكف بعضهم بعضاً عن الشر، وينصح كل واحد لأخيه، شهد أو غاب.

ولهذا يقول ﷺ: «**لَا يُؤمِنُ أحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ مَا يُحِبُّ لنَفْسِهِ**» المعنى: لا يؤمن الإيمان الواجب الكامل حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، يحب له الخير، والاستقامة والغنى عن الحاجة إلى الناس، سلامة العرض، سلامة الدين، طيب الأخلاق، يحب له كل خير، ويكره له كل شر، ويقول ﷺ: «**لا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْض، وَكُونُوا عِبَادَ الله إخْوَاناً، المُسْلِمُ أخُو المُسْلم: لَا يَظْلِمُهُ، وَلا يَحْقِرُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، التَّقْوَى هاهُنَا ويشير إِلَى صدره ثلاث مرات**»؛ يعني: القلب «**بِحَسْب امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحقِرَ أخَاهُ المُسْلِمَ**»؛ يعني: يكفيه في الشر والقبح أن يحقر أخاه، ويترفع عليه ويتكبر، «**كُلُّ المُسْلم عَلَى المُسْلم حَرَامٌ، دَمُهُ ومَالُهُ وعِرْضُهُ**» هذه الخصال التي نهى عنها عليه الصلاة والسلام؛ لأنها تُسبب البغضاء والعداوة، لا تحاسدوا، التحاسد يفضي إلى الشر يحسد أخاه، يحب زوال النعمة عنه ويسعى في ذلك بجهده هذا من الظلم، والحسد قبيح يضر صاحبه قبل غيره، ويأكل قلبه قبل غيره، فلا يليق بالمؤمن أن يحسد أخاه، والحسد تمني زوال النعمة على أخيه، هذا الحسد تمني أن يزول عنه العلم، أن تزول عنه الصحة ويُبتلى بمرض، أن تزول عنه زوجته الطيبة الصالحة السليمة ويبتلى بشر منها؛ أن يموت أولاده، أن يصاب بشيء من الأذى، هذا الحسد تمني زوال النعمة عن أخيه، فإذا زدت على ذلك بأن سعيت في إيذائه مع محبة زوال النعمة جمعت بين الظلم والحسد جميعاً.

«لا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا» التناجش: هو الزيادة في ثمن السلعة من دون قصد الشراء، لكن للإيذاء إما لأجل إيذاء البائع، وإمَّا من أجل إيذاء المشتري، فهو يزيد ولا يقصد الشراء؛ ولكن مقصوده إما إيذاء المشتري حتى يزيد عليه الثمن ليسوم، وإما قصده دفع البائع حتى يحصل له الثمن؛ لأنه صاحب له أو صديق له، وإما عابث لا يبالي، وهذا لا يجوز، ولهذا ثبت عن الرسول النهي عن النجش قال: **«لَا تَنَاجَشُوا»** الإنسان إما أن يسوم وهو صادق لو بيع عليه اشترى، وأما أن يزيد ويسوم وهو كاذب أو في نصيبه ترك بس؛ لأجل يضر الناس هذا لا يجوز، **«وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا»**، نهى عن التباغض والتدابر؛ يعني: عن أسباب ذلك من الخصومات، من الكذب من الظلم وغير هذا، هذه أسباب التباغض والتدابر.

«وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ»، كذلك من أسباب التباغض كونه يبيع على بيع أخيه أو يشتري على شراء أخيه، كما في اللفظ الآخر: **«ولَا يَبْتَاعُ المَرْءُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ»** ومعنى ذلك: إذا علم أن أخاه اشترى سلعة بألف مثلاً يذهب ويقول له: أُريد أن أُعطيك هذه السلعة أو أحسن منها بأقل من ألف، حتى يترك هذا البيع على بيع أخيه؛ لأني سمعت أنك سمت السلعة الفُلانية بكذا وشريتها بكذا، أنا عندي مثلها أو أحسن منها بأنزل حتى يترك ويأخذ منه، هذا بيع على بيع أخيه، يسبب الشحناء والعداوة، وهكذا الشراء على شرائه، سمع أن فلاناً شرى السلعة الفلانية بألف أو بعشرة آلاف يذهب للبائع يقول: أنا سآخذها بأكثر لا تبع على فلان سآخذها منك بأكثر مما قال لك فلان؛ يعني: يشتريه، معلوم ذاك إذا بلغه الأمر يكون في نفس شيء يشره على أخيه يتكدر يسبب ذلك البغضاء والعداوة والشحناء ثم هو ظلم لأخيه تعدى على أخيه؛ ولهذا قال بعده **«وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَاناً»**.

كل واحد يحاسب نفسه وأن هذا أخوه المسلم لا يؤذيه بشيء لا بحسد ولا بتناجش، ولا يبيع على بيعه وعلى شرائه، ولا غير هذا من أنواع الأذى؛ ولهذا أكد بقوله ﷺ: **«المُسْلِمُ أخُو المُسْلم لَا يَظْلِمُهُ، وَلا يَحْقِرُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، التَّقْوَى هاهُنَا ويشير إِلَى صدره ثلاث مرات»**؛ يعني: إن القلب إذا عُمِّرَ بالإيمان استقامت الجوارح، إذا استقام القلب استقامت الجوارح، كما في الحديث الصحيح يقول ﷺ: **«أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ. أَلَا وَهِيَ القَلْبُ»**[(١)].

وقال في الحديث الآخر يقول ﷺ: **«إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»**[(٢)].

فالقلوب متى عمرت بالتقوى والخوف من الله استقامت الجوارح، استقام اللسان على الخير، استقامت الجوارح على الخير، وإذا خبث القلب انقادت الجوارح للشر تباعاً للقلب، **«كُلُّ المُسْلم عَلَى المُسْلم حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وعِرْضُهُ»**، بعض الناس إذا قيل له لا تسبل ثيابك أو لا تحلق لحيتك قال: الإيمان في القلب؛ يعني: ما يضر هذا، يرد الحق بهذا الكلام الفاسد، لو كنت صادق الإيمان في القلب ما عصيت ربك، القلب إذا صح به الإيمان ما عصت الجوارح، انقادت الجوارح للقلب وتبعت القلب واستقامت على الخير، ولكن إذا خلا القلب من الإيمان أوضعف الإيمان في القلب ضعف الإيمان في الجوارح أيضاً، ووقع في المعاصي.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، برقم (٥٢)، ومسلم في كتاب المساقات، باب أخذ الحلال وترك الشبهات برقم (١٥٩٩).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله برقم (٢٥٦٤).

وهكذا قوله ﷺ: «**انْصُرْ أخَاكَ ظَالماً أَوْ مَظْلُوماً**» كانت الجاهلية، كان العرب في الجاهلية ينصر أصحابه ظالمين أو مظلومين، هكذا كانت العرب إذا كان المستغيث في قرابته أو من أصدقائه نصره ولو ظالم، هذا من عادة العرب، إلا من تخلل بالخلال الطيبة واتصف بالعدالة، وهو قليل، لكن من عادتهم ينصرون أصحاب قبيلتهم على القبيلة الثانية ولو أن قبيلتهم ظالمة، فجاء الإسلام بالتعديل والتوجيه إلى الخير، وأن المظلوم ينصر لإعانته على رد الظلمة إليه، والظالم ينصر بمنعه من الظلم، ليس بإعانته بمنعه.

ولهذا قَالَ رجل: **يَا رَسُول اللهِ، أنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُوماً، أرَأيْتَ إنْ كَانَ ظَالِماً كَيْفَ أنْصُرُهُ؟** قَالَ: «**تحْجُزُهُ أَوْ تمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذلِكَ نَصرُهُ**» فذلك نصرك إياه هذا نصره، نصر الظالم ليس معاونته على الظلم، إذا رأيته يضرب إنساناً بغير حق تساعده في الضرب أو في القتل، لا نصر الظالم أن تمنعه تأخذ على يديه تقول: لا، ما يجوز لك هذا كُف يدك لا تؤذ الناس، لا تتعدَّ على الناس، ولو أنه أخوك ولو انه أبوك ولو انه خالك ولو أنه أبنك فضلاً عن قبيلتك البعيدة.

المقصود: أن هذا هو الواجب، على أهل الإيمان نصر المظلوم بأن يُعطى ظلامته، نصر الظالم بأن يمنع من الظلم، يؤخذ على يديه حتى لا يؤذي الناس، من أجل أنه كبير أو غني أو أمير أو كذا، لا، الواجب التعاون حتى تقع العدالة، حتى تحصل العدالة، وحتى ينصف المظلوم ويعطى حقه، وحتى يُردع الظالم ولا يتعدى على الناس.

وفَّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

٢٣٨ ـ **وعن** أَبي هريرة ﷺ: أَنَّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «حَقُّ المُسْلِم عَلَى المُسْلِم خَمْسٌ: رَدُّ السَّلام، وَعِيَادَةُ المَرِيض، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإجَابَةُ الدَّعْوَة، وتَشْميتُ العَاطِسِ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

وفي رواية لمسلم: «حَقُّ المُسْلِم عَلَى المُسْلِم ستٌّ: إِذَا لَقيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأجبْهُ، وإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ الله فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ».

٢٣٩ ـ **وعن** أبي عُمَارة البراءِ بن عازب ﷺ، قَالَ: أمرنا رَسُول الله ﷺ بسبع، ونهانا عن سبع: أَمَرَنَا بعيَادَة المَرِيض، وَاتِّبَاعِ الجَنَازَةِ، وتَشْمِيتِ العَاطسِ، وَإبْرار المُقْسِم، ونَصْرِ المَظْلُوم، وَإجَابَةِ الدَّاعِي، وَإفْشَاءِ السَّلامِ، ونَهَانَا عَنْ خَواتِيم أَوْ تَخَتُّم بالذَّهَبِ، وَعَنْ شُرْبٍ بالفِضَّةِ، وَعَن المَيَاثِرِ الحُمْرِ، وَعَن القَسِّيِّ، وَعَنْ لُبْسِ الحَرِيرِ والإسْتَبْرَقِ وَالدِّيبَاجِ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

وفي رواية: وَإنْشَادِ الضَّالَّةِ في السَّبْعِ الأُوَل.

□ (المَيَاثِرُ): بياء مثَنَّاة قبل الألِف، وثاء مُثَلَّثَة بعدها: وهي جَمْعُ ميثَرة، وهي شيء يُتَّخَذُ مِنْ حرير وَيُحْشَى قطناً أَوْ غيره، وَيُجْعَلُ في السَّرْجِ وَكُور البَعير يجلس عَلَيهِ الراكب.

□ (القَسِّيُّ): بفتح القاف وكسر السين المهملة المشددة: وهي ثياب تنسج مِنْ حرير وَكتَّانٍ مختلِطينِ. «وَإنْشَادُ الضَّالَّةِ».

الشَّرح

هذان الحديثان الجليلان العظيمان الثابتان عن رسول الله عليه الصلاة والسلام دلَّت على خصال حميدة أمر بها النبي ﷺ ودعا إليها

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز برقم (١٢٤٠)، ومسلم في كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام برقم (٢١٦٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز برقم (١٢٣٩)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء وخاتم الذهب والحرير على الرجل برقم (٢٠٦٦).

وعلى خصال أُخرى نهى عنها عليه الصلاة والسلام، وقد جاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**إنما بُعثتُ لأُتمم صالح الأخلاق**»(١).

وفي اللفظ الآخر: «**إنما بُعثتُ لأُتمم مكارم الأخلاق**»(٢).

والله جلَّ وعلا بعثه يدعو الناس إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، وينهاهم عن سفاسف الأخلاق وسِّئ الأعمال، وأعظم الأخلاق وأحسنها وأكبرها وأعظمها وأفرضها توحيد الله والإخلاص له، والإيمان بأنه الإلـه الحق، والإيمان بكل ما أخبر به جلَّ وعلا عما كان وما يكون، والإيمان بما شرعه لعباده، والإيمان برسوله محمد عليه الصلاة والسلام وأن الله أرسله إلى الثقلين جميعاً، والتصديق بكل ما أخبر به عليه الصلاة والسلام عما كان وما يكون، ثم يلي هذا الصلاة وهي أعظم الأمور وأفرضها وهي من مكارم الأخلاق ومن محاسن الأعمال؛ لأنه خضوع لله وطاعة له وتعظيم له وذُلّ بين يديه وثناءٌ عليه وقراءة لكتابه وتقديس له ﷻ، فهي أعظم فريضة وأفضل فريضة بعد الشهادتين، وفي حديث أبي هريرة ﷺ دعوة النبي ﷺ إلى ست خصال: قال من حق المسلم على أخيه أن يبدأه بالسلام وأن يرد عليه السلام أخيه ست خصال، وفي اللفظ الآخر خمس خصال، وفي أحاديث أخرى ذكر خصالاً أخرى تجمعها الدعوة إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال وهي لا تحصى، لكن منها هذه الخصال العظيمة ردُّ السلام لمن سلم عليك والبُداءة به منك أنت، البدءُ به أفضل، «**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ**»(٣).

في الحديث الصحيح: «**وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ**»(٤).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة ﷺ ٢/ ٣٨٢.

(٢) أخرجه البيهقي وصححه الحاكم ووافقه في المستدرك ٢/ ٤٧٢.

(٣) أخرجه أبو داود عن أبي أمامة في كتاب الأدب، باب فضل من بدأ بالسلام برقم (٥١٩٧).

(٤) متفق عليه عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ. أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الهجر برقم (٦٠٧٧).

يعني: خير المتلاقيين والمتهاجرين الذي يبدأ بالسلام، إجابته إذا دعاك إذا دعاك إلى وليمة عُرس أو غيره تجيب دعوة أخيك؛ لأن هذا من أسباب صفاء القلوب ونقائها واجتماعها على الخير وتحابها، وعدم الإجابة وعدم المبالاة من أسباب النفرة والاختلاف، كذلك تشميته إذا عطس، إذا عطس وحمد الله تقول: يرحمك الله هذا من حق المسلم على أخيه، وهو يقول: يهديكم الله ويصلح بالكم، أما إذا لم يحمد ما يشمت حتى يحمد ربه، وعيادة المريض، واتباع الجنازة، كل هذا من حق المسلم على أخيه أن يعوده إذا مرض وأن يتبع الجنازة إذا مات والصلاة عليه ودفنه حسب التيسير، وفي ذلك من العظاة والخير الخير الكثير، اتباع الجنائز عيادة المرضى فيها مصالح كثيرة لك ولأخيك إذا عُدته، وهكذا النصيحة له مطلقاً، الدين النصيحة وإذا استنصحك تأكدت النصيحة أكثر، كما قال ﷺ: «**وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ**».

وفي **حديث البراء**: «**أمرنا رَسُول الله ﷺ بسبع، ونهانا عن سبع: أَمَرَنَا بعِيَادَة المَرِيض، وَاتِّبَاعِ الجَنَازَةِ، وتَشْمِيتِ العَاطسِ**»؛ يعني: إذا حمد الله «**وَإبْرار المُقْسِم**»، إذا أقسم عليك أخوك والله أن تشرب عندي القهوة، والله أن تُجيب دعوتي تُجيب قسمه إذا استطعت، وأمر بإبرار القسم إذا أقسم عليك أخوك في شيء مباح أو شيء مشروع لا يضرك تجيب دعوته وتبرُّ قسمه، وفي ذلك أيضاً دعوة إلى المودة واجتماع القلوب والتحاب في الله ﷻ، ونصر المظلوم، وإجابة الداعي، وإفشاء السلام.

هذه سبع خصال تقدم ست منها في حديث أبي هريرة، والمؤمن إذا حاسب نفسه في هذه الخصال، وهو من أفضل الخصال ومن أسباب المحبة في الله ومن أسباب التآلف والتعاون على الخير، فشمّت أخاك إذا

عطس، إذا عُدته إذا مرض، إذا أجبت دعوته، إذا نصرته إذا ظُلم، إذا بررت قسمه، كل هذا مما يسبب المحبة والتعاون على الخير والتآلف، هكذا إفشاء السلام بدءاً وإجابة، تبدأ إذا تيسر لك تبدأ بالسلام، فإن لم تبدأ أجبت من بدأك من إخوانك إذا كانوا مسلمين، أما الكافر فلا يُبدأ، الكافر لا يُبدأ، لكن إذا بدأ تردُّ عليه؛ لقوله ﷺ: **«لَا تَبْدَؤُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِالسَّلَامِ»**[١].

وقوله ﷺ: **«إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الكِتَابِ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ»**[٢].

ونهى عن سبع خصال: نهى عن خواتم الذهب أو التختم بالذهب، هذا للرجال، الرجل لا يختم بالذهب، أما المرأة نعم؛ لأنها محتاجة للزينة فلا بأس أن تلبس خواتم من الذهب، والأسورة من الذهب، جمالاً لها وزينة لها، أما الرجل فلا، لكن الفضة لا بأس للجميع، الفضة خاتم الفضة، لا بأس في حق الرجال والنساء جميعاً، وهكذا الشرب في الأواني من الفضة والذهب، هذا محرم على الجميع، لا تأكل فيها ولا تشرب لا الرجل ولا المرأة، ما يجوز اتخاذ الأواني من الذهب والفضة، الرسول نهى عنها عليه الصلاة والسلام وقال: **«الَّذِي يَشْرَبُ فِي إِنَاءِ الفِضَّةِ إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ»**[٣].

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ في كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، برقم (٢١٦٧).

(٢) متفق عليه عن أنس بن مالك ﷺ. أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب كيف الرد على أهل الذمة بالسلام برقم (٦٢٥٨)، ومسلم في كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم برقم (٢١٦٣).

(٣) متفق عليه عن أم سلمة ﷺ. أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، باب آنية الفضة برقم (٥٦٣٤)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة في الشرب وغيره على الرجال والنساء برقم (٢٠٦٥).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لَا تَشْرَبُوا فِي آنية الذَّهَبِ وَلَا فِي الفِضَّةِ، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَهِيَ لَكُمْ فِي الآخِرَةِ**»(١).

يعني: الكفرة، فلا يجوز اتخاذ الأواني من الذهب والفضة لا للأكل ولا للشرب ومن ذلك الملاعق؛ لأنها آلة يؤكل بها ويشرب، الملاعق وأكواب الشاي والفناجين أكواب القهوة، هذه أيضاً من الأواني، لا يجوز اتخاذها من الذهب والفضة، هكذا الأباريق والدلال كلها من الأواني، لا يجوز اتخاذها من الذهب والفضة، ونهاهم أيضاً: «**عَن المَيَاثِرِ الحُمْرِ**» وهي تتخذ من الحرير ويتخذها الأعاجم غالباً على السرج، على البعير يتخذ للبعير أو الفرس أو البغل أو الحمار، فإذا اتخذ شيئاً من ذلك لا يكون من الحرير يكون بغير ذلك، ميثرة يركب عليها لا تكون من جنس مياثر العجم، لا يتشبه بالكفار، ولا تكون من الحرير، ونهى عن «**القَسِّيِّ**» (القَسِّيِّ) ملابس ثياب فيها خطوط من الحرير، وبعضهم ذكر أن يكون فيها أيضاً شجر يشبه الأترج من الحرير، فلا يجوز للرجال هذه الملابس لا تصلح للرجال؛ لأن الرسول نهى الرجل عن لبس الحرير إلا موضع أصبعين أو ثلاث أو أربع، إذا كان قطعة صغيرة في الثوب لا بأس، قدر إصبع أو أصبعين أو ثلاث أو أربع رقعة في الثوب أو أزرار أو علامة من الحرير لا بأس، إما يكون كثير خطوط كثيرة في الثوب أو شجر في الثوب من الحرير أكثر من أربع أصابع لا يجوز في حق الرجل، وهكذا لبس الحرير والإستبرق والديباج، أنواع الحرير كثيرة فالإستبرق فيه لمعان من الحرير، والديباج حرير غليظ، فالحرير كله بأنواعه سواء ساده ليس فيه

(١) متفق عليه عن حذيفة. أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب الأكل في إناء مفضضٍ، برقم (٥٤٢٦)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال الذهب والفضة على الرجال...، برقم (٢٠٦٧)، وأخرجه الإمام أحمد ٥/٣٩٧.

نقوش ولا فيه لمعان، أو فيه لمعان كالإستبرق، أو فيه غلظة كالديباج كله ممنوع في حق الرجال، إنما هو من ملابس النساء.

وفَّق الله الجميع.





٢٨ ـ بَابُ ستر عورات المسلمين والنهي عن إشاعتها لغير ضرورة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].

٢٤٠ ـ **وعن** أبي هريرة ﵁، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْداً في الدُّنْيَا إلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ» رواه مسلم[١].

٢٤١ ـ **وعنه**، قَالَ: سمعت رَسُول الله ﷺ، يقول: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافى إلَّا المُجَاهِرِينَ، وَإنّ مِنَ المُجَاهَرَةِ أنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ باللَّيلِ عَمَلاً، ثُمَّ يُصْبحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيهِ، فَيقُولُ: يَا فُلانُ، عَمِلت البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصبحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْه» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٢].

٢٤٢ ـ **وعنه**، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «إذَا زَنَتِ الأمَةُ فَتَبَيَّنَ زِنَاهَا فَلْيَجْلِدْهَا الحَدَّ، وَلا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا، ثُمَّ إنْ زَنَتِ الثَّانِيَةَ فَلْيَجْلِدْهَا الحَدَّ، وَلا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا، ثُمَّ إنْ زَنَتِ الثَّالِثَةَ فَلْيَبِعْهَا وَلَوْ بِحَبْلٍ مِنْ شَعَر» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٣].

□ (التثريب): التوبيخ.

---

(١) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب بشارة من ستر الله تعالى عيبه في الدنيا بأن يستر عليه في الآخرة برقم (٢٥٩٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه برقم (٦٠٦٩)، ومسلم في كتاب الزهد والرقاق، باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه برقم (٢٩٩٠).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب لا يُثرب على الأمة إذا زنت ولا تنفى برقم (٦٨٣٩)، وقبل ذلك في كتاب البيوع، باب بيع العبد الزاني، برقم (٢١٥٢)، ومسلم في كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا، برقم (١٧٠٣).

٢٤٣ ـ **وعنه**، قَالَ: أُتِيَ النَّبيّ ﷺ برجل قَدْ شَرِبَ خَمْراً، قَالَ: «اضْرِبُوهُ» قَالَ أَبُو هريرة: فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ، والضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، وَالضَّارِبُ بِثَوبِهِ. فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ بَعضُ القَوم: أَخْزَاكَ الله، قَالَ: «لا تَقُولُوا هكَذا، لَا تُعِينُوا عَلَيهِ الشَّيْطَانَ» رواه البخاري[١].

الشَّـرْح

فهذه الأحاديث الأربعة فيها الحث على الستر على المسلمين وحث الإنسان على أن يستر نفسه إذا وقع في معصية فليتقِ الله وليتب إلى الله ويستر نفسه، ولا يعلن شره وفاحشته والله قد ستره فليستقم على التوبة وليلزمها يسأل ربه العافية، ويجتهد في العمل الصالح، والسيئات تمحى بالحسنات هكذا ينبغي للمؤمن، أما إشاعة الفواحش وإظهارها بين الناس فهذا مما لا يجوز؛ ولهذا يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور: ١٩] هذا يفيد الحذر أنه لا يجوز أن تشيع الفاحشة، فلان زنى، فلان سرق، فلان شرب الخمر، فلان كذا، فلان كذا، هذه من إشاعة الفاحشة بين الناس ومن تشجيع الناس على الفساد أيضاً؛ لأن الناس يتأسى بعضهم ببعض، الواجب ستر هذه الأمور وعدم إشاعتها، ومن أظهرها أُقيم عليه الحد، ومن ستره الله فليستتر بستر الله ولا يشع ولا يشع عنه أخوه ذلك، بل يستره على أخيه وينصحه ويوجهه إلى الخير؛ ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام: «لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْداً في الدُّنْيَا إلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ» في اللفظ الآخر: **«مَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»**[٢].

---

(١) أخرجه في كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر برقم (٦٧٨١)، وأبو داود في كتاب الحدود، باب الحدَّ في الخمر برقم (٤٤٧٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الحدود، باب الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات برقم (٢٥٤٤).

والستر ستران سترُ العورة الحسية بالملابس، فقير عارٍ يعطى ملابس هذا أيضاً يرجى لصاحبه أن الله يستره في الدنيا والآخرة جزاءً له، والعورة الثانية العورة الدينية المعصية، وهي أشد إذا ستره في الدنيا ستره الله في الآخرة ولم يشع عليه، رآه شرب الخمر رآه زنى رآه فعل شيئاً من المنكرات، ستر عليه ونصحه ووجهه إلى الخير ولم يشع عليه الفاحشة، فهذا ممن وُعد بأن يستره الله في الآخرة بسبب ستره على أخيه ونصيحته له وتوجيهه له إلى الخير وعدم فضيحته بين الناس، وكثير من الناس يفرح أن يتحدث بهذه الشرور ويعمر بها المجالس ويغتاب بها إخوانه المسلمين، وهذا من البلاء الذي ينشرُ الفاحشة ويُشيعها بين الناس ويجرئ الناس عليها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: **«كُلُّ أُمَّتِي مُعَافى إِلَّا المُجَاهِرِينَ»**؛ يعني: الذين يجاهرون بالمعاصي ولا يبالون لقلة حيائهم وضعف إيمانهم، هؤلاء ليسوا من أهل العافية؛ نعوذ بالله؛ لمجاهرتهم بالفساد وهم جديرون بأن يعاقبوا عقوبة رادعة من إقامة الحدود والتعزيرات إن كان ما هناك حدود، إذا كانت معصية ما فيها حد تعزير بالضرب والسجن ونحو ذلك حتى لا تؤذي من ناحيته، حتى لا يعود مرة أُخرى إلى إعلانها وإظهارها؛ ولهذا يقول ﷺ: **«كُلُّ أُمَّتِي مُعَافى إِلَّا المُجَاهِرِينَ»** نسأل الله العافية.

وإن من المجاهرة أن يعمل العبد عملاً؛ يعني: مما يغضب الله من المعاصي فيستره الله في الليل ثم يُصبح ويقول: يا فُلان لقد عملتُ كذا وكذا، زنيت بفُلانة شربت الخمر مع فُلان، يفضح نفسه وقد ستره الله سُتر في الليل فبات يُحدث بهذه المعاصي ولا يُبالي ولا يستحي نعوذ بالله، قد ستره الله ويصبح وقد كشف ستر الله عليه وأعلن شره وفاحشته، وهذا ممن قال فيه الرسول: **«كُلُّ أُمَّتِي مُعَافى إِلَّا المُجَاهِرِينَ»** ومتى وُجد هذا المجاهر وجب أن يقام عليه حد الله إن كان فيه حد، إن كان فيه

تعزير، كذلك حتى يُردع عن أفعاله القبيحة، ومن فعل شيئاً من المعاصي فليستتر بستر الله وليبادر بالتوبة وليقلع وليندم وليعزم ألا يعود، والله يقول سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] مأمورون بالتوبة ليس مأموراً بأن يعلن شره وفاحشته للناس حتى يجرئهم على الفساد وحتى يفضح نفسه.

وفي **الحديث الآخر يقول** ﷺ: «**إِذَا زَنَتِ الأَمَةُ**»؛ يعني: المملوكة «**فَتبيَّنَ زِنَاهَا فَلْيَجْلِدْهَا الحَدَّ، وَلا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا، ثُمَّ إنْ زَنَتِ الثَّانِيَةَ فَلْيَجْلِدْهَا الحَدَّ، وَلا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا، ثُمَّ إنْ زَنَتِ الثَّالِثَةَ فَلْيَبِعْهَا وَلَوْ بِحَبْل مِنْ شَعَر**» وفي الرواية الأُخرى في الرابعة: «**فَلْيَبِعْهَا وَلَوْ بِحَبْل مِنْ شَعَر**» لأن ظهر لها سجية لها الفاحشة فليبعها ولو بشيء قليل؛ يعني: يبيِّن عيبها لمشتري يطأها، أنا بعت لأجل هذا ومعلوم إذا بين عيبها ما تشترى إلا بالشيء اليسير ولعلها إذا انتقلت من سيد إلى سيد لعلها تتوب لعل السيد الثاني يكون أقوى عليها إلى غير هذا من الأسباب. والأمة جلدها الحد حدها الجلد لا تُرجم المملوكة على نصف العذاب الذي على الحُرة ونصف العذاب خمسون جلدة، حد البكر تُجلد حد البكر خمسون جلدة الأمة وهكذا إذا عادت وعادت وعادت تُجلد خمسين جلدة في كل مرة، قوله لا يُثرِّبْ عليها لا يُعيرها عند الناس، يفضحها عند الناس، يُقيم الحد ولا يفضحها عند الناس، يقول: فعلت جاريتي كذا وفعل كذا وفعل كذا لا يشيع الفاحشة يقيم عليها الحد. ويجاهدها وينصحها ويُوبخها ويتكلم عليها بما ينفعها، فإن تابت وإلا يبيعها لعل الله يهديها عند غيره، فليبعها في الثالثة ولو بحبلٍ من شعرٍ، أو قال في الرابعة: هذا مما يكون فيه إخفاء الفواحش وعدم إظهارها وعدم فضيحة من فعلها، هكذا يجب على المؤمن.

وفي **الحديث الرابع**: أن الرسول ﷺ أُتِيَ برجل قَدْ شَرِبَ خَمْراً، قَالَ: «**اضْربُوهُ**» قَالَ أَبُو هريرة: فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ، والضَّارِبُ بِنَعْلِهِ،

وَالضَّارِبُ بِثَوبِهِ. فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ بَعضُ القَومِ: أَخْزَاكَ الله، قَالَ: «لا تَقُولُوا هكَذا، لَا تُعِينُوا عَلَيهِ الشَّيْطَانَ».

في عهد عمر رضي الله عنه لما كثر شرب الخمر استشار الصحابة رضي الله عنهم في ذلك، فأشاروا عليه أن يرفع حده إلى ثمانين؛ لأن الرسول ما سن فيه حداً لا يُزاد فيه ولا ينقص فضربوه بالجريد وضربوه بالنعال وضربوه بالثياب، فزاد فيه عمر رضي الله عنه وجعله ثمانين ليردع الناس عن هذا البلاء، فاستقر الأمر على ذلك لقوله ﷺ: **«عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ المَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»**[1] وعمر رضي الله عنه من الخلفاء الراشدين بل هو ثانيهم، فاستقرت العقوبة في حق الشارب ثمانين جلدة، فإن نفعت وإلا زاد عليها ولي الأمر بالسجن أو بالنفي من بلاد إلى بلاد؛ لأن الرسول لم يحد حداً لا يُزاد عليه عليه الصلاة والسلام وهو أشبه بالتعزير يُزاد فيه ما يردع حتى يرتدع الناس عن شُرب هذه الخبيثة؛ لأنها مُذهبة العقول وفقدان العقول ويترتب عليها من الفساد في المجتمع والشر ما لا يحصيه إلا الله عز وجل.

رزق الله الجميع العافية والهداية.



(١) سبق تخريجه في الحديث رقم (١٥٧).




٢٩ ـ بَابُ قضاء حوائج المسلمين

قال الله تعالى: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

٢٤٤ ـ **وعن** ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ. مَنْ كَانَ في حَاجَة أخِيه، كَانَ اللهُ في حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِم كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كرَبِ يَوم القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(١).

٢٤٥ ـ **وعن** أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنيَا، نَفَّسَ الله عَنْهُ كُربَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّر عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله عَلَيهِ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ الله في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، والله في عَونِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ في عَونِ أخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ. وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ في بَيت مِنْ بُيُوتِ اللهِ تَعَالَى، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ الله فِيمَنْ عِندَهُ. وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِع بِهِ نَسَبُهُ» رواه مسلم(٢).

الشَّرح

فهذه الآية الكريمة والحديثان الشريفان الصحيحان عن رسول الله

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه برقم (٢٤٤٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٨٠).

(٢) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، برقم (٢٦٩٩).

عليه الصلاة والسلام كلها تدل على شرعية قضاءِ حوائج المسلمين، والعناية بمصالحهم، ومساعدتهم في الخير، وأن المسلم أخو المسلم كما تقدم، والمسلم يُعين أخاه ويرشد أخاه ويكون في حاجته ويدفع عنه الشر، قال الله جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧] فكونه يفعل الخير يعم أنواع الخير، ومن جملة ذلك أن تساعد أخاك في مصالحه وحاجاته المباحة، وحاجاته الشرعية، هذا من فعل الخير، وهكذا قوله جلَّ وعلا: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

إعانة أخيه على حاجته ومساعدته في ذلك والدفاع عنه هذا من البر والتقوى، فإذا أعنته على الزواج على قضاء الدين على سد حاجته على الشفاعة له ليدفع عنه الظلم إلى غير هذا من وجوه الخير، هذا من التعاون على البر والتقوى ومن فعل الخير والله لا يضيع عنده عمل عامل، يقول سبحانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] مثاقيل الذر وحب الخردل الذي هو أصغر شيء لا يضيع عند الله ﷻ، وهكذا قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]؛ يعني: إن تك الزنة التي هي مثقال الذر حسنة يضاعفها الرب، جلَّ وعلا: ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

فحاجة أخيك لها شأن عظيم، وهي تختلف وتتنوع وكلما كان أشد حاجة صارت مساعدته أشدَّ تأكداً، وإذا كانت في الدين صارت آكد وآكد؛ كمساعدته على الزواج ومساعدته على حفظ فرجه، وغض بصره، وترك الحرام، والاكتفاء بالحلال، إلى غير هذا من أنواع المساعدة التي بها حماية من المحرمات، وإعانته على الطيبات.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ**». معنى لا يسلمه لا يخذله لا يظلمه في نفسه، ولا في مال، ولا في عرض، ومع ذلك لا يسلمه؛ يعني: لا يخذله ويتركه لمن يظلمه؛ يعني: ترى من يظلمه ومع ذلك لا تبالي ولا تحميه من ظالمه، ولا تجتهد في صيانته وحمايته من الظلم؛ لأنه أخوك دينه دينك، ونبيه نبيك وكتابكما واحد، وهو القرآن وربكما واحد، وهو الله ﷻ ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»[(١)].

وفي هذا الحديث: «**المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ،**» وفي اللفظ الآخر: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لَا يَخُونُهُ وَلَا يَكْذِبُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ**»[(٢)] وإن كان فقيراً وأنت غني وإن كان عامياً وأنت عالم، وإن كان من عامة الناس وأنت أميرهم، أخوك هو أخوك على أي حال كنت وكان، ثم قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ كَانَ في حَاجَة أخِيه، كَانَ اللهُ في حَاجَتِهِ**»، هذا لفظ عظيم ومن جوامع الكلم، وهذا من أصح الألفاظ عن رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ كَانَ في حَاجَة أخِيه، كَانَ اللهُ في حَاجَتِهِ**»؛ أيُّ حاجة، في حاجته لقضاء دينه، في حاجته لتيسير زواجه، في حاجته لحمايته من الفساد والشر، في حاجته لإعانته على أداء الصلاة في جماعة، في حاجته لبرّ والديه، لصلة رحمه، ليكف شره عن جيرانه، إلى غير هذا من أنواع الحاجات.

«**وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كرَبِ يَومِ القِيَامَةِ**»، الجزاء من جنس العمل، «**وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ الله يَومِ القِيَامَةِ**»، الجزاء من جنس العمل، في اللفظ الآخر: «**وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه في الحديث رقم (١٨٣)، وانظر: حديث رقم (٢٣٦).
(٢) سبق تخريجه في الحديث رقم (٢٣٤).
(٣) سبق تخريجه ص(٤٨٩).

في حديث أبي هريرة: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنيَا، نَفَّسَ الله عَنْهُ كُربَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّر عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله عَلَيهِ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ الله في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»، والستر كما تقدم في بعض الدروس الماضية نوعان: ستر للعورة الحسية وهي ما بين السُّرةِ والركبة من الإنسان من الرجل، والمرأة كلها عورة إذا أعطى من الملابس ما يستر عورته هذا عمل صالح، والله يستره في مقابل هذا الستر ويجزيه من فضله ﷻ أحسن مما فعل.

والنوع الثاني ستر العورة الدينية ستر العورة التي هي المعاصي، فإذا رأيت أنه في معصية أسر بها وأخفاها فلا تفشها عليه، ولا تفضحه تنصحه وتوجهه للخير، وتدعو له بالهداية والاستقامة والصلاح ولا تُشيعها بين الناس؛ لأن الله يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور: ١٩]، فلا تفرح بإشاعة الفاحشة لأخيك ولا في إخوانك، ولكن تستر وتحرص على النصيحة مهما استطعت، فإذا أظهر فاحشته أقيم عليه حدها، وما دام مستوراً فلا تفضحه، ادع الله له بالهداية وانصح له ووجِّهه إلى الخير، لعل الله ينفع بك حتى يهديه الله بأسبابك؛ ولهذا قال بعده عليه الصلاة والسلام: «**والله في عَونِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ في عَونِ أخِيهِ**»، الله في عونك أنت يا عبد الله ما كنت في عون أخيك، الجزاء من جنس العمل، ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمٰن: ٦٠] فمتى كنت في حاجة أخيك كان الله في حاجتك التي تنزل بك جزاءً على عملك الطيب.

«**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ**» هذا أيضاً فيه فضل طلب العلم، الإنسان يطلب العلم يتفقه في الدين يذهب إلى حلقات العلم، إلى عالم يسأله عما أشكل عليه في هذا الطريق يكون سبباً لسلوكه طريق الجنة أو يسافر لأجل طلب العلم، ويدخل في ذلك مراجعة الكتب والاستفادة من كتب العلم إذا كان من أهلها، هذا

من طرق العلم تقييده وكتابته والمذاكرة فيه؛ يعني: علم الشريعة علم الشرع، ماذا قال الله؟ ماذا أمر الله به؟ ماذا أحلَّ الله ماذا حرم الله؟

«وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيت مِنْ بُيُوتِ اللهِ تَعَالَى، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِندَهُ». هذا في فضل تلاوة القرآن والمدارسة في القرآن وفي اللفظ الآخر: **«وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ يذكرون الله»**؛ يعني: في أي مكان لكن إذا كان في المسجد كان ذلك أفضل؛ لما في المسجد الإعانة على هذا الخير لأن وجودهم في المسجد من أعظم الأسباب، في فراغهم وعنايتهم بالتلاوة وعدم تشاغلهم بشيء بخلاف البيوت، فإنها قد تشغل قد يأتي فيها من يشغل عن التلاوة وعن متابعة التلاوة، لكن في المسجد حلقات العلم في المسجد قراءة القرآن في المسجد من أعظم الأسباب في جمع القلب على القراءة، والتعاون في ذلك، والبعد عن المشاغل التي قد تشغل القارئ، أو الجماعة عن دراستهم ومذاكرتهم، وبهذا الفضل العظيم **«إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»**.

هذا يدل على فضل عظيم في الاجتماع على تلاوة كتاب الله والمدارسة والتدبر والتعقل، ثم قال بعد **«وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعِ بِهِ نَسَبُهُ»** من بطأت به الأعمال وتأخرت به الأعمال، ما قدمه نسبه ولو كان من بني هاشم، من رهط النبي عليه الصلاة والسلام، أبو لهب من رهط النبي وهو في النار، وأبو طالب من رهط النبي وهو عمه وهو في النار، لأنهم تركوا الإسلام وخرجوا عنه إلى غيره، المقصود أن الأنساب لا تنجي من عذاب الله ولا تقدم إلى الجنة، وإنما الذي يقدم إلى الجنة ويُسبب دخولها برحمة الله وفضله أعمالك الصالحة، تقواك لله وقيامك بأمره، ومن ذلك نفع المسلمين وإعانتهم على ما ينفعهم، وسدُّ حاجاتهم ومواساتهم، من مالك ومن جاهك، هذا مما ينفعك في الدنيا والآخرة،

ثم هذه التلاوة للقرآن المقصود منها الاستفادة والعلم والعمل، هذا المقصود من طلب العلم، وتدبّر القرآن أن تعمل بما علمت، وأن تتقي الله وأن تقف عند حدود الله، هذا المقصود من طلب العلم ومن قراءة القرآن، التدبّر والتعقّل والعمل.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.






٣٠ ـ بَابُ الشفاعة

قال الله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

٢٤٦ ـ **وعن** أبي موسى الأشعري ﷺ، قَالَ: كَانَ النَّبيّ ﷺ إِذَا أتاهُ طَالِبُ حَاجَةٍ أقبَلَ عَلَى جُلَسَائِهِ، فَقَالَ: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي الله عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أحبَّ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(١).

وفي رواية: «مَا شَاءَ».

٢٤٧ ـ **وعن** ابن عباس ﷺ في قِصَّةِ بريرَةَ وَزَوْجِهَا، قَالَ: قَالَ لَهَا النَّبيُّ ﷺ: «لَوْ رَاجَعْتِهِ؟» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ تَأمُرُنِي؟ قَالَ: «إنَّمَا أَشْفَع» قَالَتْ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ. رواه البخاري(٢).

الشَّرح

فهذه الآية الكريمة والحديثان الشريفان عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، كلها تدل على شرعية الشفاعة في الخير، فالمؤمن أخو المؤمن يشفع له في الخير ويشفع في الدفاع عنه ويحوطه بنصحه ويعينه بكل ما يستطيع من الخير؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها برقم (١٤٣١)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام برقم (٢٦٢٧).

(٢) أخرجه في كتاب الطلاق، باب شفاعة النبي ﷺ في زوج بريرة برقم (٥٢٨٣).

والمؤمن يشفع الشفاعة الحسنة ويحذر الشفاعة السيئة، فالشفاعة الحسنة كأن ترى صاحب حاجة في قضاء دينه، في زواج، في سد حاجته، ترى مظلوماً يطلب النجدة والنصرة لدفع الظلم عنه، ترى مريضاً يحتاج إلى مساعدة في علاجه فتشفع عند من له الأمر وعند من يستطيع نفعه وأنت تعلم حال هذا المسكين، فتقول: لعلك تحسن إليه، احتسب أجر الإحسان إليه في قضاء حاجته، في التخفيف عنه إذا كان مصاباً بشيء يؤذيه، في دفع الظلم عنه، إلى غير هذا من وجوه الخير، ويدل على هذا المعنى قوله سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢] وقوله جلَّ وعلا: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]. التواصي بالحق والتواصي بالصبر والتعاون على البر والتقوى يدخل فيه قضاء حاجة أخيه والشفاعة له، وفي هذا المعنى أيضاً يقول عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ كَانَ في حَاجَة أخِيه، كَانَ اللهُ في حَاجَتِهِ**» متفق على صحته[1].

ومعلوم أن شفاعتك في دفع الظلم عنه وفي قضاء دينه وفي إعانته على الزواج إذا كان محتاجاً لغير هذا من شؤون إخوانك داخل في الحاجة التي قال فيها ﷺ: «**من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته**» وداخل في قوله ﷺ: «**والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**».

وفي هذا الحديث: حديث أبي موسى يقول عليه الصلاة والسلام إذا جاءه طالب حاجةٍ يقول لأصحابه: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي الله عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ**» إذا جاءه طالب حاجة يطلب حاجة يطلب قضاء دينه يطلب مواساته والإحسان إليه يطلب ترحيله ودفع ما يعينه على السفر إلى أهله وما أشبه ذلك، يطلب حاجة من الحاجات يقول: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا**»؛ يعني: أدلوا بما عندكم ساعدوا هذا المحتاج إذا كنتم تعلمون شيئاً من حاله، «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَلْيَقْضِ اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ**»

(١) سبق تخريجه وشرحه في باب قضاء حوائج المسلمين برقم (٢٤٤) (ص٤٩٣).

الرواية الأخرى: «مَا أَحَبَّ»؛ يعني: العبد عليه الشفاعة والله هو الموفق ﷻ، أما أنت تشفع أما كونه تقضى الحاجة أو ما تُقضى هذا إلى الله ﷻ، هو الذي يشرح الصدور هو الذي يعين على قضاء الحاجة إذا شاء، وإنما أنت شافع، فإن قبلت شفاعتك فقد حصل المطلوب، وإن لم تقبل فقد أديت ما عليك، ولا يضرك ذلك.

وفي الصحيح أن بريرة عُتقت تحت عبد مملوك وكانت مملوكة جارية يقال لها بريرة عند جماعة من الأنصار باعوها مكاتبة؛ يعني: اشترت نفسها منهم بنقود مؤجلة أقساط، اشترت نفسها بثلاثمائة وستين درهما كل سنة أربعين تسع سنين أقساط فعلمت عائشة بحالها، فقالت: إن أحب أهلك أن أعد لهم الدراهم وأعتقك فعلت، فقالت لهم فوافقوا على أن يكون الولاء لهم، فقال النبي ﷺ: **«فَإِنَّمَا الوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ»**[1] من أعتق له الولاء؛ العقوبة والإرث والأجر.

وبعد ما عتقت كان لها زوج مملوك وخيرها النبي ﷺ هل تبقى معه أو تفارقه فاختارت نفسها، واختارت أنها تفارقه، فاحتج العلماء بهذا الحديث على أن المرأة المملوكة إذا عتقت تحت مملوك لها الخيار، إن شاءت بقيت معه وإن شاءت اختارت نفسها، وفسخت منه؛ لأنها صارت حرة وهو مملوك تحت تصرف غيره، وهي صارت حُرةً لها التصرف، فخيَّرها النبي ﷺ في ذلك، وكان زوجها يحبها كثيراً وهي لا تحبه فتنازعوا في ذلك وصار يطلب من الناس الشفاعة في أن ترضى بأن تبقى معه وهي تأبى إلا الفراق، فأتاه النبي ﷺ وشفع إليها وقال: يا بريرة لو بقيت مع زوجك فقالَتْ: (**يَا رَسُولَ اللهِ تَأْمُرُنِي**؛ يعني: سمعاً وطاعة إن كان أمر قال: لا **«إِنَّمَا أَشْفَع» قَالَتْ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ**).

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة ﵂. أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب ذكر البيع والشراء على المنبر في المسجد، برقم (٤٥٦)، ومسلم في كتاب العتق، باب إنما الولاء لمن أعتق، برقم (١٥٠٤).

هذا النبي ﷺ شفع لامرأة عتيقة جارية ما قال: هذه امرأة لا قيمة لها، ولا أشفع لها، ما حقَّرها، عليه الصلاة والسلام، ولا حقَّر زوجها وهو يبكي عليها، بل شفع فدل ذلك على أن الشفاعة مطلوبة من الكبير إلى الصغير، ومن الصغير إلى الكبير، وأنه ينبغي للمؤمن التواضع في قضاء حاجة إخوانه، والإحسان إليهم ولو كانوا من عامة الناس، ومن فقراء الناس، فهذه امرأة جارية عتيقة رأى النبي ﷺ حرص زوجها عليها وبكاءه عليها فشفع إليها أن ترجع إليه، وأن ترضى ببقائها معه، فقالت: تَأْمُرُنِي أو تشفع، عندها علم، عندها بصيرة، إن كان أمراً فأنا أسمع وأطيع، فإن كان شفاعة ليس بأمر قالت: لا ليس بي حاجة، فقال النبي ﷺ: «إِنَّمَا أَشْفَع» فقالت: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ.

فدل ذلك على أن الشافع ليس بلازم أن يطاع، الشافع محسن إن قبل منه المشفوع إليه فلا بأس، وإن لم يقبل فلا حرج، إذا شفعت إلى إنسان يزوج فلاناً بنته أو يزوج أخته، قال: جزاك الله خيراً، لكن أنا ما أوافق زواجه على بنتي ولا أختي، هو أعلم بنفسه، قد يكون عنده موانع أو شفعت إليه أن يسامح الدين الذي عليه، قال: لا، أنا ما أسامح أصبر حتى يوفي الله عنه، الحمد لله ما هو لازم أنت أديت ما عليك وما أشبه ذلك، الشافع محسن، هو بذل معروفاً فإن قبل منه هذا هو المطلوب والحمد لله، فإن لم يقبل فلا شيء عليه، وإن كان المشفوع إليه ظالماً، فالإثم عليه، وإن كان ليس بظالم فلا تلزمه الشفاعة، وهو أعلم بنفسه وبحاجاته.

وفَّق الله الجميع.






٣١ ـ بَابُ الإصلاح بين الناس

قال الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

٢٤٨ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْم تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَينِ صَدَقَةٌ، وَتُعينُ الرَّجُلَ في دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقةٌ، وَبِكُلِّ خَطْوَةٍ تَمشِيهَا إِلَى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، وَتُميطُ الأَذى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(١).

□ ومعنى: (تَعدِلُ بينهما): تُصْلِحُ بينهما بالعدل.

٢٤٩ ـ **وعن** أمِّ كُلْثُوم بنت عُقْبَة بن أَبي مُعَيط رضي الله عنها، قَالَتْ: سمِعتُ رسول الله ﷺ، يَقُولُ: «لَيسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيراً، أَوْ يقُولُ خَيْراً» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم برقم (٢٧٠٧)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب بيان اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف برقم (١٠٠٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس برقم (٢٦٩٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الكذب وبيان المباح منه برقم (٢٦٠٥).

📖 وفي رواية مسلم زيادة، قَالَتْ: وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرْخِّصُ في شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُهُ النَّاسُ إِلَّا في ثَلاثٍ؛ تَعْنِي: الحَرْبَ، وَالإِصْلَاحَ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثَ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَحَدِيثَ المَرْأَةِ زَوْجَهَا.

٢٥٠ ـ **عن** عائشة ﵂، قَالَتْ: سَمِعَ رسولُ الله ﷺ صَوْتَ خُصُوم بِالبَابِ عَالِيةً أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ في شَيْءٍ، وَهُوَ يَقُولُ: واللهِ لا أَفْعَلُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رسولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَيْنَ المُتَأَلِّي عَلَى اللهِ لَا يَفْعَلُ المَعْرُوفَ؟»، فَقَالَ: أَنَا يَا رسولَ اللهِ، فَلَهُ أَيُّ ذلِكَ أَحَبَّ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(١).

▫ معنى: (يَسْتَوضِعُهُ): يَسْأَلُهُ أَنْ يَضَعَ عَنْهُ بَعضَ دَيْنِهِ. (وَيَسْتَرفِقُهُ): يَسأَلُهُ الرِّفْقَ. (وَالمُتَأَلِّي): الحَالِفُ.

❁ الشَّرح ❁

هذه الآيات الكريمات والأحاديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام كلها تتعلق بشرعية الإصلاح بين الناس، والحرص على إزالة النزاع وأسباب الشحناء بين الإخوان، يقول الله جلَّ وعلا في كتابه الكريم: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]. فنجوى الناس وكلامهم لا خير في كثير منه إلا إذا كان في هذا الأمر، إذا كان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح بين الناس، في الدعوة إلى الخير، هذا هو الذي ينفعه، ومن ذلك الأمر بالصدقة؛ ولهذا قال جلَّ وعلا: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب هل يشير الإمام بالصلح برقم (٢٧٠٥)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب استحباب الوضع من الدين برقم (١٥٥٧).

الأمر بالصدقة والأمر بالمعروف، قد دعا إلى خير، قد أرشد إلى خير، وهكذا من أمر بالإصلاح بين الناس، أو سعى في الإصلاح بين الناس، فقد أرشد إلى الخير، فينبغي للمؤمن وهكذا المؤمنة ينبغي للجميع أن تكون أوقاتهما محفوظة مصونة عما يضرهما، وعما يضر غيرهما، ولا سيما هذا اللسان خطره عظيم، هذا اللسان خطره عظيم، الواجب أن يحذر منه وأن يصان وأن يكون الكلام فيما ينفعك في دينك ودنياك ولا يضرك، وهكذا قوله جلَّ وعلا: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨] وقوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١] قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

كل هذا فيه الحث على الإصلاح بين الإخوان، والأسر وجماعة المسلمين؛ لأن الصلح يجمع القلوب ويحصل به التعاون على الخير، وتزول معه الوحشة والشحناء، أما الحكم والإلزام فقد يحصل به وحشة بين الناس، وقد يزعم أنه مظلوم وأن هذا ظلمه فتحصل بذلك وحشة بين الناس، لكن متى صلحوا وتسامحوا فيما بينهم ويسر الله لهم من يتوسط في الإصلاح صار هذا أقرب إلى السلامة، وإلى أُلفة القلوب، وإلى السلامة من الشحناء.

ومن هذا قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «**كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيهِ صَدَقَةٌ**»؛ يعني: كل مفصل من المفاصل لابن آدم عليه صدقة بأن يطلب منه أن يتصدق على هذا المفصل شكراً لله على نعمته ﷻ، وأنه ينبغي للمؤمن أن يكثر الصدقات ويعمل المعروف، شكراً لله على ما أعطاه من نعمة المفاصل التي يتصرف بها، يقوم ويجلس ويتمدد.

تقول عائشة رضي الله عنها عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**إن الله خلق ابن آدم على ثلاثمائة وستين مفصلاً فمن حمد الله وسبح الله وهلل الله واستغفر الله وأمر بالمعروف ونهى عن منكر، وأزاح حجراً على الطريق أو**

شوكة أو عظماً بقدر هذه المفاصل أصبح أو أمسى وقد زحزح نفسه عن النار»[١]، فالمؤمن يجتهد في شكر الله على ما أنعم به عليه ولهذا يقول ﷺ: «**كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ قَالَ تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ**»؛ يعني: تصلح بينهما هذه صدقة، «**وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ**»، مثل الدابة السيارة تعين على تحميل سيارته على التنزيل منها، على إصلاحها على غير ذلك، والكلمة الطيبة صدقةٌ، قلت: يا أخي اتق الله اذكر الله كيف حالك كيف أنت، عافاك الله، كلمة طيبة تكون صدقة، وقال عليه الصلاة والسلام: «**كل معروف صدقة**» وهكذا تميط الأذى عن الطريق صدقة، تؤديها عما أنعم الله به عليك، خطواتك إلى الصلاة، أو إلى عيادة المرضى، أو إلى أمر شرعه الله صدقة، فاحتسب ذلك واجعل هذا على بالك، حتى تكتسب أنواعاً من الخيرات، وأنواعاً من الحسنات، في ذهابك من بيتك ورجوعك إليه، في ذهابك إلى المسجد ورجوعك منه، إلى غير هذا مما تذهب إليه.

فالمؤمن هكذا يكون حريصاً على حفظ وقته، وعلى عمارته بالخيرات والحسنات، والأعمال الصالحات أينما كان. كذلك حديث عائشة رضي الله عنها: **سَمِعَ رسولُ الله ﷺ صَوْتَ خُصُومٍ بِالبَابِ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ**. ويقول له: سامحني كذا وكذا **وَهُوَ يَقُولُ: والله لا أَفْعَلُ، فَخَرجَ عَلَيْهِمَا رسولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ**: «**أَيْنَ المُتَأَلِّي عَلَى اللهِ لَا يَفْعَلُ المَعْرُوفَ؟**».

مقصوده عليه الصلاة والسلام الحث على فعل الخير، وأن يكون المؤمن ليناً مع أخيه في الخصومة، ليناً حتى يتسامح مع أخيه، ويستمع لأخيه وتزول الشحناء، فقال الرجل: أنا يا رسول الله، وله كذا وكذا أيَّ ذلك أراد، فأصلح بينهم، عليه الصلاة والسلام وأزال الله به تلك النعرة

---

(١) سبق تخريجه في الحديث رقم (١٢٢).

والوحشة التي بينهما، هكذا يكون المؤمن حريصاً على الإصلاح بين إخوانه بالكلام الطيب والأسلوب الحسن.

كذلك حديث أمِّ كُلْثُوم بنت عُقْبَة بن أَبي مُعَيط تقول ﵂، قَالَتْ: إنها سمِعت النبي ﷺ، يَقُولُ: «**لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيراً، أَوْ يقُولُ خَيْراً**» لا يسمى هذا كذاباً، بل هذا مصلح يتوسط بين الناس يصلح بينهم فيقول خيراً وينمي خيراً، هذا يعتبر مجاهداً يعتبر نافعاً للعباد، يأتي هؤلاء ويقول لهم خيراً ويأتي هؤلاء فيقول لهم خيراً، وينقل عن هؤلاء خيراً وعن هؤلاء خيراً، حتى يصطلحوا لا يسمى كذاباً.

قبيلتين أو أُسرتين بينهما نزاع فتوسط بينهما فجاء الأسرة الأولى وقال لها كذا وكذا، إخوانكم يحبون لكم الخير، يثنون عليكم عندهم رغبة في الإصلاح، ثم يذهب للآخر ويقول لهم كذلك إخوانكم يثنون عليكم ويدعون لكم، رغبوا في الإصلاح حتى يصلح بينهم ولو ما وصوه، لكن لأجل التقريب؛ تقريب الوجوه تقريب القلوب، ثم يصلح بينهم على أساسها لا يسمى كذاباً هذا مصلح؛ لأنه أتى بشيء لا يضرهم بل ينفعهم ولا يضر أحداً غيرهم، بل نقل عن هؤلاء كلاماً طيباً، ونقل عن هؤلاء كلاماً طيباً، حتى لانت القلوب وتقاربت واصطلحوا، قالت ﵂: «**وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخَّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: الحَرْبُ وَالإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ المَرْأَةِ زَوْجَهَا**».

هذه الثلاث أباح فيها الكذب عليه الصلاة والسلام للمصلحة، الحرب قد يكذب في الحرب كذباً ليس فيه نقض العهد وليس فيه خيانة ولا غدر، لكن فيه مصلحة للمسلمين حتى يتمكن من جهاد العدو فيقول مثلاً إذا رأوا المصلحة يقول للجنود متوجهون غداً إلى كذا وكذا إنا قافلون اليوم حتى ينظر ماذا عند العدو لعلَّه يخرج إن كان متحصناً، لعله يقبل الصلح إلى غير ذلك، وربما قال مثلاً: ارحلوا حتى يتظاهر القوم

أنهم راحلون حتى ينظر ما ذا عند العدو، قد يقول نحن متوجهون إلى جهة الشمال ولكنه ينوي الجنوب، تظاهر أنه قال: نتوجه إلى جهة الشمال حتى يبغت العدو حتى يهجم عليه على غرة، فالحرب خدعة، فالكذب الذي يباح في الحرب ما لم يتضمن نقض عهد ولا غدراً، ولكن شيء يتضمن المصلحة، فيه مصلحة للمسلمين وتمكينهم من جهة عدوهم والهجوم عليه على غرة، إذا كان قد دُعي ونبه وطلب منه الخير فأبى، وهكذا ما يتعلق بالإصلاح بين الناس كما تقدم، إخوان أو قبيلتان أو أسرتان بينهما شيء فيتوسط بينهما إنسان وينقل كلاماً طيباً ما قال فلان ولا وصوه به، لكن هو الذي قال الكلام الطيب ليصلح بينهم من هذا إلى هذا حتى تقاربت القلوب ولانت وقبلوا الصلح.

هكذا المسألة الثالثة ما بين الزوجين قد يكون بين الزوجين نزاع، فإذا كذب عليها أو كذبت عليه إذا تعلق بهما زال النزاع وصفت القلوب، وهذا يتعلق بهما، كذب يختص بهما، فيقول لها مثلاً: أنا سوف أعمل كذا، سوف أشتري فلة مناسبة إذا كانت تطلب فلة سوف أنتقل إلى شقة مناسبة ولو كان ما عزم على هذا، لكن لقطع النزاع سوف أشتري لك كذا وكذا، أمهليني وأنا أشتري كذا وأشتري كذا وأشتري كذا وأبشري بالخير، حتى تهدأ، أو تقول له كذلك إذا رأت منه شدة، أنا سأخرج من بيتي، ولا أذهب إلى كذا وسوف أفعل كذا، وسوف أنفذ ما قلت وسوف وسوف، وإن كان في نفسها أنها لا تنفذ بعض الشيء، لكن لأجل كسب رضاه وإزالة الشحناء، هذا جائز بين الزوجين ولو كذبا في شيء من ذلك كذباً يخصهما، ولا يضرُّ أحداً غيرهما، بل كذباً فيما بينهما وفيهما يخصهما هذا من باب الإصلاح بينهما، فكم من كذبةٍ على الزوجة أو كذبةٍ من الزوجة على الزوج أصلح الله به الحال دهراً طويلاً.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

***

٢٥١ ـ وعن أَبي العباس سهل بن سَعد الساعِدِيّ ﷺ: أَنَّ رَسُول الله ﷺ بَلَغَهُ أَنَّ بَني عَمرو بن عَوْفٍ كَانَ بَيْنَهُمْ شَرٌّ، فَخَرَجَ رسولُ الله ﷺ يُصْلِحُ بَينَهُمْ في أُنَاس مَعَهُ، فَحُبِسَ رَسُول الله ﷺ وَحَانَتِ الصَّلاة، فَجَاءَ بِلالٌ إِلَى أَبي بكر ﷺ، فَقَالَ: يَا أَبا بَكْر، إنَّ رَسُول الله ﷺ قَدْ حُبِسَ وَحَانَتِ الصَّلاةُ فَهَلْ لَكَ أَنْ تَؤُمَّ النَّاس؟ قَالَ: نَعَمْ، إنْ شِئْتَ، فَأَقَامَ بِلالٌ الصَّلاةَ، وتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَكَبَّرَ وَكَبَّرَ النَّاسُ، وَجَاءَ رَسُول الله ﷺ يَمشي في الصُّفُوفِ حَتَّى قَامَ في الصَّفِّ، فَأَخَذَ النَّاسُ في التَّصْفيقِ، وَكَانَ أَبُو بكرٍ ﷺ لا يَلْتَفِتُ في الصَّلاةِ، فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ في التَّصْفيقِ التَفَتَ، فإِذَا رَسُول الله ﷺ، فَأَشَارَ إِلَيْه رسولُ الله ﷺ فَرَفَعَ أَبُو بَكْر ﷺ يَدَهُ فَحَمِدَ اللهَ، وَرَجَعَ القَهْقَرَى وَرَاءهُ حَتَّى قَامَ في الصَّفِّ، فَتَقَدَّمَ رَسُول الله ﷺ، فَصَلَّى للنَّاسِ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، مَا لَكُمْ حِينَ نَابَكُمْ شَيْءٌ في الصَّلاةِ أَخَذْتُمْ في التَّصفيق؟! إِنَّمَا التَّصفيق للنِّساء. مَنْ نَابَهُ شَيْءٌ في صَلاتِهِ فَلْيَقُلْ: سُبْحَانَ الله، فَإِنَّهُ لا يَسْمَعُهُ أحدٌ حِينَ يقُولُ: سُبْحَانَ الله، إلَّا التَفَتَ. يَا أَبَا بَكْر: مَا مَنَعَكَ أَنْ تصَلِّي بالنَّاسِ حِينَ أَشَرْتُ إِلَيْكَ؟»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا كَانَ يَنْبَغي لابْنِ أَبي قُحَافَةَ أَنْ يُصَلِّي بالنَّاسِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُول الله ﷺ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

□ معنى: (حُبِسَ): أَمْسَكُوهُ لِيُضِيفُوهُ.

الشَّرح

هذا الحديث الجليل عن رسول الله عليه الصلاة والسلام من طريق سهل بن سعد الأنصاري يدل على فضل الإصلاح بين الناس، وأن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العمل في الصلاة، باب ما يجوز من التسبيح والحمد في الصلاة للرجال برقم (١٢٠١)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب تقديم الجماعة من يصلي بهم إذا تأخر الإمام ولم يخافوا مفسدة بالتقديم برقم (٤٢١).

الرسول عليه الصلاة والسلام كان يعتني بذلك ويصلح بين الناس وما يقع بين أصحابه مما يوجب النزاع والفرقة، وتقدم ما جاء في الأحاديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام في ذلك، وأنه كان عليه الصلاة والسلام يقول: **«لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيراً، أَوْ يقُولُ خَيْراً»**، تقدم قوله ﷺ: **«كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيهِ صَدَقَةٌ تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ»**؛ يعني: تصلح بينهما قوله ﷺ: **«الصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ المُسْلِمِينَ إِلَّا صُلْحاً حَرَّمَ حَلَالاً أَوْ أَحَلَّ حَرَاماً»**[1].

فالإصلاح بين الناس له شأن عظيم، وتقدم أنه لما سمع رجلين يتنازعان ويحلف أحدهما ألا يفعل خيراً، خرج إليهم عليه الصلاة والسلام ووعظهم وذكرهم، وقال: **«أَيْنَ المُتَأَلِّي عَلَى اللهِ لَا يَفْعَلُ المَعْرُوفَ؟»** ثم أصلح بينهما عليه الصلاة والسلام.

وفي **هذا الحديث**، حديث سهل رضي الله عنه أنه ﷺ سمع أن بين بني عمرو بن عوف نزاعاً وإشكالاً وهم سكان قباء جهة قُباء خرج إليهم عليه الصلاة والسلام مع جماعة من أصحابه رضي الله عنهم للإصلاح بينهم، وهذا يدلُّ على شرعية الإصلاح بين الناس، وأن ولي الأمر يتولى ذلك في الأمور المهمة. الملك ورئيس الجمهورية والكبار من الناس والعلماء يتولون هذه الأمور، إذا كانت المسألة كبيرة ينبغي لولاة الأمور أن يتولوها وألّا يحقروها، فإن الرسول ﷺ تولى ذلك بنفسه، خرج بنفسه إلى بني عمرو ابن عوف ليصلح بينهم ومعه جماعة من أصحابه رضي الله عنهم، فالناس بعده أولى

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة، في كتاب الأقضية، باب في الصلح برقم (٣٥٩٤)، وعند الترمذي وابن ماجه من حديث كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده الترمذي في كتاب الأحكام عن رسول ﷺ، باب ما ذكر عن رسول الله ﷺ في الصلح بين الناس برقم (١٣٥٢)، وابن ماجه في كتاب الأحكام، باب الصلح برقم (٢٣٥٣)..

وأولى بأن يفعلوا تأسياً به، عليه الصلاة والسلام في الإصلاح بين الناس والسعي بالخير بينهم حتى تسود المودة والوئام والمحبة وحتى تزول أسباب الشحناء والفُرقة.

فلما حضرت الصلاة ولم يحضر النبي ﷺ توجه بلال إلى أبي بكر الصديق ﷺ وبلال هو المؤذن وهو من الحبشة ومن خيرة الصحابة رضي الله عنه وأرضاه، ومن العُتقاء من أبي بكر الصديق اشتراه الصديق من بعض أهل مكة، وكان يُعذب في الإسلام فاشتراه الصديق وأعتقه وخلصه من شرهم، وكان من خيرة الصحابة رضي الله عنه وأرضاه، ثم تولى الأذان في المدينة رضي الله عنه وأرضاه فقال: يا أبا بكر ألك أن تُصلي بالناس لأن الرسول قد حُبِسَ؛ يعني: قد تأخر وكان الأنصار حبسوه على طعام، صنعوا طعاماً ولزموا عليه أن يأكل طعامهم رضي الله عنهم وأرضاهم، فانحبس من أجل الطعام من أجل مجاملتهم وتقدير وليمتهم وإكرامهم، فقال الصديق: نعم إن شئت، فأقام بلالٌ وتقدم الصديق رضي الله عنه وأرضاه يصلي بالناس وكبر وكبر الناس، وفي أثناء ذلك جاء النبي عليه الصلاة والسلام وهم في الركعة الأولى فشق الصفوف وتقدم عليه الصلاة والسلام، فلما رآه الناس أكثروا التصفيق وكان الصديق لا يلتفت في صلاته، بل يُقبل عليها ويخشع فيها رضي الله عنه وأرضاه؛ لأن الالتفات مكروه في الصلاة ونقص في الصلاة إلا من حاجة كما قال عليه الصلاة والسلام لما سئل عن الالتفات قال: «**هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ**»(١)؛ يعني: نقص، فلا ينبغي ولا يجوز إلا لحاجة، فإذا جاءت الحاجة فلا بأس وإلا كُره، فلما سمع الصديق تصفيقهم التفت فرأى

(١) يأتي تخريجه في الحديث رقم (١٧٥٥) ج٤.

النبي عليه الصلاة والسلام قد شق الصفوف وأتى، فأشار إليه النبي ﷺ أن مكانك؛ يعني: صل بالناس استقم استمر في الصلاة، فرفع الصديق يديه وحمد الله ثم تأخر القهقرى، حمد الله أن الرسول ما غضب عليه وأنه أقره على عمله ثم تأخر القهقرى؛ يعني: على قفاه حتى وصل الصف ووجهه إلى القبلة، ثم تقدم النبي ﷺ وصلَّى بالناس عليه الصلاة والسلام وكمل بهم الصلاة، فلما سلم أقبل على الناس عليه الصلاة والسلام وقال: «**مَا لَكُمْ حِينَ نَابَكُمْ شَيْءٌ فِي الصَّلَاةِ أَخَذْتُمْ فِي التَّصْفِيقِ إِنَّمَا التَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ**»، ليس للرجال التصفيق ما ينبغي للرجال التصفيق، «**مَنْ نَابَهُ شَيْءٌ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَقُلْ سُبْحَانَ اللهِ**»، في اللفظ الآخر فليسبح الرجال ويصفق النساء(١).

فإذا حدث أمر يجب التنبيه أو سها الإمام يقال سبحان الله، سبحان الله، حتى ينتبه الإمام وحتى ينتبه للأمر الذي يراد، المرأة تصفق لا بأس عند التنبيه، ثم أقبل على الصديق وقال له: «**ما لك يا أبا بكر لما أشرتُ إليك ما لك لم تستمر في الصلاة بالناس**» فقال الصديق رضي الله عنه: (ما كان لابن أبي قحافة؛ يعني: نفسه أن يتقدم بين يدي رسول الله ﷺ فيصلي بالناس)؛ يعني: ما ينبغي أن أكون إماماً وأنت موجود، وهذا من تأدبه رضي الله عنه ومعرفته الكاملة بحق نبيه عليه الصلاة والسلام وعمله بما هو أفضل وأولى إذ يتقدم النبي ﷺ ولو صلى بالناس لما كان في حرج؛ لأنه أذن له عليه الصلاة والسلام.

ولهذا في قصة أُخرى في غزوة تبوك تأخر النبي ﷺ ذات يوم عن صلاة الصبح يقضي حاجته، فلما تأخر قدم الناس عبد الرحمٰن بن عوف الزهري أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، فصلى بالناس صلاة الفجر،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب من دخل ليؤم الناس فجاء الإمام الأول برقم (٦٨٤).

فجاء النبي ﷺ وقد صلَّى عبد الرحمٰن ركعة فأراد أن يتأخر فأشار له النبي ﷺ أن مكانك، فكمَّل عبد الرحمٰن؛ لأنه قد صلى ركعة فكمل عبد الرحمٰن بالناس وصف النبي ﷺ وراءه مع المغيرة مع الناس في الصفوف، فلما سلم عبد الرحمٰن قام النبي ﷺ والمغيرة فقضيا الركعة التي فاتتهما. فدل ذلك على أنه لو أن الصديق استمر فلا بأس لكن الصديق لما رأى النبي ﷺ تقدم وشق الصفوف حتى أتى الصف الأول، شعر بأنه يريد أن يتقدم عليه الصلاة والسلام وشعر أنه لا يليق به أن يتقدم؛ فلهذا تأخر رضي الله عنه وأرضاه، وقبل أن يتأخر ولم يعمل بالإشارة التي أشار بها النبي ﷺ لأنه رأى أنه غير لازمة، وأن الأولى به أن يتأخر ويتقدم النبي عليه الصلاة والسلام؛ ولهذا لم يُنكر عليه النبي ﷺ بل سأله عن الأسباب فبين الصديق الأسباب رضي الله عنه وأرضاه.

وفيه من الفوائد جواز الالتفات عند الحاجة إذا أشكل على المأموم حركة الإمام أو ما سمع الصوت يلتفت حتى ينظر ما الناس عليه هم راكعون هم ساجدون هم قائمون حتى يعمل بما يقتضيه الأمر، فالالتفات عند الحاجة لا بأس إلى طرف الصف، أو في أثناء الصف فلم يسمع الصوت، والتفت برأسه ينظر حتى يتابع الإمام فلا حرج في ذلك.

وفيه من الفوائد أنه لا يجوز التصفيق للرجال لا ينبغي لهم، إنما التصفيق للنساء، الرجل يُسبِّح ويتكلم إذا كان في غير الصلاة ولا يصفق وفي الصلاة يسبح سبحان الله سبحان الله، والمرأة لا بأس أن تصفق؛ لأن تصفيقها أولى من كلامها.

وفيه من الفوائد شرعية الإصلاح بين الناس وهذا هو المقصود، يشرع الإصلاح بين الناس، وأن يتولى هذا الكبار والرؤساء والأعيان؛ لأنهم هم الذين يؤثرون على الناس ويقبلُ الناس إصلاحهم ويتأثرون بهم، فإذا دخل في الموضوع، موضوع النزاع الكبراء والعلماء والرؤساء صار هذا أنجح وأقرب إلى حصول المطلوب، بخلاف لو تدخل في ذلك

من لا يحترمونه ولا يرون له قيمة، فإنه لا يؤثر عليه في الغالب ولا يحصل به المقصود.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.



٣٢ - بَابُ فضل ضعفة المسلمين والفقراء والخاملين

قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨].

٢٥٢ - **وعن** حارثة بن وهْب رضي الله عنه، قَالَ: سمعت رَسُول الله ﷺ، يقولُ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيف مُتَضَعَّف، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ» مُتَفَقٌ عَلَيهِ[1].

□ (العُتُلُّ): الغَلِيظُ الجَافِي. (وَالجَوَّاظُ): بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء المعجمة: وَهُوَ الجَمُوعُ المَنُوعُ، وَقِيلَ: الضَّخْمُ المُخْتَالُ في مِشْيَتِهِ، وَقِيلَ: القَصِيرُ البَطِينُ.

٢٥٣ - **وعن** أبي عباس سهل بن سعد الساعِدِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى النَّبيِّ ﷺ، فَقَالَ لرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟»، فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا واللهِ حَرِيٌّ إنْ خَطَبَ أنْ يُنْكَحَ، وَإنْ شَفَعَ أنْ يُشَفَّعَ. فَسَكَتَ رسولُ الله ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ لَهُ رسولُ الله ﷺ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ المُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إنْ خَطَبَ ألّا يُنْكَحَ، وَإنْ شَفَعَ ألّا يُشَفَّعَ، وَإنْ قَالَ ألّا يُسْمَعَ لِقَولِهِ. فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الأرْضِ مِثْلَ هَذَا» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

---

(١) البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣] برقم (٤٩١٨)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٥٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين برقم (٥٠٩١)، وابن ماجه =

□ قوله: (حَرِيٌّ): هُوَ بفتح الحاءِ وكسر الراء وتشديد الياءِ؛ أي: حَقيقٌ. وقوله: (شَفَعَ): بفتح الفاءِ.

٢٥٤ ـ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «احْتَجَّتِ الجَنَّةُ والنَّارُ، فقالتِ النَّارُ: فِيَّ الجَبَّارُونَ وَالمُتَكَبِّرُونَ. وَقَالتِ الجَنَّةُ: فِيَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَمَسَاكِينُهُمْ، فَقَضَى اللهُ بَيْنَهُمَا: إنَّكِ الجَنَّةُ رَحْمَتِي أرْحَمُ بِكِ مَنْ أشَاءُ، وَإنَّكِ النَّارُ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أشَاءُ، وَلِكلَيْكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا» رواه مسلم[1].

الشَرح

هذه الآية الكريمة مع ما في معناها من الآيات والأحاديث في فضل الفقراء والمساكين الذين حرموا هذه الدنيا وزهرتها، ولكنهم وفقوا بالإيمان والعمل الصالح والاستقامة، ولم يُرزقوا الأموال التي بها يكونون من جملة الأغنياء وأن لهم فضلاً عظيماً، وأنه لا ينبغي احتقارهم ولا ازدراؤهم ولا البعد عن مجالستهم إذا استقاموا على دين الله، فإن الفقر لا يضرهم وإنما يضرهم عدولهم عن طاعة الله وركوبهم محارم الله، فالفقر لا يضر العبد في الدنيا ولا في الآخرة عند الله عز وجل وإنما يضره الخلاف عن طاعة الله وركوبهم لمحارم الله وتكبره عن طاعة الله، ولهذا قال عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾؛ يعني: احبس نفسك ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] فأمر الله نبيّه عليه الصلاة والسلام أن يجالس الفقراء

= في كتاب الزهد، باب فضل الفقر برقم (٤١٢٠)، ولم يخرجه الإمام مسلم رحمه الله.

(١) أخرجه في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٤٦).

والمحاويج وألّا يترفع عنهم وألّا يزدريهم من أجل الدنيا وزينتها فكم من فقير خير عند الله من مِلْء الأرض من أغنياء انحرفوا عن طاعة الله وعن الحق.

ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح لما سُئل عن أهل النار والجنة، في أهل النار قال: «**كُلُّ عُتُلٍّ جَوّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**» وفي أهل الجنة «**كُلُّ ضَعِيف مُتَضَعَّف، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ**»، بيَّن عليه الصلاة والسلام أن أصحاب الجنة من الفقراء والمساكين أكثر؛ ولهذا قال: «**كُلُّ ضَعِيف مُتَضَعَّف، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ**».

والذي يغمط الناس ويحتقرهم ولا يوافق الحق إذا خالف هواه فالكبر غمط الناس ورد الحق، فأهل الكبر هم الذين يغمطون الناس ويحتقرونهم ويردون الحق إذا خالف أهواءهم، أما الفقراء والمساكين المطيعون لله فإنه لا يضرهم فقرهم وعدم مالهم عند الله ﷻ؛ بل هم في منزلة عظيمة عند الله وإن قلَّ مالهم وإن كانوا فقراء، والله يعطي المال من يحب ومن لا يحب ﷻ ولكنه لا يعطي الدين والإيمان والتقوى إلا من أحب، ومن أعطاه الله الدين ووفقه للدين فقد أحبه.

فلا ينبغي للعاقل أن يحزن ويألم عندما تفوته الدنيا ويحسب من الفقراء فلعل ذلك خير له لعل ذلك ليحظى بالسعادة وأسباب النجاة، وكذلك إذا بُلي بالغنى والمال فليحذر أن يطغى وأن يبغي وأن يغترَّ بالمال فيهلك، هكذا أكثر الناس يطغون عند المال، ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧] فلا يدُب على أهل المال الطغيان والتكبر والاستعانة بالأموال على طاعة الشيطان، فليحذر الإنسان من ذلك وليكن ماله عوناً له على طاعة الله ولا يزدري الفقير بل يعطيه حقه، من زكاة وغيرها، ويعرف له فضله ويعرف له قدره ويحترمه ولا يحتقره ويزدريه من أجل قلّة ماله.

وهذه أمور يختلف فيها الناس، من الناس من يوفق ويعرف لإخوانه حقهم وإن كانوا فقراء ومساكين، اقتداءاً بالنبي عليه الصلاة والسلام، ومنهم من يحتقرهم ولا يرى لهم قيمة؛ لأنه فقد المال ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذه من المصائب الكبيرة التي ينبغي للمؤمن أن يحذرها وألا يبتلى بها مع إخوانه الفقراء، بل يعرف لهم قدرهم وحقهم ويعطيهم ما أنكره من حقهم من زكاة وغيرها، ويسأل ربه التوفيق والهداية، وإذا أعطاه الله مالاً فليستعن به على طاعته وليؤد حقوقه، هكذا المؤمن هكذا المتقي لله ﷻ.

وفي الحديث الثاني: يقول ﷺ: «احْتَجَّتِ الجَنَّةُ والنَّارُ، فقالتِ النَّارُ: فِيَّ الجَبَّارُونَ وَالمُتَكَبِّرُونَ. وَقَالتِ الجَنَّةُ: فِيَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَمَسَاكِينُهُمْ، فَقَضَى اللهُ بَيْنَهُمَا: إنَّكِ الجَنَّةُ رَحْمَتِي أرْحَمُ بِكِ مَنْ أشَاءُ، وقال للنار: وَإنَّكِ النَّارُ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أشَاءُ، وَلِكلَيْكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا» كل واحد لها مِلْؤُهَا، فينبغي للمؤمن أن يحرص أن يكون من أهل الجنة ومن أهل الاستقامة، من أهل طاعة الله ﷻ، وفي رواية من هذا الحديث أن الجنة لا تمتلئ فينشئ الله لها أقواماً فيدخلهم الجنة ﷻ بفضل رحمته جلَّ وعلا، فعليك يا عبد الله أن تحذر أسباب النار، وأن تحذر معاصي ربك جلَّ وعلا، وأن تجتهد في طاعته ﷻ، فإن الجنة دار المتقين دار المؤمنين وإن كانوا فقراء وإن كانوا مساكين، والنار دار الجبارين والمتكبرين والكافرين وإن كانوا أغنياء وإن كانوا من أشراف الناس.

وفي الحديث الثالث: أن رجلاً مرَّ على النبي ﷺ من أشراف الناس، لكنه ليس بذاك في دينه، فقال لبعض جلسائه: ما تقولون في هذا؟ قالوا: (هذا رَجُلٌ مِنْ أشْرَافِ النَّاسِ؛ يعني: معروف في الناس

بنسبه ونحوه، **هَذَا واللهِ حَرِيٌّ إنْ خَطَبَ أنْ يُنْكَحَ، وَإنْ شَفَعَ أنْ يُشَفَّعَ، وإن قال يسمع لقوله)**؛ يعني: معروف بين الناس شريف بين الناس في دنياه إما لنسبه وإما لماله وإما بكل منهما، **(فَسَكَتَ رسولُ الله ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ**، من فقراء المسلمين **فَقَالَ: «مَا رَأْيُكَ في هَذَا؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَراءِ المُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إنْ خَطَبَ ألّا يُنْكَحَ**، لفقره **وَإنْ شَفَعَ ألّا يُشَفَّعَ** لفقره، **وَإنْ قَالَ ألّا يُسْمَعَ لِقَولِهِ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «هَذَا»** هذا يعني الأخير **«خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الأرْضِ مِثْلَ هَذَا»)** من ذاك الأول الذي هو عند الناس شريف؛ لأن الأول قد انحرف عن طاعة الله ولم يستقم وغرَّه ماله أو شرفه أو نحو ذلك، والثاني فقير لكن مستقيم استقام على أمر الله فلم يضره فقره، إذا استقام على أمر ربه جلَّ وعلا فالمال والأنساب والوجاهة عند الناس والوظائف ليست تُقدِّم عند الله ولا تقرب لديه إلا من استعملها في طاعته، من استعمل ماله وشرفه وجاهه ووظيفته في طاعة الله، والنفع لعباد الله نفعه ذلك، أما من استعملها في معاصي الله والتكبر على عباد الله، فإن ذلك يضره ولا ينفعه.

رزَق الله الجميع التوفيق والهداية.

❋ ❋ ❋

٢٥٥ ـ وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: **«إنَّهُ لَيَأتِي الرَّجُلُ السَّمِينُ العَظِيمُ يَوْمَ القِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَناحَ بَعُوضَةٍ»** مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [الكهف: ١٠٥] برقم (٤٧٢٩)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، برقم (٢٧٨٥).

٢٥٦ ـ **وعنه**: أنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ المَسْجِدَ، أَوْ شَابّاً، فَفَقَدَهَا، أَوْ فَقَدَهُ رسولُ الله ﷺ، فَسَأَلَ عَنْهَا، أو عنه، فقالوا: مَاتَ. قَالَ: «أَفَلا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي» فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا، أَوْ أَمْرَهُ، فَقَالَ: «دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ» فَدَلُّوهُ فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: إنَّ هذِهِ القُبُورَ مَمْلُوءةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإنَّ اللهَ تعالى يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلاتِي عَلَيْهِمْ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(١).

□ قوله: (تَقُمُّ): هُوَ بفتح التاءِ وضم القاف؛ أي: تَكْنُسُ. (وَالقُمَامَةُ): الكُنَاسَةُ، (وَآذَنْتُمُونِي): بِمد الهمزة؛ أيْ: أعْلَمْتُمُونِي.

٢٥٧ ـ **وعنه**، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «رُبَّ أَشْعَثَ أغبرَ مَدْفُوعٍ بالأبْوابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ» رواه مسلم(٢).

٢٥٨ ـ **وعن** أسامة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «قُمْتُ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ. وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(٣).

□ (وَالجَدُّ): بفتح الجيم: الحَظُّ وَالغِنَى. وَقوله: (مَحْبُوسُونَ)؛ أيْ: لَمْ يُؤْذَنْ لَهُمْ بَعْدُ في دُخُولِ الجَنَّةِ.

الشَرح

ففي هذه الأحاديث بيان أن الاعتبار بالأعمال الصالحات

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب كنس المسجد والتقاط الخرق والقذى والعيدان برقم (٤٥٨)، ومسلم في كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر برقم (٩٥٦).

(٢) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب فضل الضعفاء والخاملين برقم (٢٦٢٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب منه برقم (٥١٩٦)، ومسلم في كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء برقم (٢٧٣٦).

والتقوَّى لله في دخول الجنة والنجاة من النار، وليس الاعتبار بالأموال ولا بالأنساب ولا بالجاه والوظائف لا، إنما الاعتبار والمنزلة عند الله والتقرب إليه إنما يكون بالأعمال الصالحة بالتقوى لله جل وعلا كما قال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، فأكرم الناس عند الله أتقاهم له وأقومهم بحقه وأبعدهم عن محارمه وإن كان مولى عتيقاً أو مملوكاً، وأبعدهم من الله من كفر به وتعدَّى حدوده وإن كان من أولاد الأنبياء.

والواجب على المؤمن والواجب على العاقل أن يعتني بأمر الله وألّا يغتر بماله وجاهه، فليس له قيمة عند الله، وإنما ينفعه ذلك إذا استعان بماله وجاهه في طاعة الله وما يقرب لديه، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧] فأوضح أن أموالهم وأولادهم ليست تقربهم عند الله، وإنما يقربهم عند الله إيمانهم وعملهم الصالح.

وفي هذا الحديث يقول عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّهُ لَيَأتِي الرَّجُلُ السَّمِينُ العَظِيمُ يَوْمَ القِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَناحَ بَعُوضَةٍ**» لأن القيمة ليست في الجسم وإنما القيمة بالعمل؛ ولهذا قال: «**إِنَّهُ لَيَأتِي الرَّجُلُ السَّمِينُ العَظِيمُ يَوْمَ القِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**» لأن هذا الجسم لا قيمة له إن لم يستعمل في طاعة الله والتقرب لديه؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٥] ليس لهم قيمة لإعراضهم عن الله واستكبارهم عن طاعته وارتكابهم محارمه، أعوذ بالله.

في **الحديث الثاني**: يقول ﷺ: «**رُبَّ أَشْعَثَ أغبرَ مَدْفُوعٍ بالأَبْوابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ**» ربَّ رجل فقير ضعيف مدفوعٍ بالأبوابً لا مبالاة به، ولكنه عند الله عظيم لكمال تقواه وإيمانه واستقامته على دين الله.

وفي **الحديث الآخر**: يقول عليه الصلاة والسلام: «**قُمْتُ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ**» يعني: أهل المال محبوسون للحساب والقضاء بينهم، «**غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ**» فدل ذلك على أن المساكين أقل حساباً وأسرع دخولاً إلى الجنة، بسبب قلة حسابهم وقلة مسؤولياتهم.

فلا ينبغي للعاقل أن يحزن عندما يصيبه الفقر والحاجة وليأخذ بالأسباب ويتقي الله ويجتهد في طلب الرزق، ولكن لا يحزن، فربما كان خيراً له، فقد يكون الفقر خيراً له من الغنى، وقد يكون الغنى لبعض الناس خيراً له من الفقر؛ فلهذا يُروى عن الله ﷻ أنه قال: «**إن من عبادي من لا يصلح له إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح له إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك**»[(١)]، فالعبد بين يدي الله ﷻ يصرفه كما يشاء ﷻ فقد تكون الحاجة والمسكنة أصلح في حقه، وقد يكون الغنى أصلح في حقه، فلا ينبغي للعبد أن يحزن وليصبر على ما أصابه ويأخذ بالأسباب في طلب الرزق وطلب الغنى، ولكنه لا يحزن عندما تصيبه الفاقة من الحاجة، فربما كان خيراً له.

وهكذا حديث أسامة أنه رأى النار فرأى عامة أهلها النساء، وتقدم قوله ﷺ إن الجنة قالت: فيَّ فقراء الناس ومساكينهم، وإن النار قالت: فيَّ الجبارون والمتكبرون، فقال للجنة: «**أنت رحمتي أرحم به من أشاء**» **وقال للنار**: «**أنت عذابي أُعذب بك من أشاء**»، تقدم قوله ﷺ أنه قال للنساء: «**يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار فإني رأيتكن أكثر**

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات من حديث أنس بن مالك (١/ ٣٠٧).

أهل النار» قالت امرأة: لم يا رسول الله؟ قال: «**لأنكن تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ**»[(١)] يعني: تُكثرنَّ السب والشتم والكلام السيئ وتكفُرنَّ العشير؛ يعني: يكفرن إحسان الزوج عند أقل إساءة، فإذا رأت منه شيئاً مما يغضبها قالت: ما رأيت منك خيراً قط، ونسيت ما تقدم إلا من عصم الله، إلا من رحم الله.

المقصود من هذا أنه ينبغي للمؤمن أن يجتهد في العمل الصالح وألا يغتر بمال أو نسب أو غير ذلك، وكذلك ينبغي له ألّا يحتقر الفقير ويعرف أن الفقير له حقه وله منزلته، وكان النبي ﷺ يحترم الفقراء ويعرف لهم قدرهم ويواسيهم ويحسن إليهم، فينبغي للمؤمن أن يعترف بحق الفقراء ومنزلتهم وألّا يحتقرهم لفقرهم وقلة مالهم، فكم من فقير عند الله أحسن من آلاف الأغنياء الذين ضيعوا أمر الله ول يستقيموا عليه.

كذلك **حديث المرأة** التي كانت تقم المسجد، فيه الدلالة أيضاً على أن الفقير الذي يقوم بالمسجد ويسعى في نظافته سواء كان رجلاً أو امرأة له منزلة وله فضل. كانت امرأةً تقوم بالمسجد سوداء وفي لفظ آخر: كان خادم يخدم المسجد فمات فصلوا عليه ليلاً ولم يخبروا النبي عليه الصلاة والسلام، فأخبروه عليه الصلاة والسلام بذلك بعد ذلك فقال: («**أَفَلا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي**» **فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا**)؛ يعني: أمر الخادمة أو أمر الخادم فقال: («**دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ**» **فَدَلُّوهُ فَصَلَّى عَلَيْهَا**) عليه الصلاة والسلام.

فدلَّ ذلك على أنه ينبغي احترام المسلم الفقير وألا يحتقر لقلة ماله بل يُعرف لهم قدره ويُعرف له منزلته بتقواه وإيمانه وإن كان قليل المال، ولا سيما في هذا الشهر الكريم في رمضان، شهر المواساة شهر الإحسان والصدقات، ينبغي لأهل الإيمان أن يعرفوا قدر فقرائهم وأن يواسوهم وأن يحسنوا إليهم وأن يعينوهم على صيامهم وقيامهم،

---

(١) يأتي تخريجه برقم (١٨٧٩) ج٤.

فالحسنات هنا مُضاعفات في هذا الشهر الكريم، الحسنات مُضاعفات والأعمال الصالحات تُضاعف أُجورها، والسيئة يعظم وزرها وإثمها، فينبغي للمؤمن في هذا الشهر الكريم أن يتحرى على هذا الخير ويسارع إلى الخير، وأن يحذر أعمال السوء أينما كان.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

***

٢٥٩ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «لَمْ يَتَكَلَّمْ في المَهْدِ إلَّا ثَلاثَةٌ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلاً عَابِداً، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ فَانْصَرَفَتْ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: أي رَبِّ أمِّي وَصَلاتِي، فأقبَلَ عَلَى صَلاتِهِ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ الغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: أيْ رَبِّ أمِّي وَصَلاتِي، فَأقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إلَى وُجُوهِ المُومِسَاتِ.

فَتَذَاكَرَ بَنُو إسْرائِيل جُرَيْجاً وَعِبَادَتَهُ، وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إنْ شِئْتُمْ لأفْتِنَنَّهُ، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إلَيْهَا، فَأتَتْ رَاعِياً كَانَ يَأوِي إلَى صَوْمَعَتِهِ، فَأمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا فَوقَعَ عَلَيْهَا، فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ، قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُريج، فَأتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ، وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ، فَقَالَ: مَا شَأنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بهذِهِ البَغِيِّ فَوَلَدَتْ مِنْكَ. قَالَ: أيْنَ الصَّبيُّ؟ فَجَاؤُوا بِهِ فَقَالَ: دَعُوني حَتَّى أصَلِّي، فَصَلَّى فَلَمَّا انْصَرفَ أتَى الصَّبيَّ فَطَعنَ في بَطْنِهِ، وَقالَ: يَا غُلامُ مَنْ أبُوكَ؟ قَالَ: فُلانٌ الرَّاعِي، فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَقَالُوا:

نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَب. قَالَ: لَا، أعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفَعلُوا.

وبَينَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ منْ أُمِّهِ فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجعَل ابْنِي مِثْلَ هَذَا، فَتَرَكَ الثَّدْيَ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيه فَجَعَلَ يَرتَضِعُ»، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُول الله ﷺ وَهُوَ يَحْكِي ارْتضَاعَهُ بِأصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ في فِيه، فَجَعَلَ يَمُصُّهَا، قَالَ: «وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُم يَضْرِبُونَهَا، ويَقُولُونَ: زَنَيْتِ سَرَقْتِ، وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ. فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَل ابْنِي مِثْلَهَا، فَتَركَ الرَّضَاعَ ونَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مثْلَهَا، فَهُنَالِكَ تَرَاجَعَا الحَديثَ، فَقَالَتْ: مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ، فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَمَرُّوا بهذِهِ الأمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ سَرَقْتِ، فقلتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْني مِثْلَها، فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا؟! قَالَ: إنَّ ذلك الرَّجُل كَانَ جَبَّاراً، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَإنَّ هذِهِ يَقُولُونَ: زَنَيْتِ، وَلَمْ تَزْنِ وَسَرقْتِ، وَلَمْ تَسْرِقْ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١].

▫ (المُومسَاتُ): بِضَمِّ الميم الأُولَى، وَإسكان الواو وكسر الميم الثانية وبالسين المهملة؛ وهُنَّ الزَّواني. (وَالمُومِسَةُ): الزَّانِيَةُ. وقوله: (دَابَّةٌ فَارِهَةٌ): بِالفَاءِ؛ أي: حَاذِقَةٌ نَفيسةٌ. (وَالشَّارَةُ): بالشين المعجمة وتخفيف الرَّاءِ: وَهيَ الجَمَالُ الظَّاهِرُ في الهَيْئَةِ والمَلبَسِ. ومعنى: (تَراجَعَا الحَديث)؛ أي: حَدَّثت الصبي وحَدَّثها، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦] برقم (٣٤٣٦)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها برقم (٢٥٥٠).

﴿ الشَّرْح ﴾

هذان الحديثان [٢٥٨ ـ ٢٥٩] كالأحاديث السابقة في فضل الفقراء والمساكين المستقيمين المطيعين لله ﷻ وأنهم على خير عظيم، ولهم فضل كبير، لما عندهم من العبادة، والتقوى، ولما حُرموا من أمور الدنيا ونعيمها وغناها ولذاتها، فالفقراء لهم فضل كبير، إذا استقاموا على دين الله، فإن الله جلَّ وعلا يرفع شأنهم ويُعلي قدرهم، لما أصابهم من المسكنة والحاجة، ولما فعلوا من الطاعات والاستقامة، وتقدم في ذلك عدة أحاديث تدل على فضل الفقراء المستقيمين على طاعة الله.

وفي هذا الحديث أن فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، **(وأن أَصْحَابُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ)**، وهم أصحاب الغنى، **(غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ)**. هذا يفيد أن الفقراء أسرع دخولاً إلى الجنة، لقلة حسابهم، وقلة تَبِعاتهم التي تلحقهم، وأن أهل الجدِّ والغنى يتأخرون عنهم، بسبب ما يتعلق بأموالهم وأعمالهم التي يحتاجون معها إلى حساب وجزاء.

هذا من الفضائل التي اختص بها الفقراء حتى سبقوا إلى الجنة. وهكذا حديث جريج، كان إنساناً مسكيناً مُتعبداً فظُلم فأنجاه الله من شرِ الظلمة، وبيَّن فضله وسلامته، وعفته، وكانت له أُم فجاءته تستأذنه في أشياء وتطلب منه أن يحدثها في أشياء، فكان يصلي، فتكررت عليه المراجعة، تقول: يا جريج وتصادفه يصلي في أيام ثلاثة ويقول: **(أيْ رَبِّ أمِّي وَصَلاتِي)**، ويقبل على صلاته ولا يجيب أمه.

وقد غلط في هذا لأن إجابة الأم مهمة عظيمة؛ لكن من شدة حبه للصلاة ما أحب أن يتكلم في الصلاة فدعت عليه في المرة الثالثة ألّا يميته حتى ينظر في **(وُجُوهِ المُومِسَاتِ)**؛ يعني: الزانيات، فابتُلي بسبب هذه الدعوة، أُجيبت دعوتها، وكان في بني إسرائيل امرأة بغي زانية

وذكروا من عبادة جريج وأعماله الصالحة **(والتحدي بهذه البلية)** التي صار فيها صومعته وأرادوا أن يفتنوه، أراد سفهاؤهم وأشرارهم أن يفتنوه، فقالت لهم البغي: أنا لكم بهذا، فجاءت إليه لتفتنة بجمالها، **(فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا)** وحماه الله منها فتعرَّضت لراعٍ من الرعاة فاتصل بها، وزنى بها فحملت فلما ولدت قالت: هذا من جريج، هذا الولد من جريج، وكذبت عليه، فجاء أُولئك الطغام والظلمة فهدموا صومعته وضربوه وآذوه، فقال: ما لكم؟ قالوا: زنيت بهذه **(فَقَالَ: دَعُوني حَتَّى أُصَلِّي)** ركعتين فصلى ركعتين ثم أتوا بالصبي فجعل يطعن بأصبعه في بطنه؛ يعني: يضع أصبعه على بطنه ويقول له: من أبوك يا غلام؟ فقال: أبي فلان الراعي، أنطقه الله، النبي ﷺ يقول: «**لَمْ يَتَكَلَّمْ في المَهْدِ إِلَّا ثَلاثَةٌ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ**»، أنطقه الله في المهد، وهذا الرجل «**وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ**»، والرجل الثالث الذي نطق يأتي في الحديث الآخر، فأنطق الله هذا الطفل وقال وهو رضيع: أبي فلان الراعي، فأبرأ الله جريجاً بإنطاق هذا الطفل الصغير ببراءته، وكانت هذه من آيات الله العظيمة، فجعلوا يعتذرون إليه ويقولون: نعيد لك صومعتك من ذهب، قال: لا، أعيدوها من طين.

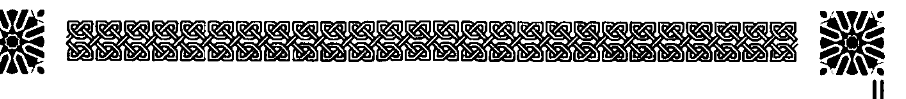
ففي هذا أن الله جلَّ وعلا يفرج كُرب المظلومين، ويرحم الفقراء، ويظهر براءتهم إذا ظلمهم غيرهم بسبب تقواهم، وعبادتهم لله ﷻ، وانقطاعهم عن الدنيا ومغرياتها، والله جلَّ وعلا هو القادر على كل شيء، الذي أنطق الكبير ينطق الصغير، وهو على كل شيء قدير ﷻ، فأنطق عيسى وهو في المهد صغير، قال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠] وأنطق هذا الطفل لبراءة جريج.

والثالث: امرأة كانت ترضع طفلاً لها فمر عليها رجل على دابة فارهة؛ يعني: جميلة نفيسة وعليها شارة ودشن حسن؛ يعني: عفش حسن على الدابة، فلما رأت الدابة وصاحبها قالت: اللَّهُمَّ اجعل ابني

مثله؛ لما رأته من جماله من فراهة الدابة، وحسن الشارة، والأثاث التي عليها، فنظر إليها الطفل، وقال: اللَّهُمَّ لا تجعلني مثله، ثم أقبل يرضع فمروا بجارية تضرب ويقال لها: سرقت، ويقال لها: زنيت، وتقول: حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الله ونعم الوكيل، مظلومة. فقالت الأم: اللَّهُمَّ لا تجعل ابني مثلها فأطلق الثدي ونظر إليها، فقال: اللَّهُمَّ اجعلني مثلها، فتراجع الحديث مع أمه قالت: كيف يا ابناه دعوت لك تكون مثل ذاك الرجل صاحب الناقة الطيبة والشارة الطيبة تقول لا؟ لا تجعلني مثله وها المظلومة التي يقال لها زنيت تقول اجعلني مثلها، لماذا؟ استغربت قال: الأول جبار؛ يعني: ظلوم غشوم فقلت: اللَّهُمَّ لا تجعلني مثله وهذه مظلومة ودعوت الله أن أكون مظلوماً لا ظالماً، هذا المقصود أن يكون مظلوماً لا ظالماً، فهذا فيه إنطاق الطفل الصغير؛ لبيان فضل الضعفاء والمساكين، وبيان رحمة حالهم وأن الفقير قد يظلم، قد يؤذى بغير حق، وله عند الله المنزلة الكبيرة، لكونه أُوذي بغير حق وظُلم مع بُعدِهِ عن مظاهر الدنيا وزخرفها، كهذه الجارية التي تُظلم، يقال: سرقت وهي بريئة.

وفَّق الله الجميع.





٣٣ ـ بَابُ ملاطفة اليتيم والبنات وسائر الضعفة والمساكين والمنكسرين والإحسان إليهم والشفقة عليهم والتواضع معهم وخفض الجناح لهم

قال الله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ٩، ١٠]، ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ١، ٢].

٢٦٠ ـ **وعن** سعد بن أبي وَقَّاص رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ المُشْرِكُونَ للنَّبيِّ ﷺ: اطْرُدْ هؤلاء لا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا، وَكُنْتُ أنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ. وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ وَبِلالٌ وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ في نفس رَسُول الله ﷺ مَا شَاءَ اللهُ أنْ يَقَعَ فَحَدَّثَ نَفسَهُ، فَأنْزَلَ اللهُ تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢] رواه مسلم(١).

٢٦١ ـ **وعن** أبي هُبَيرَة عائِذ بن عمرو المزنِي وَهُوَ مِنْ أهْل بيعة الرضوان رضي الله عنه: أنَّ أبا سُفْيَانَ أتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبلَالٍ في نَفَرٍ، فقالوا: مَا أخَذَتْ سُيُوفُ اللهِ مِنْ عَدُوِّ الله مَأْخَذَهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أتَقُولُون هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيدِهِمْ؟ فَأتَى النَّبيَّ ﷺ، فَأخْبَرهُ، فَقَالَ: «يَا أبَا بَكْرٍ، لَعلَّكَ

---

(١) أخرجه في كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص برقم (٢٤١٣).

أغْضَبتَهُمْ؟ لَئِنْ كُنْتَ أغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أغْضَبتَ رَبَّكَ» فَأَتَاهُمْ فَقَالَ: يَا إخْوَتَاهُ، أغْضَبْتُكُمْ؟ قالوا: لَا، يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أُخَيَّ. رواه مسلم(١).

◻ قولُهُ: (مَأْخَذَهَا)؛ أيْ: لَمْ تَسْتَوفِ حقها مِنْهُ. وقوله: (يَا أُخَيَّ): رُوِي بفتحِ الهمزةِ وكسرِ الخاءِ وتخفيف الياءِ، وَرُوِيَ بضم الهمزة وفتح الخاء وتشديد الياءِ.

٢٦٢ ـ **وعن** سهل بن سعد ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «أَنَا وَكَافلُ اليَتِيمِ في الجَنَّةِ هَكَذا» وَأَشارَ بالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا. رواه البخاري(٢).

◻ (وكَافلُ اليَتيم): القَائِمُ بِأُموره.

الشَـرْح

هذه الآيات والحديثان كلها تتعلق بالحث والترغيب في خفض الجناح للمؤمنين ورحمة اليتيم والمسكين وعدم التكبر والتجبر، هكذا يجب على أهل الإيمان أن يكونوا متواضعين مع إخوانهم خافضين للجناح ولا سيما مع الفقير، والمسكين، واليتيم، والمريض، ومن به عاهة قد ينفرُ منه الناس أو ما أشبه ذلك، وهكذا من ليس له جماعة تحميه، كل هذا من شأن المؤمنين أن يرفقوا به ويرحموه، ويكونوا قوة له وسنداً له؛ ولهذا قال جلَّ وعلا: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨] هكذا ينبغي للمؤمنين أن يكونوا أهل تواضع مخفضي الجناح لإخوانهم ولو كانوا فقراء وهكذا قوله جلَّ وعلا: ﴿أَرَءَيْتَ

---

(١) أخرجه في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل سلمان وصهيب وبلال برقم (٢٥٠٤).

(٢) أخرجه في كتاب الطلاق، باب اللعان برقم (٥٣٠٤)، وفي كتاب الأدب، باب فضل من يعود يتيماً، برقم (٦٠٠٥).

ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١ ـ ٣] ﴿يَدُعُّ﴾؛ يعني: يدفع ولا يُبالي به ولا يرحم، تكبراً وتعاظماً، قال جل وعلا: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾؛ يعني: احبسها يخاطب نبيه ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الكهف: ٢٨]؛ يعني: مع الفقراء، وكان نزلت في سعد بن أبي وقاص، وبلال، وابن مسعود وأشباههم من الفقراء المهاجرين لما طلبت قريش إبعادهم منه، أمره الله أن يحبس نفسه معهم وأن يتواضع لهم وألا يطيع فيهم هؤلاء الكفرة. ويقول ﷺ: **«أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» وَأَشَارَ بأصبعه السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا**، فالمقصود أن المشروع للمؤمنين والواجب عليهم التواضع وعدم التكبر، والتلطف بالمساكين والفقراء والأيتام، والإحسان إليهم ورحمة حالهم ودفع الضرر عنهم، ولما قدم أبو سفيان المدينة لطلب تأكيد الصلح بينه وبين أهل مكة في الهدنة التي بين النبي وبين أهل مكة التي تمت يوم الحديبية، وكانت بنو بكر قد خانت وغزت خزيمة وهم في حلف النبي عليه الصلاة والسلام، فجاء أبو سفيان ليؤكد الصلح فلم يكلمه النبي ﷺ وقال فيه بعض الصحابة كصهيب وغيره: ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها، فقال أبو بكر: أتقولون هذا لسيد قريش! لأن أبا سفيان في ذاك الوقت كبير قريش، هو كبيرهم، هو الذي ترأس غزوة أحد والأحزاب، فقال له النبي ﷺ: **«يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ** يعني هؤلاء الفقراء **لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ»**[1].

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عائذ بن عمرو بن هلال المزني رضي الله عنه في كتاب، باب من فضائل سلمان وصهيبٍ وبلالٍ رضي الله تعالى عنهم برقم (٢٥٠٤).

فأتاهم أبو بكر الصديق فقال: يا إخوتاه قد أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك والشاهد في قوله ﷺ: «**لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ**» هذا فيه الدلالة على أن رحمة المساكين والإحسان إليهم والتلطف بهم مما يرضي الله، وأن سبهم أو الغلظة عليهم أو التجبر عليهم أو جفاءهم والإساءةِ إليهم مما يغضب الله ﷻ.

نسأل الله الجميع التوفيق والهداية.

❋ ❋ ❋

٢٦٣ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، **قَالَ: قَالَ رَسُول الله** ﷺ: **«كَافلُ اليَتِيم لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ في الجَنَّةِ» وَأَشَارَ الرَّاوِي وَهُوَ مَالِكُ بْنُ أَنس بالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى.** رواه مسلم(١).

وقوله ﷺ: **«اليَتِيمُ لَهُ أَوْ لِغَيرِهِ» مَعْنَاهُ: قَرِيبُهُ، أَو الأَجْنَبيُّ مِنْهُ، فالقَرِيبُ مِثلُ أَنْ تَكْفَلهُ أُمُّهُ أَوْ جَدُّهُ أَوْ أخُوهُ أَوْ غَيرُهُمْ مِنْ قَرَابَتِهِ، والله أعْلَمُ.**

٢٦٤ ـ وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: **«لَيسَ المِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمرَتَانِ، وَلا اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، إنَّمَا المِسكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ»** مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(٢).

---

(١) أخرجه في كتاب الزهد والرقاق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم برقم (٢٩٨٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣] برقم (١٤٧٩)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب المسكين الذي لا يجد غنى ولا يفطن له فيتصدق عليه برقم (١٠٣٩).

📖 في رواية في الصحيحين: «لَيْسَ المِسكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ واللُّقْمَتانِ، وَالتَّمْرَةُ والتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنَّ المِسْكِينَ الَّذِي لَا يَجِدُ غنىً يُغْنِيه، وَلَا يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيهِ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلَ النَّاسَ».

٢٦٥ ـ **وعنه**، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالمُجَاهِدِ في سَبيلِ اللهِ» وَأحسَبُهُ قَالَ: «وَكالقَائِمِ الَّذِي لَا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ الَّذِي لَا يُفْطِرُ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

الشَّرح

هذه الأحاديث كالتي قبلها في الحث على رحمة الفقراء والمساكين والأيتام والإحسان إليهم، وهكذا المتعففون الذين لا يسألون الناس شيئاً، السُّنَّة للمؤمن أن يعطف على إخوانه الفقراء مطلقاً ويحسن إليهم، وأن يتواضع لهم ولا يتكبر، ولا سيما الأيتام الذين قد فقدوا آباءهم وهم فقراء، فإنهم في حاجة إلى الرحمة والعطف والإحسان؛ ولهذا قال الله سبحانه: ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [النساء: ٣٦] فذكر الوالدين ثم القُربى ثم اليتامى من جميع الناس.

وفي هذا يقول ﷺ: «أَنَا وَكَافلُ اليَتِيم كَهَاتَيْنِ في الجَنَّةِ» وَأَشَارَ بالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، هذا يدلُّ على فضل كفالة اليتيم وأن صاحبها له أجر عظيم، وأنه قريب من منزلة الرسول في الجنة عليه الصلاة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل برقم (٥٣٥٣)، وفي كتاب الأدب، باب الساعي على المسكين برقم (٦٠٠٧)، ومسلم في كتاب الزهد والرقاق باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم برقم (٢٩٨٢).

والسلام، سواء كان اليتيم من أقاربه أو من غير أقاربه، فله أجر عظيم.

ويقول ﷺ: «**لَيْسَ المِسكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ واللُّقْمَتانِ، وَالتَّمْرَةُ والتَّمْرَتَانِ**»؛ يعني: ليس هو أحق بالمسكنة هو يسمى مسكيناً لكن أحق بالمسكنة وأولى بالمسكنة المتعفف، «**الَّذِي لَا يَجِدُ غنىً يُغْنِيه، وَلَا يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيهِ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ**»؛ لعفته وحيائه هذا أشد في اسم المسكنة، مثلما قال ﷺ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ**»[1] الصُرعة الذي يصرع الناس بقوته يسمى صُرعة، لكن أولى منه بهذا الاسم وأحق بهذا الاسم الذي يملك نفسه عند الغضب.

وهكذا قوله: «**لَيْسَ المِسكِينُ بهذا الطواف**»، الطواف مسكين فقير إذا كان ما عنده شيء، لكن أحق منه بهذا الاسم وأولى منه بالعطف المتعفف الذي لا يطوف وليس عنده ما يقوم بحاله، «**وَلَا يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيهِ**» ينبغي، يراعى، ينبغي لأهل الغنى والثروة أن يراعوا المتعففين وأن يحسنوا إليهم أكثر من الطوافين، فالطواف يجد هذا يعطيه تمرة هذا يعطيه تمرتين، هذا يرده هذا يعطيه درهماً يجد يجمع، لكن المتعفف يبقى في بيته في تعب كبير؛ لأنه لا يستطيع أن يطوف، يستحي من الطواف ولا يفطن له، فينبغي للمؤمن أن يجتهد في الإحسان لليتامى ولا سيما المتعففون من الفقراء والمساكين.

وفَّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

(١) سبق تخريجه برقم (٤٥).

٢٦٦ ـ وعنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الوَلِيمَةِ، يُمْنَعُهَا مَنْ يَأتِيهَا، وَيُدْعَى إِلَيْهَا مَنْ يَأْبَاهَا، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ، فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ» رواه مسلم(١).

📖 وفي رواية في الصحيحين، عن أبي هريرة رضي الله عنه من قوله: «بِئْسَ الطَّعَامُ طَعَامُ الوَلِيمَةِ يُدْعَى إِلَيْهَا الأغْنِيَاءُ ويُتْرَكُ الفُقَراءُ».

٢٦٧ ـ وعن أنس رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْن حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ أنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ» وضَمَّ أصَابِعَهُ. رواه مسلم(٢).

□ (جَارِيَتَيْنِ)؛ أيْ: بنتين.

٢٦٨ ـ وعن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: دَخَلَتْ عَلَيَّ امْرَأةٌ وَمَعَهَا ابنتان لَهَا، تَسْأَلُ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيئاً غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحدَةٍ، فَأعْطَيْتُهَا إيَّاهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْها ولَمْ تَأكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبيُّ ﷺ عَلَينَا، فَأخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هذِهِ البَنَاتِ بِشَيءٍ فَأَحْسَنَ إلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ سِتراً مِنَ النَّارِ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله، برقم (٥١٧٧)، ومسلم في كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة، برقم (١٤٣٢).

(٢) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب فضل الإحسان إلى البنات برقم (٢٦٣١).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة، برقم (١٤١٨)، وفي كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، برقم (٥٩٩٥)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات، برقم (٢٦٢٩).

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في الحث على الإحسان على الفقراء والمساكين والأيتام ورحمتهم والتواضع لهم وخفض الجناح لهم، هذه من صفات المؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، فالمؤمن يخفض الجناح لإخوانه الفقراء والأيتام والمساكين ويرحمهم ويعطف عليهم ويواسيهم من الزكاة وغيرها، يقول ﷺ: «**أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيم كَهَاتَيْنِ في الجَنَّةِ**» وَأَشَارَ بأصبعه بالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى في اللفظ الآخر: «**مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ**».

وَأَشَارَ بأصبعه بالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى في اللفظ الآخر: «**أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيم كَهَاتَيْنِ**» كل هذا يدل على فضل كفالة اليتيم والإحسان إليه ورأفته.

ويقول ﷺ: «**شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الوَلِيمَةِ، يُمْنَعُهَا مَنْ يَأْتِيهَا، وَيُدْعَى إِلَيْهَا مَنْ يَأْبَاهَا**»، من الأغنياء ويمنعها من يأتيها وهم الفقراء؛ يعني: يمنع من يحتاج إليها من الفقراء ويدعى إليها من يأباها وهم الأغنياء؛ يعني: غالب الأغنياء قد يشق عليهم المجيء؛ يعني: هم ليسوا بحاجة للوليمة، والفقراء يحتاجون إليها وقد يمنعهم صاحب الوليمة، فينبغي لصاحب الوليمة أن يشرك الفقراء وأن يدعو الفقراء من جيرانه وغيرهم ولا يخص بها الأغنياء، ويقول ﷺ: «**وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ**» قال: «**إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى الوَلِيمَةِ فَلْيُجِبْ**» «**مَنْ دُعِيَ إِلَى عُرْسٍ أَوْ نَحْوِهِ فَلْيُجِبْ**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة، برقم (١٤٢٩).

فهذا يدل على وجوب إجابة الدعوة، يقول: «**فقد عصى الله ورسوله**» يدل على وجوب إجابة الدعوة، فالواجب على المؤمن أن يجيب الدعوة إلا من عذر شرعي، كمرض أو مطر أو ما أشبه ذلك من الأعذار التي تمنع، أو سفر بعيد أو ما أشبه ذلك من الأعذار، وإلا الواجب إجابة الدعوة إلا أن يكون فيها منكر يمنع المجيء إليها وهو لا يستطيع إنكاره فهذا عذر له.

كذلك حديث عائشة أن جاءت إليها امرأة معها ابنتان فقدمت إليها عائشة تمرة فدفعتها إليهما، في اللفظ الثالث أنها أعطتها ثلاث تمرات دفعت إلى كل واحد تمرة ورفعت التمرة الثالثة لتأكلها فاستطعمت ابنتاها التمرة الثالثة، شقتها بينهما نصفين ولم تأكل شيئاً، فقال النبي ﷺ لما أخبرته عائشة قال: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الجَنَّةَ**» في اللفظ الآخر: «**مَنِ ابْتُلِيَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ، كُنَّ لَهُ سِتراً مِنَ النَّارِ**».

المقصود أن رحمة الفقراء والأيتام من أسباب دخول الجنة، هذه المرأة محتاجة ثلاث تمرات أعطت لكل بنت تمرة ثم رفعت الثالثة لتأكلها فاستطعمت ابنتاها؛ يعني: طلبت ابنتاها التمرة الثالثة فشقتها بينهما نصفين ولم تأكل شيئاً مع الحاجة، رحمة لهما، فلهذا قال ﷺ: «**إن الله قد أوجب لها بها الجنة**» بهذه الرحمة وهذا العطف وهذا الإحسان، فدلَّ ذلك على أن رحمة الأيتام والفقراء والمساكين والإحسان إليهم من أسباب دخول الجنة، ومن أسباب المغفرة.

وفَّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

٢٦٩ ـ **عن** عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: جَاءتني مِسْكينةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأطْعَمْتُها ثَلاثَ تَمرَات، فَأعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَة مِنْهُمَا تَمْرَةً وَرَفَعتْ إلَى فِيها تَمْرَةً لِتَأكُلها، فَاسْتَطعَمَتهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتي كَانَتْ تُريدُ أنْ تَأكُلَهَا بَيْنَهُما، فَأعجَبَنِي شَأنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لرسولِ الله ﷺ، فَقَالَ: «إنَّ الله قَدْ أوْجَبَ لَهَا بها الجَنَّةَ، أَوْ أعتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ» رواه مسلم(١).

٢٧٠ ـ **وعن** أبي شُرَيح خُوَيْلِدِ بن عمرو الخزاعِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبيّ ﷺ: «اللَّهُمَّ إنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَينِ: اليَتِيم وَالمَرْأةِ» حديث حسن رواه النسائي بإسناد جيد(٢).

□ ومعنى: (أُحَرِّجُ): أُلْحِقُ الحَرَجَ وَهُوَ الإثْمُ بِمَنْ ضَيَّعَ حَقَّهُمَا، وَأُحَذِّرُ مِنْ ذلِكَ تَحْذِيراً بَليغاً، وَأزْجُرُ عَنْهُ زجراً أكيداً.

٢٧١ ـ **وعن** مصعب بن سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنهما، قَالَ: رَأى سعد أنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبيّ ﷺ: «هَلْ تُنْصرُونَ وتُرْزَقُونَ إلَّا بِضُعَفَائِكُمْ» رواه البخاري(٣). هكذا مُرسلاً، فإن مصعب بن سعد تابعيٌّ، ورواه الحافظ أبو بكر البرقاني في صحيحه متصلاً عن مصعب، عن أبيه رضي الله عنه.

٢٧٢ ـ **وعن** أَبي الدَّرداءِ عُويمر رضي الله عنه، قَالَ: سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ، يقول: «ابْغُوني الضُّعَفَاء، فَإنَّمَا تُنْصَرُونَ وتُرْزَقُونَ، بِضُعَفَائِكُمْ» رواه أبو داود بإسناد جيد(٤).

---

(١) أخرجه في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات، برقم (٢٦٣٠).

(٢) أخرجه في الكبرى ٥/ ٣٦٣، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب حق اليتيم، برقم (٣٦٧٨)، وأحمد ٢/ ٤٣٩.

(٣) أخرجه في كتاب الجهاد والسير، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب برقم (٢٨٩٦).

(٤) أخرجه في كتاب الجهاد، باب في الانتصار بُرذَل الخيل والضعفة، برقم (٢٥٩٤).

الشَّرح

فهذه الأحاديث الأربعة كالتي قبلها في الحث على رحمة الفقراء والمساكين والأيتام والضعفاء والحنو عليهم والتواضع لهم وخفض الجناح لهم، هذا شأن المؤمنين، شأن المؤمنين أن يرحموا ضعفاءهم وأن يواسوهم ويحسنوا إليهم، «**الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بعضاً**» ويقول ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**».

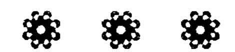
في الحديث وتقدم الرواية الأولى أن عائشة رضي الله عنها قالت: (دَخَلَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا ابنتان لَهَا، تشحذ تطلب تسأل، فَأَطْعَمْتُها ثَلاثَ تَمَرات فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَة مِنْهُمَا تَمْرَةً وَرَفَعتْ إِلَى فِيها تَمْرَةً لِتَأكُلها فَاسْتَطعَمَتها ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الثالثة لشدة الحاجة شقتها بينهما نصفين ولم تأكل شيئاً، قالت عائشة: فَأعجَبَنِي شَأنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لرسولِ الله ﷺ، فَقَالَ: «**إنَّ الله قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بها الجَنَّةَ، أَوْ أعتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ**»)؛ يعني: بهذه الرحمة وبهذا العطف، كونها حرمت نفسها وشقت التمرة الثالثة بينهما من رحمتها لهما، هذا فيه الحث على رحمة الفقير والمسكين والضعيف.

هكذا قوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ إنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَينِ: اليَتِيم وَالمَرْأَةِ**»، بعض الناس قد يظلم النساء ولا يبالي بحقوقهن، الواجب الحذر من ذلك، الواجب أداء حق النساء سواء كُن زوجات أو أخوات أو بنات أو غيرهن، الواجب أداءُ حق المرأة بإرثها وغيره وإنصافها ورحمتها وعدم ظُلمها، وهكذا اليتيم وهو الذي لا أب له ولم يبلغ الحُلم، يقال له: يتيم فالمقصود رحمة الفقراء من الأيتام وغيرهم.

وهكذا قوله ﷺ: «**هَلْ تُنْصرُونَ وتُرْزَقُونَ إلَّا بِضُعَفَائِكُمْ**» الواجب

العناية بالضعفاء ورحمة حالهم وعدم التكبر عليهم، فهم من أسباب رزق العباد، قد يرحم الله العباد بأسباب ضعفائهم، قد ينصرهم الله على عدوهم بأسباب ضعفائهم، قد يعطيهم الغيث بأسباب ضعفائهم، فالواجب على أهل الإسلام أن يرعوا حق الضعفاء ويرحموهم ويعطفوا عليهم من الزكاة وغيرها.

وفَّق الله الجميع.






٣٤ ـ بَابُ الوصية بالنساء

قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٢٩].

٢٧٣ ـ **وعن** أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «اسْتَوْصُوا بالنِّساءِ خَيْراً؛ فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلعٍ، وَإِنَّ أعْوَجَ مَا في الضِّلَعِ أعْلاهُ، فَإنْ ذَهَبتَ تُقيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإنْ تَرَكْتَهُ، لَمْ يَزَلْ أعْوجَ، فَاسْتَوصُوا بالنِّساءِ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

📖 وفي رواية في الصحيحين: «المَرأةُ كالضِّلَعِ إنْ أقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا، وَإن اسْتَمتَعْتَ بِهَا، اسْتَمتَعْتَ وفِيهَا عوَجٌ».

📖 وفي رواية لمسلم: «إنَّ المَرأةَ خُلِقَت مِنْ ضِلَع، لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَريقة، فإن اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفيهَا عوَجٌ، وإنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَها، وَكَسْرُهَا طَلاقُهَا».

□ قوله: (عَوَجٌ): هُوَ بفتح العينِ والواوِ.

٢٧٤ ـ **وعن** عبد الله بن زَمْعَةَ رضي الله عنه: أنَّهُ سَمِعَ النَّبيّ ﷺ يَخْطُبُ، وَذَكَرَ النَّاقَةَ وَالَّذِي عَقَرَهَا، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ [الشمس: ١٢] «انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَزيزٌ، عَارِمٌ مَنيعٌ في رَهْطِهِ»، ثُمَّ ذَكَرَ النِّسَاءَ،

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته برقم (٣٣٣١)، ومسلم في كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء برقم (١٤٦٨).

فَوعَظَ فِيهنَّ، فَقَالَ: «يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ فَيَجْلِدُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ العَبْدِ فَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا مِنْ آخِرِ يَومِهِ» ثُمَّ وَعَظَهُمْ في ضَحِكِهِمْ مِنَ الضَّرْطَةِ، وَقالَ: «لِمَ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ؟!» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

□ (وَالعَارِمُ): بالعين المهملة والراء: هُوَ الشِّرِّيرُ المفسِدُ، وقوله: (انْبَعَثَ)؛ أيْ: قَامَ بسرعة.

٢٧٥ ـ وعن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقاً رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»، أَوْ قَالَ: «غَيْرَهُ» رواه مسلم[2].

□ قولُهُ: (يَفْرَكْ): هُوَ بفتح الياءِ وإسكان الفاء وفتح الراءِ معناه: يُبْغِضُ، يقالُ: فَرِكَتِ المَرأَةُ زَوْجَهَا، وَفَرِكَهَا زَوْجُهَا، بكسر الراء يفْرَكُهَا بفتحها؛ أيْ: أبْغَضَهَا، والله أعلم.

الشَرح

هذه الآيات والأحاديث في الحث على الوصية بالنساء خيراً والإحسان إليهن وعدم تتبع عثراتهن؛ لأنهن لا بد من عثرة وعوج، فالمشروع للزوج الصبر وعدم التسرع في الطلاق؛ ولهذا قال جلَّ وعلا: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، قال ﷻ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فالواجب على الزوج أن يتقي الله في النساء وأن يستوصي بهن خيراً كما أمر النبي ﷺ بذلك وأن يحذر من ظلمهن والعدوان عليهن، تقدم في حديث: «إنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَينِ: اليَتِيم وَالمَرْأَةِ».

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة الشمس برقم (٤٩٤٢)، ومسلم في كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٥٥).

(٢) أخرجه في كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء برقم (١٤٦٩).

كثير من الأزواج أسد على الزوجة نعامة عند غيرها، ما ينبغي، هذا لا ينبغي أن يتأثر على الزوجة بالضرب والأذى والسب ونحوها بدون موجب، بل ينبغي الرفق والصبر والوصية بهن خيراً وتعديل العوج بالأسلوب الحسن، والتفاهم والتعاون على الخير لا بالضرب والقوة والشدة؛ ولهذا قال ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيراً**» قال هذا في خطبته في حجة الوداع على رؤوس الأشهاد يوم عرفة يوصيهم بأزواجهم خيراً، فإنها «**خُلِقَتْ مِنْ ضِلع**» في اللفظ الآخر: «**خُلِقَتْ مِنْ ضِلع أعْوَجَ، وإنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا، وَكَسْرُهَا طَلَاقُهَا، وَإنْ تَرَكْتَهُ، لَمْ يَزَلْ أعْوجَ، فَاسْتَوصُوا بالنِّساءِ**» في اللفظ الآخر: «**لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقاً رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ**».

لا بد أن يلاحظ الأخلاق الطيبة وأعمالها الطيبة معه ومع أولاده ويتحمل بعض النقص الذي قد يقع عند الغضب، عند سوء المعاملة يقع كثير من الناس لا يتحمل عند أقل خطأ، يطلق أو يضرب هذا لا ينبغي، ينبغي للمؤمن أن يكون عنده سعة بال وعنده تحمل في إصلاح العوج وفي إصلاح الأخطاء بالكلام الطيب والوصية والنصيحة والتحمل وعدم المسارعة إلى ضرب أو طلاق، ومتى تأمل في حق المؤمنة رضي منها أخلاقاً كثيرة، وإن ساءه خلق يجد منها أخلاقاً طيبة تسرّه، فينبغي أن يتحمل بعض أخلاقها التي فيها نقص من أجل أخلاقها الطيبة، ولن يجد امرأة معصومة، لن يجد امرأة معصومة، لا بد من نقص، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إحْدَاكُنَّ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئاً قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْراً قَطُّ**» نسيت كل شيء نسيت إحسانه الكثير عند وجود زلة منه.

الحديث الثاني: يقول النبي ﷺ: «**لَا يَجْلِدُ أَحَدُكُم امْرَأَتَهُ جَلْدَ العَبْدِ**»، لا يسويها بخادمه العبد فيجلدها ويشدد في الضرب وإن كان لا

بد، ضرباً خفيفاً، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤]، في خطبته ﷺ في حجة الوداع قال: «**وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَداً تَكْرَهُونَهُ. فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُم رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ**»؛ يعني: خفيفاً لا يؤثر وهذا تفسير لقوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ يضرب امرأته ضرباً خفيفاً لا يترتب عليه شعر ولا كسر، ولكن شيئاً يحصل به التأديب والتخفيف؛ ولهذا قال ﷺ: «**لَا يَجْلِدُ أَحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ العَبْدِ**»؛ يعني: لا يسويها بجلده لعبيده، «**ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ اليَوْمِ**»؛ يعني: ربما سامح عنها في مدة قريبة وضاجعها بعد هذا الأذى.

ووعظهم في الضرطة أيضاً وقال: «**لِمَ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ**؟!»؛ يعني: ينبغي الستر إذا وجد شيء في الحلقة بين الإخوان ضرطة أو غيرها لا يفضح؛ أي: يضحك منه يفشل، يعرض عن هذا كأنه ما صار شيء؛ لأن هذا يقع من زيد ومن عمرو، لم تضحك منه؟ قد تقع منك أنت أيضاً على غير اختيارك فالستر مطلوب، والغلطة تقع بين الناس، قد يزل بكلمة، قد تقع منه ضرطة عند تحركه، فينبغي أن يعرض عن هذا كأنك ما سمعت، كأنك ما رأيت ولا سمعت من باب التعاون على الخير، ومن باب الإحسان إلى الإخوة في الزلات اليسيرة والهنات اليسيرة، الإنسان يعرض عنها ولا يكون بينه وبين أخيه ما يسبب كدر الفُرقة والاختلاف وهكذا، قد يزل بكلمة التي ما يثمن لها ولا يعقل لها بال كأنها ما صارت ولا يشن عليه فيها، وإذا نصح نصيحة خاصة فلا بأس.

وفَّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

٢٧٦ ـ **وعن** عمرو بن الأحوصِ الجُشَمي رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبيَّ ﷺ في حَجَّةِ الوَدَاعِ يَقُولُ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ الله تَعَالَى، وَأَثْنَى عَلَيهِ وَذَكَّرَ وَوَعظَ، ثُمَّ قَالَ: «أَلا وَاسْتَوصُوا بالنِّساءِ خَيْراً، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئاً غَيْرَ ذلِك إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ في المَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فإِنْ أطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيهِنَّ سَبيلاً؛ أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقّاً، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقّاً؛ فَحَقُّكُمْ عَلَيهِنَّ أَنْ لا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلا يَأْذَنَّ في بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ؛ أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ في كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ» رواه الترمذي(١)، وَقالَ: حديث حسن صحيح.

📖 قوله ﷺ: «عَوان»؛ أيْ: أسِيرَاتٌ جَمْع عَانِيَة، بالعَيْنِ المُهْمَلَةِ، وَهِيَ الأسِيرَةُ، والعاني: الأسير. شَبَّهَ رسولُ الله ﷺ المرأةَ في دخولِها تَحْتَ حُكْمِ الزَّوْجِ بالأَسيرِ، وَالضَّرْبُ المبَرِّحُ: هُوَ الشَّاقُ الشَّدِيد، وقوله ﷺ: «فَلَا تَبْغُوا عَلَيهِنَّ سَبِيلاً»؛ أيْ: لَا تَطْلُبُوا طَرِيقاً تَحْتَجُّونَ بِهِ عَلَيهِنَّ وَتُؤْذُونَهُنَّ بِهِ، والله أعلم.

٢٧٧ ـ **عن** معاوية بن حيدة رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُول الله، مَا حق زَوجَةِ أَحَدِنَا عَلَيهِ؟ قَالَ: «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طعِمْتَ، وَتَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلَا تَضْرِبِ الوَجْهَ، وَلا تُقَبِّحْ، وَلا تَهْجُرْ إِلَّا في البَيْتِ» حديثٌ حسنٌ رواه أبُو داود(٢). وَقالَ: معنى لا تُقَبِّحْ؛ أي: لا تقل: قبحكِ الله.

---

(١) أخرجه في كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها برقم (١١٦٣)، وابن ماجه في كتاب النكاح، باب حق المرأة على الزوج برقم (١٨٥١).

(٢) أخرجه في كتاب النكاح، باب حق المرأة على زوجها برقم (٢١٤٢)، وابن ماجه في كتاب النكاح باب حق المرأة على الزوج برقم (١٨٥٠).

٢٧٨ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «أَكْمَلُ المُؤمِنِينَ إيمَاناً أحْسَنُهُمْ خُلُقاً، وخِيَارُكُمْ خياركم لِنِسَائِهِمْ» رواه الترمذي[1]، وَقالَ: حديث حسن صحيح.

الشَرح

هذه الأحاديث فيما يتعلق بحق النساء على أزواجهن، الله يقول جلَّ وعلا في كتابه الكريم: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، وقال جلَّ وعلا: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فأمر سبحانه بأن يعاشرن بالمعروف، وأخبر أن لهن مثل الذي عليهن بالمعروف، من الإحسان وطيب الكلام وأداء الحق، فلها حق وعليها حق، فعلى الزوج إحسان العشرة وطيب الكلام وحسن الخُلق، والإنفاق والتوصِّي بها خيراً، توجيهاً إلى الخير إلى غير هذا، وعليها السمع والطاعة في نفسها، وفي بيتها وأن لا تؤطئ فراشها من يكره، وأن لا تأذن في بيتها لمن يكره.

وفي خطبة الوداع يقول عليه الصلاة والسلام: «وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بالمعروف وَإِنَّ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَداً تَكْرَهُونَهُ وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لأَحَدٍ تَكْرَهُونَهُ» في حديث معاوية بن حيدة لما قال: (يا رسول مَا حق زَوجَةِ أَحَدِنَا عَلَيهِ؟ قَالَ: «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طعِمْتَ، وَتَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلَا تَضْرِبِ الوَجْهَ، وَلا تُقَبِّحْ، وَلا تَهْجُرْ إِلَّا فِي البَيْتِ»)؛ يعني: كن طيب العشرة طيب الخُلق، تطعمها من طعامك، وتكسوها من كسوتك، تكون عدلاً في الكسوة والطعام، ومع هذا إذا أدبت لا تضرب الوجه، يكون أدباً خفيفاً لكن ما فيه ضرب

---
(١) أخرجه في كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، برقم (١١٦٢).

الوجه، الوجه لا يضرب، لا في الخدود ولا في غيرها، ولا تُقبح، لا تقل قبحك الله ولا تهجر إلا في البيت، إذا هجرت تهجر في البيت تنام معها في البيت، ولكن مثلاً تعطيها ظهرك، فراشاً غير فراشك لا بأس عند الحاجة، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤] قال: ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾؛ يعني: ضرباً غير مبرح، فسَّرها النبي ﷺ هكذا، المؤمن مع أهله يعاشر بالمعروف، ويتكلم بالطيب ويحسن إليها في خُلقه، وفي أعماله كلها، لا يكون فظاً غليظاً ولا مسرفاً ولا صخاباً ولا لعاناً، بل يستوصي بهن خيراً، وعليها هي أيضاً أن تقوم بالواجب، وأن تُحسن العشرة، وأن تمتثل أمره في المعروف، وأن لا تأذن في البيت بغير إذنه، وأن لا توطئ الفراش لمن يكره، على كل منهما التحبب إلى أخيه إلى زوجه، كل واحد يتحبب إلى الآخر بالكلام الطيب، والفعل الطيب الجميل.

في الحديث الآخر يقول ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً**»، حسن الخُلق من كمال الإيمان، طيب الكلام طيب الوجه طيب السلام، هكذا المؤمن طيب الكلام، طيب السلام طيب المعاشرة، فحسن الخُلق من خصال الإيمان ومن كمال الإيمان، «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً**»، فأمر عليه الصلاة والسلام بحسن الخُلق، فحسن الخلق من أهم المهمات، ومن أفضل القربات، فالمؤمن يعتني بحسن الخلق، مع أهل بيته مع أقاربه مع جيرانه مع جلسائه، يقول ﷺ: «**الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ**» هذا كلام عظيم، ويقول ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقاً**» فحسن الخُلق له منزلة عظيمة، ولا سيما مع الأولاد مع الأهل، مع الأقارب، مع أهل الخير مع الزوجة، و«**خياركم خياركم لنسائهم**»؛ يعني: خياركم في المعروف

خياركم لنسائهم، بالكلام الطيب، والأسلوب الحسن، والعشرة الطيبة، وعدم الظلم وعدم التعدي.

وفَّق الله الجميع.

* * *

٢٧٩ ـ وعن إياس بن عبد الله بن أَبي ذباب ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «لَا تَضْرِبُوا إمَاء الله» فجاء عُمَرُ ﷺ إِلَى رسولِ الله ﷺ، فَقَالَ: ذَئِرْنَ النِّسَاءُ عَلَى أزْوَاجِهِنَّ، فَرَخَّصَ في ضَرْبِهِنَّ، فَأطَافَ بآلِ رَسُول الله ﷺ نِسَاءٌ كَثيرٌ يَشْكُونَ أزْوَاجَهُنَّ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «لَقَدْ أطَافَ بِآلِ بَيتِ مُحَمَّدٍ نِسَاءٌ كثيرٌ يَشْكُونَ أزْوَاجَهُنَّ لَيْسَ أولَئك بخيَارِكُمْ» رواه أَبُو داود[1]. بإسناد صحيح.

▫ قوله: (ذَئِرنَ): هُوَ بذَال مُعْجَمَة مفْتوحَة، ثُمَّ هَمْزة مَكْسُورَة، ثُمَّ راءٍ سَاكِنَة، ثُمَّ نُون؛ أي: اجْتَرَأْنَ، قوله: (أطَافَ)؛ أيْ: أحَاطَ.

٢٨٠ ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ: أنَّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيرُ مَتَاعِهَا المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» رواه مسلم[2].

الشَّرح

فهذان الحديثان وما جاء في معناهما فيهما الدلالة على أنه ينبغي للزوج أن يعتني بإصلاح زوجته بغير الضرب، بالتوجيه والإرشاد والتعليم، وأن يكون الضرب هو آخر الطب؛ لقوله جلَّ وعلا في كتابه: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤]

---

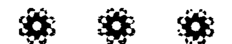
(١) أخرجه في كتاب النكاح، باب في ضرب النساء برقم (٢١٤٤)، وابن ماجه في كتاب النكاح، باب ضرب النساء برقم (١٩٨٥)، وصححه ابن حبان (١٣١٦).

(٢) أخرجه في كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة برقم (١٤٦٧).

فجعل الضرب هو الأخير، النبي ﷺ لما خطب الناس في حجة الوداع أوصاهم بالنساء خيراً، قال: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً فَإِنَّمَا هُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ. وإنهن خُلِقَن مِنْ ضِلع**» في اللفظ الآخر: «**خُلِقَتْ مِنْ ضِلع أعْوَجَ، وإنْ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ إِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ**» في اللفظ الآخر: «**وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا وَكَسْرُهَا طَلَاقُهَا**».

الواجب على الأزواج الرفق والصبر والتحمل وعدم العجلة بالضرب مهما أمكن علاج آخر من النصيحة والتوجيه والإرشاد ونحو ذلك، فإذا لم يتيسّر إلا الضرب يكون ضرباً غير مبرح ضرباً خفيفاً يحصل به المطلوب؛ لأن الله جعله آخر الطب، فآخر الطب هو الضرب الخفيف الذي ليس مبرحاً كما قال ﷺ: «**ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ**» لحصول التعاون على البر والتقوى؛ لأنه إذا كان الزوج شديد الخُلق سيئ الخلق ساءت الأحوال، وإذا كان الضرب عند كل شيء ساءت الأحوال فينبغي للزوج أن يكون واسع الخلق طيب الخلق يعالج بالحكمة والرفق والكلام الطيب مهما أمكن، إلا عند الضرورة القصوى يكون الضرب خفيفاً غير مبرح، إذا لم يغن العلاج الآخر والأسباب الأُخرى شيئاً.

وفَّق الله الجميع.






٣٥ ـ بَابُ حق الزوج على المرأة

قال الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: ٣٤].

٢٨١ ـ **وعن** أبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امرَأتَهُ إِلَى فرَاشِهِ فَلَمْ تَأتِهِ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا المَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبحَ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(١).

وفي رواية لهما: «إِذَا بَاتَت المَرأةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا المَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبحَ»(٢).

وفي رواية قَالَ رَسُول الله ﷺ: «والَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَتَأبَى عَلَيهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي في السَّمَاء سَاخطاً عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنها»(٣).

٢٨٢ ـ **وعن** أبي هريرة ﷺ أيضاً: أنَّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «لَا يَحِلُّ لامْرَأةٍ أنْ تَصُومَ وزَوْجُهَا شَاهدٌ إِلَّا بإذْنِهِ، وَلَا تَأذَنَ في بَيْتِهِ إِلَّا بِإذنِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ وهذا لفظ البخاري(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين، برقم (٣٢٣٧)، ومسلم في كتاب النكاح، باب تحريم امتناعها من فراش زوجها، برقم (١٤٣٦).
(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب إذا باتت المرأة فراش زوجها، برقم (٥١٩٤)، ومسلم في الموضع السابق.
(٣) مسلم في الموضع السابق.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحدٍ إلا بإذنه =

٢٨٣ ـ **وعن** ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «كلكم رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: وَالأمِيرُ رَاعٍ، والرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أهْلِ بَيتِهِ، وَالمَرْأةُ رَاعِيةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجها وَوَلَدِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(١).

٢٨٤ ـ **وعن** أبي علي طَلْق بن علي رضي الله عنه: أنَّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «إذَا دَعَا الرَّجُلُ زَوْجَتهُ لحَاجَتِهِ فَلْتَأْتِهِ وَإنْ كَانَتْ عَلَى التَّنُور». رواه الترمذي(٢) والنسائي، وَقالَ الترمذي: حديث حسن صحيح.

الشَّرح

هذه الآية الكريمة والأحاديث كلها تتعلق بحق الرجل على زوجته، قد دلت الأحاديث والآية الكريمة على عظم حقه عليها، وأن الرجل قوَّام على النساء على الوجه الذي شرعه الله جل وعلا، من غير ظلم ولا تقصير، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]، فالرجال لهم الفضل على النساء من جهتين، من جهة أن الله فضل الرجال على النساء وجعل لهم ميزة في قوتهم وعقولهم والنظر لشؤون دينهم ودنياهم، وبما أنفقوا من أموالهم في الإحسان إلى الزوجة والإنفاق عليها والبنات والأخوات ونحو ذلك، فلهم القوامة على النساء في توجيههم إلى الخير

= برقم (٥١٩٥)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ما أنفق العبد من مال مولاه برقم (١٠٢٦).

(١) أخرجه البخاري في كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق برقم (٢٥٥٤)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم برقم (١٨٢٩).

(٢) أخرجه في كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج على المرأة برقم (١١٦٠)، وصححه ابن حبان (١٢٩٥).

والإحسان إليهم والأخذ على أيديهم عن السفه، وإلزامهم بالحق، إلى غير هذا مما فيه مصلحتهم ديناً ودنيا، وعلى الرجل أن يؤدي الأمانة في ذلك، وأن يصدق مع الله في ذلك، وأن يحذر الظلم، فالله جعل له القوامة على النساء ولكن بالعدالة والاستقامة وتحري الخير وعدم الظلم، لا مع بناته ولا مع أخواته ولا مع أمه ولا مع زوجته ولا مع غيرهن من اليتامى يكن تحته، عليه في ذلك أداء الأمانة والقصد إلى الخير والحرص على براءة الذمة من غير ظلم ولا اعتساف في ولاية.

وعلى المرأة أن تتقي الله في طاعة زوجها وإجابة طلبه فيما أباح الله في نفسها وفي بيته، وفيما شرع الله من العشرة بينهم، فالزوج يعاشر بالمعروف وهي تعاشر بالمعروف، ولهذا قال تعالى سبحانه: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ [النساء: ١٩]، فعلى الزوج أن يعدل ويعاشر بالمعروف، وعليها أن تقوم بالواجب، وأن تسمع وتطيع بالمعروف، وألا تعصي له أمراً فيما لا يخالف الشرع.

وقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فلهن حق وعليهن حق، فلهن على الزوج أن يقوم بالواجب من نفقاتهن والإحسان إليهن وحسن العشرة وعدم الظلم، وعلى الرجل أن يبذل ما أوجب الله عليه وعليها هي أن تسمع وتطيع فيما أباح الله من نفسها ومن رعاية بيته وولده، ومن صيانة نفسها عمّاً حرم الله، ومن إجابتها لما يريد منها حتى ولو كانت على التنور، حتى ولو كانت تخبز على تنورها، إذا طلبها عليها السمع والطاعة.

في الحديث الأول: يقول ﷺ: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَلَمْ تَأْتِهِ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا المَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**»، وهذا يدل على أنه كبيرة من الكبائر، كذلك في اللفظ الآخر: «**إِذَا بَاتَتِ المَرْأَةُ مُهَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا المَلاَئِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ**»؛ يعني: تاركة لفراش زوجها هاجرة له «**لَعَنَتْهَا المَلاَئِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ**».

في **الحديث الثالث** [من ٢٨١]: «**والَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشهِ فَتَأبَى عَليهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي في السَّمَاء سَاخطاً عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنها**» هذا كله يؤيد ويبيِّن وجوب طاعتها لزوجها في المعروف، وعدم هجرها إياه بغير حق ما دام قام بواجبها من إنفاق وحسن عشرة، فالواجب عليها هي أن تقوم بالواجب أيضاً من جهة طيب نفسها وتمكينه لها من نفسها، والقيام بما يجب في بيتها ورعاية أولادها وصيانة نفسها وحفظ مال زوجها إلى غير ذلك من الشؤون.

في **الحديث الثاني**: يقول ﷺ: «**لَا يَحِلُّ لامْرَأةٍ أنْ تَصُومَ وزَوْجُهَا شَاهدٌ إِلَّا بإذْنِهِ، وَلَا تَأذَنَ في بَيْتِهِ إِلَّا بِإذنِهِ**» إذا كان زوجها حاضراً فليس لها أن تصوم تطوعاً إلا بإذنه؛ لأن الصوم قد يمنعه من بعض حاجته فليس لها أن تصوم إلا بإذنه، وهذا للتطوع، أما في رمضان فهذا واجب على الجميع؛ ولهذا في الحديث الآخر: «إلا رمضان» أما رمضان ففرض على الجميع. وهكذا الكفارات التي تجب عليها، يجب عليها أن تؤديها؛ لأنها فرض. وليس لها أن تأذن في بيته إلا بإذنه ولا أن توطئ فراشاً إلا بإذنه فإذا قال لها: لا يدخل فلان، أو لا تدخل فلانة بيتي، فإنها تسمع وتطيع ولا تأذن لهم في الدخول إلا بإذنه، هكذا يجب.

ويقول ﷺ: «**كلكم رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» هذا حديث عام من أصح الأحاديث «**كلكم رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» فالأمير على الناس وهو السلطان راع و«**مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» هل نصح هل أدى الأمانة هل قام بالواجب أم لا؟ والرجل راع في أهل بيته، في أولاده وزوجته وغيرهم وهو (**مَسْؤُولٌ**) يوم القيامة هل أدى الأمانة؟ هل نصح لله ولعباده؟ هل أدى حق الرعاية؟ هل أدى حق والديه، حق ولده، حق زوجته، والمرأة راعية في بيت زوجها، هي أيضاً راعية في بيت زوجها وفي ولده وفي ماله وهي (**مَسْؤُولة**) يوم القيامة عن هذه الرعاية، هل نصحت هل أدت الأمانة، في اللفظ الآخر: «والخادم» واللفظ الآخر:

«العبد راع في مال سيده» و«**مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» «العبد المملوك وهكذا الخادم الذي تولى أمور من يخدمه (**مَسْؤُولٌ**) يوم القيامة هل أدى الواجب؟ هل نصح أو خان الأمانة؟ هذا يدل على أن الأمر عظيم وأن الواجب على المؤمن أن يحرص على أداء الحق وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً**»(١).

فعلى المؤمن أن يستوصي بهن خيراً ويقول: «**لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقاً رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ**»(٢).

فالمؤمن يلاحظ أن المرأة لا بد فيها من نقص ولا بد من عيب، فإذا أراد الكمال لن يحصل الكمال ولكن يسدد ويقارب ويصفح ويعفو، ويصفح عن بعض الأشياء الخفيفة ولا يكن شديد الحساب شديد المناقشة.

والحديث الرابع: يقول ﷺ: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ زَوْجَتهُ لحَاجَتِهِ فَلْتَأْتِهِ وَإِنْ كَانَتْ عَلَى التَّنُور**»؛ يعني: عليها السمع والطاعة وإن كانت في حاجة الخبز أو الطبخ أو نحو ذلك، فعليها أن تجيبه ولو جرى ما جرى فيما يتعلق بتنورها ونحوه، الحاصل من هذا هو التأكيد في السمع والطاعة، وعدم التعلل بالأشياء التي لا توجب امتناعها ورفضها ما يطلب منها زوجها سواء كان تنوراً أو ما يشبه ذلك، كالقهوة والشاي وطبخ الأشياء الأخرى التي لا تحتاج إلى تنور.

وفّق الله الجميع.

***

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته برقم (٣٣٣١)، ومسلم في كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء برقم (١٤٦٨).

(٢) سبق تخريجه في شرح الحديث رقم (٢٧٥).

٢٨٥ ـ **وعن** أبي هريرة ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «لَوْ كُنْتُ آمِراً أحَداً أنْ يَسْجُدَ لأحَدٍ لأمَرْتُ المَرأةَ أنْ تَسْجُدَ لزَوجِهَا» رواه الترمذي[1]، وَقالَ: حديث حسن صحيح.

٢٨٦ ـ **عن** أم سَلَمَة ﷺ، قَالَتْ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «أيُّمَا امْرَأةٍ مَاتَتْ، وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الجَنَّةَ» رواه الترمذي[2]، وَقالَ: حديث حسن.

٢٨٧ ـ **وعن** معاذ بن جبل ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا تُؤْذِي امْرَأةٌ زَوْجَهَا في الدُّنْيَا إلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الحُورِ العِينِ لَا تُؤْذِيهِ قَاتَلَكِ اللهُ ـ! فَإنَّمَا هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ يُوشِكُ أنْ يُفَارِقَكِ إلَيْنَا» رواه الترمذي[3]، وَقالَ: حديث حسن.

٢٨٨ ـ **عن** أسامة بن زيد ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّساء» مُتَّفقٌ عَلَيهِ[4].

الشَّرح

هذه الأحاديث كلها تتعلق بحق الرجل على زوجته، قد سبق ما يتعلق بحق الزوج على زوجها، وتقدم أيضاً بعض ما يتعلق بحق الزوجة على الزوج. والخلاصة أن الواجب على الجميع التعاون على الخير

---

(١) أخرجه في كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج على المرأة برقم (١١٥٩)، وابن ماجه في كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة برقم (١٨٥٣) من حديث عبد الله بن أبي أوفى.

(٢) أخرجه في كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها برقم (١١٦٢)، وابن ماجه في كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة برقم (١٨٥٤).

(٣) أخرجه في كتاب الرضاع، باب منه برقم (١١٧٤)، وأخرجه أحمد ٥/ ٢٤٢.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة برقم (٥٠٩٦)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء برقم (٢٧٤٠).

الرجل يجب عليه أن يؤدي حقها ويستوصي بها خيراً كما قال ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيراً**» والله يقول جلَّ وعلا: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩] ويقول سبحانه: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. الواجب عليه أن يؤدي حقها ولها رزقها وكسوتها وإحسان العشرة وطيب الكلام وعدم الإيذاء بغير حق وعليها السمع والطاعة لزوجها وعدم عصيانه في المعروف.

ومن ذلك ما ذكر هنا، فإن الزوجة حق زوجها عليها عظيم، فالواجب عليها أن تجتهد في ذلك؛ ولهذا تقدم قوله ﷺ «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امرَأتَهُ إِلَى فرَاشِهِ فَلَمْ تَأتِهِ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا المَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبحَ**» وفي اللفظ الآخر: «**والَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأتَهُ إِلَى فِرَاشهِ فَتَأبَى عَلَيهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي في السَّمَاء سَاخطاً عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنها**» كذلك حديث: «**أيُّمَا امْرَأةٍ مَاتَتْ، وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الجَنَّةَ**» هذا من أسباب التوفيق في كونها تطيعه وتستقيم على طاعته في المعروف، كما أنه إذا سخط عليها وبات ساخطاً عليها سخط الله عليها، فإذا أرضته استقامت على الحق وهي على الإيمان والهدى، كذلك هذا من أسباب الرضى عنها من طاعتها لزوجها وقيامها بحقه.

كذلك حديث: «**لَوْ كُنْتُ آمِراً أحَداً أنْ يَسْجُدَ لأحَدٍ لأمَرْتُ المَرأةَ أنْ تَسْجُدَ لزَوجِهَا**» لعظم حقه عليها لكن السجود لله، السجود حق الله جلَّ وعلا لا يجوز لأحد من الناس ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۩﴾ [النجم: ٦٢]، فالسجود حق الله لكن لو كان لأحد يجوز السجود لكان الزوج جديراً بذلك؛ لعظم حقه على زوجته، هذا كلُّه مما يبيِّن أن حق الزوج على الزوجة متأكد وعظيم، .

كذلك قوله ﷺ: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّساء**» فهنَّ فتنة فالواجب على الزوج أن يتقي الله فيهن، والواجب عليها أن تتقي الله في الزوج، فليحذر فتنتها وليحذر الناس فتنتها وما وجه ذلك

إلا لأنها مدعاة للشهوة. وكثير من الناس قد يبتلى بالميل إليها والاتصال بها بغير حق أو بالنظر إليها أو غير هذا مما يحرم فهي فتنة، ولهذا في الحديث الصحيح: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**» خرَّجه مسلم رَحِمَهُ اللهُ.

هكذا هذا الحديث «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّساء**» متفق عليه، فهذا يوجب الحذر منها سوا كان زوجة أو غير زوجة، فقد تأمر الزوجة بما يغضب الله عليه، قد تجره إلى قطيعة الرحم، إلى عقوق الوالدين، قد تجر إلى شر كثير، وقد يفتن بها فيقع فيما حرَّم الله مما هو أكبر من المعاصي، قد تجره إلى الشرك، قد يقع في الزنىٰ والفواحش بأسباب النساء. فالحاصل أن فتنتهن عظيمة، الواجب على المؤمن أن يتقِي الله وأن يحذر فتنتهن وأن يتقِي الله فيهن، وأن يستوصي بهن خيراً، ويحذر فتنتهن؛ لأنهن يجرإنه إلى ما حرَّم الله.

وفق الله الجميع.






٣٦ ـ بَابُ النفقة على العيال

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩].

٢٨٩ ـ **وعن** أبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «دِينَارٌ أنْفَقْتَهُ في سَبيلِ اللهِ، وَدِينار أنْفَقْتَهُ في رَقَبَةٍ، وَدِينارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أنْفَقْتَهُ عَلَى أهْلِكَ، أعْظَمُهَا أجْراً الَّذِي أنْفَقْتَهُ عَلَى أهْلِكَ» رواه مسلم(١).

٢٩٠ ـ **وعن** أبي عبد الله، ويُقالُ لَهُ: أَبو عبد الرحمٰن ثَوبَان بن بُجْدُد مَوْلَى رَسُول الله ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «أفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفقُهُ الرَّجُلُ: دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ، وَدينَارٌ يُنْفقُهُ عَلَى دَابَّتِهِ في سَبيلِ الله، وَدِينارٌ يُنْفقُهُ عَلَى أصْحَابِهِ في سَبيلِ اللهِ» رواه مسلم(٢).

٢٩١ ـ **وعن** أمّ سَلَمَة ﷺ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُول الله، هَلْ لِي أجرٌ فِي بَنِي أَبي سَلَمَة أنْ أُنْفِقَ عَلَيهِمْ، وَلَسْتُ بِتَارِكتهمْ هكَذَا وَهكَذَا إنَّمَا هُمْ بَنِيّ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، لَكِ أجْرُ مَا أنْفَقْتِ عَلَيْهِمْ» مُتَفَقٌ عَلَيهِ(٣).

---

(١) أخرجه في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم برقم (٩٩٥).
(٢) أخرجه في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم برقم (٩٩٤).
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر =

٢٩٢ ـ وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في حديثه الطويل الَّذي قدمناه في أول الكتاب في باب النِّيَةِ: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ لَهُ: «وإنَّك لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إلَّا أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ في فيِّ امرأتِك» مُتَّفَقٌ عَليهِ(١).

الشَّرح

هذه الآيات والأحاديث في النفقة على الأهل والأولاد وفي سبيل الله يقول الله جلَّ وعلا: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، بعد قوله سبحانه: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ثم قال بعده: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ﴾؛ يعني: رزق الوالدات ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] زوجاته وأولاده عليه أن ينفق عليهم، قال جلَّ وعلا: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: ٧] كل ينفق على قدر طاقته، قال جلَّ وعلا: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩] كل شيء ينفق في سبيل الله وفي وجوه الخير ربنا وعد بالخلف والمزيد، قال تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧]، قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا

= برقم (١٤٦٧)، وفي كتاب النفقات، برقم (٥٣٦٩)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين برقم (١٠٠١).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى، برقم (٥٦)، ومسلم في كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث برقم (١٦٢٨)، واللفظ للبخاري.

﴿ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

فالآيات تدل على شرعية النفقة والحث عليها ووجوبها على الأهل والأولاد؛ لأن الله قال: (ينفق) دل على وجوبها، قال: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ﴾؛ يعني: يجب على المولود له رزقهن، فالنفقة على العيال من البنين والبنات القاصرات والزوجة والوالدين العاجزين واجبة متحتمة؛ ولهذا قال لأم سلمة لما سألت عن أولادها، قال: «**أنفقي عليهم**»، أولادها من أبي سلمة قال ﷺ: «**دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَدِينار أَنْفَقْتَهُ في رَقَبَةٍ**»؛ يعني: في عتق رقبة «**وَدِينارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجراً الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ**» لأن النفقة عليهم أمر لازم، فأفضل النفقة الإنفاق عليهم ثم التطوع بعد ذلك.

وهكذا حديث ثوبان، المقصود أن المؤمن يتحرى في نفقته الأهم فالأهم فيبدأ بها أهل البيت زوجته وأولاده ومن تجب نفقته ثم من وراء ذلك.

كذلك حديث سعد يقول النبي ﷺ لما مرض يشاوره في الوصية بالثلث قال: «**وإنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إلَّا أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِيِّ امرأتِك**» وقال: «**إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ**» فالنفقة إلى الأهل والإحسان إلى الأهل مقدمة على غيرهم؛ لأنها واجبة، ثم النفقة في وجوه البر بعد ذلك والإحسان فالأفضل فالأفضل، فالعتق له شأن، والنفقة في سبيل الله أفضل النفقات، وصلة الرحم مقدمة على العتق، في حديث ميمونة قالت: يا رسول الله أشعرت أني اعتقتُ فلانة ـ جارية لها ـ قال ﷺ:

«أَمَا إِنَّكِ لَوْ أَعْطَيْتِهَا أَخْوَالَكِ كَانَ أَعْظَمَ لأَجْرِكِ»(١) كان أخواله محتاجين لها.

وفق الله الجميع.

❋ ❋ ❋

٢٩٣ ـ **وعن** أبي مسعود البدري ﷺ، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً يَحْتَسِبُهَا فَهِيَ لَهُ صَدَقَةٌ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(٢).

٢٩٤ ـ **وعن** عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «كَفَى بِالمَرْءِ إثْماً أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ» حديث صحيح رواه أَبُو داود(٣) وغيره.

📖 ورواه مسلم في صحيحه بمعناه، قَالَ: «كَفَى بِالمَرْءِ إثْماً أَنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ».

٢٩٥ ـ **وعن** أبي هريرة ﷺ: أن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أعْطِ مُنْفقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(٤).

---

(١) أخرجه البخاري من حديث ميمونة بنت الحارث ﷺ في كتاب الهبة، باب هبة المرأة لغير زوجها وعتقها برقم (٢٥٩٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى، برقم (٥٥)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين برقم (١٠٠٢).

(٣) أخرجه في كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم، برقم (١٦٩٢).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠] برقم (١٤٤٢)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب في المنفق والممسك برقم (١٠١٠).

٢٩٦ ـ وعنه، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «**اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنىً، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ**» رواه البخاري[(١)].

الشَـرح

هذه الأحاديث كالتي قبلها في الحث على النفقة ولا سيما على الأهل؛ لأن نفقتهم واجبة كالزوجة والأولاد القاصرين، ومن يكون في نفقته وحسابه، الواجب أن يبدأ بهم قبل غيرهم كما في الحديث الصحيح: «**وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ**» ابدأ بمن تعول يقول ﷺ: «**إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً يَحْتَسِبُهَا فَهِيَ لَهُ صَدَقَةٌ**»؛ يعني: مع أجر أداء الواجب يكتب له الصدقة والزيادة مع كونه أدى الواجب يؤجر على أداء الواجب ويؤجر على نيته الطيبة، إذا أنفق يحتسب ما عند الله من المثوبة، وأن الله جلَّ وعلا أوجب عليه العناية بأهله والإنفاق عليهم ويحتسب ذلك طاعة لله والتماساً لمرضاته، فيكتب الله له بذلك صدقة مع أجر الواجب، هذا فيه فضل عظيم، فينبغي للمؤمن أن يلاحظ ذلك وأن يكون عنده احتساب في صدقاته وفي إنفاقه على أهله يرجو ما عند الله من المثوبة ﷻ فصدقته على أهله يحتسبها تُحسب له صدقة مع أجر أداء الواجب.

كذلك حديث عبد الله بن عمرو يقول ﷺ: «**كَفَى بِالمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ**» وفي اللفظ الآخر كما في رواية مسلم: «**كَفَى بِالمَرْءِ إِثْماً أَنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ**»؛ يعني: كافٍ في الإثم أن يضيع من تحت يده من أزواج، من أولاد، من خدم، أرقاء؛ يعني: أنه يحصل

(١) أخرجه في كتاب الزكاة، باب لاصدقة إلا عن ظهر غنى برقم (١٤٢٧).

له إثم عظيم بذلك، «**كَفَى بِالمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ**» فينبغي للمؤمن أن يلاحظ من تحت يده، وأن ينفق عليهم ويحسن إليهم حتى لا يصاب بأسبابهم، ويقول ﷺ: «**اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ**»، يبدأ بمن يعول من زوجة، وأولاد، ونحو ذلك، «**وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنىً**»؛ يعني: بعد الأولاد وبعد الأهل يتصدق، الصدقة بعدما يؤدي الواجب، «**وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ**».

فهذا فيه توجيه من النبي ﷺ إلى أن المؤمن تكون يده عليا. تكون يده المنفقة لا سائلة، يحرص على أن يكون منفقاً لا سائلاً يبدأ بنفقته من يعول من زوجة وأولاد ونحوهم، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى إذا تصدق ما كان عن ظهر غنى بعدما يؤدي الواجب يجود على غيرهم من الفقراء والمساكين والأرحام ونحو ذلك، «**مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ**» فيه الحث على التعفف وعدم سؤال الناس والحاجة إليهم والاستغناء عنهم حيث أمكنه ذلك، «**مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ**».

ويقول ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً**» هذا فيه الحث على النفقة وأن المنفق موعود بالخلف والملك يدعو له بالخلف، يقول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦]، ويقول سبحانه: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

فالمؤمن يحسن ظنه بربه، ينفق ويرجو من الله الخلف والبركة في البقية ووجه الله حق، فعليك إحسان الظن بربك وإنفاق ما لديك في وجوه النفقة، لكن تبدأُ بمن تعول تبدأ بالواجب.

وفَّق الله الجميع.






٣٧ ـ بَابُ الإنفاق مما يحب ومن الجيد

قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

٢٩٧ ـ عن أنس رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ رضي الله عنه أَكْثَرَ الأَنْصَار بالمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَموالِهِ إِلَيْه بَيْرَحَاء، وَكَانتْ مُسْتَقْبلَةَ المَسْجِدِ وَكَانَ رَسُول الله ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّب. قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيةُ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قام أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رسولِ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، إنَّ الله تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَيْك: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَإنَّ أَحَبَّ مَالِي إِلَيَّ بَيْرَحَاءُ، وَإنَّهَا صَدَقَةٌ للهِ تَعَالَى، أَرْجُو بِرَّهَا، وَذُخْرَهَا عِنْدَ الله تَعَالَى، فَضَعْهَا يَا رَسُول الله حَيْثُ أَرَاكَ الله، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «بَخٍ! ذلِكَ مَالٌ رَابحٌ، ذلِكَ مَالٌ رَابحٌ»، وقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، «وَإنِّي أرَى أنْ تَجْعَلَهَا في الأقْرَبينَ»، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُول الله، فَقَسَّمَهَا أَبُو طَلْحَةَ في أَقَارِبِهِ، وبَنِي عَمِّهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١].

📖 قوله ﷺ: «مالٌ رابحٌ».

▫ رُوِيَ في الصحيحين: (رابحٌ): و(رايحٌ): بالباء الموحدة وبالياءِ المثناةِ؛

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب برقم (١٤٦١)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج الأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين برقم (٩٩٨).

أي: رابح عَلَيْكَ نفعه، وَ(بَيرَحَاءُ): حديقة نخلٍ، وروي بكسرِ الباءِ وَفتحِها.

الشَّرح

هاتان الآيتان والحديث الشريف كلها تدل على شرعية الإنفاق وطيب الكسب، وأنه ينبغي للمؤمن أن ينافس في الخيرات وأن يخرج من طيب كسبه من طيب ماله، يرجو ما عند الله جلَّ وعلا؛ لأن التقرب إلى الله يكون بما يناسبه سبحانه من الطيب؛ لا من الخبيث، فالنفقة عنده مضاعفة والأجر عنده مضاعف جلَّ وعلا، فلا يليق بالمؤمن أن يتقرب بالردي والخبيث، بل ينبغي له أن يبادر إلى الطيب؛ ولهذا يقول جلَّ وعلا: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران: ٩٢]، قال سبحانه: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]، وقال ﷻ: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ﴾؛ يعني: الرديء ﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

في الحديث الصحيح يقول ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ فَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أو فصيله حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ**»(١) فجدير بالمؤمن أن ينافس في الخيرات وأن يسارع بالنفقات الطيبة: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ﴾ [التغابن: ١٦]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، ويقول ﷻ: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] برقم (٧٤٣٠).

ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

ولما سمع أبو طلحة رضي الله عنه هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] أتى النبي ﷺ وقال: إني سمعت الله يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحبَّ مالي إليَّ بيرحاء، بيرحاء نخل في مستقبل المسجد كان النبي يزوره وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا، فَضَعْهَا يَا رَسُول الله حَيْثُ أَرَاكَ الله، فقال له النبي ﷺ: «**بخٍ بخٍ! ذلك مالٌ رابحٌ، ذلك مالٌ رابحٌ**»، في اللفظ الآخر ذلك: «**مَالٌ رَايِحٌ**»؛ يعني: يروح عليك أجره وثوابه أو ذاهب في الدنيا لكن تربح فيه في الآخرة، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين، أشار عليه بأن يوزعها بين أقاربه فيجمع بين صلة الرحم وبين النفقة في سبيل الله فوزعه بين أقاربه رضي الله عنه، فهذا فيه الدلالة على شرعية الإنفاق في وجوه البر والإحسان إلى الأقارب والمساكين، وأن ذلك مما ينفعه الله به ويعظم أجره عند ربه جلَّ وعلا، وإذا صارت الصدقة في الأقارب المحتاجين كانت أفضل كما في الحديث الصحيح: «**الصَّدَقَةُ عَلَى المِسكِين صَدَقَةٌ وعَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ**».

وفَّق الله الجميع.





٣٨ ـ بَابُ وجوب أمره أهله وأولاده المميزين وسائر من في رعيته بطاعة الله تعالى، ونهيهم عن المخالفة، وتأديبهم ومنعهم عن ارتكاب منهي عنه

قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦].

٢٩٨ ـ **عن** أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تَمْرَةً مِنْ تَمْر الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا في فِيهِ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «كَخْ كَخْ إرْمِ بِهَا، أمَا عَلِمْتَ أنَّا لا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ !؟» مُتَّفقٌ عَلَيهِ(١).

📖 وفي رواية: «أنَّا لا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ».

▫ وقوله: (كَخْ كَخْ): يقال: بإسكان الخاء، ويقال: بكسرها مَعَ التنوين وهي كلمة زجر للصبي عن المستقذراتِ، وكان الحسن رضي الله عنه صبياً.

٢٩٩ ـ **وعن** أَبي حفص عمر بن أَبي سلمة عبد الله بن عبد الأسدِ ربيبِ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: كُنْتُ غلَاماً في حجر رَسُول الله ﷺ وَكَانَتْ يَدي تَطِيشُ في الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لي رَسُول الله ﷺ: «يَا غُلامُ، سَمِّ الله تَعَالَى، وَكُلْ بيَمِينكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتي بَعْدُ. مُتَّفقٌ عَلَيهِ(٢).

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب ما يذكرُ في الصدقة للنبي ﷺ (وآله) برقم (١٤٩١)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وعلى آله وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون غيرهم برقم (١٠٦٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين برقم (٥٣٧٦)، ومسلم في كتاب الأشربة، آداب الطعام والشراب وأحكامهما.

□ (وَنَطِيشُ): تدور في نواحي الصحفة.

٣٠٠ ـ **وعن** ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: سمعت رَسُول الله ﷺ، يقول: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: الإمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ رَاعٍ في أهْلِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأةُ رَاعِيَةٌ في بيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ في مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كلها تتعلق بوجوب قيام الرجل على أهل بيته من زوجة وأولاد وخدم وأيتام يوجههم إلى الخير، ويأمرهم بطاعة الله وينهاهم عن معاصي الله؛ لأنه راعٍ عليهم (وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) قال الله جلَّ وعلا يخاطب نبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ هو رسول الله يأمر أهله والأهل يدخل فيه الزوجة والبنات والأخوات وجميع من في البيت من أقاربه، ويدخل فيهم أيضاً تبعاً لهم العمال والخدم؛ لأنهم تبع أهل البيت.

فالواجب على صاحب البيت أن يقوم على الجميع بما أوجب الله كأمرهم بالصلاة وتحذيرهم من معاصي الله، وكما في الحديث «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ» ويقول جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق برقم (٢٥٥٤)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم برقم (١٨٢٩).

فأمر المؤمنين جميعاً أن يقوا أنفسهم وأهليهم عذاب الله، وذلك بالتوجيه والتأديب والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق، كل هذا من أسباب الوقاية، ومن يستحق الأدب يؤدب تارة بالتوبيخ، تارة بالضرب، تارة بالسجن إلى غير هذا من وجوه التأديب ويقول النبي ﷺ للحسن لما أخذ تمرة من الصدقة: «**كَخْ كَخْ إرْمِ بِهَا، أمَا عَلِمْتَ أنَّا لا نَأكُلُ الصَّدَقَةَ!؟**» هو صغير حين مات النبي ﷺ وهو ابن سبع؛ ولهذا أمره قال: دعها؛ لأن الله حرَّم الزكاة على بني هاشم قال: «**وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لآلِ مُحَمَّدٍ**»[1] فهذا التعليم منه ﷺ للصبي الصغير حتى ينشأ على العلم الشرعي والأحكام الشرعية.

وكان عمر بن أبي سلمة المخزومي رضي الله عنه ربيب النبي ﷺ أمه أم سلمة تزوجها النبي بعد أبي سلمة لما توفيَّ أبو سلمة في السنة الرابعة من الهجرة بجرح انتقض عليه يوم أُحد، تزوجها النبي بعد ذلك كان عندها أولاد من أبي سلمة، منهم عمر، وكانت تطيش يده في الصَّحْفَةِ عند الطعام مرة يأكل من هنا ومن هنا صغير، يمد إلى هنا وهاهنا فعلَّمه النبي ﷺ: «**يَا غُلامُ، سَمِّ الله تَعَالَى، وَكُلْ بيَمِينكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**» حتى يعتاد الآداب الشرعية «**يَا غُلامُ، سَمِّ الله**»؛ يعني: قل: بسم الله عند الأكل «**وَكُلْ بيَمِينكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**». هذا هو الأدب الشرعي في الأكل يسمي الله أولاً، ثم يأكل بيمينه، ثم يأكل مما يليه، لا يأكل من جهة الناس الذين معه، يأكل مما يليه إلا إذا كان هناك أنواع لا بأس أن يتناول النوع الثاني في أنواع بعضها حوله، لا بأس من أن يأكل من النوع الآخر، وهذا كله من باب التأديب الشرعي والتعليم والتوجيه إلى ما فيه الخير للمُعلَّم.

الحديث الثالث: يقول ﷺ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: الإمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ رَاعٍ في أهْلِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ**

---

(١) أخرجه مسلم من حديث الفضل بن عباس في كتاب الزكاة، باب ترك استعمال آل النبي على الصدقة، برقم (١٠٧٢).

رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ في بيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ في مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»، ثم يقول ﷺ: «أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» فالواجب على الرجل أن يحسن الرعاية لأهل بيته والمرأة كذلك، وهكذا العبد في مال سيده، وهكذا أمير البلد أمير العشيرة رئيس العشيرة كبير البيت يعتني بمن تحت يده «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»، كلمة جامعة عظيمة من جوامع الكلم، وهكذا المرأة التي تحتها أولاد أو تحتها أيتام هي المسؤولة عنهم، هي راعية عليهم، أو تحتها أخوات صغيرات وما أشبه ذلك أو خادمات هي راعية، عليها أن تقوم عليه بما يلزم، هكذا لو كانت جدة أو كانت أختاً كبيرة، أو كانت عمة كبيرة، أو خالة تحتها أيتام تحتها صغار، هي المسؤولة حسب الطاقة تعلمهم توجههم تأمرهم تنهاهم تؤدبهم مسؤولة.

وفَّق الله الجميع.

***

٣٠١ - **وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدهِ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مُرُوا أَوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ في المضَاجِعِ»** حديث حسن رواه أبو داود[1] بإسناد حسن.

٣٠٢ - **عن أَبي ثُرَيَّةَ سَبْرَةَ بن معبدٍ الجُهَنِيِّ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلاةَ لِسَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ**

---

(١) أخرجه في كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة برقم (٤٩٥)، وأخرجه أحمد ٢/ ١٨٠ و١٨٧.

عَشْرِ سِنِينَ» حديث حسن رواه أبو داود[١]، والترمذي، وَقالَ: حديث حسن.

📖 ولفظ أَبي داود: «مُرُوا الصَّبِيَّ بِالصَّلاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ».

الشَرح

هذان الحديثان فيما يتعلق بالأولاد، الذكور والإناث، الواجب على أوليائهم أمرهم بالصلاة، إذا بلغوا سبعاً، وضربهم عليها إذا بلغوا عشراً، والتفريق بينهم في المضاجع؛ لأن أبناء عشر قد تتحرك شهوته، فالواجب التفريق بينهم، بين الذكور والإناث، وبين الذكرين أيضاً والأنثيين، كل واحد يكون على حده إذا بلغ عشراً فأكثر.

وهذا يدل على أن الواجب على الآباء والأمهات العناية بالأولاد وتقوى الله فيهم والحذر من التساهل؛ لأنهم مسؤولون عنهم وهم في الذمة وإذا رُبوا في الصغر كان هذا أقرب إلى نجاحهم في الكبر، فالواجب تعليمهم وتوجيههم وإرشادهم، وأمرهم بالصلاة إذا بلغوا هذا السن سبع سنين، وضربهم عليها إذا تخلفوا إذا بلغوا عشراً فأكثر، أما إذا بلغ الحلم ولم يصل، هذا يستتاب فإن تاب وإلا قتل بعد البلوغ، وإنما هذا قبل البلوغ، يضرب عليها إذا بلغ عشراً فأكثر حتى يبلغ، أما إذا بلغ فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل، كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥] فدل على أن من لم يقم الصلاة لا يخلى سبيله، قال ﷺ: «إِنِّي نُهِيتُ عَنْ قَتْلِ المُصَلِّينَ[٢]» دل على أن من لا يصلي لم ينه بل يؤمر بقتله، ومن ذلك أيضاً العناية

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة برقم (٤٩٤)، والترمذي في كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الصبي بالصلاة، برقم (٤٠٧) وقال: حسن صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في في الحكم في المخنَّثين برقم (٤٩٢٨).

بتوجيههم إلى الخير تعليم الآداب الشرعية تحذيرهم من العدوان على الناس والايذاء للناس، كل هذا مناط بالأولياء، والله يقول جلَّ وعلا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦] فهم من الأهل، فالواجب أن يقيهم وليهم النار بالتربية الصالحة، بالتعليم والتوجيه حتى ينشؤوا على الخير ويتمرنوا على الخير، ذكوراً كانوا أو إناثاً.

وفَّق الله الجميع.





٣٩ ـ بَابُ حق الجار والوصية به

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ﴾ [النساء: ٣٦].

٣٠٣ ـ **عن** ابن عمر وعائشة ﵃، قالا: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَا زَالَ جِبْريلُ يُوصِيني بِالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِّثُهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(١).

٣٠٤ ـ **وعن** أبي ذر ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءهَا، وَتَعَاهَدْ جيرَانَكَ» رواه مسلم(٢).

📖 وفي رواية لَهُ عن أَبي ذر، قَالَ: إنّ خليلي ﷺ أوْصَاني: «إِذَا طَبَخْتَ مَرَقاً فَأَكْثِرْ مَاءها، ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ، فَأَصِبْهُمْ مِنْهَا بِمعرُوفٍ».

٣٠٥ ـ **وعن** أبي هريرة ﵁: أن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «واللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ!» قِيلَ: مَنْ يَا رَسُول الله؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَأمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ!» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(٣).

📖 وفي رواية لمسلم: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ لَا يَأمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ».

▫ (البَوَائِقُ): الغَوَائِلُ والشُّرُورُ.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار برقم (٦٠١٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب الوصية بالجار والإحسان إليه برقم (٢٦٢٤).

(٢) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب الوصية بالجار والإحسان إليه برقم (٢٦٢٥).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه برقم (٦٠١٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان تحريم إيذاء الجار برقم (٤٦).

﴿ الشَّرح ﴾

هذه الآية الكريمة والأحاديث الثلاثة كلها تتعلق بعظم حق الجار، وأن الجار له حق عظيم، فالواجب على الجيران فيما بينهم إكرام بعضهم بعضاً، وعدم الإيذاء، كل واحد يحرص على إكرام جاره وعدم إيذائه ويتحرى الإحسان إليه، هذا هو الواجب على الجميع كما قال الله جلَّ وعلا: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦].

يعني: أوصى بالإحسان إلى الجار ذي القربى والجار الجُنب، الجار القريب والجار البعيد، الجنب الجار البعيد، فالجار القريب إذا كان مسلماً له ثلاثة حقوق ثلاثة، حق الإسلام، وحق الجوار، وحق القرابة، وإذا كان مسلماً وليس بقريب له حقان، حق الجوار وحق الاسلام، وإذا كان كافراً وهو قريب له حقان، حق الجوار وحق القرابة، وإن كان كافراً وليس بقريب له حق واحد حق الجوار. فالجار له شأن، فالواجب إكرامه والإحسان إليه، وكف الأذى عنه؛ ولهذا في الحديث الصحيح، حديث عائشة وابن عمر يقول النبي ﷺ: **«مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِّثُهُ»** من كثرة الوصية بالجار عن الله ﷻ لأن بالإحسان إليه تصفو القلوب ويحصل التعاون على البر والتقوى بين الجيران ويتعاون على الخير، وإذا حصلت القطيعة والأذى تعبت القلوب وحصلت الوحشة والشرور.

والحديث الثاني حديث أبي ذر ﷺ يقول النبي ﷺ لأبي ذر: **«يَا أَبَا ذَرٍّ، إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ»**.

يعني: جيرانه الفقراء والمحاويج يتعاهدهم بما يتيسر من مرقة وما هو أعظم منها، الجيران يختلفون، قد يحتاج المرقة، قد يحتاج للتمرات، قد يحتاج للريال والريالين، الجيران أنواع فإن كان غنياً أكثر معه بحسن الجوار والكلام الطيب وكف الأذى، وإن كان فقيراً ساعده أيضاً مع حسن الجوار، مع الكرامة، ومع طيب الكلام، يساعده بما يتيسر من الطعام والماء، هكذا يكون الجيران، يكون بينهم التعاون التواصي بالحق والسيرة الحميدة والتزاور إلى غير هذا من وجوه الخير، وإذا كانت البغضاء حصل شر كبير؛ ولهذا يقول ﷺ **«واللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ!» قِيلَ: مَنْ يَا رَسُول الله؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ!»** إذا كان يخشى شره ساءت الأحوال سادت الفُرقة والوحشة، فالجار الذي لايأمنه جاره على خطر، **«واللهِ لَا يُؤْمِنُ!»**؛ يعني: الإيمان الكامل الإيمان الواجب **«الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ!»**؛ يعني: شره وغُشمه وأذاه، من سرقة أو سب أو صب الماء عند بابه، أو القاذورات عند بابه، أو ما أشبه ذلك من الأذى، أو إيذاءه بأصوات الملاهي، أو غير هذا من أنواع الأذى. فالواجب الحذر من جميع أنواع الأذى؛ ولهذا في الحديث الآخر يقول ﷺ: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَاليَوم الآخرِ، فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ»** في اللفظ الآخر: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ»** اللفظ الثالث **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ»**.

وفَّق الله الجميع.

❋ ❋ ❋

٣٠٦ ـ وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «يَا نِسَاء المُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاة» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(١).

٣٠٧ ـ وعنه: أن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «لَا يَمْنَعْ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَةً في جِدَارِهِ»، ثُمَّ يقُولُ أَبُو هريرة: مَا لِي أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضينَ! وَاللهِ لأَرْمِيَنَّ بِهَا بَيْنَ أَكْتَافِكُمْ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(٢).

□ رُوِيَ: (خَشَبَهُ): بالإضَافَة وَالجمع. وَرُوِيَ: (خَشَبَةً) بالتنوين عَلَى الإفرادِ. وقوله: (مَا لي أراكم عَنْهَا مُعْرِضينَ)؛ يَعْني: عَنْ هذِهِ السُّنَّة.

٣٠٨ ـ وعنه: أن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخرِ، فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَسْكُتْ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(٣).

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كلها تتعلق بعظم حق الجار، والواجب على الجار مع جاره الإحسان إليه وكفُّ الأذى عنه، هذا الواجب، على الجيران أن يتعاونوا على الخير، وأن يحسن كل واحد إلى جاره،

(١) أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب فضل الهبة برقم (٢٥٦٦)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بالقليل ولا تمتنع من القليل لاحتقاره برقم (١٠٣٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره برقم (٢٤٦٣)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب غرز الخشب في جدار الجار برقم (١٦٠٩).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره برقم (٦٠١٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان برقم (٤٧).

وأن يكُف عنه الأذى؛ ولهذا يقول ﷺ: «**واللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤمِنُ!**» قِيلَ: مَنْ يَا رَسُول الله؟ قَالَ: «**الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ!**» غَشْمُهُ وَظُلْمُهُ كما في الرواية الأخرى، قيل: ما بوائقه؟ قال: «**غَشْمُهُ وَظُلْمُهُ**»(١).

هذا وعيد شديد، في اللفظ الآخر لا يدخل الجنة ما دام جاره لا يأمنه «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**» لِما يُعرف عنه من الغدرات والإساءة والأذى، فالواجب على الجار أن يحسن إلى جاره وأن يكف عنه الأذى، ويقول ﷺ: «**يَا نِسَاء المُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاة**» الظلف ظلف الشاة، في اللفظ الآخر: ظِلْفاً مُحْرَقاً، فالمقصود الحث على إحسان الجوار، والتهادي بين الجيران من الرجال والنساء ولو بالشيء اليسير، علامة المحبة والأُلفة والصلة بين الجميع، ويقول ﷺ: «**لَا يَمْنَعْ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَةً فِي جِدَارِهِ**» في اللفظ الآخر: «**خَشَبَهُ فِي جِدَارِهِ**» إذا احتاج الجار إلى جاره لا يمنعها.

إذا كان الجدار يتحمل فإذا احتاج أن يغرز خشبة في جداره فلا يمنعه من ذلك إذا كان الجدار يقوى على ذلك، كل هذا من باب إحسان الجار، أما إذا كان لا يتحمل هذا شيء معروف لقوله ﷺ: «**لا ضَرَرَ ولا ضِرَارَ**» فالمؤمن يتقي الله ويراقب الله في جيرانه في المعاملة كفُّ الأذى، ويقول ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ**» في الرواية الأُخرى: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمَ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ**» في الرواية الثالثة: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ١/ ٣٨٨.

بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ»، فالواجب إكرام الجار والإحسان إليه وكف الأذى عنه، وهكذا الضيف من كان يؤمن بالله فليكرم ضيفه، وهكذا حفظ اللسان يجب حفظ اللسان مما لا ينبغي؛ ولهذا يقول ﷺ: «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَسْكُتْ»؛ يعني: الواجب حفظ اللسان عما لا ينبغي، إما كلام طيب وإما الصمت.

وفَّق الله الجميع.

***

٣٠٩ ـ **وعن** أَبي شُرَيْح الخُزَاعيِّ رضي الله عنه: أن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيُحْسِنْ إلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوم الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَسْكُتْ» رواه مسلم[1] بهذا اللفظ، وروى البخاري بعضه.

٣١٠ ـ **وعن** عائشة رضي الله عنها، قَالَت: قُلْتُ: يَا رَسُول الله، إنَّ لِي جارَيْنِ، فإلى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: «إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنِك بَاباً» رواه البخاري[2].

٣١١ ـ **وعن** عبدِ الله بن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ الله تَعَالَى خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيرُ الجِيرَانِ عِنْدَ الله تَعَالَى خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ» رواه الترمذي[3]، وَقالَ: حديث حسن.

---

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان برقم (٤٨)، والبخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره برقم (٦٠١٨).

(٢) أخرجه في كتاب الأدب، باب حق الجوار في قرب الأبواب برقم (٦٠٢٠).

(٣) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حق الجوار برقم (١٩٤٤)، وأحمد ٢/١٦٨، والدارمي ٢/٢١٥.

الشَّرح

هذه الأحاديث تتعلق بالجار والصاحب، تقدمت أحاديث في الباب كلها تدل على وجوب إكرام الجار والإحسان إليه، وكف الأذى عنه، فالجار له حق عظيم، فالواجب مثل ما قال ﷺ إكرامه والإحسان إليه يقول ﷺ: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالیَوْم الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ»** في رواية أبي شريح: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْم الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوم الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوم الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَسْكُتْ»**. هذا اللسان خطره عظيم، الواجب على المؤمن أن يحفظ لسانه وأن يصونه عما لا ينبغي، فإما أن يقول خيراً وإما أن يسكت، هذا هو الواجب على المؤمن، الحذر من شر لسانه؛ ولهذا يقول ﷺ: **«وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوم الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَسْكُتْ»** قال معاذ: (يا رسول وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ قال: **«يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ قال: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»**) في الحديث الصحيح: **«إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يتبين فيها**؛ يعني: ما يتثبت فيها **يكتب الله له بها سخطه إلى يوم القيامة، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يتبين فيها يكتب الله له بها رضوانه»**[1].

فأنت يا عبد الله على خير؛ إذا حفظت لسانك وصنت لسانك، وأنت على خطر إذا أطلقت هذا اللسان ولم تتحفظ، تقول عائشة رضي الله عنها يا

---

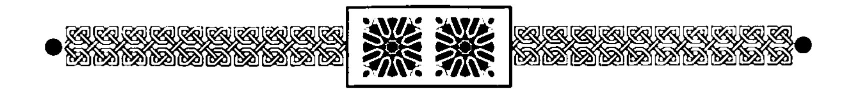
(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث بلال بن الحارث الْمُزَنِيّ رضي الله عنه ٣/ ٤٧٠، برقم (١٥٩٤٦)، وهذا لفظه: **«إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ ﷻ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ ﷻ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ ﷻ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ ﷻ بِهَا عَلَيْهِ سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»**.

رسول الله: إنَّ لِي جارَيْنِ، فإلى أيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: «**إلَى أقْرَبِهِمَا مِنكِ بَاباً**»، هذا يدل على أن العبرة بالجوار بقرب الباب لا بقرب الجدار، فالجيران متفاوتون كل من كان أقرب باباً فهو أحق بالإكرام والإحسان؛ ولهذا قال ﷺ: «**إلَى أقْرَبِهِمَا مِنكِ بَاباً**» تقدم قوله ﷺ: «**يَا نِسَاء المُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاة**» ويقول ﷺ: «**خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ وَخَيْرُ الجِيرَانِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ**».

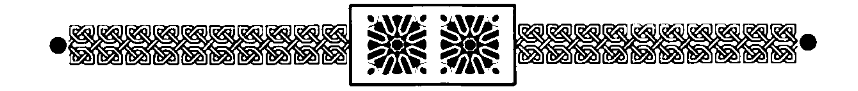
فالمؤمن يعتني بصحبه ولا يؤذيهم، يصلهم يحسن إليهم يعلمهم، يأمرهم بالمعروف ينهاهم عن المنكر، يزيدهم من الخير يواسيهم من ماله إن كانوا فقراء، هكذا الصاحب الخير الطيب، وهكذا مع الجيران ومع الأقارب يكون محسناً كافاً للأذى، يقول الخير ويكف الشر مع الجار ومع الأقارب ومع غيرهم.

وفَّق الله الجميع.





فهرس الأحاديث النبوية «الجزء الأول»



فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة